
دعوة الحق
خاص
مارس 1974
العرش المغربي
يعمل للوحدة من أجل : العروبة والإسلام

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية والثقافة
بالمملكة المغربية



العددان الرابع والخامس
السنة السادسة عشرة
صفر 1394
مارس 1974
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية والثقافة.الرباط.المغرب .الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

يدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية والثقافة . الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة الأوقـاف والشؤون الاسلامية والثقافة ــ الرباط تليفـون 10-308 ــ 03-327

مطبعة فضالة

تهنئة

بقلب مفعم بالوفاء والولاء، وعظيم المحبة والصفاء تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة وأسرة "دعوة الحق"، بأزكى التهاني وأغلى الأماني إلى مقام حضرة صاحب الجلالة والمهابة، مولانا الحسن الثاني أيده الله ونصره، بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لجلوس جلالته على أريكة أسلافه المقدسين.

وتغتنم هذه المناسبة السعيدة لترجو من الله العلي القدير أن يحفظه ذخراً للبلاد، وملاذاً للوطن، وحصناً منيعاً لحماية المقدسات، وجامعاً لوحدة الأمة العربية والإسلامية، ويديم نصره ويسدد خطاه، ويمد في عمره، ويشد أزره ويلهمه سبل النجح والفلاح ويكلأ في ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه صاحب السمو الأمير مولاي رشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة وشعبه العظيم.



كلمة العدد

من وحي عيد العرش



لا احسب ان دولة ظفرت فى عصر من عصورها المختلفة بحسن الاحدوثة ، وجمال الذكر ، ولسان صدق ، وصيت طائر ، كالدولة المغربية العزيزة الغالية .. فقد عرفت بنضالها المستمر ، وجهادها الواصب ، وكفاحها فى سبيل المبدا والعقيدة ، وتميزت بمظاهر علمية سابغة ، واثر خالد فى تاريخ الفكر العربي والاسلامي ، وصوت مرنان فى انحاء العالم ، وحضارة ناضرة يانعة استقامت فيها الموازين ، وتعادلت فيها القوى ، وتعاونت فيها المواهب ..

ولا احسب أن دولة من الدول لقيت خلال أحقاب متاعب ومصاعب فى مختلف الميادين داخل البلاد وخارجها حيث تفجرت في وجهها احداث جسام سببتها قوة صليبية جامحة ، وتعصب حاقد أعمى من بلدان أوربية طامعة متطلعة لاحتلال بلدان أخرى آمنة وادعة لا ذنب لها الا أنها تزخر بطاقات بشرية ومادية فى الارض ، ومجالها الحيوي كالدولة العلوية المجيدة التى صمدت أمام هذه المحن ، وتبنت ازاء تلك البلايا وعملت على اذكاء النهضة المغربية عن طريق العلم النافع ، والعمل المنتج ، والقوة المحركة ، والذياذ عن الحمى ، والدفاع عن الوطن ، ومقارعة الاحتلال الاجنبي الذى تحيف اطراف البلاد ، وكاد لها فى الداخل ، وجاهرها العداء الصريح والتالب فى الخارج ، فكانت آية فى السهر واليقظة والمضاء والوفاء ، ونموذج التضحية والجهاد ، نورهم يسعى بين ايديهم ، وبايمانهم ...

وما أحسب ان شعبا شكورا خفق قلبه بالحب عن اخلاص ، وامة واثقة عاهدت الله على التضحية والفداء ، والولاء والوفاء كالشعب المغربي البطل الذي داوم الكفاح بهمة الجلد المستميت ، وواجه المحتل الطاغي ، وقارع فى اباء وشمم كل ما يبيته الخصم من مكر وختل ، واشعل نار الجهاد المقدس ضد الدخيل ، واسس عهدا مكينا مدعما بالجد النزيه ، والمثابرة العاملة ، وظهر التضامن والانسجام والالتحام ، فى اسرة طائعة ورعاية حنون ، بينه وبين قادته الاوفياء

المخلصين الذين ساروا على نهج السلف الصالح ، ومشوا على هدي ماضينا المشرق ، فتفياوا ظلال الخفض السعيد ، وبنوا مستقبلا ينضر باعذب الاماني ، ويزكو بالجدة والامل والخلود .. وترف على أفنانه الآمال الباسمة .

— ❊ —

ولعل من ابرز سمات الدولة المغربية ذات المجد الاقعس ، والسناء الاسنع ، والصفحة الناصعة الصريحة ، والتاريخ المشرق الوضاح انها ما استكانت ، طوال عهودها ، للذل ، وما خضعت للعبودية ، وما رضخت للهوان ، بل ما عرف عنها الا انجاد الصريخ ، واغاثة اللهفان ، ورفد المحروم ، واغاثة المكروب ، وتلبية صرخات الشعوب التى تدافع عن حقها فى الحياة ، وتكافح عن مرقدها من الارض ، وتعاني برحاء الظلم والعبودية من محتل عتل غاصب مستبد ، وطاغية اعماه الجشع والطمع ... وللدولة العلوية المجيدة فى هذا المضمار القدح المعلى ، والتاج المحلى والشأو البعيد حيث ذاذوا عن الحمى ، وحموا البلاد من الغير ، وصانوا الكيان ، وانجدوا من لاذ بهم واحتمى بحماهم ، وجمعته ـ واياهم ـ وحدة مشتركة ، وارسلوا جنودا بواسل صرخت فى عروقهم الدماء ليجاهدوا بعزم وثاب ، وارادة حازمة ، وقوة ايمان حتى اسالوا نفوسهم فى ساح الوغى ، وميادين الشرف ، راضية قلوبهم ، مطمئنة ضمائرهم ، وصافحوا ، فى بسالة فائقة ، الموت الزؤام ، وتلقوه فى صبر جميل يثير فى النفس افانين الاعجاب والاكبار ، ويشيع فيها الوان التقدير والاعظام ..

ولا عجب ان يملي الشعب المغربي المجيد على التاريخ صفحات مشرقة من الوان البطولة والفداء ، واختيار الطرق الواضحة التى لا ينكص عنها ولا يضل تحفزه عقيدة سليمة ، ونفسية كريمة ، وانضباط مخلص ، وطاعة وقول معروف ، لانه عقد النية على ان يعيش عزيزا او يموت كريما ، ونذر دماءه الزكية للدين والوطن يقتل مستبسلا ، ويقتل مستشهدا لا يطمع فيما عند الناس ، ولا يحشر نفسه فى شؤون الغير ، ولا يبتغي عرض الحياة الدنيا ، ولا ينفض راسه عمن غام عليهم الافق فى مهب الرياح الهوج، واستعجم عليهم المسلك فى مضطرب الموج الثائر ، وانبهمت امامهم الصوى ففغلوا عن اسلحتهم وامتعتهم فمال عليهم العدو ميلة واحدة ... ولعل الشاعر العربي عناه بقوله وهو ينشد :

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع
كان الصراخ له قرع الظنابيب

— ❊ —

وان نظرة يلقيها الباحث الدارس على تاريخ بلادنا وعلاقاتها مع الدول الاسلامية الشقيقة تعطيه صورة واضحة عن موقف المغرب ونجدته للدول التى اصيبت بداء الامم فانفرط عقد نظامها واندثر سلك خلافتها ، وصاح فوق كل غصن ديكها .

ففي خلال المائة السادسة للهجرة ساهم المغرب مساهمة فعالة فى مقاومة العدوان الصليبي حينما تعرضت منطقة الشام الى حروب صليبية طويلة المدى، اكتوى

المسلمون باوارها ، وانتهكت فيها حرماتهم ومقدساتهم ، وقد تحدث عن هـذه الحروب ابن جبيـر حيث قال : ((ان المغاربة الذين هبوا من بلادهم للدفـاع عن الاراضي المقدسة الزمهم الصليبيون ـ عند الحـدود ـ ضريبـة مكسيـة ، دون سواهم ، وما لذلك من سبب سوى البطولات التى قاموا بها فى احـدى المعارك الظافرة تحت قيادة نور الدين زنكي امير سوريـة ، وضـدا علـى المسيحييـن الغاصبيـن)) فجازاهم الافرنج بهذه الطريقة المكسية ، وقال الافرنج : ((ان هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالهم ولا نرزؤهم شيئـا ، فلما تعرضـوا لحربنا ، وتالبوا مع اخوانهم المسلمين علينـا ، وجب ان نضع هـذه الضريبـة عليهـــم ...

ولما تعرضت مصر لحملة نابليون الاول عام 1213 هـ اهتز الشعب المغربي لهذا الحادث الجلل حيث كان للحجاج المغاربة اثر فعال في مساهمة بلدهم فى الدفاع عن ارض الكنانة ، وقد قاد الكتيبة الاولى علامة مراكش الشيـخ محمـد الجيلالي السباعي ، والثانية كانت بقيادة زعيم يدعى ابن الاحرش المراكشي ايضا .. ويوجد بين خطب الفقيه العلامة الرهوني خطبة وضعها بمناسبة حملة بونابارت ضد مصر ، يقول اثناءها : ((فلهذا تسلط اهل الكفر على اهل الاسلام ، واستولوا على اعظم البلاد بلا ضرب بالسيوف ، ولا رمي بالسهام ، فما اعظمهـا مـن مصيبـة اصابت الخاصة من المسلمين والعامة ، فليس فى الحياة بعد هذا من خير ، ولا يزداد الحال الا لعظيم الضير ...

وفى القطر الليبي الشقيقي دارت معركة بحرية على شواطيء طرابلس الغرب بين الاسطول المغربي والاسطول الامريكي اوائل القرن التاسع عشر حيث انتصر فيها الاسطول المغربي ايام المـولى سليمـان ، ((ففي عام 1803 م وجهت امريكا اسطولها الحربي لحصار طرابلس التى كانت سفنها تضر بالسفـن الامريكية فى ذلك الحين ، فهب المغرب لنصرة القطر الشقيق ، وسار الاسطول المغربي يسابق الرياح ، ويطير بأجنحة النسور والعقبان لكون سفنه كانت خفيفة ، جامعة بين الشراع والمجاديف والقلاع ، فكانت قوة سيرها مضاعفة فسبق الاسطول الجزائري عن نجدة اخوانه الطرابلسيين ، وما كاد الاسطول الامريكي يصل الى طرابلس حتى اعترضه الاسطول المغربي فقطعه عنها ، ولما بلغ ذلك مسامع امريكا بعثت عمـارة اخرى الى طرابلس ، ولكن لقيها الاسطول المغربي ثانيـا ، فبـدد تلـك العمـارة الامريكية ، ودام النضال بين الاسطولين زمنا الى عام 1815 حيث صار لامريكـا اسطول قوي لايستهان به ، فركن الطرفان الى المسالمة ، وربط المعاهدة الودية وقد صدرت رسالة ملكية من المولى سليمان الى امير ليبيـا يوسف باشا جاء فيهـا : ((وقصدنا بهذا ان يعلم اعتناؤنا بامركم ، وعملنا على نصركم ، واهتمامنا بشانكم ليقصر شأو عدوانها ، ويتضاءل طائر طغيانها)) .

وقد تحدث الزياني فى البستان ، ونقله في الاستقصاء عن المولى محمـد ابن عبد الله فقال : ((وكان سيدي محمد بن عبد الله عالي الهمة يحب الفخر ، ويركب سنامه ويخاطب ملوك الترك مخاطبـة الاكفـاء ، ويخاطبونـه مخاطبـة السادة ، ويمدهم بالامداد والهدايا حتى علا صيته عندهم ، وحسبوه اكثر منهم مالا ورجالا ، وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ..)) .

وقد استهدفت مدينة تونس الشقيقة لاعتداء اجنبي على كيانها حيث تعرضت للحملة الاسبانية عام 941 هـ ، وقد كان لهذه الحادثة صداها فى البلاد المغربية ، وفى هذه الفترة قام السلطان ابو العباس احمد الوطاسي بفداء علامة تونس مـن

الاسر ، وهو الامام محمد بن ابي الفضل خروف التونسي حيث استوطن فاس الى ان توفى بها ، كما ان المغرب ، ايضا ، ساهم فى تحرير تونس بجانب الاتراك العثمانيين تمام 982 بواسطة أبي مروان عبد الملك السعدي قبل ولايته للملك حيث حضر فتح تونس مع الجيش التركي الذى بعث به السلطان مراد العثماني ..

كما احتج المغرب فى كتاب من ملكه محمد الثالث الى لويز الخامس عشر وبتوقيع احمد الغزال وعبد الهادي السلاوي على قنبلة وقصف مدينة سوسة من قبل فرنسا ، واعطاء مهلة اربعة شهور للكف عن العدوان ، والا فان المغرب سيشهر الحرب على فرنسا ، وقد اقترن تحرير هذا الكتاب وارساله بدعوة السلك الدبلوماسي المعتمد بالمغرب لابلاغه المضمون ..

ولما غزا الاسبان مدينة وهران عام 915 هـ واعتدوا بعدها على مدينة تلمسان تدخل المغرب لفائدة تحرير هذه المدينة الاخيرة ايام السلطان ابي العباس احمد الوطاسي حيث استنصره امير تلمسان ابو زيان احمد الثاني، وقد امده السلطان الوطاسي بالمال والسلاح والرجال ، وقال لامير تلمسان : « بلدي بلدك ، وانا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزلة اخيك ، وقد تمكن ، بفضل هذه المساعدة ، سلطان تلمسان من طرد الاسبان من العاصمة الجزائرية .

وفى عام 1112 هـ جمع المولى اسماعيل الجيوش ، واعد المعدات ، وقصد مدينة وهران لحرب الاسبان بها فنزل بسيط سيف من مرج سيرات ، فالتفت حوله قبائل الحشم وبني عامر من زغبة وقبيلة هبرة وسويد ، وتيامنوا بطلعته ، فجعل يشن الغارات على وهران بجيوشه ، ومن انضاف اليه من هؤلاء القبائل .. ولا داعي للحديث عن تدخل المغرب تدخلا مسلحا لنصرة الجارة القريبة اثناء هجوم فرنسا على الجزائر عام 1830 م ..!!

— * —

ذلك مشهد رائع من مشاهد التضامن الاسلامي ، وصورة حية من صور الشهامة والنجدة عرف بهما الشعب المغربي النبيل ، فى مجالي تاريخه المجيد ، لتدعيم الوحدة الاسلامية والتضامن العربي ، فلا غرو اذا راينا ان داعية الاصلاح ، ورائد الدعوة الاسلامية جلالة الملك مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده يعلن منذ سنتين عن بعث اسلامي يطبع حياتنا اليومية ، ويتجلى فى مظاهر شؤوننا ، ويعيد للامة الاسلامية سابق عزها ، ويكون عابثا لتحرير نفوسنا من عقد النقص التى نعانيها ، ونعمل فى اطاره لتحرير اراضينا العربية الاسلامية التى ابتليت بالكفر والالحاد ، والصهيونية والصليبية والاستعمار حتى نقيم حضارة صحيحة ، سامقة الذرى، ساطعة الشعاع، عالية الارتفاع، مؤسسة على تقوى من الله ورضوان، تفتح عهدا جديدا من الاستقرار والاستمرار تدخله الامم الاسلامية في ثياب الاحرام وقد طهرت نفوسها من الاحقاد ، وقلوبها من الشهوات ، وميولها من نزغات الشيطان ، وتطلعاتها من خسيس المطامع .. ونحمد الله تعالى ان ترسمنا – بخطى الواثق المطمئن – طريقه اللاحب نؤيد دعوته ، ونردد كلمته ، ونقتفي خطاه ، ونعمل كل ما يحقق للامة الاسلامية سعادتها وهناءها .

— * —

وقد كانت المحن القاسية ، والخطوب الداجية التى عانت منها الشعوب العربية والاسلامية فى سنواتها الاخيرة من طرف الاستعمار والصهيونية ، ودعاة الالحاد الصليبي سببا ليقظة الامم الاسلامية من سباتها ، وانتباهها من غفلاتها ، وحافزا للتضامن والتآزر بين اعضائها ، وباعثا على النهوض بالعبء الجسيم لتحرير شعوبها بعد ما انجابت الاسباب المفككة ، والمعوقات المثبطة ، والعوامل المهلكة ... وان محنة فلسطين بالذات ، وما كابده ابناؤها من ويلات وتشريد ، كانت ، ايضا ، خير طريق وحد الامة الاسلامية ، ودعاها الى ضم الشمل ، ورأب الصدع ، ولم الشتات ..

فقد استكبر ابناء صهيون على الناس ، واستطالوا على الله ، واستهانوا بقانون الارض ، وعاشوا على السحت الحرام ، واتسعوا على الظلم الصراح ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، واستغلوا تفريق الكلمة ، وتمزيق الوحدة ، وتغليب الشهوة ، وتوزيع الجهد ، فاشتد بأسهم ، وعظم سلطانهم ، واتوا فى ناديهم المنكر ، فلم يبالوا مغبة الظلم ، ونهاية العتو والفساد ، وعلوا فى الارض وعتوا عتوا كبيرا حتى بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون .. ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

ولعل الشعب الفلسطيني المجاهد الصابر الذى قرعته الملمات ، وارمضته الشدائد ، وتنكب له الدهر ، وعانى فى مطارح الغربة غصص الحرمان ، وشظف العيش ، وختل العدو ، وذل الاغتراب كان نضاله المقدس ايذانا بانفتاح رائع فى عالم العروبة والاسلام ، وتحريرا لشعوب كاملة ترزح تحت طغيان فاحش اسود ، وكابوس مرهق ثقيل ، واشراقا لعهد جديد من الكفاح والنضال لخير بلدان العالم الذى ينشد الحرية والمحبة والسلام ..

وما هذه اليقظة التى دبت فى كيان الامم الاسلامية لتحرير اوطان استباحها واغل غريب ، وهذا الوعي الذى سرى فى ربوعها مسرى النور في الظلم ، فهز ضمير الجماعة العربية والاسلامية لتركيز حق تحيفه باطل زهوق الا ايذانا بانطلاق شعوب مظلومة سارت ، ولله الحمد ، فى مواكب الانعتاق والانطلاق التي هبت نسماتها مع اطلالة وانوار ونفحات شهر رمضان المعظم الذى أنزل فيه القرآن ...

وقد كان الفضل فى تلك اليقظة وهذا الوعي يعود الى الرؤية الواضحة لصاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ونصره الذى انبرى فى حماس وبطولة واندفاع ، وتقدم بمبادرة نبيلة ، حمدنا سراها الطويل ، وانفرد بالهام الاسبقية ، وتقدم دون تلكؤ او تردد ، فبعث فى راد الضحى ، وعلى مرأى ومسمع من العالم تجريدة وسرية من الجيش المغربي الاصيل المعروف ببسالته ونجدته ، وايمانه وشدته ، واقدامه وجرأته الى مشارف الجولان بالقطر السوري الشقيق ليرابط فى تلك الثغور الاسلامية المقدسة ، ويساهم فى نصرة اخوانه المناضلين المستبسلين ، وكأني به حفظه الله يقول :

انــا .. لهــا ..

انــا .. لهــا ..

لقد كانت منه حفظه الله المعية وفراسة ايقظ بها وعي المترددين، وحرك بها ساكن المتعاطفين ، واذكى بها خمود جيل سادر حائر ، واضاء بها دجنة الطريق فى

الليالي الحالكات .. وستظل تلك المبادرة على تراخي السنين والحقب اعلق بالذاكرة ، والصق بالفكر ، وانوط بالقلب انشودة عذبة خالدة تترنم بها الاجيال تلو الاجيال ، وملحمة من أروع ما عرفه تاريخ الكفاح المقدس ، وعنوانا مشرقا فى الصفحات العظمى لسجل الخالدين .

وحيا الله عاهلنا العظيم ، وهو يجمل ما أوردناه ، ويلخص ما سقناه في جوامع كلمه مخاطبا قواتنا الباسلة :

« وان دمك الطاهر الزكي هو بدورة تضحيات العرب ، وانه عطر ذلك التراب الذي ننتمي اليه اما من قريب أو بعيد ، وان أسماء بعض أفرادك ستبقى مكتوبة هناك لتذكر العالم ولتذكر الاجيال الصاعدة ان المغرب موجود في كل ساحة يدور فيها نضال وقتال من أجل الحرية والكرامة والعز ولرفع راية الاسلام ولرفع كلمة الله .. »

— ❊ —

فاذا ما عبر كتابنا وشعراؤنا وادباؤنا عن لواعج الحب والولاء ، ومشاعر الاخلاص والوفاء ، وما يخامرهم من معاني نبيلة نحو سيد البلاد يختلج بها الفكر والروح ، واحتفل الشعب المغربي الشكور الفخور بعيد العرش المجيد رمز الولاء والفتوة والامل ، ومحاسبة النفس ومراقبة الضمير وتخطيط المستقبل ، فانما يحتفل بعيد وطني ، يملأ الشعور ، ويشغل الذاكرة ، ويعبر فيه عن شديد التعلق ، ومتانة الروابط ، وشتى المشاعر والاحاسيس التى يختزنها فى نفسه طوال ايام السنة كما تختزن الشجرة ثمارها الى ان يحين الموسم الموعود لتعلن عن الوجود ، وتفوح بالعطر والرياحين ، وتتضوع بأريج الزهر ، وتزهو بلذيذ الثمر .

دعوة الحق



مضى عام كان حافلا بالفخار والامجاد ، وعاطرا بالبطولات والتضحية والفداء اثبت فيه الانسان العربي وجوده وأكد حضوره ، وحارب من اجل نشر الاسلام وتحرير البلاد المقدسة من براثن الذل والعبودية والطغيان وقد ابدى الجيش المغربي الباسل صمودا واستماتة لتحرير عقد النقص التى رانت على امتنا الصامدة الثابتة خلال ست سنوات ، لانه ظل فى مقدمة العوامل المؤثرة التى قامت بالدور البارز فى تطور الوجود المغربي ونحو عبقريته التى كانت مرآة صادقة لكل الحركات والتطورات التى عاشها عبر تاريخه السحيق في القدم .

وهذه خطب جلالة الملك القائد امير المؤمنين يلقيها جلالته فى كل مناسبة معلنا حفظه الله اشتراك المغرب الفعلي والفعال فى الكفاح الذى تخوضه الامة العربية والاسلامية ضد العدو وموضحا حفظه الله دور المغرب فى معركة العروبة والاســـــلام .

ومن خلال هذه الخطب مجتمعة يتبين مدى ارتباط المغرب ملكـا وحكومـة وشعبا بالقضية العادلة ، وبالحرب التى تخوضها الامة العربية ناصرا دين الله ، رافعا راية الاسلام عاليا بجنوده ورجاله ، بماله وسلاحه ودمه .

وغير خاف ما كان لدعوة جلالة الملك القائد من الاثر الطيـب على نفـوس جميع افراد امتنا العربية وغير خاف ما ابداه جنودنا الابطال على خط النار من شجاعة نادرة واستبسال فى الحرب وصمود فى وجه العدو ، يسجل به المغرب الحديث مفخرة من مفاخر الحسن الثاني البطل وابناءه البررة .

وهذه كلمات القائد الملهم خلال مختـلف مراحـل المعركـة العربيـة ضـد العــــدو :

خطاب صاحب الجلالة القائد
بمناسبة سفر الجيش المغربي إلى الجبهة العربية للقتال ضد العدو الصهيوني يوم 5 يونيو 1967

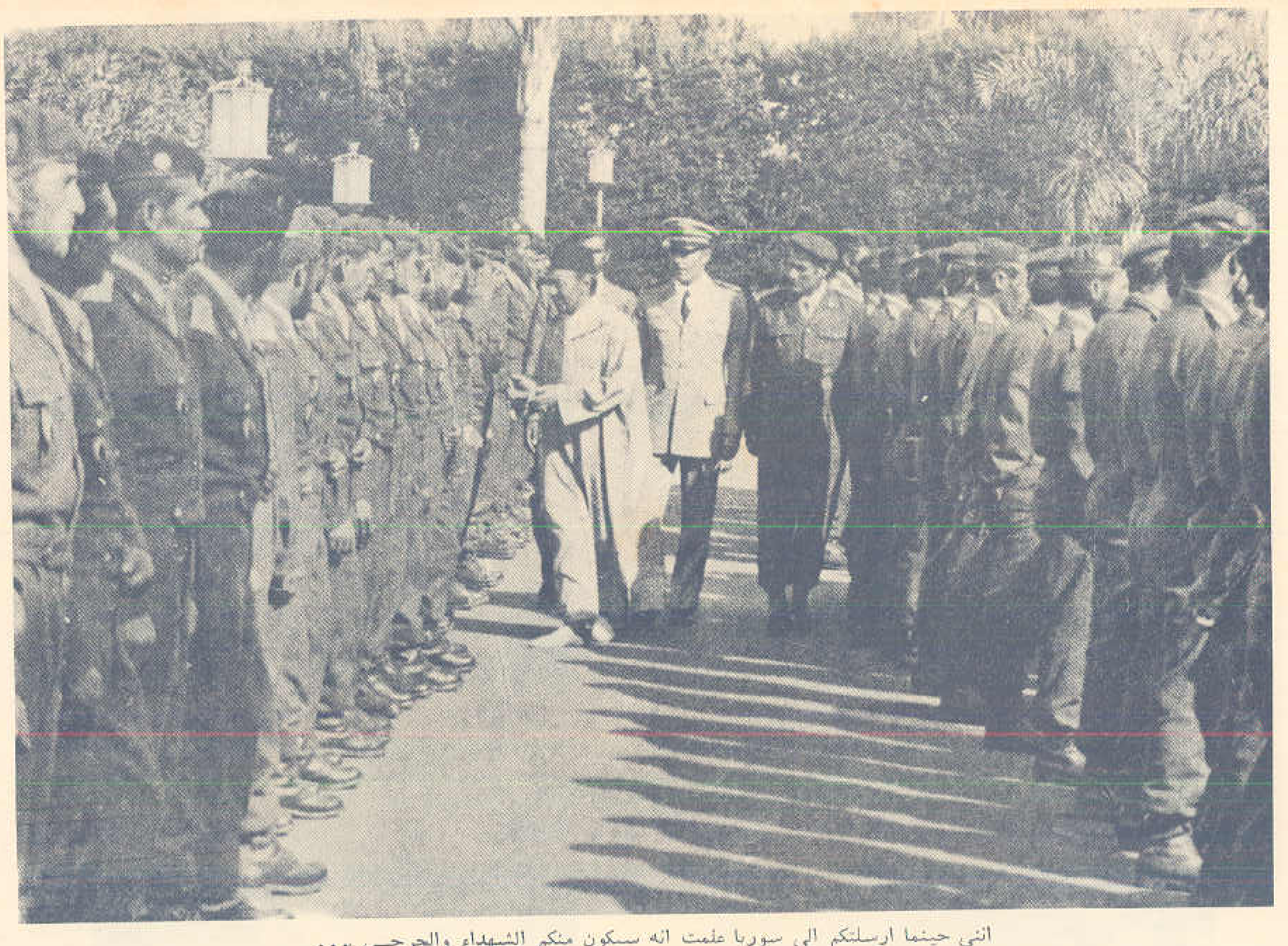
شعبي العزيز :

غير خاف عليك ان الامة العربية والاسرة الاسلامية تجتاز ساعات دقيقة وخطيرة من حياتها وغير خاف عليك كذلك ان دولة شقيقة ، دولة الجمهورية العربية المتحدة قد تعرضت هذا اليوم لهجوم غاشم غادر من لدن اعداء العرب والمسلمين ، وبمجرد ما علمت الدول العربية بذلك الخطر المزعج قامت كرجل واحد وفي انتفاضة واحدة وفي حماس منقطع النظير لشد ازر اختها وشقيقتها .

والمغرب الذي لم ينتظر استعادة استقلاله ، بل اعلن وهو يرزح تحت نير الاستعمار منذ 1947 على لسان ملكه ومحرره محمد الخامس طيب الله ثراه انه يعتبر نفسه عضوا في اسرة الدول العربية وفي اسرة الجامعة العربية ، المغرب الذي لم ينتظر استعادة استقلاله اعلن بدوره انه بجانب اخوانه العرب وانه مستعد لان يدفع النفس والنفيس ، ويضحي بكل غال في سبيل عزة العرب وكرامة المسلمين .

ومنذ ثمانية ايام ونحن نتابع باستمرار وباهتمام الحالة في الشرق الاوسط وكنا نراقب ونلاحظ ، واعلنا رسميا في الوقت المناسب موقفنا ، واعلنا اننا مستعدون لان نذهب ونحارب ونقاتل بجانب اخواننا العرب ، وها هو هذا اليوم قد وصل ، وها هي الساعة قد حانت وها هي افواج من قواتنا الملكية المسلحة ستتوجه اليوم الى بلاد الشرق لتقف بجانب شقيقاتها القوات المسلحة المنتمية الى جميع الدول العربية .

وبهذه المناسبة يجب ان نستخلص عبرة من كلام الله سبحانه وتعالى اذ يقول . « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » فقد كان صف العرب قد تصدع وكان شملهم قد تفرق وتشتت ، فأبى الله سبحانه وتعالى الا ان يجمع بحكمته البالغة الشمل ويوحد الصفوف ، فجعل هذا العدوان الغاشم مفتاح كل خير وسبب كل اتحاد ووسيلة كل وحدة .



انني حينما ارسلتكم الى سوريا علمت انه سيكون منكم الشهداء والجرحى ...
ولكن علمت كذلك انه سيكون هؤلاء الشهداء في مقعد صدق مع النبيئين
والصديقين والشهداء والصالحين مصداقا لقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء ، عند ربهم يرزقون » . صدق الله العظيم .





وأتوجه الآن الى قواتنا المسلحة الملكية لاقول للجنود الذين اصطفاهم القدر ليذهبوا الى تلك البلاد المقدسة العزيزة علينا ـ انكم ايها الجنود ستكونون بكفاحكم مخلصين لشعاركم ، شعار : الله ـ الوطن ـ الملك .

(الله) لانكم ستحاربون فى سبيل بلد مقدس ، وهو اولى القبلتين وثالث الحرمين .

و (الوطن) لانكم ستحاربون من اجل وطنكم لان كل وطن عربي هو وطن كل مواطن عربي .

و (الملك) لانكم ـ ولي اليقين ـ سوف تجعلونني ارفع الراس عاليا فخورا بسيرتكم وباستشهادكم ، وبشجاعتكم .

اني أوصي الجنود وضباط الصف ان يبقوا محافظين على ما عرف فيهم من امتثال وتنفيذ للاوامر واستماتة وشجاعة وشهامة ، واقول للضباط : عليكم ان تأخذوا بيد الجنود ، وتطلعوا على كل صغيرة وكبيرة من امرهم ، وتعتبروهم اكثر من ذي قبل كأبنائكم وفلذات اكبادكم .

وانني أقول لهذا لهذا الفوج الذي أعطاه الله هذا الشرف :

اقول لهم نيابة عن اسرة القوات المسلحة الملكية ، ونيابة عن جميع مواطنيهم فى مشارق المغرب ومغاربها ، هنيئا لكم بذهابكم هذا ، وهنيئا لكم بموقفكم هذا ، وهنيئا لكم بوقوفكم بجانب اخوانكم العرب .

ارجو الله سبحانه وتعالى ان تبقوا دائما ايها الجنود على الصراط المستقيم، تتحلون بما عرف فيكم من استقامة ومن شجاعة ومن اجتهاد ، كما اقول لشعبي الحكيم المتبصر العاقل ، ان المغرب كدولة قد اخذ موقفه واخذ مسؤولياته كاملة كما يجب ان يأخذها ، فعلى شعبنا اذن ان يبقى متسما بما عرف فيه من نظام وعدم اخلال بالامن العام حتى تبقى بلادنا معروفة كما كانت فى الماضي بالتعقل وبالرزانة وبالتبصر .

فكلنا بجانب اخواننا قلبا وقالبا ، واحسن امانة يمكننا ان نقدمها اليهم هي أن نبقى دولة يسودها النظام وتسودها الطمأنينة ، دولة عملت ما يجب عليها من المواقف ، واتخذت ما يجب عليها من المسؤوليات ، ومن جهة اخرى نبقى دولة وشعبا يعرفون ما عليهم من الواجبات من باب النظام ومن باب استمرار الدولة فى مشاغلها فى محاربة مشاكلها ، فى مواجهة المشاكل اليومية فى الحقل ، فى المعمل ، فى المكاتب ، فى كل موضع وجب علينا فيه ان نجاهد لاعلاء شأننا ، وكل كلمة تعلو فى المغرب هي فى الحقيقة كلمة تعلو لصالح العرب والمسلمين .

ارجو الله سبحانه وتعالى أن ينصرنا ، ويثبت اقدامنا ، ويمطر شآبيب رحمته على من استشهد من اخواننا العرب اليوم فى معركة تحرير ذلك الجزء العزيز على كل عربي :

فلسطين المغصوبة .

ان تنصروا الله ينصركم ، ولا غالب لكم .

خطاب جلالة الملك يوم 23 فبراير 1973

اننا نريد سلما دائما وكريما

العلم

وجه جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره خطابا هاما عشية يوم الخميس 22 / 2 / 73 بارسال وحدات من القوات الملكية بمعداتها الحربية الى الجبهة السورية باعتبار ان أي هجوم اسرائيلي غادر قد يستهدف منطقة الجولان الاستراتيجيـة . واعلن جلالة الملك كذلك عن فتح سجلات في مختلف مراكز الوحدات العسكرية لتسجيل الراغبين في التطوع .

وقال صاحب الجلالة ان هذا القرار ياتي في اعقاب بوادر تحمل في طياتها سلما او مذاكرات ترمي الى السلم .. وأوضح حفظه الله ان المغرب يريد سلما كريمة تعطي كل ذي حق حقه تنصف العرب في كرامتهم والفلسطينيين في ترابهم ووطنهم .

وقد تلقت الحكومة السورية بابتهاج عميق القرار الذي اتخذه جلالة الملك الحسن الثاني والذي يقضي بان تساهم القوات المسلحة الملكية في معركة تحرير الاراضي العربية وذلك بايفاد وحدات وكميات من العتاد العسكري الى سوريا .

وقد أوضح ناطق رسمي سوري في تصريح لاذاعة راديو دمشق : ان سوريا مبتهجة لقرار جلالة الملك الحسن الثاني ولوجود اية قوة عربية في اراضيهـا .

واضاف الناطق يقول وان سوريا من جهتها تعمل على تعبئة الطاقة العربية من اجل تحرير الاراضي العربيـة المحتلـة .

وفيما يلي النص الكامل لخطاب القائد الرائد جلالة البطل الملك الحسن الثاني :

شعبي العزيز :

انك تعلم ان اهتمامنا بشؤوننا الداخلية لا يقل عن اهتمامنا بشؤوننا الخارجية ولاسيما اذا كانت تلك الشؤون الخارجية تمس بقرابة الدين وقرابة الـدم وقرابـة الماضي وقرابة المصير .

واننا لنعني بهذه القرابة تلك الوشائج التى ربطت وتربط وستبقى رابطـة بيننا وبين اشقائنا في المشرق العربي .

تعلم شعبي العزيز اننا ما تركنا فرصة تمر بدون ان نعـرب لك عما يخالجنـا من مشاعر ومن أسى للحالة التى يعيشها اخواننا في الشرق ، وكنا دائما من الدعاة الاولين للتضامن وللسند وللوقوف جنبا الى جنب مع الذين يستشهدون صباح مساء لتبقى كلمة الله هي العليا ، ولتبقى راية الاسلام رافلة في جو النصر والكرامة وحتى تبقى حرية الانسان العربي حرية كاملة غير منقوصة .



وكان بودنا حينما اندلعت الحرب فى سنة 1967 ، كان بودنا ان تكون اول دماء أريقت هي دماء الشعب المغربي على تلك التربة الطيبة المقدسة ، تلك التربة التى منها اخرج الله للبشرية نباتا حسنا وفيها التقت كل الديانات السماوية .

ولكن الاقدار والرياح جرت بما لم تشته السفن ، وقد قدر الله ان تبقى قواتنا المسلحة الملكية وقلبها مملوء بالحزن والأسف على تراب ليبيا الشقيق تراقب من ذلك الوطن العربي ما الم باخواتنا الشقيقات : مصر وسوريا والاردن .

ومن ذلك الحين ونحن نوالي التشجيع تلو التشجيع والاعانات تلو الاعانات والنصائح تلو النصائح والدعم السياسي والمادي تلو الدعم السياسي والمادي ، ولكن الظروف التى نعيشها اليوم والظروف التى يعيشها العالم العربي والتقديرات التى قدرناها شخصيا ، والتي لا يمكن ان تكون مخطئة وكان من الممكن جدا ان تكون مصيبة ، كل هذا يجعلنا اليوم نقرر التحرك بكيفية اقوى مما تحركنا عليه فى الماضي .

ذلك اننا قررنا ان نرسل الى سوريا الشقيقة وحدات آلية وقوات بشرية من قواتنا المسلحة الملكية إبتداء من الشهر المقبل .

ولمتسائل ان يسأل ويقول : لماذا الآن ؟

ولم لم يحدث هذا من قبل ؟

والسؤال الثاني : لماذا المغرب الذى كان من دعاة السلام دائما ، اصبح من المريدين لاذكاء نار الحرب ، المتفرجين ربما ينتظرون فى الاسابيع او الاشهر المقبلة ، ينتظرون بوادر تحمل فى طياتها مذاكرات ترمي الى السلم ؟

واجيب على السؤال الاول : لماذا الآن ؟

لاننا نعتقد ان السنين التي عاشها العالم العربي لا هو فى حالة سلم ولا هو فى حالة حرب ، لم يحرر ترابه ولم يحرث ارضه .

ان تلك الزمرة الاليمة العقيمة السلبية على وشك ان تنتهي ، وانها لن تنتهي بعد معركة اخرى تكون معركة نهائية ولكن سوف يريد العدو قبل ان يخضع الى السلم المتربص ان يلحق ضربات قاسية باحدى الدول العربية المواجهة له .

وفى غضون هذا السؤال ، لماذا سوريا ؟

فاجيب انني وقفت على مرتفعات الجولان وانا ولي للعهد سنة 1959 حينما قمت بجولة أدت بي من مصر الى سوريا الى الرياض حيث قضيت هناك اول عمرة لي وفى مرتفعات الجولان تمكنت من تقدير اهمية هذه المرتفعات من الناحية الستراتيجية وشعرت ان كل ضربة سوف تلحق بدولة عربية ما سوف تسبق قبل كل شيء مرتفعات الجولان لما لها من اهمية بالغة من الناحية الستراتيجية ولا اقول سياسية او اقتصادية .

واعتقد ان الجولان ومرتفعاته هو اهم مراكز الانطلاق لقوى العدو .

لذا قررت ان ارسل قواتنا الى سوريا علما مني ويقينا مني ان المحاولة الاخيرة للعدو سوف تكون على حساب اخواننا السوريين .





اما السؤال الثاني : لماذا المغرب الذي كان دائما داعية للسلام ، وقد يصرح هذا المغرب نفسه ان بوادره وبواكره قد لاحت في الافق ، لماذا يريد ان يذكي نار الحرب والحرب على ابواب الانتهاء ؟

فأجيب : ان المغرب كان دائما من دعاة السلام وسوف يبقى من دعاة السلام ، ولكن اي سلم نريد ؟ باي ثمن نريد ان نشتري هذا السلم ؟

اننا قبل كل شيء نريد سلما كريما وفي الكرامة كما نريد سلما في الانصاف ، تعطي لكل ذي حقه وتنصف العرب بكرامتهم وتنصف الفلسطينيين في ترابهم ووطنهم وتربتهم ومسقط راسهم ، نريد سلما لا يمكن لاحد سواء الآن او في الاجيال المقبلة ان يندم على هذا السلم ، نريد سلما دائمة تضمن لتلك الناحية من العالم تضمن لها بعد ان عرفت مأساة ومأساة .

اقول ـ بعد ان عرفت هذه المآسي ان تعيش في غضون سلم دائمة لمدة قرون.

لا ننسى شعبي العزيز ان تلك البقعة من الدول العربية منذ اندلاع الحرب الاهلية ايام ـ اتاتورك ـ الى يومنا هذا لم تعرف عشر سنوات مستمرة من دعاة السلم ، فها هي الحرب الاهلية التركية وها هي الحرب العالمية الاولى ، والحروب الاستعمارية بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ، وها هو غزو اسرائيل ابتداء من سنة 1948 و 56 و 1967 .

فلهذا الجزء من التراب العالمي ان يطمح في سلم ؛ واقول للقادة الكبار وللدول الكبار عليكم ان تمنحوا هذا القطر من العالم بسلم مستمر وقد اظهرت الحوادث والاحداث الاخيرة انكن ايتها الدول لعظمى واضم اليكن الصين ، قادرة على ان تطفئن نار الحرب ، قادرة على ان تفتحن آفاق جديدة للتعاون والسلم .

انكن قادرة بجرة قلم ، بمجرد الارادة انكن على ان تبسطن ارادتكن على كل مقاتل ومحارب حتى تضع الحرب اوزارها ، وحتى ينقشع الضباب وحتى يبتسم المستقبل في وجوه العالم وفي وجوه سكانه .

لذا شعبي العزيز قررنا كما قلت لكم ان نرسل ابتداء من اوائل شهر مارس مئات ومئات من قواتنا المسلحة وعشرات وعشرات من آلياتنا الحربية عن طريق الجزائر وموانئها الى سوريا الشقيقة ، وكان بودنا ان نلقي هذا الخطاب ونحن نخاطب جميع افراد شعبنا للتطوع علما منا بأن كل بيت مهما قال القائل وكتب الكاتب او كذب الكاذب ان شعور المغاربة هو شعور موحد اتجاه القضايا العربية ، فأمام قضايا العرب وأمام قضايا الاسلام لا يبقى لاي متردد ان يتردد ولا لاي مستعمر ان يتهم المغرب بأن فيه العنصرية وان المغرب دولة لغتها العربية ودينها الاسلام وهي عضو في الجامعة العربية وتربطها بالجامعة العربية اوفاق وعهود ومواثيق ، والمغرب قبل كل شيء لم تكن هذه وثبته الاولى ، ولم يكن هذا تحركه الاول لنصرة العرب طيلة تاريخهم المجيد الا ان الظروف والضروريات الحربية تقتضي الا نرسل الى تلك البقاع الشقيقة الا من له حنكة وتدريب عسكري ، لهذا اقتصرنا على قواتنا المسلحة الملكية وحتى في قرارنا هذاسوف نطلب المشاركة عن طريق التطوع ، فسوف لا نجبر اي ضابط ولا ضابط صف ولا جندي وسوف لا نجبر اي احد على الذهاب الى سوريا ، ولكن سنفتح في كل وحدة من وحدات قواتنا المسلحة الملكية سنفتح سجلا حتى يقيد نفسه كل متطوع واذ ذاك سوف نعجل بالقرعة حتى يمكننا ان ننصف الجميع بتسابقهم نحو ميدان الشرف وميدان الاستشهاد .



والآن اتوجه بكيفية خاصة الى قواتنا المسلحة الملكية ، فاقول لها :

قواتنا المسلحة الملكية العزيزة علينا ، لقد نكبت مرات ومرات ونكبت بالخصوص من طرف الذين ارادوا ان يظهروك على حالة لست فيها ولن تكون فيها ، لقد نكبت فيمن تربصوا بك الدوائر ، بمن ارادوا ان يشوهوا سمعتك وان يلحقوا بك العار .

ولكنك ــ قواتنا المسلحة العزيزة ــ بقيت دائما صامدة فى اعتقادك بقيت ثابتة فى اخلاصك، بقيت على العهد، عهد المواطنة الحسنة، عهد الاخلاص والتفاني فى خدمة الصالح العام .

لذا اقول لك ــ قواتنا العزيزة ــ نريد ان يكتب عنك التاريخ ــ زيادة على ما كتب عنك ، وعلى ما سيكتب لك من صفحات المجد والعز .. نريد ان يكتب عنك التاريخ انك اقتحمت المسافات والمشقات وانك صرت ــ ولو بعد قليل ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، انك ــ مشاركة فى المعركة ، وان دمك الطاهر الزكي هو بدوره تضحيات العرب وانه عطر ذلك التراب الذي ننتمي اليه اما من قريب او بعيد ،، وان اسماء بعض افرادك ستبقى مكتوبة هناك لتذكر العالم ولتذكر الاجيال الصاعدة ان المغرب موجود فى كل ساحة يدور فيها نضال وقتال من اجل الحرية والكرامة والعز ولرفع راية الاسلام ولرفع كلمة الله والله سبحانه وتعالى اسأل ان يعيننا ويثبت ويسدد اقدامنا ، ومسيرتنا حتى نرى شعبنا وقارتنا الافريقية واسرتنا العربية واسرتنا الكبرى الاسلامية تسير فى طريق العز والرفاهية والاستقرار وما ذلك على الله بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب جلالة الملك

اثناء استقباله سفير سوريا بالرباط يوم 20 مارس 1973

معالـي السفيـر :

بصفتكم سفيرا لبلدكم وممثلا لفخامة رئيس الجمهورية السورية لي الشرف بأن اقدم لكم البعثة العسكرية التى ستغادر المغرب اليوم او غدا للالتحاق بسوريا الشقيقـــة .

وأفراد هذه البعثة هم من خيرة ضباطنا يترأسهم الجنرال الصفريوي قائد الحرس الملكي ، ويتكون هذا الوفـد من الكولونيـل ماجور الحاتمي ، والكولونيل الوزاني من الديوان الملكي ، والكولونيل اشهار متصرف والكولونيل البرميسي من القيادة العامة والكولونيل الطبيب ادريس الضراوي ، ومهمة البعثة هو الالتقاء باخواننا العسكريين السوريين حتى ترسم هذه البعثة مع الجيش الخطة ، وحتى تتعرف على الاماكن التى سوف يكون الشرف للقوات المسلحة الملكية بأن يقفوا فيها سدا واحدا صامدا ثابتا بجانب اخوانهم فى القوات المسلحة السورية .

اما نحن من جهتنا فنحن جادون لتدريب وتكميل التدريب لجميع الجنود والمتطوعيـــن .

اما فيما يخص المعدات والمصفحات والمدافع فالجزء الاكثر منها جاهز .

وقد جمعناه فى ناحية وجدة حتى نتمكن من ارساله الى الشقيقة الجزائر حيث سيبحر من هناك الى سوريا فلم يبق الا ان تعطونا التاريخ لوصول الباخرة الاولى ثم الباخرة الثانية والثالثة ، لتحمل المعدات ، وتحمل الجنود ، ولنا اليقين بأن هذه البعثة سوف تجد من فخامة الرئيس ومن حكومته الموقرة ومن الشعب السوري ومن القوات المسلحة بالخصوص ،' نتنظره منهم ، من ترحـاب وسعـة الصدر ، واقتسام لمشاعر الافتخار والعزة التى نشعر بها نحن الآن .

فدعوتنا لضباطنا الامجـاد الاوفيـاء بالتوفيق والله نسأل سبحانه وتعالى ان يجعلهم دائما فى مقدمة المواطنين المغاربة حاملين لشعرهم وهو التفاني فى خدمة دينهم ووطنهم وملكهم ، وقبل هذا كله ، وفوق هذا كله ، خدمة العرب والمسلمين واعلاء كلمة الله اينما كانت واينما وجدت .

والسلام عليكم ورحمة الله .



الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة أمام التجريدة الثانية يوم 10 أكتوبر 1973

"لولم تكن مسؤوليتنا ومشاغلنا لكنا نحن في طليعة جنودنا"

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسـول الله وآلـه وصحبـه

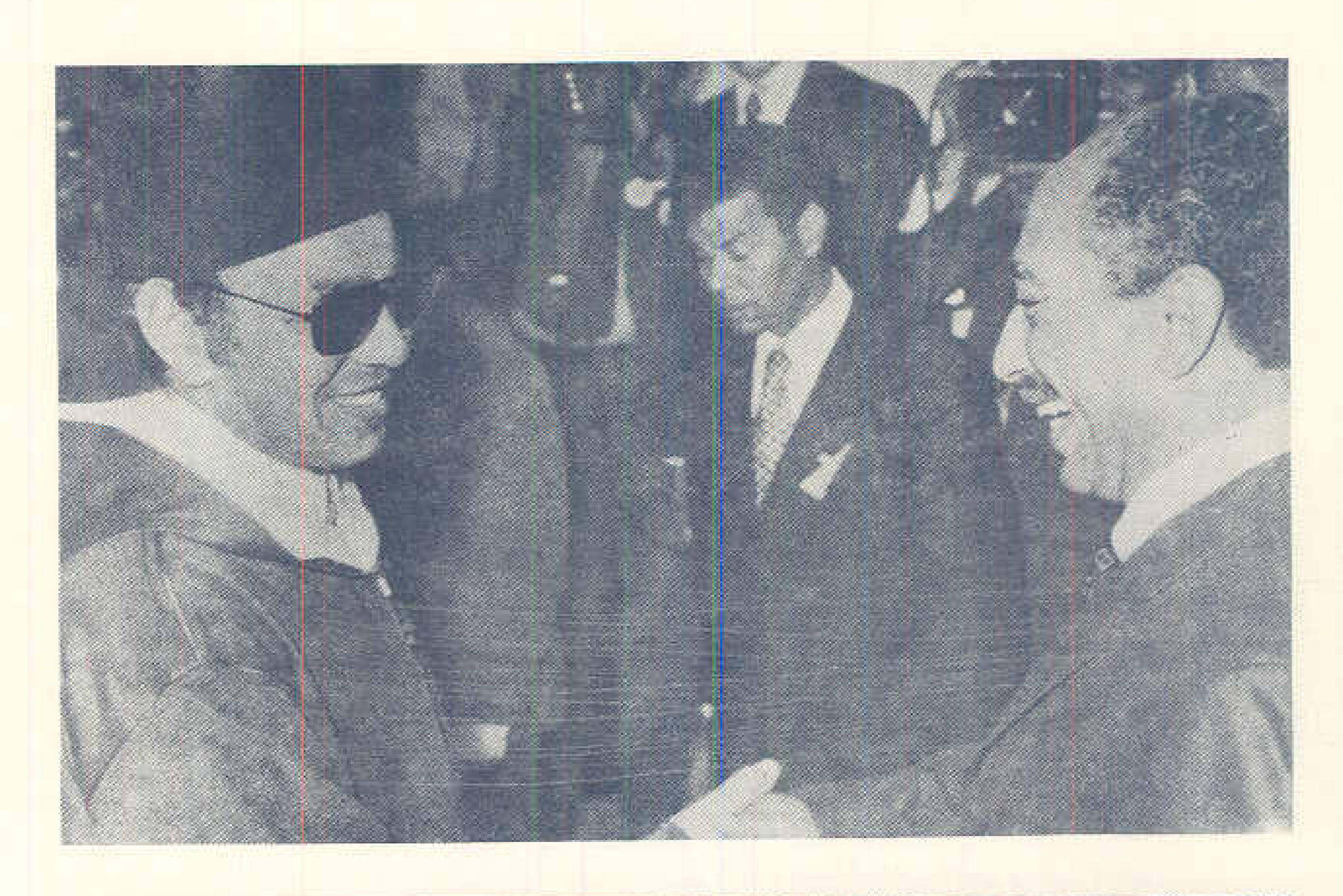
كان بودنا ان نقلدكم مهمتكم انتم وابناءنا الجنود امام شعبنا وفي احتفال رهيب حتى يظهر لكم الخاص والعام وحتى تظهر لكم أسرتكم الكبرى فرحها واعتزازهـا وامتنانها لكم للدفاع عن حوزة التراب العربي الا ان اسبابا قاهرة للامن وحتى نضمن سلامة افراد التجردة ، سلامتكم في الذهاب الى ارض القتال قررنا ان يبقى هـذا الخبر مكتوما لمدة بضع ساعات .

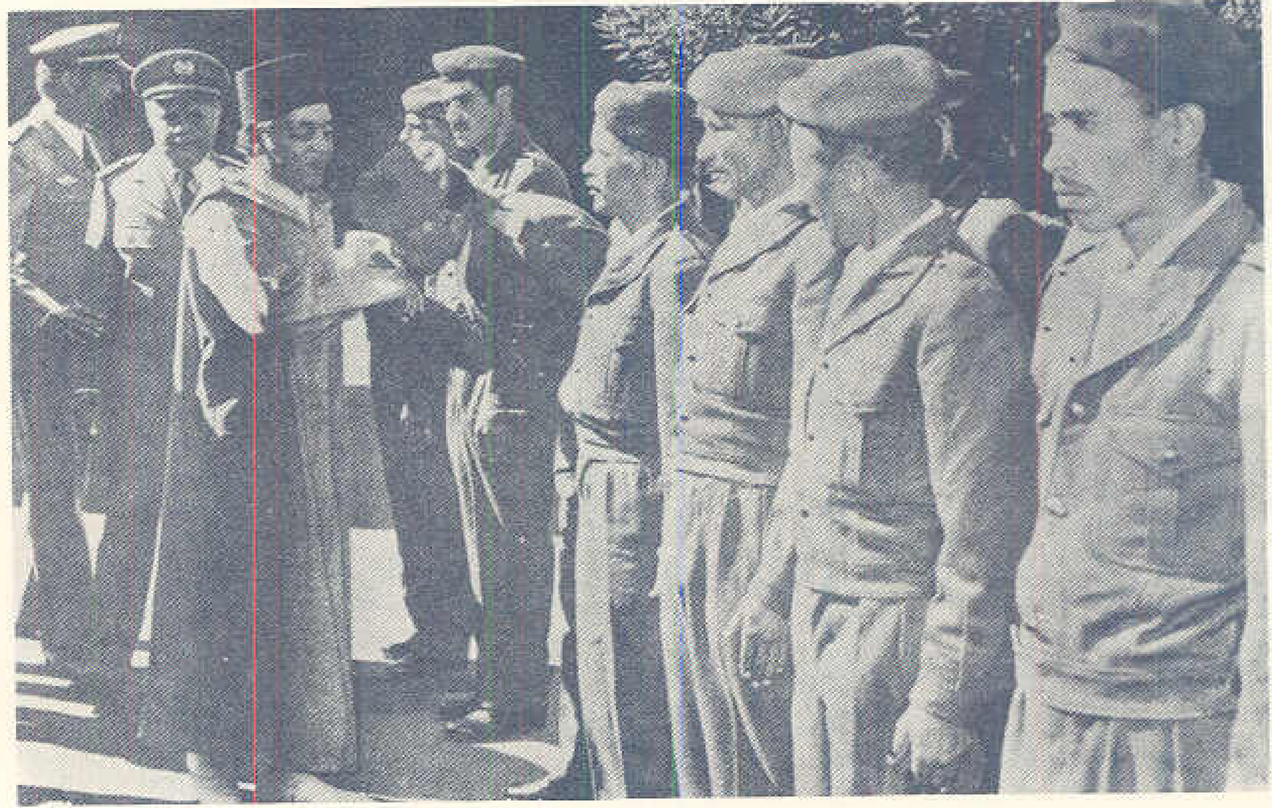
انكم ستذهبون الى ارض الكنانة تلك الارض التي كانت المعقل الاول للحضارة الاسلامية واللغة العربية بعد ان فتحها الاسلام والمسلمون ، ستطأون ارضها مثلما وطأها الفاتحون البانون العلماء المخططون العبقريون .

وستنزلون على اخوان لكم وفي بلد مثل بلدكم وسوف تكونون في رعاية رجل يحبنا ونحبه، يقدرنا ونقدره . وهو اخ لكم في المهنة ، ضابط وجندي مثلكم ، فخامة الرئيس انور السـادات ، فلي اليقين ان فخامته سوف يعتني بكم وسوف يرعاكم وسوف يحتفظ الامانة ، امانة الابوة التي نلقيها على عاتقه .

واننا لنغبطكم على مسيرتكم هذه ولو لم تكن مسؤوليتنا ومشاغلنا ، لكنا نحن في طليعة جنودنا ، ذلك ان الرجل الذي له ايمان وله ثقة في الله يعرف انه يوما ما سيلاقي حتفه ، فأي موقع وأي شهر اشرف من موقع الجهاد ومن شهر رمضان ليلقي الانسان ربه .

وأملي ان ترجعوا كلكم ، ان ترجعوا غالبين منتصرين واذا قدر الله لفرد من افراد التجردة كما وقع لبعض اخوانكم في سوريا ان يلقي ربه فسوف يلقاه راضيا مرضيا ونفسه مطمئنة حيث انه سيكتب مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .





وقبل ان تغادروا بلدكم ، ها انا اسلم لكم علم القوات المسلحة الملكية ، بأنه علم المغرب ، فأعلام المغرب كجميع الاعلام عرفت الانهزامات فى التاريخ ولكن لم تعرف قط الذل ولن تعرفه فهو فى اياد أمينة .

وانني لاجعل على راس هذه السرية : الكولونيل ماجور الحاتمي . فتشبث بعملك وكن وفيا له رؤوفا به واعيا له مدافعا عنه واذا انتم تتبعتم هذه الخطة سيجزي الله لكم الثواب ويضمن لكم حسن المآب .

والله معكم فى الحل والترحال وقلوبنا معكم والسنتنا تدعو لكم وجوارحنا تصلي لكم واننا لنسال الله سبحانه وتعالى ان يكتب على يدكم صفحة جديدة من تاريخ امجاد المغرب العزيز المجد الذي من اجله تحلو كل تضحية ومن اجله يحلو كل تعذيب . وحاشى الله ان يربنا التعذيب بل سيرينا سبحانه النصر والفوز القريب انه سميع مجيب .



الفوج العسكري الذى يمثل التجريدة المغربية
المرابطة فى سيناء وقناة السويس يتقدم للسلام على العاهل الكريم

خطاب جلالة الملك القائد بمناسبة عيد الفطر السعيد يوم 30 أكتوبر :

العرب في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى

التحاور والتضامن ووحدة الصف

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

أبيت الا أن أخاطبك اليوم جريا على عادة لا أريد لها انقطاعا وحفاظا على تقاليد لا أود لها انفصاما فأبارك لك عيدك عيد الفطر السعيد الذي أرجو من الله أن يعيده عليك بعد أن صمت النهار وقمت الليل ، وأديت الفريضة أن يعيده عليك بالخير والثواب وحسن المآب .

وكانت دائما شعبي العزيز فرصة الاعياد فرصة يتيحها بعضنا لبعض حتى نتجاذب أطراف الحديث وحتى نخبرك ونبارك بما يخامرنا وبالافكار التى تخالجنا وبالخطط التى نود رسمها ، والخطوات التى نرجو قطعها .

أن شهر رمضان ، الشهر الذي انزل فيه الفرقان ، كان شهرا حافلا ، شعبي العزيز بالنسبة للامة العربية ، وبالنسبة لك خاصة وبالنسبة لتاريخ العالم .

كان مهما بالنسبة لتاريخ العالم ، لان الجغرافية الفكرية التى يكونها الناس اليوم على مائة مليون من العرب ، وبالتالي على ما يزيد على ستمائة مليون من المسلمين قد تغيرت بكيفية جديدة ، فأصبحت مفاهيم اليوم ليست مفاهيم الامس .

وبالتالي سار لزاما على كل مفكر ومخطط على صعيد وطني او اقليمي ، ان يفكر جديا فى التطورات وما سيتبع التطورات التى طرات على العالم ، حيث انها طرات على أسرة وهي أسرة العرب وأسرة المسلمين عرفت دائما بجيوشها ونشاطها ، فكان لها الباع الطويل وسوف لا يزال باعا طويلا ان شاء الله فى بناء الحضارات وفى تشييد صرح التقدم البشري .





صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الاعلى ورئيس اركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية يسلم علم التجريدة المغربية الاولى للمرحوم العقيد عبد القادر العلام .

كان شهرا مهما بالنسبة للامة العربية ، ذلك انها نفضت نهائيا قشار خرافات واوهام كانت تخيم عليها وتثقل كاهلها حتى سارت الامة العربية اليوم تتعجب من نفسها بل تتساءل كيف انها عاشت ازيد من عشرين سنة وهي سابحة ان لم اقل غارقة فى اوهام وفى تخوفات سهل عليها ان تمحوها نهائيا وان تجعل نفسها والغير يعتقد عكس ما كانت تعتقد .

ويظن خلاف ما كانت هي نفسها تظن ، فتحرر العرب والعربي ، وانطلق العرب والعربي واسمع العرب والعربي كلمتهم وصوتهم ، واصبحوا اولئك الابناء الذين يحق لهم ان يفاخروا باولئك الآباء ، بل اصبح اولئك الآباء الذين سيحق لهم ان يفاخروا بهم ويضاهوا الامم بذكرهم وذكراهم ومفاخرهم واسطوراتهم وشجاعتهم واقدامهم .

وكان هذا الشهر — شهر رمضان مهما بالنسبة لك شعبي العزيز — ذلك انك حققت ما كنا نظنه جميعا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم (والروايات مختلفة) قال فى حديث صحيح : « ان لله رجالا لو اقسموا على الله لابرهم » .

وحينما ارسلنا التجريدة الاولى الى الوطن الشقيق سوريا قلنا اذ ذاك ونحن نخاطب جيوشنا وابناءنا الاعزاء — وحينما قلت كنت فى الحقيقة انطق بفمكم وانوب عنكم فى الكلام والخطاب — ، قلنا جميعا لاخواننا وابنائنا : واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ، او ردوها .. فتنبأنا انهم سيردون التحية بسرعة وتنبأنا كذلك ان الله سبحانه وتعالى سيلهمهم الثبات والصمود والهداية والرشاد فيردوها باحسن منها

فهنيئا لنا ، شعبي العزيز ، هنيئا لنا معشر المغاربة ، حيث اننا فى هذا القرن ، فى هذا العالم ، فى هذا الجو المحيط بنا ، الذى تغلبت فيه المادة عن التفكير ، والذى اصبحت فيه الروحيات والقيم النفسية شيئا لا تعطى له قيمته الحقيقية ، هنيئا لنا ، ان راينا ان امهاتنا لا زلن يحملن فى بطونهن وترضعن من ثديهن ابطالا مثل اخواننا الذين ذهبوا ليضحوا ليريقوا دماءهم ، ليستشهدوا ، ليصابوا ، ليجرحوا لشيء ، لا لارض تعتبر ارضهم ولا لوطن يحمل جنسيتهم ، ولا دفاعا عن علم يرفرف على بطاح تلك الاراضي بل ليدافعوا عن فكرة ، وعن كرامة ، وليدافعوا عن دين وعن حضارة وليدافعوا عن شرف سلالة ، تلك السلالة وتلك الخلية التى جعلها الله سبحانه وتعالى مصنوعة من اديم واحد ومن لغة واحدة ، ودين واحد واعتقاد واحد .

فهنيئا لنا اذن ، معشر المغاربة ، اذ لا زلنا نتوفر على طاقة بشرية مثل هذه الطاقة ..

والآن اعتقد شعبي العزيز ، انني حينما اقول لك ان محبتي فيك وتعلقي بك قد تشبه الوثنية ، اليوم ، اظن انك تعرف وتلمس الاسباب الحقيقية التى كانت وسوف لا تزال تجعلني فيك مغرما وبك متيما .

وبهذه المناسبة لا يمكن لاي وطني او مواطن ان يفتح بالتهنئة ، او يصافح اخاه بالتهنئة دون ان يفكر طويلا وبعمق فى اخوان له ، هم على ارض سوريا وهم على ارض الكنانة ، منهم من ادى ، ومنهم من قرر ان يؤدي واجبه الى النهاية ، منهم من قضى نحبه فكتب من الشاهدين ، ومنهم من عمل ما امكنه

الجنرال الصفريوي مع رجاله فى احد المواقع

ليستشهد ، ولكن الله اطال عمره ، فنقول لهم ، اطمئنوا اخواننا وابناءنا ان اسرتكم واسرتنا ، وذويكم هم اهلنا ، وابناؤكم ابناءنا ، وارامكلم طرف وجزء من اسرتنا فاذن لا يبقى لكم ولا يمكن ان يبقى لكم الا هم واحد : ان تمثلوا بلادكم وماضيكم وتعلنوا عن مستقبلنا نحن ، وتنبئوا به الاجيال المقبلة ، بما نستحق وبما يستحق تاريخنا ، وبما تستحق بلادنا من بسالة وشجاعة واستماتة .

ان الظروف التى سيقبل عليها العالم العربي اليوم ظروف دقيقة ، لان اختياراتها سوف تكون لها انعكاسات اخطر واعمق مما يمكننا ان نظن ، لذا ، فاننا نعتقد ان العربي فى حاجة اكثر من اي وقت مضى ، الى التشاور ، وفى حاجة الى التحادث والى التضامن ، فى حاجة الى وحدة الصف .

نعم ، من الممكن بل من الواجب ان تكون هناك خلافات فى الواجهات التى نريد ان نخطو نحوها ، من الطبيعي بل من الضروري ، الا ان نكون متفقين فى الاسلوب ، ولا على الطريقة ، ولكن اعتقد شخصيا اننا فى غنى ولسنا فى حاجة ابدا الى ان نطرح مشاكلنا امام الخاص والعام ، ليس من الضروري ان يعلم الخصوم وحتى الاصدقاء ، ان يعلموا مشاكلنا الداخلية ومنافساتنا الجهوية ، وان يعلموا ما من شأنه ان يفرقنا ، كفانا فخر انهم علموا وعلمناهم ما وحدنا وما وحد صفوفنا : الا وهو النصر الا وهو الايمان بعقيدتنا ، لانني اعتقد ان العرب قد انتصروا وسوف ابقى معتقدا هذا اننا انتصرنا على انفسنا وعلى خصومنا ، الا ان علينا ان نعلم من الناحية العسكرية هناك مبدا يتعلمه كل مبتديء وهو الآتي : كل انتصار لا يستغل الى النهاية ليس بانتصار ، بل فى امكانه ان يرجع هزيمة .

ها نحن انتصرنا ، فعلينا اذن ان نستغل انتصارنا ، ان نستغله اعمق استغلال واوفى استغلال ، حتى يمكننا ان ننتصر فى المعركة الاخرى التى سوف تكون اطول واشق ولا سبيل لنا الا الوحدة فى الرأي ، ولا وسيلة لنا الا السكوت فاذا اراد واحد منا ان يتكلم او يكتب فينتظر حتى نكون مجتمعين ، على اي صعيد كان ، وفى اي مكان كان ، فاذ ذاك له ان يكتب ويقول .

اما ان نأخذ — كما يقول الاجنبي — ملابسنا المتسخة فنحاول غسلها امام الاجانب وفى الشارع وعلى مرأى ومسمع من الناس ، فسوف يعتقد فينا ، اذا فعلنا هذا ، اننا لسنا شجعانا ، وكما قال فيهم المتنبي :

الراي قبل شجاعة الشجعان　　　هو الاول وهي المحل الثاني

فاذا نحن اقتصرنا على هذا الانتصار سوف يقول فينا التاريخ : ان هذا الانتصار كان حدثا من احداث الزمن بل ربما صادفناه فى طريقنا وكان فى الامكان الا نتلاقى نحن واياه .

اما اذا اردنا ان يكتب علينا التاريخ ، وتسير بنا الركبان فى الكتابة والقولة على اننا قررنا المعركة وخضناها حسب طريقة وتصميم مدروس وخضناها لاننا اردناها فى مواقيتها ومواقعها ، علينا اذن الا نظهر بالمتهورين وان نظهر بالشعب العربي والامة الاسلامية التي هي فى مستوى مواعيد التاريخ وفى مستوى تاريخها وحاضرها ومستقبلها .

هذه — شعبي العزيز — كلمتي اليك بمناسبة هذا العيد عيد امتزج فيه الفرح والحـــزن .



الفرح : فرح الانتصار ، ونشوة الظفر .

الحزن : ذلك ان ابناء لنا قد استشهدوا وسوف يغيبوا عنا نهائيا الى ان نلقاهم امام الله سبحانه وتعالى .

وعسى الله ان يجعلنا منهم لانهم فى مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين .

عيد امتزجت فيه عواطف من الاندفاع والحماس ومشاعر من المسؤولية واحساس عميق بضرورة التفكير المستمر .

عيد تمكنا فيه ان نعبد الله بجوارحنا وقلوبنا وفيما يخص المغرب اذا كان ملزما لاهل المغرب ان يؤدوا صلاتهم وهم متجهين الى الشرق الى الكعبة فلي اليقين انهم لم يتوجهوا قلبا وقالبا ونظرا ووجهة وجسدا وذاتا الى شرق الكعبة الى بيت الله ، مثلما توجهوا هاته الوجهة فى مدة شهر رمضان .

لذا شعبي العزيز - ارجوك ان تبقى متتبعا بالمعركة الثانية والشوط الثاني الذى سنخوضه نحن العرب جميعا لا اقول بلدا من البلاد العربية بل اقول العرب كلهم .

واريد ان تبقى دائما متشبثا بثقافة الراي المعروفة فيك وعدم التكييف حتى يمكنك ان تقيم الظروف ، فتعرف عمقها وخطورتها ، ويمكنك اذ ذاك ان تحلل ما من شانه ان يأتي بالفرج والنصر المستمر النهائي ، لقضيتنا .

شعبي العزيز : مرة اخرى ارجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد عليك هذا العيد وانت مفتخر بمغربيتك غيور على دينك فخور بمواطنيك مؤمن بمستقبلك على جانب كبير من واجباتك ومسؤولياتك حتى يمكنك زيادة على عملك اليومي فى بلدك هذا ان تدلو بنصيبك وتعتني بلبنتك فى بناء مجد اسرتك الكبرى الاسرة العربية والاسلامية ، التى نرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يسدل عليها ما وعدها من عز وسؤدد وعلو همة ، انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب جلالة الملك القائد

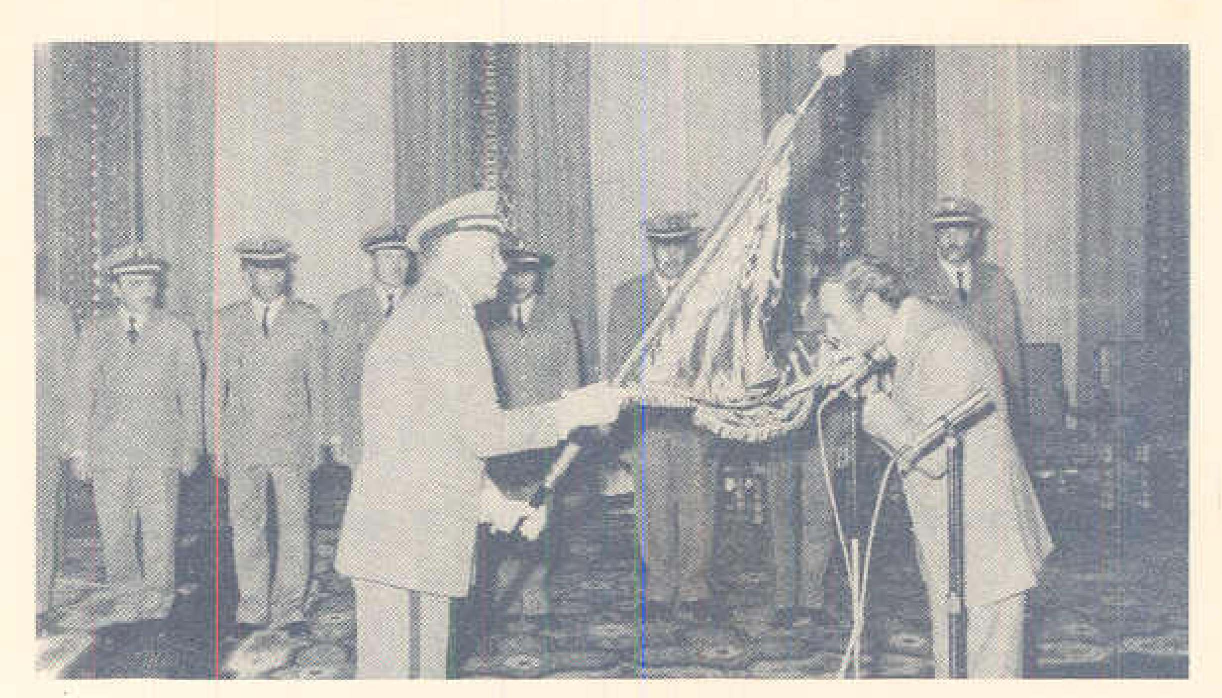
أمام الفوج الذي يمثل التجريدة المغربية الثانية في مصر

يوم 14 نوفمبر 1973

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

ابناءنا البررة من التجريدة المغربية بالجمهورية المصرية ..

ان سرورنا اليوم لا يقل عن سرورنا بالامس حينما اقتبلنا اخوانكم الذين جاءوا من سوريا وان هذا القصر الذى يسمى قصر الضيافة والذى استضاف ملوكا ورؤساء من العالم بأسره لهو فخور بأن يستقبل خيرة ابنائه وابطالا من ابطال شعبه الذين رفعوا راية المغرب عالية وعنوان القوات المسلحة الملكية مشرقة ورفعوا اسم بلدهم بين الدول انكم كنتم فى بلد يعاني ويقاسي لتحرير اراضيه وكنتم فى آن واحد تخوضون معركة دينية اسلامية حيث ان غزواتنا هاته هي لاسترجاع مقدساتنا التى هي القدس الشريف وان المغرب عن فمي ليشكركم جزيل الشكر وينوه بكم احسن ما يكون التنويه ، يقول لكم شكرا على ما فعلتم انني فخور بكم ، معتزا بكم . أرجو الله سبحانه وتعالى ان يجعل جيشنا المغربي دائما فى مثل هذا الطريق وعلى مثل هذا السبيل المستقيم ، سبيل الله الذى لا يعرف الاعوجاج بل لا يعرف الا الشرف والفخار اعانكم الله وسدد خطاكم والهمكم انتم واخوانكم النصر والعزة من عنده انه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله .



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الاعلى ورئيس اركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية يسلم علم التجريدة المغربية الثانية العقيد الماجور حسن الحاتمي



الجنرال الصفريوي مع ضباطه وجنوده فوق دبابة فى موقع بالجولان : انهم هناك يلبون نداء الواجب ونداء ملكهم وقائدهم فرحين مبتهجين مؤمنين واثقين .

خطاب جلالة الملك

أمام البعثة العسكرية التي جاءت من سوريا لتمثيل الجنود المغاربة في الجبهة السورية

اقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بقصر الضيافة مادبة غذاء تكريما للوفد العسكري لممثل التجريدة المغربية للدفاع عن الدفاع عن الوطن العربي المرابطة بالجبهة السورية .

وقد القى صاحب الجلالة فى ضباط وجنود الوفد العسكري الذى عاد من الجبهة السورية كلمة سامية اشار فيها جلالته الى الدور البطولي الذى قامت به التجريدة المغربية فى سوريا مشيدا بشجاعة اعضائها وداعيا لهم بالتوفيق ..

وفيما يلي نص الكلمة الملكية :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

ابنائي الاعزاء : ان هذا البيت الذى كان نزلا لاكرم ضيوف لن يستضيف احسن منكم ولا أعز منكم ، فأنتم اجدر الناس بأن تكونوا فيه الضيوف وأن اقتبلكم انا الذي جعلني الله سبحانه وتعالى ابا لافراد شعبي كلهم باسم اخوانكم المغاربة ، انكم ولله الحمد اعليتم رايتنا واعليتم شأننا وكلمتنا وارجعتم للشجاعة المغربية وللبسالة المغربية ما كان معروفا عنها .

انني حينما ارسلتكم الى سوريا علمت انه سيكون منكم الشهداء والجرحى ولكن علمت كذلك انه سيكون هؤلاء الشهداء فى مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وعلما بأن مرضاكم والمعطوبين منكم والجرحى منكم يكفيهم ان يمروا امام اخوانهم سواء فى وطنهم الصغير او فى وطنهم الكبير وهم حاملون لجرحهم ليكون لهم ذلك الغطب وذلك الجرح اكبر تشريف واكبر تكريم .



جلالة الملك فى كلمة للوفد العسكري الذى يمثل التجريدة المغربية بسوريا



جلالة الملك في مأدبة الغداء التى اقامها للضباط والجنود بقصر الضيافة

جازاكم الله خيرا عن المغرب وعن القوات المسلحة الملكية ، تلك القوات التى كان لي الحظ والشرف انني ربيتها وخلقتها وسرت معها خطوة بخطوة وقد كاد بها الكائدون من مدنيين وعسكريين الا انها بقيت ثابتة واستمرت فى وفائها لبلادها ولدينها ولملكها وها هي اليوم تجني ونجني معها ثمار ذلك الوفاء وثمار تلك الاستقامة .

اعانكم الله على متابعة ما انتم بصدده وجعلكم دائما من ابناء هذا البلد البررة الذين تشير اليهم الاصابع بالخير ويذكرهم التاريخ بالمجد .

ويكفي اسرتهم وابنائهم شرفا .

انهم ينتسبون اليكم وانهم منكم ..



الجنرال الصفريوي يراجع الخريطة : دراسة لكل المواقع
والى جانبه احد ضباط التجريدة البطلة



وشح جلالة الملك القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية علم التجريدة المغربية الاولى التي رابطت في سوريا بالوسام العسكري وعلم التجريدة المغربية الثانية التى رابطت فى مصر بالنجم الحربي بتنويه من الجيش .

كما وشح جلالته الجنرال عبد السلام الصفريوي قائد التجريدة الاولى بالنجم الحربي بتنويه من الجيش .

والعقيد ماجور الحاتمي حسن قائد التجريدة المغربية الثانية بالنجم الحربي بتنويه من اللواء .

والشهيد العقيد عبد القادر العلام بالنجم الحربي بتنويه من الجيش والشهيدين محجوب بلقصيص بالنجم الحربي بتنويه من الفرقة .

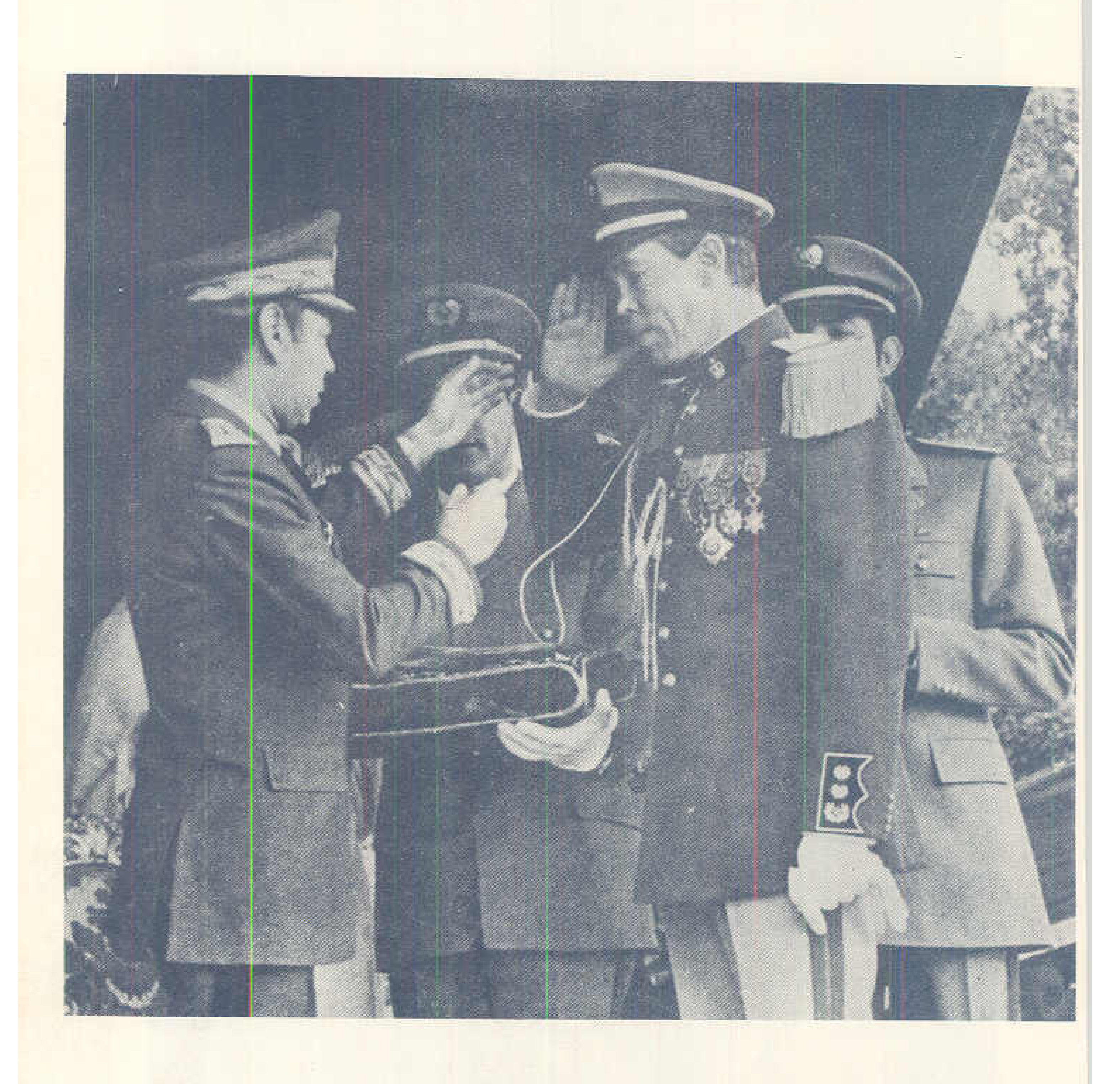
والشهيد الملازم الاول ابراهيم اولمان بالنجم الحربي .

والشهيد العريف الاول حمزة الزراد بالنجم الحربي بتنويه من اللواء

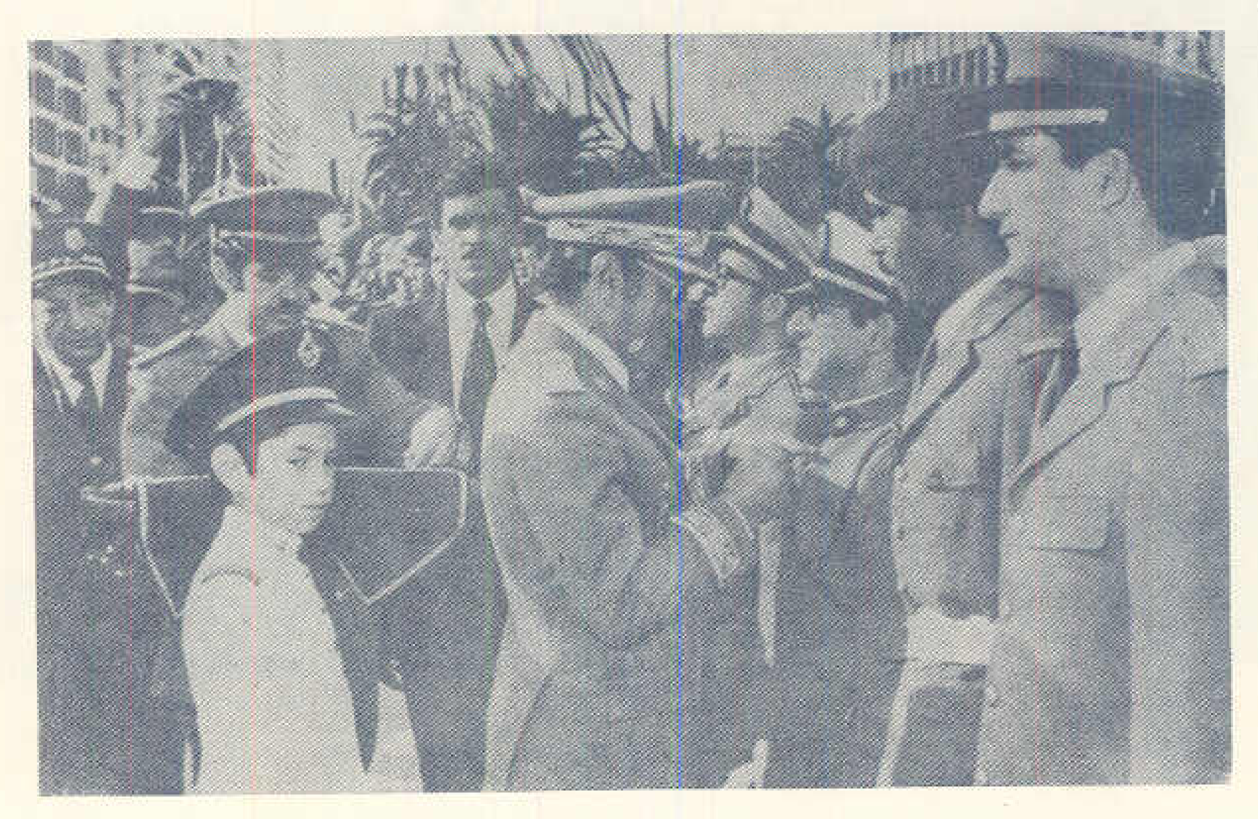
والشهيد العريف محمد الكورش بالنجم الحربي بتنويه من اللواء .

ثم وشح جلالة الملك بوسام العرش من درجة ضابط العقيد الاول احمد الوالي والعقيد الاول العربي الشبلي ، والعقيد الاول بنعاشر سوغلا ، والعقيد الاول علال بنونى ، والعقيد الاول عبد الحق السقاط ، والعقيد الاول عبد العزيز العلوي لمراني .

وسام العرش من درجة فارس : العقيد الاول محمد صلاح الدين ، والعقيد الاول بوعبيد سركوح ، والعقيد الاول محمد عبد العزيز لحلو والعقيد الاول احمد النتيفي ، والعقيد الاول عبد الكبير بنعيش ، والرائد ابراهيم بوشتو ، والرائد محمد محمود ، والرائد محمد الدغمي ، والرائد محمد الشرقاوي ، والرائد عبد النبي جحرا ، والرائد عبد الكريم الايوبي ، والنقيب العربي الطاهري العلوي والنقيب باعلي .







وسام الرضى من الدرجة الممتازة : المساعد الاول باسو بونوادر ، المساعد الاول علي كروم، المساعد الاول باسو حمان زهرور، المساعد الاول محمد الشلحي، المساعد ادريس الرهولي ، المساعد محمد احواسي .

وسام الرضى من الدرجة الاولى : العريف الاول الحسين بومحا ، البريفادي شاف لحسن السويسي ، الرقيب امحمد بن سعيد البريفادي محمد كرميس ، البريفادي الحسين التيجاني . الجندي ناجم بن محمد سالم .

وسام الرضى من الدرجة الثانية : الرقيب الاول ميمون ارفاد ، الرقيب حمو ازروال ، الرقيب محمد بن محمد الشرادي ، الرقيب محمد علاكة ، الجندي الاول : محمد حميد .



في احد المواقع : الجنرال الصفريوي ومجموعة من ضباطه



والجود بالنفس اقصى غاية الجود ...



الشباب المغربي المتوثب اقبل بحماس منقطع النظير
على مراكز تحاقن الدم بمختلف مدن المملكة للتبرع بدمهم
لصالح اخوانهم المناضلين المستبسلين ...

في طريق الانفراج :

وزير الخارجية الأمريكي بحضرة صاحب الجلالة

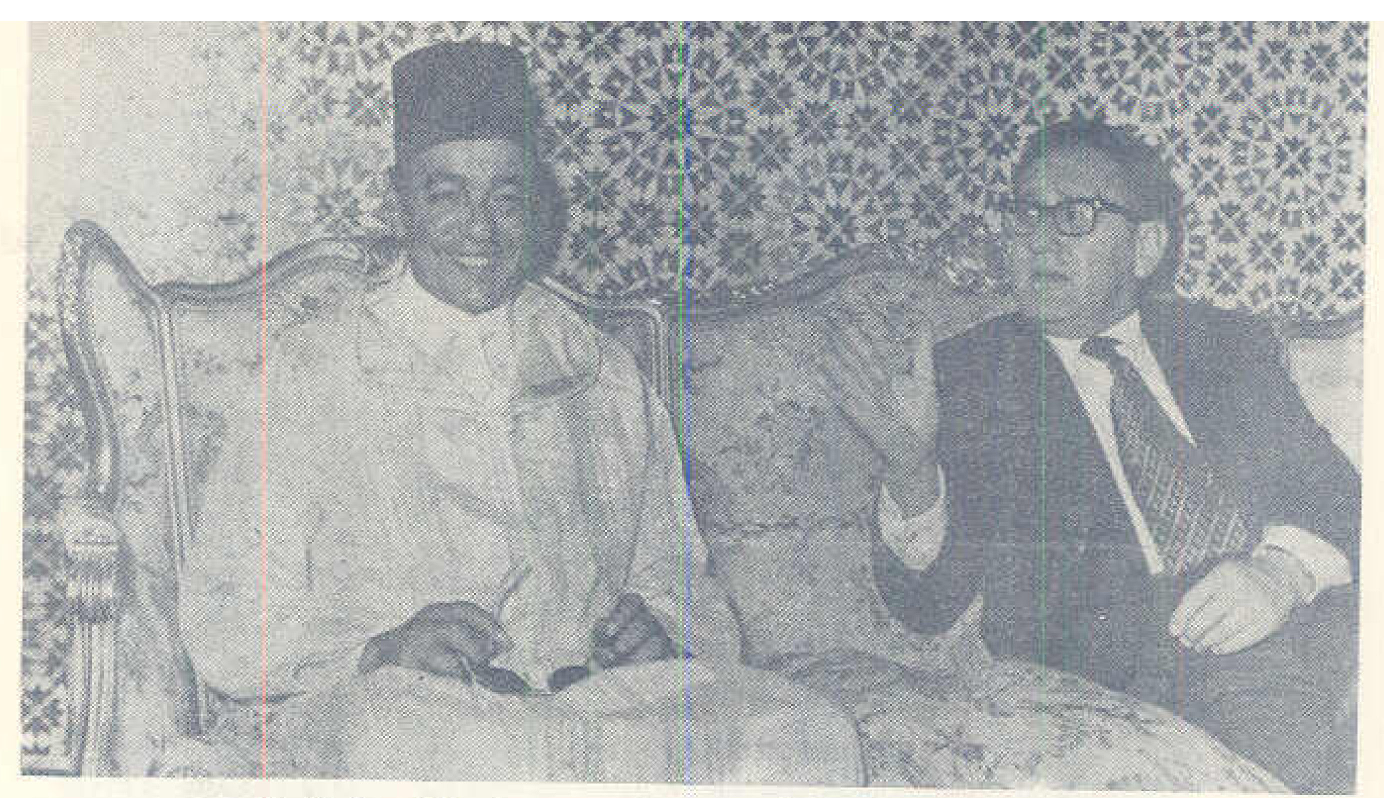
قضى هنري كسنجر وزير الخارجية الامريكي ما يقرب من 24 ساعة في الرباط في نطاق جولة واسعة له في العواصم العربية للبحث عن سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الاوسط .

وقد حظي بمقابلة صاحب الجلالة الحسن الثاني ثلاث مرات اجريت خلالها مباحثات سياسية مطولة استغرقت اكثر من ساعتين راسا لراس تناولت قضية الشرق الاوسط بكل أبعادها واحتمالاتها .

كما زار كسنجر ضريح محمد الخامس ووضع اكليلا من الزهور على قبر المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه .

واقام جلالة الملك الحسن الثاني مادبة غذاء تكريما لهنري كسنجر حضرها اعضاء الحكومة يتقدمهم السيد أحمد عصمان الوزير الاول واعضاء الوفد الامريكي المرافق للسيد هنري كسنجر .

قال كسنجر عند مغادرته المغرب متوجها الى القاهرة : كانت محادثاتي مع جلالة الملك الحسن الثاني هامة وودية وقد ساهمت هذه المحادثات على فهمي للقضية العربية ولوجهة نظر الدول العربية .



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وهنري كيسنجير وزير الخارجية الامريكي
فى مادبة الفذاء التى اقامها جلالة الملك اكراما لكيسنجر

الجولة الثانية راسا لراس من المباحثات بين جلالة الملك وكيسنجر
ودامت ساعة كاملة حول قضية الشرق الاوسط.



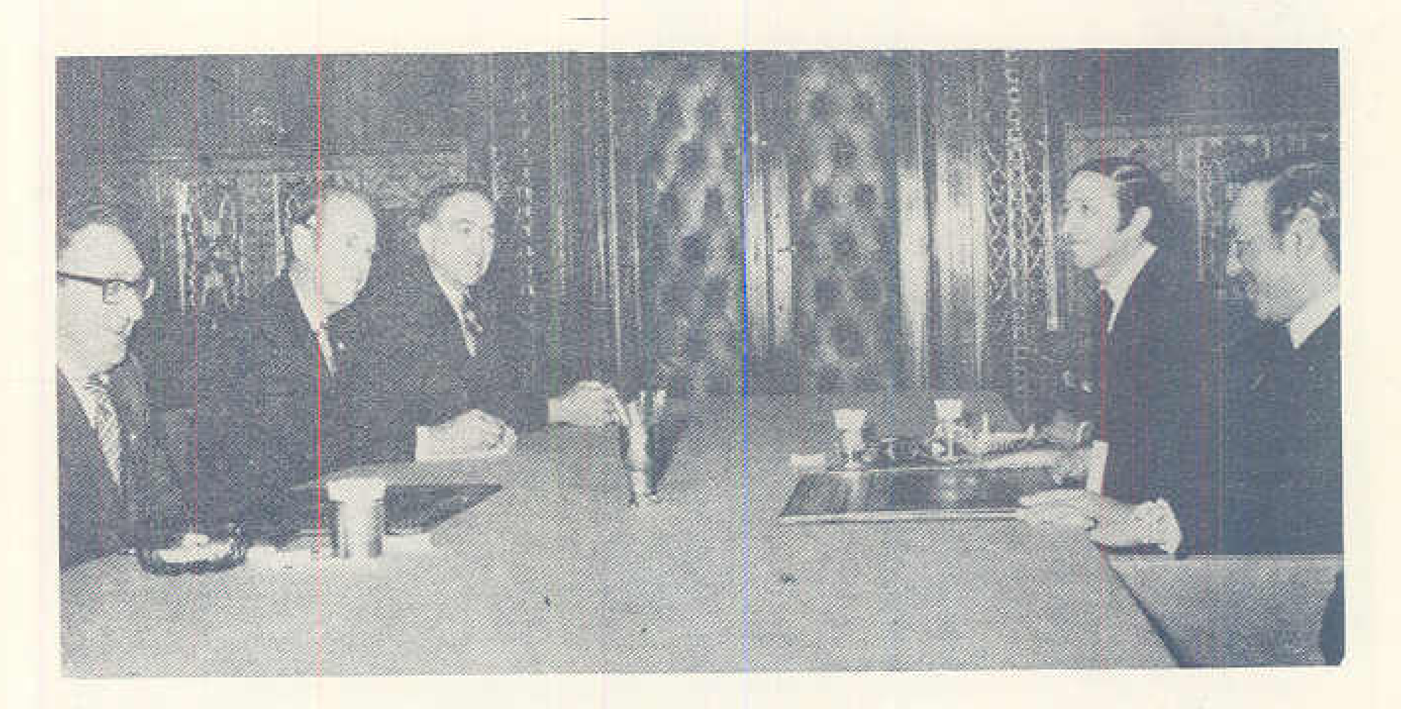
جلالة الملك الحسن الثانـي وهنري كسنجـر فى الطريق الى مادبة الغداء
التى اقامها جلالة الملك اكراما لوزيـر الخارجيـة الامريكـي



هنري كسنجر يزور ضريح المغفور له محمد الخامس : يخلع حذاءه عند باب الضريح ويشاهد النقوش والزخرفة المعمارية فى الضريح ويتأمل صور الملوك العلويين المقدسين



الجولة الثانية من المباحثات السياسية بين جلالة الملك الحسن الثاني
والدكتور كيسنجر حول قضية الشرق الاوسط بحضور جوزيف سيسكو
واحمد عصمان



جلالة الملك الحسن الثاني يدعو في خطاب عيد الهجرة الى

الإلتزام بالإسلام

والتحرر من التبعية السياسية والاقتصادية

تميزت ذكرى الهجرة النبوية هنا فى المغرب المسلم بالخطاب السامي الذي ألقاه أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله عشية يوم الخميس 30 ذي الحجة. كما اقامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مهرجانات دينية فى جميع اقاليم المملكة . وشهد مسجد السنة بالعاصمة حفلا دينيا بالمناسبة القى فيه الشيخ محمد المكي الناصري كلمة فى موضوع الهجرة تطرق فيها ، بتركيز ، الى جهود جلالة الحسن الثاني حفظه الله فى تدعيم أركان البعث الاسلامي فى هذه البلاد .

ولقد كان للخطاب الملكي السامي صدى بين أوساط الشعب المغربي المسلم لما تضمنه من توجيهات سديدة وافكار حكيمة عالجت أوضاع المسلمين الراهنة معالجة مركزة قائمة على نظرة شمولية وبعيدة المـــدى .

وفيما يلي ننشر النص الكامل لخطاب جلالة الملك المعظم نصره الله :

الحمـــد للـــه

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

أبيت الا أن ألتقي بك مرة اخرى بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة حتى أبلغك تمنياتي وتهنئتي الخاصة ، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يجعل من السنة التي نحن على ابوابها سنة يمن وسعادة ورخاء .

فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ((انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه)) .

رفض التبعية السياسية والعقائدية :

شعبي العزيز كثيرا ما تكلم المفسرون والمؤرخون والفلاسفة عن الهجرة وعن معانيها ، وليس فى مطمحي ان اتي بشيء جديد ولا فى امكاني أن أقول ما لم يقل ، الا انني حاولت أن استنبط من الهجرة ، بعض الافكار التي تساير جيلنا وتخامر افكار اخواننــا وابنائنــا ، فوجدت ان فى الهجرة ، ألوانا واصنافا كثيرة مــن

الاستراتيجية السياسية والعقائدية ، تلك التي يتبجح بها المتبجحون ، ويتمشدق بها المتمشدقون ، وتتيه فيها افكار شبابنا وشباب المسلمين ، ناسين وغافلين ، على أن في الاسلام ضالتهم المنشودة ، وفلسفتهم المقصودة ، ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن مصلحا ، ولم يكن نبيا كالانبياء ولا رسولا كالرسل، بل اعتقد شخصيا في نفسي ، انـه كـان بالمعنى السياسي والفلسفي الحديث ثوريا ، فاذا كنا نرى ذلك في ما آتانا به من القوانين والمعاملات ، واذا كنا نـرى ذلك في اساليبه التعليمية والتلقينية ، واذا كنا نـرى ذلك في معاملته للاجانب ملوكا ورؤساء وللاسـرى والاعداء نرى انه حتى في أسلوبه ـ والهجرة هي أول أسلوب ـ نرى انه حتى في أسلوبه وفي شكله كان ثوريا بالمعنى الصحيح .

الهجـرة كانـت حتميـة :

كان في امكان الله سبحانه وتعالى ان يغلبه على قومه ، وأن ياتيه النصر والفتح ، فيبقى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة حتى يستتب الامن وينتشـر الاسلام ، الا ان النبي صلى الله عليه وسلم ابى الا ان يذهب الى المدينة ليختار المدينة لسببين :

السبب الاول : انه طبقا لما قاله((ماوتسي تونغ)) الان ، المبدأ أن لا بد لكل خالق منشيء ان يجد نفسه في الوسط الذي يعيش فيه ، كما يجد السمك نفسه في الماء ، فدار ودور عينيه ووجهه شمالا ويمينا ، فلم يجد الا المدينة قريبة منه ، حيث يسكنها يهود ولكن موحدون ، اذن اختار قبل كل شيء عالما موحدا .

المشـروعيـة والثـورة :

ثانيا : وها هي النقطة الثورية الثانية ـ اختار دينا اصيلا مشروعا ، لان كل ثورة لا تنتمـي الـى مشروعية ، تاريخية كانت او غيرها ، فهي ثـورة لا تنجح ، لذا نرى القرءان يؤكد مرات ومرات صلـة الاسلام بابراهيم ولذا نرى النبي صلى الله عليه وسلم ينازع النصارى ، وينازع اليهود ، في القرابة لابراهيم ، ويؤكد انه اقرب الناس لابراهيم ، وما هو بهذه الهجرة طبق مبداين أساسيين من الاستراتيجية ، من التاكتيك

ومن الاسلوب انه بحث عن مجموعة بشرية يجد نفسه وسطها ولو في أول الامر كما يجد السمك نفسه في الماء ، فبحث عن مجتمع موحد ، لان مكة مشركة ،

وثانيا ما هو ذلك المجتمع ؟ هو المجتمع الذي ينتمـي اكثر من المجتمعات الاخرى الى ابراهيم ، الى الاصاله ، كان في امكانه أن يذهب الى الحبشـة ، موحـدون الحبشة نصارى ، ولكن النصارى قد نسوا ، ومن وضع الانجيل قد نسى ابراهيم وانتماءه لابراهيم .

دروس « للينين » و « ماوتسي تونغ » :

وهكذا شعبي العزيز بعد هذه الملاحظة الوجيزة والتي لا مطمح لها لا ان تكون ملاحظة ولا درسا ابيت الا ان اقول لشبابنا ، لمن يعاصرنا الان ولمن هـو في الدراسة الثانوية او العليا ان النبي صلى الله عليـه وسلم ، والدين الاسلامي والسلوك النبوي ، كل هذا لا يحتاج الى دروس من الخارج ، كل هذا يحتـاج الى شيء من التفكير البسيط ، ويمكن اذاك لكل مغربي ولكل مسلم مسلم ان يعطي للينين دروسا ولماوتشي تونغ دروسا ولاى أحد من القادة السياسييـن او اعـلام المفكرين دروسا في الجوهر وفي الاسلوب .

ان كل سنة تمر شعبي العزيز ، تخلق من ورائها منجزات واغلاطا ، ولسنا هنا في موقف الحسـاب والمحاسبات الا اننا نريد ان نقول بكل تواضع وجميعا انت ونحن ان السنة المنصرمة كيفما كانت اغلاطها ، وكيفما كانت ثغراتها كانت سنة مليئة بالمنجزات مليئة بالخطوات ، منها ما نفذ تماما ، ومنها ما هو في حيـز التنفيذ ، ومنها ما وضع له تصميم محكم حتى يصبح شيئا واقعيا في هذه السنة .

فوعيا منا وايمانا ان الانطلاقة السياسيـة في العالم لا يمكن ان يكتسب الا اذا كان بجانب هذا كلـه زاد من الثراء وكثرة من المال ، انكبنا قبل كل شيء على ايجاد اسباب ثروتنا وموارد اموالنا فكان ولله الحمد النجاح والحظ ، حليفين لنا .

النجاح : ان الله سبحانه وتعالى هدانـا الـى أهداف ما كنا لنهتدي لها لولا ان هدانا اليها .

الحظ : ان الله سبحانه وتعالى يجعلنا نكتشف يوما بعد يوم بلدنا فنجد في طياتها خيرات زاخرة تكفينا نحن والاجيال التي تاتي بعدنا مدة قرون .

وبعدما ان وطدنا مكانتنا في الخارج وبعدما ان وضعنا التصميمات للنماء الاقتصـادي والانطلاقـة الاقتصادية في الداخل ، قررنا هذه السنة زيادة على الاعباء الاخرى وزيادة على التصاميم الاخرى ان نجعل في صدر مشاغلنا ومهامنا الناحية الاجتماعية الفكرية

منها والمدنية ، المدنية نسبة الى المدينة تلك المدينة التي يريدها كل واحد منا مدينة صالحة فاضلـــة ، ففكرنا في الوسط ، وفي البيئة التي سيعيش فيهــا المغاربة واحسن بيئة واحسن ظل يمكن أن يتظلل به هو القانون من جهة والعدل من جهة اخرى ، لدى قررنا حتى نصل الى العدل أن نغير القانون ونضع قانونــا وقوانين ومسطرة تناسب شخصيتنا وعبقريتنا وحالتنا الاسروية والاقتصادية والاجتماعية سنصبح في هذه البيئة نحن كذلك كالسمك في الماء ، ولذا سوف لا ينقضي شهر فبراير حتى سيعــرض على طابعنــا الشريف النصوص الجديدة التي سوف تتمشى عليها العدالة في المغرب ، كان في الامكان ان ناتي باصلاحات جزئية ولو جذرية ، ولكن فضلت ان ننسى كل ما هو الان مخلوق وموضوع ونبني من جديد ، ففي بنائنــا سنستعمل بعض الادوات التي كانت في البناء الماضي ولكن سوف نغير الاتجاه ونغير العمود الفقري حتــى يمكن لهذه العدالة ولتلك القوانين أن تتمشــى مــع مقتضياتنا الاقتصادية والاسلامية والاجتماعية ، هذا فيما يخص طمانينة المدينة طمانينة الاسرة المغربية الكبيرة ، أما فيما يخص تفكيرها وأساليب تكوين رجال مستقبلها فقد وضعنا كذلك من جملة اهدافنا الاساسية التصميم للنظر في المسائل التربوية وقررنا ان نبتدىء بالتعليم العالي فننحدر من ثم الى التعليم الثانوي ومن ثم نذهب الى التعليم الابتدائي القاعدة الاساسية لكل تربية ، فاذا نحن في الشهور الثلاثة الاولى من هــذه السنة المباركة علينا جميعا الا ان نحل هاتين المشكلتين سنكون قد انجزنا عملا كبيرا .

ولسنا شعبي العزيز أنت ونحن من الذين يقنعون بحل المشكلتين كيفما كانت أهميتهما بل نحن من الذين يقولون هل من مزيد نظرا لانهم يتكلون على الله ، وبعد اتكالهم على الله يضعون الخطوة تلو الخطوة حتى يصلوا الى أهدافهم ، وسوف تكون السنة الهجرية المقبلــة شعبي العزيز سنة خير وبركة كذلــك على العالــم الاسلامي والعربي ذلك اننا سوف نرى انشاء الله ثمار جهاد مرير دام على ما يزيد من ربع قــرن ليستــرد المسلمون والعرب بالخصوص عزتهم وصولتهم وترابهم وحريتهم وكرامتهم بل اكثر من ذلك سوف لا نسترد هذا فقط بل سوف نسترده ونتعداه ذلك ان المواقف العربية عسكرية كانت ام ديبلوماسية متكأة على السلاح ام متكأة كانت على النفط وعلى الأوى كل هذا خلــق مضاعفات ويترك مخلفات سوف تكون عجلة التاريــخ تحسب لها حسابها وسيصبح العالم الاسلامي بكيفية عامة وستصبح الدول العربية بكيفية خاصة ليســت دولا يضرب لها حسابها فحسب ، بل دول يخشى ان تكون كذلك من المحاسبين على الصعيد الدولي ، فاذا عرفنا كيف نتصرف في هذا المكتسب ، واذا نحــن توجهنا الوجهة الصالحة ، واذا كانت هجرتنا هجرة الى الله ورسوله واعلاء كلمة الله واعلاء كلمة شعوبنا سوف تكون هجرتنا هجرة مباركة شكلا ومعنى ، ولا يمكن ان يكون غير ذلك ، لان الله سبحانه وتعالى يعكس مــن خلفنا ومن ورائنا وعن شمالنا وعن يميننا يعكس مــا يعلمه في طياتنا ونوايانا من خير وشر وبما انه سبحانه وتعالى لم يرنا الا الخير ولم يعودنا الا الجميل فمعنى هذا انه ينفخ في انف نفوسنا وفي افكارنا وفي قلوبنا كل يوم وكل ليلة رؤساء وقادة وشعوب ينفخ فينا من روحه ، من روح الهداية ، وروح الايمان وروح الثبات وروح التجديد تلك الروح التي بدونها لا يمكن لاي أحد ان يساير العالم اليوم ،

تلك هي شعبي العزيز بعض الافكار التي كنــت اريد أن أتناولها امامك ومعك ولو اردت أن أعبر عن كل ما في قلبي من دعوات ومن عواطف نحوك . اولا لمــا استطعــت وحتى لو استطعــت لصرنــا انــت وانا في حديث الف ليلة وليلة ، فعلما منك وعلما مني ان الفاظ القاموس لا تكفي ، وأن كل المعاني لا تفي ، وربما نظرة صادقة من عين صادقة الى عين صادقه ، وابتسامة مخلصة من قلب مخلص الى قلب مخلص هي افصح دعاء واخلص تهنئة، والله سبحانه أسال أن يكرر ويكرر عشرات وعشرات المرات مثل هذه المناسبة حتى نتلاقى فنتبادل التهاني او نتعانق ، انه سميــع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

المغرب كان دائما من وراء حملات الانقاذ في الوطن العربي

المبادرة الحسنية

امتداد للمهمة التاريخية للمغرب



للأستاذ عبد الله كنون

يقف المغرب ملكا وحكومة وشعبا من حرب التحرير العربية موقف المؤمن المؤيد المشارك ، كأتم ما تكون المشاركة ، ويتحمل مسؤوليته في ذلك على الصعيد الدولي والقومي ، عارفا قدرها ناهضا بعبئها ، غير وان ولا مخل بشيء من واجباته ازاء اخواته العرب الذين يخوضون حربا ضروسا ويواجهون عدوا لدودا تسنده أعظم قوى الشر في العالم .

ولئن كان الشعب المغربي قد بذل كل ما في وسعه لمساندة الكفاح العربي ماديا ومعنويا ، فان حكومته لم تقصر عن غاية في هذا السبيل بما اتخذته من مواقف لدعم القضية العربية في المحافل الدولية ، وما قدمته للمقاومة الفلسطينية من مساعدات في شتى الميادين ، حتى انها فرضت رسوما اضافية على بعض المواد الاستهلاكية والمؤسسات الترفيهية لفائدة هذه المقاومة .

ولكن العمل الضخم والرائع حقا هو المتمثل في مبادرة جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ملك المغرب، بارسال وحدات من الجيش المغربي الى الجبهة السورية أولا ثم الى الجبهة المصرية ثانيا ، للمشاركة في القتال جنبا الى جنب مع الجيش العربي في كلتا الجبهتين ، على بعد الدار ، وشحط المزار ، وعظم المؤونة في نقل جيش نظامي بكامل عدته ، والانفاق عليه مدى عشرة شهور بلا مزيد ، والاهتمام بأمره من بعيد ، وما يطرأ عليه في كل يوم تطلع فيه الشمس ، مما بلغ تقديره في الخطاب الملكي الاخير الذي تعرض لهذه النقطة ، ثمانين مليارا .. والبقية تاتي ! ..

انها لمبادرة عظيمة جدا ؛ كان لها أثرها الفعال في بلورة التضامن العربي بشكل لم يتقدم له نظير ، وحسبك بأن بعض المذبذبين الذين كانوا يشككون دائما في قدرة العرب على مواجهة العدو الصهيوني ، لم يسعهم الا ان يراجعوا انفسهم وينضموا الى الجماعة ، مكرهين لا ابطالا ، خصوصا وانهم ينفسون على المغرب وملكه الهمام ما لا ينفسون على غيره .

ثم أنها كانت مثلا يحتذى في تحدي المعتدي وحماتهم المشجعين لهم ، والذين كان شبحهم يرعب بعض الناس ، على قربهم من ميدان المعركة وبعدهم عن هذا الشبح ، فلما انطلق المغرب ونزل بكل ثقله في الميدان على بعده منه وقربه من الشبح المرعب ، لم يبق لاحد عذر في التردد ولا في التخلف عن المعركة ، وانحلت عقدة الخوف من الظالم الاثيم ، ولم يبق الا خوف الله الذي من خافه خاف منه كل شيء ، وهكذا وقعت حرب العاشر من رمضان ، وحرب البترول ، وانتفض العرب انتفاضتهم الكاسحة ، وضرب الله عدوهم بل اعداءهم بعصى الذل والخذلان ! ..

والواقع أن هذه المبادرة المباركة من جلالة الملك انما هي امتداد للمهمة التاريخية للمغرب وملوكه العظام ، فقد كان المغرب دائما من وراء الحملات والاعمال الحربية التي تهدف الى انقاذ الوطن العربي

والبلاد الاسلامية واصراخ اهلها كلما تعرضوا للخطر وهجوم الاعداء ، لا سيما الصليبيين الذين وقف المغرب في وجوههم قلعة منيعة ومطاردا جبارا لم يفتأ يترصد لهم ويوقع بهم في البر والبحر ، عبر تاريخه الاسلامي المديد ، ولن يفتأ كذلك ان شاء الله الى يوم الدين .

ففي القرن الخامس وعلى عهد الدولة المرابطية وامير المسلمين يوسف بن تاشفين ، مما استأسد العدو بالاندلس ، واستولى على كثير من ثغور المسلمين فيها ، منتهزا فرصة تخاذل ملوك الطوائف ، للقضاء على دولة الاسلام والعرب ، تلك الجزيرة الفيحاء بادر يوسف بن تاشفين عندما استصرخ به أهل الاندلس الى استنفار جيشه ، وعبر البحر بنفسه ونازل الفونس السادس ملك قشتالة هو وملوك الطوائف واوقع به الوقعة الشهيرة باسم الزلاقةالتي تنفس بها الاندلسيون الصعداء ، وامنوا على انفسهم ودينهم ، واوقفت مطامع العدو في أرضهم الى حين . ومن المحقق انه لولا هذه الواقعة وانجاد المغاربة لاخوانهم عرب الاندلس ، لذهبت ريح المسلمين من تلك الديار في نهاية القرن الخامس الهجري .

وفي القرن السادس ، بعث عبد المومن بن علي ، اول ملوك الموحدين ، الى نجدة افريقية وثغورها التي وقعت في قبضة الصليبيين من النورمانديين الحاكمين في جزيرة صقلية ، والذين اصبحوا يهددون تونس ذاتها . فاستولى عليها وضرب الحصار على مدينة المهدية ، وكانت قد سقطت في يد النورمانديين واتخذوها منطلقا لغزو البلاد ، وهي من امنع ما يكون ، يحيط بها البحر من ثلاث جهات ، ولما طال عليه أمرها تركها محاصرة برا وبحرا ، ومضى يفتح طرابلس وصفاقس وسوسة وغيرها الى برقة ، حتى سقطت المهدية في يده بتحطيم الاسطول الذي بعثه العدو لنجدتها وانطلقت بذلك عادية الصليبيين على بلاد افريقية الى مدى طويل .

وفي عهد حفيده يعقوب المنصور ، لما عاودت العدو الصليبي اطماعه في الاستيلاء على الاندلس ، خف هذا الملك العظيم الى الجزيرة بجيشه العرمرم ، وجاهد العدو جهاد الابطال فأوقع به وقعة الارك اخت الزلاقة واستنقذ مدنا وحصونا عديدة كان الصليبيون قد استولوا عليها مثل مدينة شلب وقلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وغيرها .

ولشهرة هذا الملك وضخامة ملكه اذ كان سلطانه يشمل بلاد المغرب العربي كلها الى حدود مصر ، وبلاد الاندلس ، فان صلاح الدين الايوبي استنصر به على حرب الصليبيين ورجاه أن يبعث بأساطيله الى عرض البحر ليحول دون قدومهم المتدفق على بلاد المشرق العربي .. ولسوء تفاهم وقع بين العاهلين المشرقي والمغربي ، يقول المؤرخون ان هذا العمل لم يتم ، ولعله لقي ما لقيته التجريدة العسكرية المغربية ابان حرب سنة 1967 من العراقل ، ويقال انه بعث بالفعل اسطولا مؤلفا من 180 قطعة حربية تمنع الصليبيين ـ كما طلب منه صلاح الدين ـ من سواحل المشرق .

وفي القرن السابع على عهد الدولة المرينية وعاهلها يعقوب المنصور ، توالت امدادات المغرب للاندلس بعد استنصار ابن الاحمر صاحب غرناطة بالعاهل المغربي ، وجاز هو بنفسه الى الاندلس اربع مرات بقصد الجهاد ، فأوقع بالعدو وقائع عنيفة ، واكتسح عرصات دياره ، وكف عاديته عن المسلمين لعدة سنين .

وسار الامر على هذا المنوال في ايام حفيده السلطان ابي الحسن المريني الذي وضع يده في يد ابن الاحمر ملك غرناطة ، وقام بأمر الجهاد في الجزيرة بما كسر شوكة العدو وانتزع من يده جبل طارق وكان قد استولى عليه ، واستمر القتال بينه وبين جيوش العدو واساطيله برا وبحرا طوال مدة ولايته ، وكانت الحرب بينهما سجالا . واستشهد ابنه الامير أبو مالك في احدى المواقع ، وكان يلي قيادة جيش المغرب بالاندلس .

وفي ايام ملك بني مرين أصبح تقليدا متبعا ان يرسل المغرب الى الاندلس افواجا من المجاهدين ، يعدون بالمآت ، وفيهم من زعماء القبائل أفراد معروفون بالنجدة والشجاعة ، فيترابطون في الثغور والحصون للدفاع عن الوجود العربي ومملكة غرناطة ، وكانت مشيخة هؤلاء المجاهدين منصبا رفيعا انما يولاه الاعياص الصناديد من بني مرين باتفاق من ملوك المغرب وملوك غرناطة بالاندلس . ولهؤلاء المجاهدين تاريخ حافل بالبطولة والمغامرات ، الشجاعة في مهاجمة العدو وحماية بيضة الاسلام في الجزيرة .

ولا يقتصر عمل المغرب في هذا الصدد على ما كان يقوم به لانجاد عرب الاندلس في العصر الوسيط، ففي التاريخ الحديث يسجل المغرب حدثا هاما من هذا

القبيل ، فى العلاقات به وبين الدولة العثمانية ، وذلك على عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي ، الـذي وطد صلاته بدولة الخلافة واوفد الى الاستانة العليـة أكثر من سفير مع الهدايا الثمينة والتحف والاسطاف، ولما نشبت الحرب بين الروسيا والسلطان عبد الحميد الاول بادر سيدي محمد بن عبد الله فارسل الى الخليفة العثماني أربع سفن حربية محملة بالعتاد والسـلاح ، وقطع علاقاته مع دولة الروسيا وطرد سفيرها مـن المغـرب .

فالمبادرة الحسنية كما نرى ما هي الا امتداد لهذا التاريخ الحافل بالتضامن بين المغرب والبلاد الاسلامية فى الشرق والغرب ، وبمقتضاها يقف جلالة الحسن الثاني فى صف واحد مع ملوك المغرب العظام : يوسف ابن تاشفين ، وعبد المومن بن علي والمنصور الموحدي والمنصور المريني ، وحفده ابي الحسن ، ومحمـد الثالث العلوي ، الذي هو احد أجداد جلالته .

على ان لجلالته فى موقفه هذا سلفا من أسرته الشريفة ، قبل ان تلى ملك المغرب ، وهو جده الاعلى مولاي علي الشريف الذي تنتسب له الاسرة ؛ فقد كان شجاعا بهمة ومجاهدا مبرورا ، دخل الى الاندلس فى أواخر ايامها برسم الجهاد ، وأقام هناك مدة ثم رجع الى المغرب ، فكاتبه اهلها يطلبون منه الرجوع اليهم ، للقيام بأمر الجهاد ، ويذكرون له ضعـف حاميتها وشغورها ممن تجتمع عليه القلوب ، وخاطبوه بقصيدة رائية طويلة معروفة يحثونه فيها على تلبية دعوتهـم وتحقيق رغبتهم .

فله نصره الله قدوة حسنة فى جده الاعلى هذا ، وجده الادنى محمد الثالث ، وفى ملوك المغرب المذكورين من الدول السابقة ، وهو دام عزه قد كان قدوة لغيره من الزعماء والقادة ، حتى تحركت الهمم الخامـدة ، وانبعثت جذوة الحماس فى النفوس ، فتوحدت كلمة العرب واجمعوا أمرهم ، فكانت المعجزة ، وانجز الله للمسلمين ما وعدهم به من النصر المبين ((وعـد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهـم أمنـا) .

اننا فى ذكرى جلوس جلالة الحسن الثاني وعيد العرش المغربي نحيي فى شخصه الملك العربي الشهم الهمام ، وامير المؤمنين حامي الملة والدين ، وندعـو الله العلي القدير ان يهبه من العون والتوفيق كفـاء الحمل الثقيل الذي يضطلع به ، والمسؤولية العظمى التي يتحملها ازاء التاريخ ، تاريخ المغرب والعروبـة والاسـلام .

طنجـة : عبد الله كنـون



العرش في دولة الامجاد يتوجه إلى ساحة الجهاد ..

للأستاذ الحميد الرحالي الفاروقي

لعيد عرشك في ذا اليوم تذكار
فاهنأ بتاجك ولتهنأ بك الدار

عرش علا جانبا بالله قوته
له على النظرا ، فخر واكبار

يا بيعة في بلاد الغرب باركها
رب وشعب واعيان واخيار

وكلهم نحو هام التاج شاخصة
منهم عقول وآمال وانظار

دعوا السفينة تجري نحو مرفاها
فان مرفاها بالخير بشار

الى الترقي الى العمران ثم الى
نشر السلام لهاذا انت مختار

انها كلمات متخافتة ، ونبرات متهافتة ابقتها الايام في خلدي وفي خيالي ، من تلك العهود السالفة الخوالي ، وأثارتها مناسبة الاحتفالات بالعرش المغربي العتيد الذي تعاقب على اقتضاء بيعته ، واعتلاء منصته ، رجال امجاد اعزاء ، وابطال انجاد اشداء ، تصرفوا بالعقل تصرف الرشداء ، وتميزوا بالعدل ، تميز الحكماء ، وكانوا حماة للعلائق ، فطابت الحياة بقيادتهم ، وعزت الديار ببطولتهم ، وامتد حبل الامن في زمانهم ، واستظل الناس بظل امانهم .

ان العرش في هذا البلد الامين يستأنس به في الغربة والوحشة ، وفي الضيقة والازمة ، ويعتبر ذروة السنام ، وقدوة الانام ، كما يناط به القيام بدعوة الحق ، والانطلاق للنهوض بالخلق ، الا ان بلاغة الكلام ، ورعاية النظام ، لا تنهض الا بمطابقة المقام ، واعلاء كلمة الاسلام ، — فهو العقل الرصين المفكر ، والراي الحصيف المبكر ، يحمل بقوة راية العز والجهاد ، ويحمي الحمى بشدة من صيحة الاوغاد ، وغارة الانذال والاضداد .

ومن اجل ذلك ثار بشعبه ثورة تاريخية ، ازالت المعرة واستردت الحرية، فساد الحق الى العصبة ، والسهم الى النزعة، ثم بعد هذا الانتصار، توالت مسيرة الابطال والاحرار ، لانشاء معالم الاستقلال والاستقرار، ولارساء دعائم الازدهار والاستثمار ، ولاقصاء الذين اعماهم حب الاستعمار، فظلوا جاثمين على املاك الجار .

وها هو ينبعث منه صوت الحق وصوت الجهاد ، فيعلن عن بعث التراث الاسلامي الجميل ، وعن بعث لغة التنزيل والتعليم الاصيل ، وجعل خانته في خانات التخطيط الخماسي الكفيل ، بتغذية الافكار والعقول ، وتنمية الارزاق والحقول ، بيد انه لا مفر من وصل قطيعته

وطوع طبيعته ، واشراف الذين عاشوا فى اكنافــــه ، وحلقوا فى أجوائه ، وليـــس التوحيـــد بــلازم فى المناهج والمآخذ ، وانما يلـزم فى التربيـــة والمقاصد، كما اوضحته رابطة العلمـاء فى عـدة مناسبـات ، وفى كثير من الملاحظات .

على ان ارتفاع صوت الحق بانقاذ هذا التعليم المهجور ، وباحياء سنة الدروس فى خير الشهور ، بشكل مسابقة الى فعل الخيرات ، وخطوة من خيـر الخطوات ، نود من سويداء القلب ان تزول الاشواك من طريقها ، وأن تتحقق الاهداف المتوخاة من ورائها.

وهكذا اثلج الصدور ، واحيا القلوب ـ ما كان من مبادرة القيادة الرشيدة الى المعمعـة وخـوض المعركة بجانب الاخوة الاشقـاء ، فى القنـاة وفـى الصحراء ، وفي مرتفعـات الجـولان ، لصد الاثـم والعدوان ، ـ بتجريدتين مدربتين احسن تدريب ، ومسلحتين باحدث الاسلحة ، على راسهما ضباط أكفاء مومنون ، ومن وراء الجميع شعب يحيي الجهـاد ، ويؤيد المعركة ، ويتمنى الشهادة ، ويسأل الله العزيز الحكيم ، النصر والظفر ، على قوة الشر والبطـر ، ولو دامت الحرب لكان السهم اوفى واكثر ، والدعم اقوى واكبر ، وهذا اقل مواجب الاخوة فى هـذه الامة ـ التى كتب ان يكـون لها اعـداء بالمرصـاد ، يتربصون بها الدوائر للانقضاض ، ـ والتي اخبر الله انها امة واحدة ، تتداعى فى الباساء والضراء ، وفى العزاء والنكراء ، وتتنـاءى عن الصلف والكبرياء ، والوقوع فى العداوة والبغضاء .

ومن العناصر السياسية التى جدت فى حرب رمضان من عـام 1393 ـ ذلك الموقـف الشريـف للدول الافريقية ، الذى ناصر بدون تحفظ القضية العربية ، من حيث انهـا تحمـل طابـع العدالـــة الانسانية ، وذلك الفراق لدولة اسرائيل وقطع الصلة معها نهائيا وديبلوماسيا ـ الى ان تستجيب لقـرار مجلس الامن ، وتنسحب من البلدان العربيـة التى استولت عليها بالحديد والنار ، وانه لكسب جديد ونصر فريد له معناه ومغزاه اذ اصبح ما ينيف على ثلاثين دولة تؤيد حق العرب وتقف بجانبه صراحــة وتدعو اسرائيل الى الانسحاب علانية .

واننا لنستكبـر ونستعظـم موقف الافارقـة الذين شعروا قبل غيرهـم ، وادركـوا بمنطقهـم السليم ، وذكائهم الفطري ما تنطوي عليه السياسـة الصهيونية من اطماع توسعية ، واخطار حرب عالمية فرفضوها وقاطعوها الى ان تعدل عن سياستها ، وتعرب عن حسن نيتهـا ، بالتخلي عـن الاراضـي المغتصبة من اهلها .

وما على العرب الا ان يكافئوا أصحاب المواقف الصريحة ، وينسقوا سياستهم بمرونة ، ورطوبـــة ، مع اصدقائهم الافريقيين الذين اقامـوا الدليل على تفهمهم لحقيقة الشرق الاوسط .

ونحن لا نشك ان مؤتمر القمة الاسلامي القادم بحول الله سيكون له اقوى الاثـر فى دعـم ونصـر القضايا العربية من اساسها وعلى الاخص المسجـد الاقصى الذى اصبحـت كتائـب الشـر تشرب فى محرابه ، وتعالب الحي تلعب فى رحابه ، وتغير من معالمه .

وهنا تبرز نقطتان ضروريتان يتاكـد الالتفـات اليهما ، ويتعين التركيز عليهما فى معركة الحق ، وفى حياة الغد ، احداهما وحدة الصـف وبسطـة الكف ، وترجمة ذلك انه يلزم ـ ان نتـرك التنابـز بالالقاب ، والفضاضة فى الانسـاب ، وان ندخـل فى عهد المصالحة والمسالمة وتسوية الاوضاع والمشاكـل ـ بعدل الكتاب والسنة حيث لا ضرر ولا ضــرار . وان نسخر ما عندنا من الثروات النقديـة والمادية للدفاع عن المصالح الكبرى ، ولرفع مستوى الهمـم الصغرى ، حتى لا يتعرض الكيان العربي والاسلامي فى الحاضر والغائب الى المخاطر والمهالك فلا مبـرر للشح والبخـل وسلـوك الملاوي والترهـات ، ولا سبيل للجدال والمراء وركوب المخازي والموبقـــات اذا ما هجمت الاحـداث والمت الملمـات ، وطغـــى الطغيان ، وصرح العـدوان ، ومـن الموبقـــات والمهلكات الشح المطاع والهوى المتبع .

وهذه نصوص دائمة ومواد قائمة من الكتـاب والسنة تطالب المؤمنين بالله ، والمسلمين وجههـم لله ـ ان يتفقوا وان ينفقوا فى سبيل الله عامة ، وفى سبيل الجهاد والعراك خاصة ، حتى لا يضروا انفسهم بالنزاع والامساك ، ويلقوا بأيديهم الى التلف والهلاك ، وترشدهم ان القوة فى تجمعهم وتضامنهم، وان الضعف فى تفرقهم وتنازعهم ، وتحثهـم علـى الدخول فى السلم والهناء ، ونبذ كل ما يفضي الى شماتة الاعداء قال الله جل جلالـــه : ((ولا تنازعــوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبـروا ان الله مـع الصابريـن » « ولا تلقـوا بأيديكـم الى التهلكـــة واحسنوا ، ان الله يحب المحسنين » « يا ايها الذين

آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » .

وروى الطبراني عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذب)) . وعذاب الاستعمار اشد عذاب فى الدنيا ، لانه يتلمس سائر الجوانب الروحية والخلقية والفكرية والمادية فهو فتنة ، والفتنة اكبر من القتل ، وروى ابو داود فى سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر وتركتم الجهاد الى الدعة والراحة ، واشتغلتم بالشهوة والمادة ، وتعاملتم بالربا والعينة وتركتم ذروة سنام الاسلام الذي هو الجهاد سلط الله عليكم من عباده من يظلمكم ويهينكم فيغمط حقكم ويغصب ارضكم ويضرب عنقكم ، ولا سبيل الى رجوع عزكم ومجدكم الا بالرجوع الى دين اسلافكم وجهاد اعدائكم .

لذلك كان من واجب المسلمين حفاظا على قوتهم وعزتهم ، وعلى اخوتهم ونسبتهم اذا وقع تشاجر او تصادم بين فئتين مومنتين ــ ان يتدخلوا توا وفورا للاصلاح بينهما كما قال الله جل وعلا : « وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » .

وذلك ان علاج الامور فى مبادئها واوائلها ، يكون سهلا وناجعا ومنتجا ولكنه اذا استدبرها راى فى اعقابها واواخرها ما لم يره فى صدورها وعند ظهورها ، ومن ثم قالوا : « اخزى الله الراي الدبري » .

وحذار من استخدام السلاح ، بين الاخوة بدلا من الاصلاح ، فان الاقارب بمثابة العقارب :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ونحمد الله العظيم حيث بدات هذه النقطة تتحسن فى المؤتمرات ، وتتركز فى المنطلقات التى تتطلب الحزم والعزم ، وتترقب الفتح والنصر ــ بدات من الحرب التى اشتعلت نيرانها فى العاشر من رمضان 1393 وفى السادس من اكتوبر 1973 ، ثم نسجت خيوطها وحبكت خطوطها بجميع ابعادها وآفاقها فى مؤتمر القمة العربي المنعقد بالجزائر ، والذى كان المغرب اول من اوحى بضرورة انعقاده ، وحضره جلالة الملك الحسن الثاني وادلى فيه بسديد انظاره ، وتم باتفاق الاخوة الاوفياء ، من سائر الملوك والرؤساء ، توحيد الخطة وتدبيرها ، وتوثيق العهدة وتقريرها .

ولقد ادهشت هذه البادرة الطيبة الملاحظين والرقباء ، والاعداء واشباه الاعداء ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون حيث استيقظت الامة من غفوتها واجتمعت بعد تفرقتها ، وازاحت التردد عن ساحتها ، وظهرت بمظهر جديد وبعيد عما كان يظن بها ، ــ الا ساء ما يظنون ــ وثانية النقطتين اعتبار التصنيع والتسليح الذى يوفر المتطلبات العسكرية ، ويحقق الوسائل الدفاعية ، وما سوى هذا من الحاجات البشرية ــ أمرا حتميا وضروريا لحياة العزة والكرامة، حتى لا تظل الامة العربية والاسلامية، غنيمة للغانمين ، ومسخرة للساخرين ، وتحت رحمة المستكبرين والمتمالئين، تستجديهم وتستعطيهم بدافع الحاجة اليهم وهم يضربونها بأسلحتهم ، ويهددونها بشرائطهم، التى تكفل الابقاء على سيطرتهم .

فالجهاد ، وهو الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الحقوق المكتسبة ، وللمطالبة بالحقوق المغتصبة اصبح فى هذا الظرف العسير ، الذى لم تبق فيه ديانة ولا امانة ، من اوجب الواجبات ، وافضل العبادات .

وظاهر ان الوسائل لها حكم المقاصد ، وان ما لا يتوصل للواجب الا به فهو واجب ، فلما وجب الجهاد، وجب الاعداد للجهاد ، والتحريض على الجهاد .

ومن جراء سوء الاوضاع الدولية ، وقلة الوثوق بأخلاقها واوفاقها ، كان من الامر المحتوم على الامة العربية والاسلامية ، ــ وقد اضحت محط اخطار الصهيونية العالمية ، التى هيمنت على الانظمة الراسمالية ، والدول الصناعية ــ ان تنظر الى هذه الناحية نظرة جدية وواقعية ، وان تأخذ ذلك بعين الاعتبار والاستبصار ، مندون توقف ولا تلكؤ ، ومن غير تباطؤ ولا تثاقل .

وقد ارشدنا الحق سبحانه الى هذا الجانب منذ اربعة عشر قرنا بقوله : «واعدوا لهم ما استطعتم

من قوة » والاعداد للجهاد يبتديء ـ بتخطيط نظام اجتماعي سليم ، واقتصادي حكيم ، ومحفوظ من التمرد والتسور ، ومن التصرف الذي لا يجدي ولا يرضى ، ـ وبالتعبئة العامة لتوفية الاقتصاد وتوفير الانتاج ـ وباقامة المسالح والمصانع التى تفي بالحاجات الذاتية ، مع مراعاة الظروف الاستثنائية ، والتى تكفي عن الاستجداء والاستعطاء ، والتبعية والانحناء ، ـ وبالمحافظة على قيمة العملة النقدية وقوة نفوذها فى الداخل والخارج ، كما وجهنا سبحانه الى الجانب الحربي بقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ولا تمكن مقابلة الاعتداء بالمثل الا اذا ملكت الامة بوسائلها الخاصة ما يملكه غيرها من المعارف التقنية ، والفنية التى يتقاضاها تطور الحياة الاقتصادية والحربية ، وما يتبع ذلك من التطورات العلمية والتكنولوجية ، فالمجال فسيح والهمة فعالة ، والعقل كشاف ، والعلم بالتعلم ، فان الانسان خرج من بطن امه لا يعلم شيئا ثم علم .

والمومن الموفق الذى يتدبر كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يرى ان كل ما جلبه علينا التخلف الادبي والفكري ، والتاخر المادي والصناعي من مشكلات ومعضلات وما وقعنا فيه من نكسات وركسات ، منشؤه الانحراف والاعراض عن التربية الاسلامية ، والتعاليم الحية الناهضة التى انزلها الله لاصلاحنا ولاعزازنا ، ولقد كانوا يقولون : من عرف القرآن ، سبق الاقران ، ومن اراد العلم فليثور القرآن .

والعقل الحكيم يستفيد من دروس الحياة القاسية ، اكثر مما يستفيد من دروسها العادية ، فلقد مست الحاجة والحت الضرورة ، ان تصعد الامة العربية والاسلامية على الصعيد الاقتصادي والعسكري ، وان تبذل فى هذا السبيل قصارى ما يمكن من الجهود ـ وان تتجاوب فى المجالات الصناعية والاقتصادية ، كما تجاوبت فى الميادين العسكرية والقتالية ، وان تتعاون على تأسيس المصانع والمعامل لتطوير المواد الخام ، وتحويلها الى ادوات مختلفة ، واسلحة متنوعة ، ـ وعلى اختيار المواطن الصالحة لاقامتها وتأمينها حتى يتسنى لها ان تتضامن وتتماسك فى اوقات العسرة والشدة، والله سبحانه يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » والبر والتقوى كل مصلحة تعود على الوطن الاسلامي بالخير والنفع، وبالعز والمجد ، ولا تعدم هذه الامة المظلومة اذا تآلفت وتضافرت وصحت عزيمتها ـ من تتعاون معه فى هذا الشأن ، فان الاعمال بالنيات ، وان المال قوام الحياة باطلاق ، وقوة يخضع لها كل من فى الارض ، كما قال نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم : الدنانير والدراهم خواتم الله فى ارضه فمن اتى بخاتم ربه قضيت حاجته . رواه الطبراني فى الاوسط عن ابي هريرة رضي الله عنه .

ومن فضل الله سبحانه على هذه الامة انه حباها ـ بركائز وذخائر تزخر بها الارض العدنية ـ وبمنافع النفط والغاز وهي قوام الحضارة العصرية ، ـ الا ترى انها عندما وحدت سياستها وقررت ، واستعملت سلاحها وصممت ، كيف قامت الضجة فى العالم ، وكيف نقصت قدرتهم الاقتصادية والصناعية ، واصبحوا يخطبون الود العربي ويستفيئون ، ويؤيدون الحق العربي ويتنازلون ، الا انه لا يلدغ المومن من جحر مرتين ، فلا يطيب التعاون مع من لا تطمئن اليه النفس من ذوي الاطماع واصحاب الخداع الذين يقفون دوما فى طريق النهوض ، لا يروقهم الا الركود ، والفرق كبير بين المتكبر والمتجبر الذى يتهدد ويتوعد ، وبين المقتصد والمتحفظ الذى يتعلل ويتوسل ، والمثل العربي يقول: فى كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار .

ومهما يكن من شيء فان تأسيس البنوك الاسلامية ، وترتيب الصناديق المالية ، التى تمول المشاريع الصناعية ، وتشجيع الشركات والتعاونيات التى تحرك الحياة الاقتصادية ، بات من أهم الاشياء التى يتوقف عليها وجود الانسان ونفوذه فى هذا العصر الذى عادت فيه الكلمة للقهر والغلبة ، لا للعدل والنصفة .

ومما تجب الاشارة اليه حراسة الاقتصاد العام حراسة شديدة حتى لا تتسرب اليه جماعة اللصوص وقطاع الطريق الذين يفسدون فى الارض ويهلكون الحرث والنسل ، ـ وان يستغل من طرف اختصاصيين امناء استغلالا يرفع المستوى ويدعم المعركة ـ وان يكون من اوله الى آخره متكاملا ومترابطا فى نظام الامة العربية والاسلامية حتى يعم نفعه وغناؤه ، ويكثر خيره وعطاؤه باذن الله تعالى ـ وان تجارب الحياة ووقائع التاريخ لتشهد وتقضي ان العاقل البصير لا يعتمد على اعدائه ، ولا على من لا يخلص لمصالحه .

وانما رجل الدنيا وواحدها
من لا يعول فى الدنيا على رجل

مراكش : الرحالي الفاروق



ان تعلق المغاربة بالبلاد الشقيقة العربية والعاطفة الاسلامية التى تربطهم باخوانهم المسلمين فى كل ارض ولو نأت عنهم لمما سجل التاريخ مظاهره المتعددة ونوه فى شأنه بمواقفهم البطولية فى كثير من الحوادث خصوصا أيام الحروب الصليبية حيث كان الحجاج المغاربة ينضمون لصفوف المجاهدين ويقاتلون العدو المعتدي بشجاعة وتفان ، وقد استشهد كثير منهم فى هذه المعارك مما نجد اخباره فى كل كتب تاريخ هذه الحقب . وقد كان الاغنياء منهم يحبسون الدور والعمارات على مشاريع الجهاد كالمستشفيات والرباطات ونحوها .

وان ما بادر اليه صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله من بعث فرقة من ابطال القوات المسلحة الملكية بالهام من المولى تعالى الى الجبهة السورية والى مرتفعات الجولان بالضبط قبل ان تنشب الحرب الانقاذية ليسير فى هذه الخطة وليستجيب لهذه العاطفة الكامنة فى نفوس الشعب المغربي ، كما ان استجابة هذا الشعب لندائه فى التبرع بالمال والدم لصالح اخوانهم المقاتلين لرد العدوان الصهيوني وارجاع الكرامة للشعب العربي ليعبر هو ايضا عن تعلق اهل المغرب ببلاد المشرق العربي الاسلامي . ولقد برهن الجنود المغاربة فى الواجهة السورية اولا ثم فى الواجهة المصرية على بسالة نادرة مما اشاد به القريب والبعيد وتناقلته كل وسائل الاعلام فى كل اقطار الارض على قلتهم بالنسبة للاعداء . فكان لهم بهذه المشاركة نصيب فى النصر الذى احرزه العرب فى تلك المعارك .

واريد بهذه المناسبة ان اتعرض لحملة بونابرت على مصر سنة 1798 م واثرها فى نفوس المغاربة . لما بلغ خبر نزول الجيوش الفرنسية بأرض الكنانة تأثر لذلك المغاربة ايما تأثر وقصد كثير من المجاهدين الديار المصرية للمشاركة فى قتال اصحاب تلك الحرب الصليبية الاخيرة اوتلك الحرب الاستعمارية الاولى ان شئت . وان كانت كتب التاريخ لا تعطينا تفاصيل كثيرة عن هذه المشاركة فان شعراء الملحون المعبرين فى كل زمان بصدق عن عواطف الشعب المغربي والمسجلين بأمانة لكل الاحداث التاريخية والاجتماعية التى تقع تحت ابصارهم تحدثوا عن حملة بونابرت فى قصائدهم . الا انه مع الاسف لم يصل الينا منها الا قصيدة واحدة كاملة وبضعة أبيات من اخرى ، وذلك ان الشعر الملحون لا يبقى منه فى ذاكرة الاشياخ وبالتالي فى كنانيشهم الا ما يلحن ويغنى به ومن البديهي ان قصيدة فى الجهاد لا تنظم ولا تحفظ ولا تكتب الا للتعبير عن تلك العاطفة التى ذكرتها فى اول هذه الكلمة .

ومهما يكن من امر فان شاعرا من اهل فاس ومن اكابر رجالات الملحون نظم قصيدة الماصرية كما نظم غيره من معاصريه ماصريات اخرى كما يسمونها عندما بلغهم خبر الحملة الفرنسية على مصر .

وشعراء الملحون يسمون القصائد التى ينظمونها فى حروب الجهاد وفى حروب التحرير باسم البلد الذي تقع فيه ، وهكذا نجد قصائد تسمى التطوانيات فى الحرب التى وقعت بين المغرب واسبانيا بتطوان سنة 1860 ويسمون القصائد المنظومة فى حرب تحرير الجزائر بالجزائريات والقصائد المنظومة فى مساندة الفلسطينيين ضد الصهيونية الغاشمة بالفلسطينيات وهكذا .

والقصيدة التى تعنينا الآن والتى تجدها منشورة فى آخر هذا البحث هي للشاعر الكبير محمد بن علي الشريف ولد ارزين . ونسختها فريدة وقفت عليها فى الثلاثينات عند حفاظ تلقيت عنهم اخبارا كثيرة تتعلق برجال الملحون وكلامهم وهو السي امحمد الوقايدي رحمه الله وكان كفيفا ويحفظ المئين من القصائد وكتبت من حفظه كل ما اختص به من بين عشرات الحفاظ والخزانة ممن رويت وكتبت عنهم كل غريب من فن الملحون .

اما الشاعر ابن علي رحمه الله صاحب هذه القصيدة فهو من ألمع شعراء الملحون وممن حظوا بالشهرة فحفظت قصائده ونالت اعجاب الجماهير والهواة ولا زالت تنشد الى يومنا هذا وقل من الاشياخ من لا يحفظ بعضا من روائعه . وهو من اهل فاس واصله من تافيلالت شأنه فى ذلك شأن العدد الكبير من نبغاء شعراء الملحون كما نبهت اليه فى دراساتي السابقة ويقال : ان الملحون ولد بتافيلالت وربي بمراكش واتقن بفاس . ويكفي ان تعلم ان المغراوي والمصمودي والشيخ الجيلالي متيرد والسي التهامي المدغري وعبد القادر ابو خريص والحبابي والعيسوي الفلوس رحمهم الله أصلهم جميعا من هذا البلد الطيب وهم من أساطين فن الملحون .

وكانت ولادة ابن علي الشريف سنة 1145 هـ (1742م) واصله من بلاد الفرقة بتافيلالت وهي وطن الشيخ الجيلالي متيرد كذلك . وهو من الشرفاء الادارسة العمرانيين النازلين بأولاد عبد الرحمن فى بلاد الفرقة ولهم اخوان بأدفال بوادي درعة كما ان منهم فرقة بفكيك بقصر الوداغير المنسوب اليه الشرفاء الودغيريون ، واخذ ينظم الشعر في سن مبكرة فى كل اغراضه المطروقة عند اصحاب الملحون وله فيه ابتكارات لم يسبق اليها . ولقد عبر عن عواطفه فى لهجة صادقة وبالفاظ رقيقة ووصف الطبيعة ايام الربيع والبساتين والحدائق وساجل شعراء وقته خصوصا تلميذه الشاعر العبقري ابن سليمان والبري شاعر سلا في وقته وعارض سيدي قدور العلمي فى بعض قصائده . ونظم القصص والمحاورات فى مثل قصيدته العربية والمدينية والحراز ونظم فى الحكم مما يسمى عندهم بالوصايات ونظم تصليات تطفح باحر العواطف الدينية ، ولكنه لم ينظم فى المدح او لم يبلغنا منه شيء . ومن المعلوم ان هذا النوع لا يقبل عليه اهل الملحون لانه فى الغالب لا يصدر عن عاطفة خالصة ويقتصر نفعه على من قاله ومن قيل فيه . ونظم كذلك فى الهجاء الا انه لا يقذع ولا يصرح وانما يتخذ لذلك تلميحات من طبائع الحيوانات التى يشبه بها من يهجوه كالجاموس وسمي به احدى قصائده وكالذئب وقد سمي به قصيدتين قال في حربة احداهما .

شوفوا طيري

جاب لي ذيب فى عوض غزال يا للي سال

لولا جهالتي ربيته فرخ الذياب ما يتربى

قالوا الناس وانا ربيته

وله قصيدة طويلة سماها الذرة يقول فيها ان الله تبارك وتعالى خلق كل شيء من الاكوان العلوية والسفلية من ذرة فقال :

وافرد من الذرة ما شاء رب الارباب

وكان عزبا لم يتزوج فيحكي ان اشياخ فاس ايام مشيخة الحاج امحمد النجار اقاموا نزهة وتكلف كل واحد بتحضير طعام وحيث ان ابن علي كان عزبا فقد قصد قبل التوجه الى النزهة سوق الشماعين واشترى كمية من كل نوع من انواع الفاكهة اليبسة من تمر ولوز وتين وجوز وزبيب وجعل ذلك في شملة حائكه ودخل على الاشياخ فوجدهم جالسين يتناشدون الاشعار فأفرغ حائكه فى وسطهم فأخذوا يتنقلون بفاكهته مدة وعند ذلك قال لهم الشيخ النجار :

« ارايتم » « المعلم » ؟ فان ما سهرت عليه عائلاتنا فى تحضيره من المآكل لم نمسه وحظي ما جاء به ابن علي بشرف الاسبقية . « فلما سمعوا شيخ الاشياخ يسمى ابن علي « المعلم » دعوا معه قائلين : « جعله الله فاكهة الاشياخ » فلذا يقال له « المعلم » و « فاكهة الاشياخ » .

ولقد احصيت له اثنتين وسبعين قصيدة عندي منها ستون وسرابة واحدة هي عندي كذلك .

ومن هذه القصائد زيادة على ما اشرت اليه قصيدة الجافي الاول وله خمس قصائد بهذا الاسم يقول فى حربتها :

طبعـــي ولاف

وطبع اللي نهواه جافـي

وشي يلاقي طبع الجفا يا صاح بطبع الموالفة

ومنها ام هانـي وحربتهـا :

هاني من لا شاف صورة ام هانـي
مكمولة البهـا تهليـل السلطـان

ومنها حجوبة وهي من اشهر قصائـده وقـد وقفت عليها فى عشرة من الكنانيش وحربتها :

يا اللي زينك فاق الشمس والقمر والبرق فى الحجاب
صلت بحـــروف عجـــاب
صـــغ لـــوجـــابـــي
عالجينـي بالـزورة يا الريـم حجوبـــة

ومنها الحراز يقول فى حربته :

لعبت بحراز عارمي وظفرت بالغـزال
بسحابه ياناس الغرام ما تظفرشي بوصالها

ومنها الخايلة، وله قصيدتان مسميتان بالخليلة وحربة الاولى منهما وهي كذلك مشهورة جدا :

وافانـــي بـــك الحـــال

ومارا جيت اشحال لك يا الخليلة

كل يوم نراجي الوصـــول
بـــاش نفايـــش ونصـــول

وله الربيعية وحربتها :

هـــذا وقت الزهـــو والنظـــر
والنظرة فى ايام الربيع تجـارة

علـى البهـا نزهـــى يا خنـــار

وله الطرشون وهم اسم فرخ الباز من لفظـة اسبانية وهذه اشهر قصائده وقـد نشرتهـا مـع ترجمتها الفرنسية فى مجلة هسبيريس – تامودة (1)

وحربتهـــا :

طرشون غاب لي فى الصيدة ماريت شي بحاله

لله واش مـــا ريتـــه لـــي طرشـــون غـــاب لـــي

وله المرسم ويعنون بهذه اللفظة منزل المحبوب اوحيه وقد سمى قصيدتين بهذا الاسم يقـول فى حربة ثانيتهما :

انا والمرسم .. يا حمام وثالثنا فى الزهو انت

المرسم يزهي على الشمع وانا علـى الفـزال

ومن قصائده المشهورة المزيان وقد عارض به احدى قصيدتي سيدي قدور العلمـي المسميتيـن المزيان . وحربة قصيدة ابن علي هي قوله :

لي قـــال المـــزيـــان

وصـف هذا الحسن يا اللي تهواني

قلـت لـــه يـــا هـــادب الاشفـــار
توصاقك ما يحصر

ومنها عائشة من اجمل قصائده وحربتها :

مالك يا الفزال تابهة وعلاش اخيتـي وفاش

هذا عـــام وشهريـــن طالـــت النيبـــة يا عايشـــه

وهو من اول من نظموا فى الشمعة التى يشبهون باحتراقها وذوبانها وصفرتها صفات العاشق الولهان الذى يحترق فؤاده ولا تنقطع دموعه وتذبل سحنته وحربتهـا :

---

(1) الرباط سنة 1967 ص. 39 – 52 .

لله يا الشمعة سلتك رد لي سؤالــي
واش بك فى الليالي تبكي مدى بك شعيلة

ومن كلامه فى الحكم الوصاية الاولى وله ثلاث وصايات وحربة الاولى منها :

اراسي نوصيك يا الزايد تعبي وشقاي
من خلطــة اهــل جيلنـــا اعـــزل

قوم لا عرفوا محبتي ومعنتي وهواي
جنبهــم اراســـــخ العقـــــل

ومن اهم قصائده السالف وله قصيدتان بهذا الاسم تعتبر الثانية ضائعة وحربة الاولى :

سالف مكمولة البها خلاته تفكيــرة
يــــوم مشـــــات تـــــزور

فى مكتوبي درته وطــاح لي خايف من مولاتــه

الى غير ذلك من الاوضاع الظريفة والاختراعات العجيبة .

وقد عاصر ابن علي الشريف اربعة من السلاطين العلويين وهم مولاي عبد الله وسيدي محمد ابن عبد الله ومولاي اليزيد ومولاي سليمان وتوفي رحمه الله عن ثمانين سنةشمسية سنة 1237 هـ/1822 م) وهي سنة وفاة مولاي سليمان .

اما قصيدة الماصرية التى قصدنا الكلام عليها بالخصوص فانها من النوع المبيت (قياس 14) وهو يتركب من ابيات ذات اربعة اشطار مقاطعها هكذا : 12 ــ 12 ــ 6 ــ 10 . وتحتوي على خمسة اقسام فى الاول ثلاثة ابيات وفى الثاني والثالث ستة وفى الرابع سبعة وفى الخامس اربعة فيكـون مجمـوع ابياتها مع الحربة سبعة وعشرين بيتا .

ابتدا فى القسم الاول قصيدته بتمجيد الجهاد وانه فرض واجب على المومنين وان الموت فى سبيل الله خير ميتة وفيها كل خير . وان المسلميــن مــا فازوا فى كل اعصارهم الا بفضل الجهاد .

وفى القسم الثاني تخلـص فى عـرض وجيز لتاريخ مصر ولفتحها ايام سيدنا عمـر بن الخطـاب على يد عمرو بن العاص وذكر ان البلاد سعدت بهذا الفتح وان عمرو بن العاص كتب للخليفة يخبره بأن اهل مصر من عادتهم ان يلقوا كل سنة فى النيل بكرا ليفيض عليهم بخيراته . فأجابه سيدنــا عمــر ابــن الخطاب برسالة يخاطب فيها النيل ويقــول لــه ان كنت تفيض بمحض ارادتك فلا حاجة لنا بفيضانك وان كنت تفيض بأمر مولاك فاحمل وصب ماءك على كل النواحي . وامره ان يرمي هذا الكتاب فى النيل . ففعل وفاضت المياه حتى غمرت كل جوانبه ورويت سواحله مومنا بحكم الله وازينت الارض وتجلــت نضارتها. ثم ذكر ان عمرو بن العاص شيد المباني وبنى المساجد وان مصر بعد ذلك ظهرت فيها علوم كثيرة.

وخص القسم الثالث بذكر فضائل مصر وانه ما راى ما يشابهها الا ارض مكة والمدينة والقــدس والشام وانها صالــت ببعـــث المحمـــل الى مكـة المكرمة وقـــال : « مصـــر ام المشــــارق ، مصـــر ام المغارب » جاعلا هذا القطر من ضمن بلاد المغرب كما انه من ضمن بلاد المشرق وانها غنيـــة وفيها مــن الذهب ما يكفي لحاجات المدن والبوادي وتخلــص لمقصوده بالذات بالاشــارة الى ان النصــارى عــادوا لعداوتهم القديمة ولكن حياتهم « خسارة » .

وذلك ان الفرنسيس هجم عليها من البحر فى سفنه ومراكبه ويعني بالفرنسيس بونابرت لانه يقول جاء من عند رئيسهم الفذ بكتاب امان وانهم فى الاول صدقوا هذه الدعوى ولكن الكافر احتل البلاد ودار فى كل جوانبها واصبح جمهوره الغالب لها على امرها فأخذ فى تحصين اسوارها وشيد فى القلعة مركــز الحكم وابطل مساجد العبادة وبنــى على مداخـــل ضريح سيدنا الحسيــن ومنــع الزيــارة . فبكــى المسلمون على هذه الكارثة بكاء الدم والمغرور يزيد فى تجبره مما جعل نفوس اهل الايمان تثور .

وفى القســم الرابع تابع الكلام على اعمال الظلم والعسف التى ارتكبها الفرنسيس وانه استولى على خيراتها وانتشر الحساب اي قابضو الضرائــب فى البلاد يستنزفون اهلها ومنع دخول المراكب التجارية بغير اذن خاص وان اهل الغنى واليسار ضاعت لهم اموالهم ، فعند ذلك تحرك الاتراك وقد كانت مصر تابعة للخلافة العثمانية وجــاؤوا لمحاربــة نابليــون وظهرت راياتهم ترفرف على كتائبهم « واتوا للسواحل وطلع جزارها من الشــام » كما قال (وهو يعني احمد

باشا الجزار وقد امره السلطان العثماني سليم الثالث برد حملة بونابرت كما سنراه فى وثيقة بعد هذا) . ثم زاد قائلا ان عددا كبيرا من المغاربة اقدموا على مساندة اخوانهم مضحين بحياتهم وهو قوله :

واتى اشحال من خاطر
من اوطان المغرب للحرب والسقارة .

ثم اخذ يصف شجاعتهم ومعداتهم الحربية وانهم ارغموا النصارى على الخضوع حين « صبحوا المغاربة فى الفورية (1) شادين الحزام» وان شجعانهم قاتلوا وقتلوا فى حومة الوغى وان كل غالب اسقط على مقلوبه دياره حين تقاطرت الرماح وفلت سيوفهم من دماء النصارى وان من نجى منهم بعمره بقي معطوبا ، ومن خرج سالما من هذه الحرب الضروس اخذه الانكليز (2) اسيرا يرسف فى اغلاله واكباله لا يفتدى بمال ولا باغاثة ، وهذا جزاء الكفار الذين على راي رهبانهم . « ومحاتهم الاسلام كما تمحي النار الحطام » او كما محوا ملك يزدجرد وكسرى من ملوك الفرس .

وفى القسم الخامس والاخير تعرض بايجاز للنتائج الاقتصادية لهذا الانتصار ذاكرا ان التجارة انتعشت وفر اولائك الذين كانوا يستقاون خيرات البلاد المصرية « والبيع والشرا يتحرك وتجود به الايام » وان حرية التنقل والسفر رجعت الى ما كانت عليه من قبل فيمكن لمن اراد الحج وزيارة اضرحة اسباط النبي عليه السلام وقبر الرسول نفسه البعيد المزارة ان يقوم بهذه الرحلات سالما مطمئن البال .

وختم على عادة شعراء الملحون بالصلاة على الرسول الكريم وبالسلام على اصحاب الاذواق السليمة وذكر اسمه بحساب الجمل . (اربعين وهي الميم وثمانية وهي الحاء واربعين اخرى واربعة وهي الدال اي محمد) . اي ابن علي الشريف ولد ارزين رحمه الله.

وان اكثر المعلومات التى وردت فى هذه القصيدة الفريدة تؤيدها وثيقة وردت فى كتاب البحاثة العلامة السفير الدكتور عبد الهادي التازي فى تاريخ المغرب الدبلوماسي الذى يحضره الآن وسيكون موسوعة هامة تحتوي على وثائق ثمينة تنشر لاول مرة وقد تحمل مشاق كبيرة فى البحث عنها وجمعها .

وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة وجهها الخليفة العثماني سليم الثالث للمولى سليمان يخبره بهجوم الفرنسيين على مصر بغتة وما اقترفه المحتلون من فظائع ضد العلماء والنساء والصبيان ويعلمه بانه عين القائد احمد باشا الجزار لمقاومة الفرنسيين ويذكر له انه تحالف بهذا الصدد مع الانجليز ويطلب من المولى سليمان المساعدة فى تسهيل نقل الذخائر عبر مضيق جبل طارق لايصالها للديار المصرية « وذلك اعانة لدين جدك عليه السلام » .

وتاريخ هذه الرسالة 19 شعبان سنة 1213 وهو يوافق 26 يناير سنة 1799 .

ويؤسف لعدم وجود جواب المولى سليمان عنهذا الكتاب المهم ولعدم تعرض مؤرخينا لهذا الحادث التاريخي العظيم ومما لا شك فيه وكما يستنتج من قصيدة الشيخ ابن علي ان المغاربة شاركوا مشاركة فعالة فى هذه الحرب وان المولى سليمان لم يكتف بتسهيل نقل السلاح والذخائر الحربية الى المشرق ولكنه ساعد على الاعانة المباشرة بحث المتطوعين على الالتحاق بميدان الشرف فى مصر كما فعل خلفه ماكنا المعظم الحسن الثاني فى حرب رمضان التى كللت بالنجاح واعادت للعرب سمعتهم وابرزت ما يعرف عن المغاربة من شهامة وبسالة .

ونرى من المفيد ان ننشر هنا نص رسالة الخليفة العثماني سليم الثالث مقدما للدكتور التازي كل تشكراتي اعانه الله على اتمام مؤلفه الذى سيكون له فضل كبير فى ازاحة الستار عن قضايا تاريخية هامة .

---

(1) وهو حي من احياء القاهرة .
(2) سنرى فى الوثيقة المشار اليها آنفا ان الانكليز حلفاء العثمانيين شاركوا فى هذا الحرب .

١

جانب حضرت تاجدار [illegible] فاس ومراكش مولاي سليمان ابن المولى محمد جنابلرينه تحرير اولنان عربي العباره نامهٔ همايون صورتيدر ٢٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اوضح من كثرة [illegible] لدوام نظام العالم وتسوية امور بني آدم [illegible] المجبولة على الطغيان [illegible] والصلوة والسلام على النبي [illegible] وآله واصحابه ما [illegible]

[illegible]

[illegible]

نص قصيدة الماصرية لابن علي الشريف ولد ارزين

القسم الاول

سبحان من فرض علينا الجهاد فرض واجب
لا فى البدو ولا آخر
فازوا اهل الجهاد فى مصر واهوان كل صاعب
وخلق مومن وكافر
وفى كل ارض يبعث فيها ما شا من المواهب
واحد سامع وباصر

واخيار كل موت فى الجهاد وكل خير يغنام
بالجهاد تقوى الاسلام فى النصارى
وفى غزوة خيبر فازوا ناس الجهاد الكرام
كلهم من آدم انشاوا بالاشارة
وفى كل ارض الحكيم فيها دايم حكيم علام
ما خفاه الظاهر واللي ن هو توارى

الحربة

بشار المشارق جانا حتى للمغارب
لنا ولك يا مصر

بشر الاسلام بين مصر ولات للاسلام
واجبة البشارة الا كيفها بشارة

القسم الثاني

فى مدينة الخلافة ظاهر بين الاصحاب صاحب
بها حفت عساكر
وفتحها على يد ابن العاص اهل المناقب
وكان فى اقدم عاصر
يرميوا فيه بكرة يحمل بها عا المذاهب
وبقى اللي عدو حاير
قبط الكتاب عمر فى يده وبحق واجب
الا انت على الخاطر
والا انت باذن مولاك احمل على المذاهب
وروى سواحله ياسر
ازيانت البلاد وشيد فى ترابها مضارب
لها علوم تتكاثر

بعد ان مضات عشرين من الهجرة سنين واعوام
بامر ابن الخطاب أمير الامرا
به البلاد سعدت واصبح فيها مؤيد همام
كل عام يسيروا معه بلا حيارة
رد للخليفة الاخبار منين جاه الكلام
كتبوا لعمر وخبروه بالجهارة
للنيل سيفط كتاب جواب كلام فيه وسلام
لاه قلت تحمل له رد لا تجارى
النيل فاض فيضة فات حدوده وشق الاوهام
بالاحكام آمن وظهرت النضارة
وبنى من المساجد فيها واخبارها لقدام
بالاسباط ارضها وردها سيارة

الحربة

القسم الثالث

ما ريت ما يشابه مصر فى ساير المغارب
صالوا بمحمل الطاهر
مصر ام المشارق مصر ام المغارب
فى كتب ربنا القاهر
وكذلك الكريم حجبها من لا سواه حاجب
قاموا ابطال الفضافر

الا ارض مكة والمدينة وقدس والشام
عنيت محمل الكعبة له الحج والزيارة
فيها من المذاهب باش يقوموا مدن وخيام
جات مصر مذكورة جات مختيارة
عادوا لفرفهم القادم كبارها والقيام
حاضرين الملا وحياتهم خسارة

جاها فرنسيس فى البحر بسفن والمراكب
تاقوا بسيرة الكافر
حاز البلاد واصبح فيها جمهورهم غالب
بطلوا مساجد الاجر
اخبارها من طول ومن عرض فى المناكب
والفر له جا آمر

وقال جيت من عند الفذ امان كتاب بفهام
والبلاد معهم فيها دار دارة
حصن اسوارها وبنى فى القلعة بساط الاحكام
بنى على باب الحسين بطل الزيارة
وبكات الاسلام عليها بكي القلوب بالدوام
وناضت النفس فى اهل الايمان والاغارة

الحربة

القسم الرابع

اخذا ما اكتاب فى مصر ويجول كل حاسب
واطيان جونها العامر
الاتراك ربت فيهم رايات اشحال من كتايب
واتى اشحال من خاطر
اهل الصوارم المفروغة واقواس والنشاشب
والبالات والخناجر
اعطوا الكشوط البيعة وتبرموا اللوالب
شجعانهم وغناضر
جرحوا كشوطها وتلاقى مطلوبها وطالب
الرماح غير تتقاطر
والى بالحياة تبقى منهم صار عاطب
فى اكبالها وقناطر
هذي رئية الكفار على راي كل راهب
والا محية زداجر

قطع ركابها ما تدخل الا تحت الاحكام
ضاعت كلها لاهل الغنى واليسارة
واتاوا للسواحل وطلع جزارها من الشام
من اوطان المغرب للحرب والسقارة
ورماح للفتك والبترات الا انشق الحسام
والزرايم لاهل التلحيق والعمارة
اصبحوا المغاربة فى الفوربة شادين الحزام
اوقاتلوا وقتلوا فى حومة السقارة
مغلوب له جا غلابه وعليه هد الرسام
والسيوف حفات من رقاب النصارى
والى بقى اداه النكليز يسير كيف الغلام
ما ينفدى بالمال ولا بالاغارة
ومحاتهم الاسلام كما تمحي النار الحطام
او كسرى فى ملوك الفرس دار دارة

الحربة

القسم الخامس

دابا تجارها تتسوق ويفر كل كاسب
والي رايد يسافر
دابا نشاهد فى مصر ثم نشاهد الكواكب
دابا نشاهد الطاهر
عليه الصلاة من الله وعلى كل صاحب
اهم سلامنا عاطر
واسمي نبينه للقاري ينبى لكل حاسب
الاربعين فى الآخر

والبيع والشرا يتحرك وتجود به الايام
يدير زاده والتقوى زاد للزيارة
ونزور الحسن والحسين اسباط خير الانام
يا سعادة من زار القاصي المزارة
والآل والازواج والانصار واسباط سيد الامم
والسلام على ناس الذوق والاشارة
اربعين سابقة وثمنية من بعدها والختام
ما وراها غير الربعة باختصارا

الحربة

نص رسالة الخليفة العثماني سليم الثالث

للمولى سليمان رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اخرج من كنزه المطلسم لدوام نظام العالم وتسوية امور بني آدم سلاطين هم ملح الارض فتصلح بهم طبائعهم المجبولة على الطغيان العليلة بعلل الجور والعدوان والصلاة والسلام على النبي الابريحي الذى نسخت بشرائعه الشرائع وبدليله الادلة وخسفت ببدره الاقمار والاهلة وآله واصحابه ما انبلج الصباح ونودي بحي على الفلاح .

غب اهداء ازهار نسيمات واتحاف انوار تحيات تتوالي توالي القطر المكرر فى تلك الاقطار والاماكن التى باهلته المزرية بالبدور تتنور الامصار نخص بذلك بحر نو ل امواجه الهمم وروض سيادة الفخر والكرم طود المجد الشامخ المنيف المرفوع على العلم بالنسب الشريف تاج هامة بني الحسن والحسين الجناب العالي مغرس ثمرات المعالي زهرة الشجرة العلوية فرع الدوحة النبوية المولى الهمام والمطر ابن الغمام الامجد ابن الامجد المولى سليمان ابن المولى محمد لا زال محط الركبان من الاطراف وربح المحامد متجر الاشراف . اما بعد الذى نخبر به اخانا فى الله وصنونا فى دين محمد بن عبد الله افضل صلوات الله واكمل تحيات الله هو انه قبل هذا كنا ارسلنا لطرفك العزيز سائلا الملك العزيز نميقة انيقة تنبيء عن احوال الطائفة الفرنساوية دمرهم الله تعالى بجاه محمد خير البرية بأنهم هم الطائفة الخائنون والشرذمة الملعونون ذوو مكر وفساد واهل بغي وعناد لا يومنون بوحدانية الله ولا يعترفون برسالة محمد بن عبد الله منكرون ليوم البعث والنشور والويل والثبور وهو يوم تذهل (فيه) كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فلا عقاب عند هؤلاء الملاحدة ولا حساب ولا جزاء ولا عذاب ولا سؤال ولا جواب مغرورون لعنهم الله بهذه الدنيا الدنية الفانية وغافلون عن الدار الآخرة الباقية فبيس ما اعتقدوه ولبيس ما كانوا يفعلون ، ومع هذا الاعتقاد الباطل والراي الهازل انهم كفرة خائنون وفجرة فائنون لان الذي ارتكبوه من الغدر والخيانة باهل الاسلام ما ارتكبه احد من عهد آدم عليه السلام حيث انه قاتلهم الله هجموا بغتة واقتحموا غفلة من غير اطلاعنا على امورهم ولا اخبارهم ايانا من طرف جمهورهم كما هو عادة الدول والسلاطين الاول على القاهرة وما حولها فصار لامة محمد من الغدر والضرر وتشتت الحال ونهب الاموال ما لا يوصف بقلم ولا يحصى برقم فلوثوا تلك الاماكن المطهرة واظلموا تلك المراقد المنورة وتحكموا فى تلك الديار على علمائها الاعلام وصلحائها واشرافها وساداتها الكرام وملكوا على نسائها المخدرات وصبيانها المعصومين وفتيانها المعصومات فوالله هذه حادثة عظيمة وخطب جسيم لا يرضى به الله ولا رسوله ولا نحن ولا احد من المومنين بل تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض ونحن غب هذا الخطب واثر هذا الكرب توكلنا على الله وفوضنا امرنا الى الله فنشرنا اوامرنا العليا الى تلك الاقطار وما فى السواحل من المدن والامصار بل الى كل من فى حوزة تصرفنا وداخل فى دائرة ملكنا بأن يأخذوا حذرهم واسلحتهم وعتادهم وعدتهم ويجلبوا خيلهم ورجلهم ويجمع ابطالهم وبسلهم ويتحشدوا لاعلاء كلمة الله يتجمعوا لمحافظة دين محمد بن عبد الله وعينا قائدا عسكريا للتوجه الى تلك الديار مع عسكر جرار لقمع اولائك الفجار ودفع شرور اولئك الاشرار وزيرنا المكرم الحاج احمد باشا الجزار ادام الله اجلاله ويسر آماله ومددناه بأدوات الحرب والنهب وآلات القتل والضرب والمهمات السائرة كاملا مكملا بانواعها واصنافها مجملا ومفصلا فانشاء الله تعالى عن قريب تظهر غيرة الملك الجبار وغيرة رسوله المختار فلا يبقى من تلك الكفرة الفجرة اثر ولا من يرجع منهم بخبر ولكن نخبر اخانا فى الله لا زال فى حماية جده رسول الله اننا رأينا طائفة من الانكليزيين لهم معنا محبة قديمة ومودة مستديمة وصداقة كاملة واضحة وغيرة ثابتة راسخة وهم قوم ذوو منعة وقوة واولو بأس وقوة مفروزة فى قلوبهم قديما عداوة طائفة الفرانسة ومركوزة فى فؤادهم بغض اولئك الابالسة يناوشوهم بالحرب والضرب اينما وجدوهم ويبادروهم بالغارة والنهب حيثما لقوهم مترصدون لهم في الطرق لقطع ذهابهم وايابهم ومترقبون سفائنهم دفعا لاعانة عساكرهم المنحوسة وامدادهم فبناء على هذا اتفقنا واتحدنا مع طائفة الانكليزيين فى هذه القضية بعهود ومواثيق قوية على اعلان الحرب مع الفرانسة الخونة ومعاضدة بعضنا لبعض فى قمع تلك الطائفة الملعونة الى ان نطهر بعون الله تعالى الديار المصرية من لوثهم نخلص امة محمد عليه السلام من شرورهم وخبثهم فبعدما صار اتفاقنا هذا معلوما لديكم نؤمل من اخوتكم الصميمة

ونحوتكم الهاشمية ان تعامل طائفة الانكليزيين بمعاملة الاصدقاء فلا تمانعوهم فى نقلهم الذخائر الى جبلترة الكائنة تحت تصرفهم بل مهما ساعدتموهم فى نقل الذخائر ، لحظنا الوافر ، لان النفع العائد عليهم هو عائد علينا وايضا هم راغبون فى التجارة فى نواحيكم ودياركم باخذ بعض بضائعكم لديارهم وجلب بعض بضائعهم لدياركم ولا يخفى ان فى هذا نفع يعم الطرفين وربح يشمل الفريقين فالمأمول ان تساعدوهم فى مطلوبهم وتوافقوهم فى مرغوبهم او ليس فى هذه خير بل كلها محض خير واما طائفة الفرنساويين عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فالواجب على صلابتكم الدينية وغيرتكم الاسلامية ان لا تسامحوا فى نقل الذخائر اليهم والى من يعاونهم ويسلك فى مسالكهم القبيحة ويرتكبوا ما ارتكبوه من الامور الفضيحة بل تقطع طرفهم ودابرهم وتنهب مهماتهم وادواتهم وذخائرهم وتعاملوهم بما يوجب ضعف حالهم وتشتت بالهم ويورث قوة اهل الاسلام وضعف تلك الخونة اللئام وذلك اعانة لدين جدك محمد عليه السلام وشريعته المطهرة القائمة الى يوم القيام لان الخيانة التى ارتكبوها واللعنة التى سلكوها عائد ضررها على جميع الموحدين وموجب التخلف عن دفعها الوزر على كافة المسلمين على الخصوص كان من كان ذا قوة وصاحب فتوة وهمة وهذه كلها قضايا بديهية نتائجها جلية لا تخفى على طبعكم الوقاد وذهنكم النفاذ والحاصل املنا من طلعة ذاتك السنية وشيمك الفاروقية ان تكون معنا على قلب واحد بعضنا لبعض معاضد فتشمر عن ساعد الجد والاجتهاد اعانة لدين الله ولشريعة محمد خير العباد فنرفع هذه البلية عن دين خير البرية عليه افضل الصلاة واكمل التحية .

والسلام على الدوام تحريرا فى اليوم التاسع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ثلاث عشر ومائتين والف (1) .

الرباط : محمد الفاسي

(1) تركنا الاخطاء النحوية والكتابية على حالتها . انظر الصورة الشمسية لهذه الوثيقة

وان المغرب على فمي ليشكركم جزيل الشكر وينوه بكم احسن ما يكون التنويه ويقول لكم شكرا لكم على ما فعلتم انني فخور بكم معتز بكم .

ارجو الله سبحانه وتعالى ان يجعل جيشنا المغربي دائما فى مثل هذه الطريق وعلى مثل هذا السبيل المستقيم : سبيل الله الذى لا يعرف الاعوجاج بل لا يعرف الا الشرف والفخار .

14 نوفمبر 1973
جلالة الملك الحسن الثاني

من مناقب عالم الملوك وملك العلماء في زمانه سيدي محمد بن عبد الله العلوي رحمه الله :



ليس عندي الان من المراجع الا كتاب الاستقصاء فسانقل النبذة اليسيرة التي حكاها مؤلفه رحمه الله في هذا الموضوع واشرحها بما ييسره الله تعالى من النقول والايضاح .

قال المحقق ابو العباس احمد الناصري في الجزء الثامن في صفحة 68 من تجزئة الطبعة الاخيرة ما نصه :

((وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ينهي عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الاشعرية وكان يحض الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد الماخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تاويل وكان يقول عن نفسه حسبما صرح في آخر كتابه الموضوع في الاحاديث المخرجة عن الائمة الاربعة انه مالكي مذهبا حنبلي اعتقادا يعني انه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتاخرين وله في ذلك اخبار وما جريات .

قلت وهو مصيب ايضا في هذا فقد ذكر الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه الاحياء ان علم الكلام انما هو بمنزلة الدواء لا يحتاج اليه الا عند المرض فكذلك علم الكلام لا يحتاج اليه الا عند حدوث البدعة .

((توضيحات))

1 ـ سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل بويع سنة الف ومائة وواحد وسبعين ، وتوفي سنة الف ومائتين واربع ، عالم سلفي وملك عبقري عظيم وغصن جليل من دوحة الدولة العلوية الكريمة ، من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من المزايا ما تفرق فيمن سبقه من ملوك هذه الدولة واكثر من جاء بعده ومن شاء ان يعرف فضله ومناقبه فاليرجع الى تاريخ المغرب ولو لم يكن له الا هذه المنقبة التي نذكرها هنا في هذا المقال لكانت كافية في بلوغه أوج المعالي .

2 ـ قوله وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ينهي عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الاشعرية وكان يحض الناس على مذهب السلف بلا تاويل الخ .

اعلم أيها القارىء الكريم ان اهل المغرب كانوا على عقيدة السلف حتى جاء محمد المهدي ابن تومرت الذي بنيت الدولة الموحدية على مذهبه فدعا الناس الى ترك عقيدة السلف والتمسك بعقيدة المتاخرين الذين ينفون بعض صفات الله تعالى او يتاولونها تأويلا باطلا ، ونجح في دعوته فعم ظلام بدعة علم الكلام في جميع ارجاء المغرب والف ما يسمى بست وستين عقيدة بالعربية للمتكلمين بها وبالبربرية للقبائل التي لا تحسن العربية ، وشاع القول بأن من لا يعرف هذه العقيدة فهو مقلد في الاعتقاد ، والراجح عندهم انه كافر كما بين ذلك السنوسي في عقائده الثلاث وغيره وبقي الناس على ذلك الا من رحمهم الله تعالى حتى جاء الامام الملك الهمام محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى

فأنكر هذه العقيدة وهي تدرس في كل مدرسة وكل مسجد ولم يكن احد في زمانه يتجرأ على انكارها وما أشار اليه مؤلف كتاب الاستقصاء من ان اولئك العلماء الذين انتخبهم السلطان محمد بن عبد الله كانوا يساعدونه ويؤلفون له الكتب، يحتاج الى بيان فانهم لم يكونوا يعلمونه شيئا يجهله ولم يكونوا اساتذته في هذه المنقبة بل كانوا تلاميذه وكتابا له ، لم يقم بهذا الاصلاح قبله احد في زمانه وقبله بمئات السنين لا هم ولا غيرهم .

3 ـ اما ذم ائمة السلف لعلم الكلام الذي في السنوسيات ونظم ابن عاشر والجوهرة واضاءة الدجنة وبدء الامالي وغيرها من كتب علم الكلام التي تدرس اليوم بالمشرق والمغرب، فحدث عن البحر ولا حرج، وقد ذكر الامام الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري في كتابه جامع بيان العلم وفضله في الجز الثاني من صفحة 92 الى صفحة 99 اخبارا كثيرة رواها باسانيده عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ومنها ما هو مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم اقتصر على نقل قليل منها خوفا من الاطالة . قال ابو عمر اجمع اهل الفقه والاثار من جميع الامصار ان اهل الكلام اهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الامصار في طبقات العلماء ، وانما العلماء اهل الاثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم ثم روى بسنده المتصل الى محمد بن احمد ابن اسحاق بن خويزمنداد المالكي انه قال في كتاب الاجارات من كتابه في الخلاف قال مالك لا تجوز الاجارات في شيء من كتب الاهواء والبدع والتنجيم وذكر كتبا ثم قال وكتب اهل الاهواء والبدع عند اصحابنا هي كتب اصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الاجارة في ذلك ، قال وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما اشبه ذلك . وقال في كتاب الشهادات في تاويل قول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع واهل الاهواء قال اهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم اهل الكلام فكل متكلم فهو من اهل الاهواء والبدع اشعريا كان أم غير اشعري ، ولا تقبل له شهادة في الاسلام ابدا ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فان تمادى عليها استتيب منها ، قال ابو عمر ليس في الاعتقاد كله في صفات الله واسمائه الا ما جاء منصوصا في كتاب الله او صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او اجمعت عليه الامة وما جاء من اخبار الاحاد في ذلك كله او نحوه يسلم له ولا يناظر فيه ، ثم روى بسنده الى الاوزاعي قال كان مكحول والزهري يقولان امروا هذه الاحاديث كما جاءت .

وقد روينا عن مالك بن انس والاوزاعي وسفيان ابن عيينة ومعمر بن راشد في الاحاديث في الصفات انهم كلهم قالوا امروها كما جاءت نحو حديث التنزل وحديث ان الله خلق ادم على صورته وانه يدخل قدمه في جهنم ، وما كان مثل هذه الاحاديث ، وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والاثر وبسطناه في كتاب التمهيد عند ذكر حديث التنزل ، فمن اراد الوقوف عليه تأمله وبالله التوفيق ، ثم روى بسنده الى الحسن يعني (البصري) انه كان يقول لا تجالسوا أهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم ، ثم روى بسنده الى سعيد بن جبير انه قال ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين (المراد بالبدريين اهل غزوة بدر الذين شهدوها مع النبي صلى الله عليه وسلم وعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر ، وكانت في السنة الثانية للهجرة) ثم قال جعفر بن محمد الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظرا ازداد حيرة (اقول جعفر هذا هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة رضوان الله عليهم) قال ابو عمر رواها (يعني أحاديث الصفات) السلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علما واوسعهم فهما واقلهم تكلفا ولم يكن سكوتهم عن عي وهم كانوا اعمق الناس علما واوسعهم فهما ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر . ثم روى بسنده عن ابي امامة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدي الا لقنوا الجدل ، ثم قال (ما ضربوه ، لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) وتناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لانه يؤول الى الانسلاخ من الدين .

الا ترى مناظرة بشر في قوله جل وعز (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) حين قال هو بذاته في كل مكان ، فقال له خصمه هو في قلنسوتك وفي حشك وفي جوف حمار تعالى الله عما يقولون ، حكي ذلك وكيع رحمه الله وانا والله اكره ان احكي كلامهم قبحهم الله ، فمن هذا وشبهه نهى العلماء وقال الحافظ بن عبد البر قال يونس بن عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظره حفص الفرد قال لي يا ابا موسى لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام لقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه ، وقال احمد بن حنبل رحمه الله انه لا يفلح

صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر فى الكلام الا وفى قلبه دغل اهـ .

وبما نقلته هنا يظهر جليا ان الامام محمد بن عبد الله العلوي ناقد بصير بذل جهده اثابه الله رضوانه ليخرج الناس من ظلمات علم الكلام الذي شاع في المغرب لكن من سوء الحظ انه لم يستجب لدعوته الا القليل ، ولكن الذي يبشرنا بازالة هذه الظلمات وطلوع شمس الاعتقاد الصحيح ورد الناس الى ما كانوا عليه فى الزمان الاول ، ان جلالة الملك المعظم ابا محمد الحسن الثاني ايده الله بنصره وبالمؤمنين شرع فى تجديد هذه الدعوة المباركة باحيائه درة ثمينة من كنوز العلم والمعرفة والعقيدة الصحيحة الا وهي طبعه لكتاب التمهيد للحافظ ابى عمر بن عبد البر الذي قال الحافظ عماد الدين بن كثير صاحب التفسير المشهور وغيره من الكتب النفيسة ، قال فى ابي عمر انه حافظ المغرب ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) من تفسير سورة البقرة فان قيل انك ادعيت ان كتب العقائد المنتشرة فى المغرب كالسنوسيات وقسم من بن عاشر والجوهرة وغيرها كتب بدع وضلالات فاقم لنا الدليل على ذلك لتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون على ذلك من الشاهدين ، فالجواب حبا وكرامة . ومن المعلوم ان هذا المقال لا يتسع لسرد البراهين ونقل كلام الائمة فاقتصر على ذكر نبذ يسيرة مما يتسع له المقال وارجو ان اردفه بمقالات فى هذا الموضوع ، واول ما ابدا به كلام حافظ المغرب ابو عمر يوسف بن عبد البر فى كتاب التمهيد وهو الكلام الذي اشار اليه فيما نقلته عنه من كتاب جامع بيان العلم وفضله ، قال الحافظ شمس الدين بن القيم فى كتابه الجيوش الاسلامية فى غزو المعطلة والجهمية ما نصه ، قول الامام الحافظ ابن عمر بن عبد البر امام السنة فى زمانه رحمه الله ، قال فى كتاب التمهيد فى شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ينزل ربنا فى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير ، فيقول من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فاغفر له ، هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد لا يختلف اهل الحديث فى صحته ، وفيه دليل على ان الله عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية فى قولهم ان الله فى كل مكان وليس على العرش ، والدليل على صحة ما قال اهل الحق فى ذلك قوله تعالى (الرحمان على العرش استوى) وقوله تعالى (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون) وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وقوله تعالى (اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وقوله تبارك اسمه (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض) وقال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) ، وهذا من العلو وكذلك قوله تعالى (العلي العظيم) و (الكبير المتعال) و (رفيع الدرجات ذو العرش) و (يخافون ربهم من فوقهم) ، والجهمي يقول انه اسفل ، وقوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) (والذين عند ربك يسبحون له)، وقوله (تعرج الملائكة والروح اليه) ، والعروج هو الصعود ، واما قوله (اني متوفيك ورافعك الي) وقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) و (ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه) ، واما قوله (أأمنتم من فى السماء) فمعناه من على السماء يعني العرش وقد تكون فى بمعنى على الا ترى الى قوله تعالى (فسيحوا فى الارض) اي على الارض وكذلك قوله تعالى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) ، وهذا كله يعضده قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) .

وما كان مثله مما تلونا من الآيات فى هذا الباب وهذه الايات كلها واضحات فى ابطال قول المعتزلة ، واما ادعاؤهم المجاز فى الاستواء وقولهم فى تأويل استوى استولى فلا معنى له لانه غير ظاهر فى اللغة ، ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه احد وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام ان يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة انه اريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما انزل الينا من ربنا تعالى الا على ذلك وانما يوجه كلام الله تعالى على الاشهر والاظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ اتباع المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات ، وجل الله ان يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهودات مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم فى اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه ، قال ابو عبيدة فى قوله تعالى (الرحمان على العرش استوى) ، قال علا ، قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت ، وقال غيره استوى استقر واحتج بقوله تعالى (ولما بلغ اشده واستوى) انتهى شبابه استقر فلم يكن فى شبابه مزيد ، قال ابن عبد البر الاستواء الاستقرار فى العلو

وبهذا خاطبنا الله تعالى فى كتابه المكنون فقال (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) ، وقال تعالى (واستوت على الجود) ، وقال تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) ، وقال الشاعر :

فاوردتهم ماء بفيفاء قفـــرة
وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز ان يتأول فيه احد استولى لان النجم لا يستولى ، وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا فى علم الديانة واللغة ، قال حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال أتيت ابا ربيعة الاعرابي وكان من أعلم ما رأيت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد السلام ، وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا أعرابي الى جانبه انه امركم ان ترتفعوا فقال الخليل هو من قول الله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) ، فصعدنا اليه قال واما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن ابراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه عن بن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى (الرحمان على العرش استوى) قال استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان ، فالجواب ان هذا حديث منكر على بن عباس رضي الله عنهما ونقلته مجهولة وضعفاء ، فاما عبد الله ابن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وابراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون اخبار الاحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث ، لو عقلوا وانصفوا ، اما سمعوا الله تعالى حيث يقول (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول الاهي فى السماء وفرعون يظنه كاذبا ، وقال الشاعر .

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره
ومن هو فوق العرش فرد موحـد
مليك على عرش السماء مهيمـن
لعزته تعنو الوجوه وتسجـد

وهذا الشعر لامية بن أبي الصلت وفيه يقول فى وصف الملائكة :

وساجدهم لا يرفع الدهر راسه
يعظم ربـا فوقـه ويمجـد

قال فان احتجوا بقوله تعالى (وهو الذي فى السماء اله وفى الارض اله) وبقول تعالى (وهو الله فى السموات وفى الارض) وبقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) وزعموا ان الله سبحانه فى كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده قيل لا خلاف بيننا وبينكم وسائر الامم انه ليس فى الارض دون السماء بذاته ، فوجب حمل الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك انه فى السماء اله معبود من اهل السماء وفى الارض اله معبود من اهل الارض ، وكذا قال اهل العلم بالتفسير وظاهر هذا التنزيل يشهد انه على العرش فالاختلاف فى ذلك ساقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر ، واما قوله فى الآية الاخرى (وفى الارض اله) فالاجتماع والاتفاق قد بينا ان المراد انه معبود من اهل الارض فتدبر هذا فانه قاطع ومن الحجج أيضا فى انه عز وجل على العرش فوق السموات السبع ان الموحدين اجمعين من العرب والعجم اذا اكبرهم امرا ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا اشهر واعرف عند الخاصة والعامة من ان يحتاج فيه الى اكثر من حكايته لانه اضطراري لا يوافقهم (1) عليه احد ولا انكره عليهم مسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم للامة التي اراد مولاها عتقها ان كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لها أين الله فأشارت الى السماء ثم قال لها من أنا قالت أنت رسول الله ، قال اعتقها فانها مؤمنة فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء واستغنى بذلك عما سواه ، قال واما احتجاجهم بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية لان علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل فى القرءان قالوا فى تأويل هذه الاية هو على العرش وعلمه فى كل مكان وما خالفهم فى ذلك احد يحتج به ، وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) ، قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا ، قال وبلغني عن سفيان الثوري مثله ، قال سنيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم ابن بهدلة عن زر بن حبيش عن بن مسعود رضي الله عنه قال الله فوق العرش وعلمه فى كل مكان لا يخفى عليه شيء من اعمالكم .

(1) اضطرار كذا فى الاصل وفيه اضراب فلعله فيه تحريف .

((عقيدة بن ابي زيد القيرواني صاحب الرسالة))

قال الحافظ بن القيم فى الكتاب المذكور ذكر قول الامام مالك الصغير ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني ثم ذكر عقيدته فى الرسالة وهي مشهورة ثم قال بن القيم وذكر اي بن ابي زيد فى كتابه المفرد فى السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته اتم تقرير فقال له فصل فيما اجتمعت عليه الامة من امور الديانة فى السنن التي خلا فيها بدعة وضلالة ان الله سبحانه له الاسماء الحسنى والصفات العلى وذكر صفات الله تعالى التي اثبتها لنفسه واثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى الى ان قال وان يديه مبسوطتان والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وان يديه غير نعمته فى ذلك ، وفى قوله تعالى (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وانه يجيء يوم القيامة بعد ان لم يكن جائيا والملك صفاصفا لعرض الامم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وانه يرضي ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه وانه فوق سمواته على عرشه دون ارضه وانه فى كل مكان بعلمه ومضى فى ذكر عقائد اهل السنة الى ان قال وكل ما قدمناه فهو قول اهل السنة وائمة الناس فى الفقه والحديث وكله قول مالك فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه ، ثم قال بن القيم فى الكتاب المذكور وقال يعني ابن ابي زيد القيرواني فى مختصر المدونة وانه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون ارضه رضي الله عنه ما كان اصلبه فى السنة واقومه بها .

قال محمد تقي الدين فان قلت اليس مؤلفو كتب الاشعرية المتاخرون الذين طعنت فى عقائدهم قد اخذوا عقائدهم عن الامام الاشعري وهو علم من اعلام السنة فالجواب ان ابا الحسن الاشعري رحمه الله بريء منهم براءة الذئب من دم يعقوب فانه رحمه الله ذكر عقيدته التي هي عقيدة جميع اهل السنة فى كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين وهو مطبوع موجود فى الاسواق وذكر عقيدته ايضا فى كتابه الابانة فى اصول الديانة وهو مطبوع كذلك فى حيدر اباد الهند ، وذكر الحافظ بن عساكر عقيدة الامام ابى الحسن الاشعري فى كتابه تبين كذب المفترى فيما نسب الى فن ابي الحسن الاشعري فهذه الكتب الثلاثة تبرىء ابا الحسن الاشعري من عقيدة الجهمية التي نسبها اليه المتاخرون كذبا وافتراء وينبغي ان يعلم ان هذا الامام مرت عليه ثلاثة اطوار كان فى اول امره معتزليا ثم صار كلابيا ثم انتقل الى عقيدة السلف والف ما تقدم فلا يحل لاحد ان ينسب اليه شيئا من العقائد التي تاب منها ورجع عنها وسانقل هنا نبذة يسيرة من كلام الامام رحمه الله تعالى قال الامام ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة 330 من الهجرة فى الكتاب المذكور اعلاه صفحة 320 طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة 1369 ما نصه (حكاية جملة قول اصحاب الحديث واهل السنة) جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وان الله سبحانه اله واحد فرد صمد ثم مضى فى ذكر صفات الله تعالى الى ان قال وان الله سبحانه على عرشه كما قال (الرحمان على العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدي) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) وان له عينين بلا كيف وكما قال (تجري باعيننا) وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ومضى الى ان قال ويقولون ان القرءان كلام الله غير مخلوق والكلام فى الوقف واللفظ من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرءان مخلوق ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون ان الله سبحانه يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون ، قال الله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ومضى الى ان قال ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء فى الحديث ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) .

ويرون اتباع من سلف من ائمة الدين والا يبتدعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة خلف كل امام بر وفاجر ومضي الى ان قال فى آخر المقال ولكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل واليه المصير انتهى .

قال محمد تقي الدين الهلالي فقد تبين ووضح وضوح الشمس فى الضحى ان السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين من اصحاب مالك

وغيرهم يمرون ايات الصفات واحاديثها على ما تفهم العرب فى كلامها على ظواهرها من غير تحريف ولاتاويل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وعلمت ان الامام محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي رحمه الله تصدى لاصلاح عظيم وهو اصلاح العقيدة التي ينبني عليها دين المؤمن وسائر اعماله ونخلفه جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله بروح من عنده ينسج على منواله، ونرجو ان يوفقه الله تعالى لاتمام هذا الاصلاح ، وما ذلك على همته العالية بعزيز ، وقال الامام ابو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد امام الحرمين المتوفى فى سنة 438 هـ فى رسالته الموسومة برسالة اثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ما نصه اعلموا ايدكم الله ووفقكم لطاعته انني كنت برهة من الدهر متحيرا فى ثلاث مسائل ، مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت فى القرءان المجيد ، وكنت متحيرا فى الاقوال المختلفة الموجودة فى كتب اهل العصر فى جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها او امرارها والوقوف فيها او اثباتها بلا تاويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص فى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات ، وكذلك فى اثبات العلو والفوقية ، وكذلك فى الحرف والصوت ثم اجد المتأخرين من المتكلمين فى كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم ويؤول النزول بنزول الامر ويؤول اليدين بالقدرتين او النعمتين وامثال ذلك . ثم اجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم وممن ذهب الى هذه الاقوال او بعضها قوم لهم فى صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، عرفت فرائض ديني واحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام ، لفضلهم وعلمهم ، ثم انني مع ذلك أجد فى قلبي من هذه التاويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها واجد الكدر والظلمة منها ، واجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها فكنت كالمتحير المضطرب فى تحيره المتململ من قلبه فى تقلبه وتغيره وكنت اخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ، ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اجدها نصوصا تشير الى حقائق هذه المعاني واجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها واعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضر فى مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي والجافي ، ثم لا اجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تؤولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر وغير ذلك ، ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه فى صفته لله من الفوقية واليدين وغيرها ، ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات صفات اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية القهرية ويد القدرة والنعمة وغير ذلك ، واجد الله عز وجل يقول (الرحمان على العرش استوى) (خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش) (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (أامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض) (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) (قل نزله روح القدس من ربك) (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) ، وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ، ولهذا قال واني لاظنه كاذبا ، وقوله تعالى (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) ، ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قاب قوسين او ادنى ، ثم قوله صلى الله عليم وسلم فى الحديث الصحيح للجارية (اين الله فقالت فى السماء) فلم ينكر عليها بحضرة اصحابه ، وقال اعتقها فانها مؤمنة وفى حديث جبير بن مطعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق ارضه مثل القبة ، واشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة ، وقوله صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا اهل الارض يرحمكم من فى السماء) ، اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ، وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا او اشتكى اخ له فليقل ربنا الله الذي فى السماء تقدس اسمك امرك فى السماء والارض كما رحمتك فى السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيبرأ) اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال بعث على من اليمن بذهيبة

فى اديم مقروظ لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة زيد الخير والاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة او عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض الصحابة من الانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا تأمنوني وانا امين من فى السماء ياتيني خبر من فى السماء صباحا مساء اخرجه الخباري ومسلم ، ثم ذكر حديث ابي هريرة الذي رواه الامام احمد والحاكم وقال على شرطهما وفيه صفة قبض روح المؤمن وان الملائكة يصعدون بها من سماء الى سماء حتى تنتهي الى التي فيها الله عز وجل، ثم ذكر حديث البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها ، وسرد أحاديث اخرى لا يتسع المقام لذكرها الى ان قال ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وانه ليس له الا جهتا العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة ان يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل الا المركز وهو الوسط ، ومضى فى تقرير ما تقدم توضيحه الى ان قال واما مسالة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم بالقرءان المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق والقرءان المجيد) وكذلك جاء فى الحديث فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، وفى الحديث لا اقول الم حرف ولكن الف حرف لام حرف ميم حرف فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى الا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا ان قلنا بالحروف فذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات وكذلك اذا قلنا بالصوت ادى ذلك الى الحلق والحنجرة عملوا فى هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات والتحقيق ، هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه قادر والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات ، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة . كلام الله تعالى كما يليق به ، ثم قال فان قيل فهذا الذي يقراه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو قلنا لا بل القارىء يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مؤديا مبلغا ولفظ القارىء فى غير القرءان مخلوق وفى القرءان لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ، ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرءان مخلوق لانه لا يتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرءان غير مخلوق فان لفظ العبد فى غير التلاوة مخلوق وفى التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام فى ذلك الى القول بخلق القرءان وما امر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق .

قال محمد تقي الدين قوله ولهذا منع السلف عن عن قول لفظي بالقرآن مخلوق لانه لايتميز رب مشاغب يقول كيف لا يتميز كلام الخالق من كلام المخلوق ، اليس هذا هو التشبيه الذي فررتم منه أو اتحاد الكلامين ، فالجواب ان الكلام ينسب الى قائله الاول كما أشار اليه الشيخ فيما تقدم ، فما تقول أيها المشاغب فى قوله تعالى فى سورة التوبة (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه) ، وهذا المستجير انما يسمع كلام الله من لسان النبي صلى الله عليه وسلم لا من الله تعالى ومع ذلك سماه الله كلامه ، فالقرءان كلام الله اذا تكلم الله به او تكلم به رسوله صلى الله عليه وسلم أو غيره من القراء هو فى ذلك كله كلام الله ، واللفظية المبتدعون ينكرون ذلك وهم محجوجون بهذه الآية وغيرها من الحجج المتقدمة ، وكان بودي أن أوضح مواضع أخرى مما نقلته لكني رايت ان هذا المقال قد طال ، وأختمه بأن أتضرع الى الله تعالى متوسلا اليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبمحبتنا لنبيه الكريم واتباعنا له أن يطيل عمر مليكنا الهمام ابى محمد الحسن الثاني وولي عهده سيدي محمد ويبارك فيه وفى ذريته وأهل بيته ويوفقه لبناء صروح المعالي ويحرصه بعينه التي لا تنام من كيد الكائدين ومكر الماكرين انه سميع مجيب. وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين وصحبته الاكرمين . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة : د محمد تقي الدين الهلالي

طلائع النصر :

أكبرت في المغرب السباق عاهله
لقد تباهى به الاسلام والعرب



للاستاذ الشاعر محمد الحلوي

الله اكبر ! ان النصر يقترب — وجيش صهيون من سيناء ينسحب!
قد زلزل البغي وانهارت قواعده — فالارض من تحته احشاؤها لهب
من بعد ما شمخت فى ارضنا زمنا — قلاعه طاطات هاماتها التوب
كانها لم تكن يوما ولا رصدت — قنالنا تتحدانا وترتقب
من بعد غطرسة الباغي ونخوته — سكران يختال فى كبر ويغتصب
قمنا نذكر صهيونا وقد نسيت — ان الذين غزوا اوطانهم عرب !
لا يركعون لباغ جاء يرغمهم — وليس يرهبهم شيء اذا غضبوا
من بعد ما امنت صهيون ثورتنا — وآمنت انما الدنيا لمن غلبوا
ثرنا فدارت عليهم شر دائرة — لم يشهدوا بعدها فيما به نكبوا
فوق القنال وفى الجولان ملحمة — لم تروِ اهوالها الاحقاب والكتب
كم خيم الصمت فى ساحاتنا وشكت — سيوفنا وهي فى الاغماد تضطرب !
وكم دعونا لهذا اليوم قادتنا — وكم اقمنا على الاطلال ننتحب !
حتى استجابوا وهبوا من مرابضهم — فحققوا معجزات شأنها عجب !

— ◆ —

لله ابطال مصر فى تدفقهم — عبر القنال وبحر الموت يصطخب
مدوا اليهم جسور الموت فاغرة — أفواهها حية فى زحفها العطب

دبت عليها جبال وهي ثابتة ... لم يثنها سبب واه ولا طنب
مادت وقد سمعت الله اكبر في ... عرض القنال كما لو مسها طرب !!
وكالقضاء وكالطوفان مندفعا ... تدفق الجند في سينائه يثب
يعانق الموت في صبر ويكتب في ... لوح الخلود سطورا حبرها ذهب
فجرعوهم كؤوسا غير سائغة ... لم يجرعوا مثلها يوما ولا شربوا
وصوبوا النار للاجواء حامية ... كانها وهي تسعى نحوهم شهب !
صواعق من تلامسه شرارتها ... يهوي ومن هربت لم ينجها الهرب !
كأن في جوفها سرا لقوته ... كل الحوائم في الاجواء تنجذب !
من اخطاته المنايا في قذائفنا ... يقتله حين يرى نيرانها الرعب
تغار منها الرماح السمر مشرعة ... وتستحيي من ضحايا نارها القضب!
بالامس كانوا يجوبون القضاء ولا ... ينالهم رهق منا ولا نصب
واليوم لا يركب الاجواء طائرهم ... الا تلاحق منا خلفه الطلب !
لم يجدنا مجلس للامن منعقد ... ولا قرار ولا شكوى ولا خطب
ولم نثق بسلام من قراصنة ... موتى الضمائر لا دين ولا ادب

— ◆ —

وانذك كالرمل (بارليف) وكان له ... درعا به يحتمي الباغي ويحتجب
كم من جهود ومن مال ومن زمن ... انهار في هجمة قد شنها العرب !
يا عابري البحر حيا الله وثبتكم ... ما كان اروعها يا خير من ركبوا
متن البحور وقادوا الجند وابتدروا ... لنصرة الوطن الغالي اذا انتدبوا
لقد كشفتم عن الاوطان غمتها ... ويأسها وانجلت عن فجرها الحجب
ما كان اشامه عيدا اطل على ... افراحهم بالمآسي وهو مكتئب !
قد كان للعرب فجرا طالما انتظروا ... بزوغ طلعته الغراء وارتقبوا
وجه العروبة فيه مشرق نضر ... ووجه صهيون منه كالح شحب !
((كيبور)) كان لهم نحسا ومشامة ... حلت بمقدمه الاحزان والكرب !!
ما كان اجدرهم ان يجعلوه غدا ... عيد الهزيمة ، لا خمر ولا نخب
كم من محافل عادت ماتما سكبوا ... فيه الدموع، وكم صاحوا وكم ندبوا!
من بعد ما امنوا مكر السماء بهم ... لانهم من لباب الخلق انتخبوا
قد زعزعت حرب رمضان هياكلهم ... فانهار مجد على الاوهام منتصب
ومزقت عن وجوه البغي اقنعة ... من خلفها الخزي والاجرام والكذب
لم يجدهم عطف نيكسون وشيعته ... وطائراتهم (الفانتوم) والذهب

حلم تبخر والاحلام خادعة ... قد تمتع النفس الا انها لعب
فقل لمائير انا عائدون لها ... وانفها - وهو ضخم - مرغم ترب
أوطاننا تلك نفديها بما ملكت ... ايماننا ولها ارواحنا قرب
والمسجد الاعظم الاقصى وقبلتنا الاو ... لى وصخرته الشماء والعتب
يحز فى النفس ان تحيا مدنسة ... رحابها بين ايدي المعتدي سلب

— ◆ —

وغضبة العرب فى الجولان ملحمة ... تنهد من هولها الكثبان والهضب
لم يبق فيها مكان غير مشتعل ... ولا معاقل الا وهي تلتهب
كانما الليل صبح من تأججها ... وجند صهيون من اشلائه الحطب
اكبرت فى المغرب السباق عاهله ... لقد تباهى به الاسلام والعرب !
هناك شاد سدودا من اشاوسنا ... بالموت تقذف لا بالماء ينسرب !
يا من راى الاسد فى الجولان رابضة ... بلغ سلامي اليهم كلما وثبوا
كأن عيني تراهم فى مرابضهم ... يصلون اعداءهم نارا لها خبب
ويا كتائب فتح لا عدمتكم ... اسدا تميت اعاديها كما يجب
لقنتموه دروسا جد قاسية ... يكاد ينهد فيها مجده الخرب
ان فاتني ان ارى بالعين معركة ... ولم يتح لي الى جناتها سبب
فقد رايت بقلبي وهو يصدقني ... مواكب النصر والاسعاد تقترب
نم يا صلاح قرير العين مغتبطا ... فاننا فى الوغى احفادك النجب
حسب العروبة نصرا انها انتفضت ... وشملها اليوم شمل ليس ينشعب
حطين تشهد واليرموك شاخصة ... ابصارها وربى انوال ترتقب
ان يدرك النصر قومي فهو عادتهم ... وان تكن للعدى فالدهر ينقلب !

تطوان - محمد الحلوي

عبد الرحمن الجامعي الفاسي

حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير..

للأستاذ محمد المنوني

عرفت المائة الهجرية الحادية عشرة مجموعة من الادباء المغاربة ، وكان بينهم اديب لم يستمر في اقامته بالمغرب ، وانتقل لبث معارفه بالجزائر فتونس ، وهذا هو عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي الفاسي .

ونتبين من نسبه انه ينتمي الى فريق اولاد جامع : القبيلة العربية النازلة شمال فاس (1) ، حيث ينتقل اوزاع منهم للسكنى داخل نفس المدينة، وبالضبط قد يكون ذلك بفاس الجديد ، التي يبدو انها كانت مستقر اسرة المترجم ومكان ولادته عام 1087 هـ / 1676 – 77 م ، غير ان المصدر المعني بالامر (2) يكتفي بالاشارة الى ولادته ودراسته بفاس دون تحديد .

وحسب المتعارف آنذاك فقد تناولت دراسة المترجم على اساتذته ـ القرآن الكريم ، وعلوم اللغة العربية ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، وكان تفوقه اكثر في المواد اللسانية ، والمعارف الادبية .

والى هنا ستقف معلوماتنا عن حياة المترجم بفاس والمغرب ، وسنلتقي به ـ بعد هذا ـ بالجزائر ، دون ان نعرف ـ بالتحديد ـ تاريخ انتقاله الى المغرب الاوسط ، غير انه نفسه يشير الى اقامته بتلمسان

(*) كانت هذه المجلة نشرت دراستين لصاحب هذا المقال كالتالي :
ـ « ملامح الحركة الادبية في العصر العلوي الاول » : العدد الاول ، السنة 15 ـ ص 82 ـ 89
ـ « ملامح الحركة الادبية في العصر العلوي الثاني » : العدد الثامن، السنة 15 ـ ص 84 ـ 87.
وتعتبر هذه الدراسة الجديدة تكملة للموضوع الاول .

(1) انظر عن هذا القبيل وتفرعاته : مخطوطة ارجوزة الاقنوم للفاسي ، عند « باب : العرب المستعجمة من بادية زماننا » .

(2) « ذيل بشائر اهل الايمان ، في فتوحات آل عثمان » ، للمؤرخ التونسي حسين خوجه الحنفي، المطبعة الرسمية بتونس ، عام 1326 هـ / 1908 م ـ ص 165 ـ 166 ، مع الرجوع الى مخطوطة نفس المصدر ، بالمكتبة الملكية رقم 9153 .

اوان الفتح الاول لمدينة وهران ، وقد وقع اوائل عام 1119 (3) هـ / 1707 م .

ولا ندري على وجه التحقيق ــ سبب انتقال صاحبنا عن المغرب ، وقد تشير لذلك فقرة وردت فى مكتوب خاطب به الداي الجزائري: محمد بكداش، وهو يقول فيه : « وجدير بمن شحذت سبيكته الذهبية المحن الزمانية فخلصت من الشوب ، واذابت كورته التركيبية فابرزت نضارتها من لباب الذوب ، ان يستعمل تدبيره فى انقاذ عبد ما زال فرارا من نار المحن وهي تحله وتعقده ، ومطارق النكبات تنتظر قبضه وترصده » (4) .

ويبدو ان حرفة الادب لاحقت الاديب الجامعي وهو فى مهجره الاول ، فما كاد يطيب له العيش بالجزائر حتى ينتقل عنها الى تونس اواخر عام 1122 هـ / (5) 1711 م ، ولا شك ان هذا الارتحال ناشيء عن حادث مقتل الداي بكداش فى نفس العام (6) ، بعدما صار المترجم يعيش فى كنف رعايته .

وفى تونس ينتهي المطاف بالرحال المغربي ، وقد صار من المؤكد انه اتخذ منها دار قرار ، ومن الاشارات فى هذا الصدد انه فى عام 1126 هـ نظم بيتين من الشعر ليؤرخ بهما تمام المدرسة الحسينية الكبرى (7) ، وهذه من مشيدات مدينة تونس ، يضاف لهذا سياق ترجمته فى « ذيل بشائر أهل الايمان » ، وسنعرضها من بعد ، حيث يتبين ان النزيل المغربي حين كتابة الترجمة كان لا يزال بقيد الحياة ، مع ملاحظة ان هذا المصدر انما فرغ منه مؤلفه عام 1137 هـ (8) .

وبعد هذا يبدو ان وفاة الجامعي وقعت فى نفس الحاضرة التونسية ، وهو ما يمكن ان نستفيده من رثائه من جهة اديب تونسي بقصيدة على روي العين من بحر الكامل (9) .

— * —

والآن ــ بعد هذا العرض ــ فان المصادر المغربية المعروفة اهملت ــ بالمرة ــ ذكر المترجم ، ولا يستثنى من هذا سوى اشارات قليلة وردت فى مؤلف للجامعي نفسه ، ولحسن الحظ فان بعض المصادر الجزائرية والتونسية تلقي اضواء على ثقافة صاحبنا ، وبالخصوص عن نشاطه الادبي فى مهجره بالمغربين : الاوسط والادنى ، بعد ما كان لمصادرهما فضل الكشف عن جوانب اخرى من حياة اديبنا المغربي .

وهكذا : فان المترجم اشتغل فى تلمسان ، بتدريس مادتي النحو والبيان (10) ، وفى مدينة الجزائر كتب شرحا على ارجوزة الحلفاوي فى فتح مدينة وهران ، كما صدر عنه الشعر الرائع ، والترسيل البليغ ، بمناسبة هذا الفتح ، او فى مطارحته مع اديب الجزائر : محمد بن محمد الشهير « بابن علي » (11) القلفلي ، المفتي الحنفي .

---

(3) « شرح المترجم لارجوزة الحلفاوي فى فتح مدينة وهران » ، وهو مخطوط سنتحدث عنه من بعد : نسخة خاصة ــ ص 115 مع ص 85 .

(4) ورد النص الكامل لهذا المكتوب فى : « التحفة المرضية . فى الدولة البكداشية » ، تأليف محمد بن ميمون الجزائري ، وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم ، نشر دار الثقافة ببيروت ــ ص 196 ــ 198 .

(5) هذا التاريخ يستفاد من رحلة المترجم المعنونة« بنظم الدرر المديحية .. » وسيرد التعريف بها ، مع عرض مقتطفات منها فى ذيل هذه الدراسة .

(6) انظر عن هذا الحادث : مقدمة « التحفة المرضية » ــ ص 31 .

(7) ((ذيل بشائر اهل الايمان)) ــ ص 66 .

(8) المصدر الاخير ــ ص 246 .

(9) وردت الاشارة الى مطلع هذه المرثية : في « فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس » ، نشر دار الفتح ببيروت ــ ص 60 .

(10) شرح المترجم لارجوزة الحلفاوي : نسخة خاصة ــ ص 115 .

(11) سيرد فى ذيل هذه الدراسة طائفة من مختارات ادب المترجم الذى صدر عنه وهو بمدينة الجزائر ، وانظر عن مصادر ترجمة ابن علي : التعليق رقم 45 .

ومن العلماء او الادباء الآخرين الذين عرفهم بمدينة الجزائر او غيرها :

محمد بن احمد الحلفاوي التلمساني مفتيها ، وهو ناظم ارجوزة فتح مدينة وهران ، ويحليه بشيخنا (12) .

ثم الشيخ محمد مصطفى الرماصي القلعي ، حامل راية الفقه المالكي فى عصره ومصره (13) .

ومحمد بن ميمون الزواوي ثم الجزائري (14)، مؤلف التحفة المرضية ، فى الدولة البكداشية » .

ورابعا : ابو العباس احمد بن قاسم البوني عرف بابن ساسي ، زاره بمدينة بونة : (عنابة) ، واستجازه فأجازه (15) .

وسوى هذا فان ثقافة المترجم الادبية بهرت المعنيين بالامر فى الجزائر ، وهو ما يشهد به مؤلف « التحفة المرضية » (16) ، فى فقرة مطولة نقتطف منها مايلي :

« .. الكاتب اللوذعي ، العالم الالمعي ، ابو زيد : السيد عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي نسبا، الفاسي منشأ ، الجزائري دارا ، وهو رجل وحيد الدهر ، بل فريد العصر ، لا اعلم اني لقيت مثله فى طريق الآداب ، ولا اشد كاهلا منه فى الانتخاب ... صدر عنه الشعر المعجب ان لم تقل المعجز ، والنظم الذي هو لوعد صدق براعته منجز)) .

وحينما انتقل المترجم الى تونس اشتهرت معارفه اكثر ، وصار له درس حفيل بجامع الزيتونة ، وألف – فى الفترة نفسها – « نظم الدرر المديحية فى محاسن الدولة الحسينية » : دولة الباي حسين بن علي بن تركي ، كما وضع شرحا على خطبة شرح تلخيص القزويني لسعد الدين التفتازاني ، ومن ادباء (الحاضرة) الذين اتصل بهم : محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج ، مؤلف « الحلل السندسية ، فى الاخبار التونسية » (17) .

وقد عقد له المؤرخ التونسي حسين خوجة الحنفي ترجمة (18) كشفت عن جوانب من حياته بفاس ثم بتونس ، وسنثبت معظمها فيما يلي :

« .. العالم العارف ، جامع العلوم والمعارف ، الاديب اللبيب ، الوجيه ، صاحب العقل الرجيح ، الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عبد الله الشهير بالجامعي ، تزايد بمدينة فاس سنة 1087 ، وحفظ بها القرآن العظيم .

ونشا فى طلب العلم عن والده ، وعن غيره من مشايخ العصر ، وحصل على علوم شتى .

واخذ النحو عن الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عمران الفاسي (19) .

ولازم الشيخ محمد العرافي (20) .

---

(12) شرح المترجم لارجوزة المذكور : المخطوطة المتكررة الذكر – ص 3 .

(13) المصدر الاخير – ص 53 ، وانظر عن ترجمته: « شجرة النور الزكية » ، ص 334 .

(14) نفس المصدر – ص 44 .

(15) « نظم الدرر المديحية » للمترجم ، فى فقرة سيرد نصها بذيل هذه الدراسة ، وقد نقل بعضها في « فهرس الفهارس » ، بمناسبة ترجمة البوني – ج 1 ص 169 – 172 ، وانظر عن ترجمته – ايضا – شجرة النور الزكية ، ص 329 – 330 .

(16) ص 184 – 187 .

(17) انظر المقتطفات الواردة بذيل هذه الدراسة من نظم الدرر المديحية للمترجم ، مع ذيل بشائر أهل الايمان – ص 167 ، وانظر عن ترجمة الوزير السراج ، ومصدرها : مقدمة الطبعة الجديدة لتاريخه : الحلل السندسية ، الدار التونسية ، الجزء الاول .. القسم الاول –ص 36– 124 ، ويحسن ان يضاف لهذا الترجمة ما جاء عن الوزير السراج فى المعروف من ((نظم الدرر المديحية)) للمترجم .

(18) ذيل بشائر اهل الايمان – ص 165 – 167 .

(19) ترجمته فى « سلوة الانفاس » – ج 1 ص 372 – 373 ، حيث يرد اسمه هكذا : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمران السلاسي ..

(20) يظهر انه يشير لمحمد – بفتح اوله – بن ادريس العراقي الحسيني ، الذى توجد ترجمته ومراجعها فى : سلوة الانفاس ج 2 ص 28 – 29 .

وسمع من الشيخ محمد الكماد القسنطيني (21)، واخذ عنه ابوابا من مختصر الشيخ خليل ، ومجالس من صحيح البخاري ، والتفسير مع كبار من مشايخه تطفلا وخدمة بين ايديهم .

وقرأ مختصر الشيخ خليل — ملازمة ومراجعة — على فقيه العصر والاوان ، منذ سنة 1100 ، الى الان : الحافظ ابي علي الحسن بن رحال (22) ، فسح الله فى عمره آمين ، وسمع عنه التفسير .

واخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد بن سليمان الاندلسي (23) ، على رواية ابي ذر الهروي .

ودراية عن خاتمة امناء العلماء : الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري (24) ، وعنه — ايضا — شمائل الترمذي .

وسمع مجالس صالحة من صحيح البخاري على الشيخ محمد بن محمد الفلالي (25) امام جامع المولى ادريس ، من سنة 1105 ، الى سنة 1108.

واخذ شفاء القاضي عياض — رواية ودراية من أوله الى آخره الا مجالس قليلة — على لسان العرب ابي عثمان سعيد بن احمد العميري التادلي (26) . وغيرهم .

— * —

وقدم الى مدينة تونس ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم : جامع الزيتونة ، وكان له درس عظيم ، ومحفل حسيم ، ومدحته العلماء ، وشكرته الطلبة واثنوا عليه .

له معرفة واطلاع على الكتب الغريبة ، واستخراج النكت العجيبة ، وله معرفة بارعة فى اللغة وعلم التاريخ واخبار الناس .

وله ولوع بالمقامات الحريرية وقلائد العقيان وديوان الشعراء الستة ، بالاخذ عن مشايخ : اجلهم خاتمة الادباء : الشيخ محمد بن قاسم ابن زكور(27) وغيرهم .

صاحب قريحة جيدة فى نظم الشعر البليغ لا يضاهى ، فريد عصره فى زماننا هذا ، له مهارة فى جميع الفنون .

قليل الكلام ليس بمهذار ، لا يتكلم الا بمقدار ، اذا سئل اجاب ، واذا قال اصاب ، وتكلم بفصل الخطاب ، حسن القامة ، جميل الصورة ، له ميل الى الانقطاع والخلوات ، صبور لا يتاسف على ما فات ، حمول لتكدرات الدهر وتقلبات الزمان ..»

هذه ترجمة الجامعي فى كتاب « ذيل بشائر اهل الايمان » ، وهي نفسها صارت موضوع تحليل لبعض جوانبها من جهة محمد الشاذلي النيفر (28) ، وكان ذلك بمناسبة استعراض المؤرخ التونسي للبارزين من اعلام البعثات التلقائية ، الوافدين من جامع القرويين بفاس ، الى جامع الزيتونة بتونس ، حيث كانت مساهمة المترجم كبيرة فى بعث المدرسة الادبية بالقطر الشقيق ،

وهكذا يعقب مؤرخ الخضراء ويقول :

(21) ترجمته ومراجعها فى المصدر الاخير — ج 2 ص 30 — 31 .
(22) ترجمته فى « نشر المثاني » — ج 2 ص 134— 135 .
(23) الصواب احمد بدل محمد ، وهو ابن العربي بن سليمان الغرناطي ثم الفاسي ، حيث توجد ترجمته ومرجعها فى « سلوة الانفاس » — ج 1 ص 291 — 292 .
(24) « نفس المصدر » — ج 2 ص 348 — 350 .
(25) وهكذا ورد نسبه — بالفاء — فى مخطوط المكتبة الملكية من هذا المصدر ، وفى المطبوع ورد الهلالي بالهاء ، والغالب ان الكل تصحيف عن الدلائي ، وهنا نتساءل ، هل المعني بالامر هو محمد بن محمد الشاذلي الدلائي ؟ وقد اثبت الكتاني ان مدفنه بفاس ، حسب سلوة الانفاس — ج 2 ص 89 .
(26) ترجمته فى نشر المثاني — ج 2 ص 117 .
(27) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » — ج 3 ص 180 .
(28) « الكتاب الذهبي لجامعة القروين ، بمناسبة ذكراها المائة بعد الالف » — ص 222 — 223 .

« .. وفي مقدمة رجال هذه المدرسة الشيخ عبد الرحمن الجامعي ، الوافد على تونس في ثالث القرن الثاني عشر ، بعد تمتين معارفه ودراسته على جلة من علماء القرويين ..

واعتنى بالادب عناية خاصة ، واخده عن شيخ الادب في المغرب : محمد بن قاسم ابن زاكور ، محيي الطريقة الادبية القومية ، وباعث الكتب الادبية المندسة بعد الاندثار والاهمال ، حتى اخذ الادب العربي الصحيح مكانه من اصوله المعتمدة في الدراسة الادبية في القرويين ، وبذلك تمثلت دراسة عصور الادب في مختلف بعض عصوره .

وكان هذا البعث من الشيخ ابن زاكور باعتنائه باصول الادب ، اذ شرح ديوان الحماسة ، وسماه : « عنوان النفاسة » ، كما شرح قلائد العقيان ، وسماه : « مقباس الفوائد بشرح ما خفي من القلائد » .

ونقل هذه الطريقة الى تونس الشيخ عبد الرحمن الجامعي ، فاعتنى مزيد الاعتناء - بثلاثة كتب هي من امهات الادب العربي ، وهي : « ديوان الشعراء الستة » ، و « المقامات الحريرية » ، و « قلائد العقيان » ..

والمتقي لهذه الاشعار للشعراء الستة هو الاعلم الشنتمري ... والمدرسة الشنتمرية تنوسيت ، فجدد العهد بها باحياء هذا الكتاب في تونس الشيخ الجامعي .. »

وتبعا لثقافة المترجم الادبية يبدو انه ثاقن الادب الزجلي ان لم يكن نظم على قوافيه ، كما يظهر انه يعرف قواعد الشعر الملحون ، ويقدر قيمته وبالخصوص من الوجهة التاريخية ، وسنستشف هذا من اشارات وردت خلال شرحه لارجوزة الحلفاوي في فتح وهران ، فهو يلاحظ عند تقديم قصيدة زجلية انها على طريق كلام المشارقة (29) ، بينما يميز اخرى بانها قصيدة عروبية من الملحون (30) .

وعن قيمة شعر الزجل يقول اثناء كلام : « .. كما تنقل - ان شاء الله - من النظم الملحون الذي قيل في هذا المعنى ما تدعو الضرورة اليه ، وما في ذلك من باس ، فانه في هذا القطر (الجزائر) لسان الكثير من الناس ، وقد عاب الحافظ ابن خلدون على كثير من مؤرخي عرب افريقية المستعجمة ، حيث تركوا رواية اشعارهم لما دخلها من اللحن والعجمة ، فكان في ذلك تضييع انسابهم وايامهم ، وطمس اخبارهم واعلامهم » (31) .

— * —

والآن نعرض مؤلفات المترجم في شيء من التفصيل ، مع تخمين ترتيبها حسب التسلسل التاريخي لوضعها .

ونذكر - اولا - « شرح ارجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران » ، وقد جاءت هذه المنظومة المشروحة من 72 بيتا تتفرع الى خمسة فصول :

في ذكر دولة الداي الجزائري محمد بكداش .

وانظمته العسكرية .

مع وصف حصار وهران .

وذكر مصير المعركة .

وخامسا : فصل ختامي : في الثناء على المنعم الاعلم الشنتمري ... والمدرسة الشنتمرية تنوسيت ، الناظم .

وتبرز اهمية هذا الشرح في التعاليق التي تحلل الفصول الثلاثة الاولى وهي تستوعب معظم الكتاب ، مما جعل هذا القسم مصدرا هاما لسيرة الداي بكداش وفتح مدينة وهران عام 1119 هـ ، مع افادات اخرى عن حياة المؤلف ، وعن اسماء ادبية عاصرها بالقطر الشقيق .

وقد جاء التنويه بهذا الشرح في « التحفة المرضية » (36) ، ثم في ذيل « بشائر اهل الايمان »

---

(29) شرح ارجوزة الحلفاوي : المخطوطة المتكررة الذكر - ص 41 .
(30) المصدر الاخير - ص 120 .
(31) نفس المصدر - ص 8 .
(32) ص 259 .

(33) ، وكان من اوائل الذين اعتمدوه محمد ابو راس الناصري المعسكري (34) .

لا يزال هذا الشرح مخطوطا: في نسختين بالمغرب والجزائر ، ونسخة ثالثة في المكتبة العبدلية بتونس رقم 4454 ، ويذكر انه مترجم الى الفرنسية .

اما الموضوع الثاني للمترجم فهو رحلته التي تحمل اسم : « التاج المشرق ، الجامع ليواقيت المغرب والمشرق » ، ولا تعرف الا من خلال اشارة المترجم لها في موضوعه الذي يأتي ثالث هذه اللائحة

وهو : « نظم الدرر المديحية ، في محاسن الدولة الحسينية » : دولة الباي التونسي : حسين بن علي بن تركي (35) ، واحد الآن لا يعرف هذا الكتاب بكامله ، والموجود شذرات منه اختلطت مع مختارات من ديوان الاديب الجزائري : محمد بن محمد المعروف بابن علي ، ومن غيره ، وتشتمل على الجميع قطعة ضمن مجموع ، خ. ع. ك 1387 ، ص 66 — 134 .

وقد صدرت هكذا : « ومن رحلة الاديب .. عبد الرحمن الجامعي المغربي ، التي ترجمها بنظم الدرر المديحية ، في محاسن الدولة الحسينية » ، ولاول مرة يبدو ان القطعة كلها مقتبسة من الرحلة الجامعية ، وبعد قراءة النص وتتبعه يتبين ان اكثره اجنبي عن نظم الدرر المديحية ، والذي منها هو اقله ، وهنا رجعت الى الموجود من رحلة احمد بن عمار الجزائري ، وهي — بدورها — تقتبس بعض محتويات النص المشار له دون ان تحدد المصدر في اغلب الحالات ، ومرة واحدة ينقل ابن عمار شذرات واردة — بعينها — في هذه القطعة ، ويعزوها الى تأليفه : « لواء النصر في فضلاء العصر » (36) ، ومن هنا قد نتبين ان القطعة المتكررة الذكر ، مأخوذة — باجمعها — من كتاب ابن عمار ، وبهذا يترجح ان هذه العملية قد ادت الى معرفة قسم مهم من كتاب لواء النصر ، بعدما كان يعتبر مفقودا فيما اظن .

ومن الجدير بالذكر ان القطعة المعنية بالامر ، يوجد ببعض هوامشها تعاليق قصيرة بامضاء ابن عمار نفسه (37) .

والى هنا سنصل الى الموضوع الرابع والاخير للمترجم ، وهو الذي يقول عنه خوجة الحنفي (38) اواخر الترجمة الجامعية : « وله شرح على خطبة السعد البياني » ، وواضح من هذا التعبير انه يشير لشرح سعد الدين التفتازاني ، على تلخيص المفتاح للقزويني ، غير ان هذا الف شرحين على التلخيص: مطول ومختصر ، وهذا ما لم يوضحه المصدر المشار له ، ويوجد في فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس (39) ، ذكر شرح خطبة المطول على تلخيص القزويني دون تسمية المؤلف ، فهل يكون هذا هو شرح المترجم المشار له ؟

— * —

وبعد هذا سنذيل هذه الدراسة بتقديم نماذج من ادب المترجم ، ونذكر — اولا — قصيدته في غرض التهنئة بفتح وهران عام 1119 هـ :

تلت رسل البشائر يوم عيد
علينا سورة الفتح السعيد

فاحييت من رسوم البشر رسما
عفا بالشرك مذ زمن مديد

واصبح وجه دين الله طلقا
ووجه الكفر في حزن الفقيد

(33) ص 167 .
(34) « الخبر المعرب ، عن الامر المقرب ، الحال بالاندلس وثغور المغرب » — عند اوائله ، خ .
(35) انظر عن دولته : « اتحاف اهل الزمان » لابن ابي الضياف ، المطبعة الرسمية بتونس — ج 2 ص 85 — 116 .
(36) « نحلة اللبيب ، باخبار الرحلة الى الحبيب »، مطبعة فونتانة في الجزائر ، عام 1323 هـ / 1904 م — ص 40 .
(37) انظر ص 93 . 95 . 99 من القطعة المشار لها .
(38) « ذيل بشائر اهل الايمان » — ص 167 .
(39) ص 196 — 197 .

ويا ربمـا تبسـم ذا ازدراء
بنا ويسومنا سوم العبيـد

وقد نفذ الوعيد فكان عيدا
لاهل الحق تنفيذ الوعيد

فيا حادي الرسائل مسفرات
بفتح الثغر مستحلي الورود

بحقك ان وردت عليه قبل
مباسمه عن الصب البعيد

وقل « وهران » يهنيك افتكاك
وانقاذ من الاسر الشديد

لك البشرى وللاسلام اخرى
بمنعك من يد الكفر العنيد

تذكر حيث كنت مناخ شرك
فعدت مقام شكر للحميد

وكنت مقام تثليث فاضحى
يقرر فيك توحيد المجيد

وبدلت النواقس في الزوايا
باذان وذكر من مجيد

جزى جيش «الجزائر» كل خير
اله الخلق ذو الملك العتيد

هم المستنقذوك وقد احاطت
بك الاعداء تطمع في المزيد

وها انت المجار فلست تخشى
عداة الدين اخوان القرود

فقد ذهبوا وما يرجون عودا
اليك فعش هنيئا في خلود

وكيف وقد غدوا والرعب يجري
بهم بين الطريدة والطريد

ولولا الليل جنهم لاضحوا
نهارا في مفلفلة القيود

ولولا انهم شردوا بليل
لكان القتل اجدر بالشريد

وقد ظنوا بان لهم نجاة
بمرسى الثغر من بعد الشرود

وهيهات النجاة لمن احاطت
به نار وبحر في صعيد

ولو اغنى التحصن عن قتيل
وحال السور من قدر المريد

لما فتحت بروجهم وهدت
معاقلهم بصاعقة الرعود

ولو عقلوا لما لجاوا لشيء
سوى دين التحية والسجود

وان لم يسجدوا لله طوعا
لقد سجدوا بمصلتة الهنود

وان فروا سندركهم قريبا
باندلس جنود من اسود

اسود غابها السمر العوالي
وموردها دماء ذوي الجحود

اذا غرسوا الرماح جنوا سريعا
ثمار النصر من ورق الحديد

عليهم من شذا الازهار أذكى
سلام لا يعقب بالنفود

(ختام ثده يهدي) الغوالي
مؤرخ ذلك الفتح السعيد (40)

1119 هـ

ويقرب من هذه الخريدة قصيدة اخرى للمترجم نقتطف منها ما يلي :

« لقد فتكت بالقلب فتك البواتر
عيون الظباء الآنسات الجآذر

وقدت بقد السمهري حشاشتي
ففاضت عيوني بالدما ومحاجري

رعى الله ظبيا قد رعى حب مهجتي
ولم يرع في نجد عرارا وحاجر

وما زلت ارعاه ويحسب انني
اخون له عهدا فيصبح هاجري

ويظهر احساني اليها اساءة
وبالعكس ما يبديه يبدو لناظري

(40) « التحفة المرضية » — ص 260 — 261 .

بدا حكم الحسن البديع له ولي
وما حاكم الحسن البديع بجائر

واني وان ابذلت عذري في الهوى
فلما عاذلي فيما أروم بعاذري

ايحسن عذل في ظباء عيونها
ظبي شرعت فتك الاسود الخوادر

تهز قدودا في دعوص (41) كأنها
بنود تثنت في جنود « الجزائر »

جنود بها الاسلام عز مناله
على كل جبار عنيد منافر

حموا بالصفاح البيض من كل عابث
حماه فلم يعبث به كف فاجر

فكم كسروا ثغرا به كانت العدا
تبسم في وجه من الدين كاشر

فياحادي الاظعان حث براكب
يؤم حماهم رغبة في الذخائر

وسر بي الى ذاك الرباط فانه
ذخيرة ساع للجهاد وزائر

وانك مهما جئته جئت روضة
مؤرجة ارجاؤها بالازاهر :

ديار بني عثمان — حيث تالقت
ضباب (42) ونور — مستقر المنافر

بلاد براس الغرب تاج مكلل
وخلخال سوق الشرق غير خوامر

بدت بمنصات الزمان كأنها
عروس تجلت في اعالي المنابر

وقد قادت من بحرها بموشح
وصيغت لها الامواج خلخال حاسر

ولاح بها باب الجزيرة مثلما
تبسم ثغر في وجوه البشائر

كأن مجاز البحر معصم غادة
تحلى سوارا واكتسى بجواهر

ولله ابراج بشاطيء بحرها
تحاكي النجوم الزهر في عين خازر

كأن ارياض الخضر محدقة بها
ذوائب اصداغ الوجوه النواضر

غصون وانهار وتلك لهذه
تحن فتحنو لاستلام الغرائر

فتبدو وقد حاك النسيم برودها
نصال رماح في زرود مشاجر

والله ما ضمته من كل منظر
حلاوته ما مر تلفى بخاطر

فدعني من غرناطة وربوعها
وشنيل فالحسن انتهى للجزائر

فما تفضل الحيراء بيضاء غادة
مقرطفة (43) بالبدر ذات غدائر

ومن لربوع بالجمال وقد غدت
كخط زبور في قديم الدفاتر

وهذي ربوع حاطها باحاطة
مؤلفه من ستره خير ساتر (44) »

وبعد القصيدتين الوهرانيتين ، هاهي مختارات من رحلة « نظم الدرر المديحية .. » .

« .. فأما مدينة فاس عمرها الله بدوام ذكره ، وامنها من مكره، وان كانت الذخائر اليها ترفع وتجلب، فالعلم — خصوصا الادب — كنز من غير اساس جدارها لا يخرج ولا يطلب ، وقد كنت الفت بها عيون اعيان ، ممن يشار اليهم في البيان بالبنان ، الممنا بذكر بعضهم في رحلتنا المسماة بـ « التاج المشرق ، الجامع ليواقيت المغرب والمشرق » ، كمل الله ترصيع تاجها بآل الحرمين ، وجمع فيها ما تفرق في البرين والبحرين .

---

(41) في « القاموس » : « الدعص بالكسر ، وبهاء : قطعة من الرمل مستديرة ، او الكثيب منه المجتمع ، او الصغير .. » .
(42) قد يكون ما هنا تصحيف من تالقت قباب بالقاف في الكلمتين .
(43) يبدو ان الحيراء في هذا البيت تصحيف عن الحمراء بالميم ، والقرطفة : القطيفة التي لها خمل .
(44) التحفة المرضية — ص 187 — 192 .

واما مدينة الجزائر ، فاول بلد لقيت بها مثـل من فارقته من اداء بلدي ، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي ، لاجتماعي بها بالاديب الماهـر ، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر ، اديب العلماء ، وعالم الادباء ، محيي طريقة لسان الديـن ابن الخطيـب ، الامام الخطيب ، بن الامام الخطيب ، بن الامام الخطيب ، ذي القدر العلي ، ابي عبد الله محمد بن محمـد المعروف بابن علي (45)، ابقى الله وجوده بالالطـاف محفوفا ، وبالنفحات الادبية منفوحا متحوفا .

رايته اول ما لقيته وانا لا اعـرف مسمـاه ، فرايت صورة تدل على حقيقـة الادب ومعنـاه ، فبادرني بسلام يوذن بعرفان سابق ، ويشهد بحب لاحق ، فشاهدت منه لطافة لو تجسدت الكانت مـاء زلالا ، وعاينت فيه ظرافة لو تعالت اود النسيـم ان يكون لها اعتلالا ، فتصافحنا مصافحـة الاغصـان والانهار ، وافترقنا وقد تحاتت ذنوبنا تحات ورق الاشجار ، ثم انشدني بعدما بنفسه عرفني :

رقة الجسم واهتـزاز القضيـب
خبرا منـك عن اغـر نجيـب

ادب بيننـا تاكـد منـه
نسـب والاديـب صنو الاديـب

والبيتان انشدهما لشهاب القاضي الافانـدي عند لقاء شيخ شيوخنا : ابي العبـاس المقيلـدي ، بالقاف المعقودة بالكاف (46) ، فحضرني ـ بعـد انشاده ما ذكر ـ في الحال ، قول من قال ، واظنه من مقولاتي ، لا من منقولاتي :

واذا الاديب مع الاديب تذاكـرا
كانا مـن الآداب فـي بستـان

ثم افترقنا بعد الدعاء والفاتحة ، على ان لا تكون خاتمة ـ ان شاء الله ـ لهذه الفاتحة ، ثم بعث لي بعدما فارقني قصيدة له ، نسجت على منوال رائية ابن زمرك التي مطلعها :

نفسي الفداء لشادن مهما خطر (47)

تخيرها من حر كلامه ، وبعثها الي لاقف علـى محله من البلاغة ، واعرف قدره بين ارباب البراعة، اذكرها هنا ليعرف الواقف عليها ان بالسويداء رجالا، وان بالزوايا خبايا ، وهي هذه :

بابي غزالا سيف مقلتـه شهـر
قاسيت فيه من الصبابة ما اشتهر

خنـث الكـلام ولا تخنـث غـادة
قمرية الاوصاف خامرهـا الخفـر

بعث الصدود الـى المنيـة باعثـا
فاذا علي قضى ـ تنصل واعتـذر

يدنو ويناى مثل ما الـف الرشـا
حذرا فان رمت الوثوب بـه نفـر

طعن الفـؤاد بسمهـري قوامـه
وبصارم الالحاظ صـال ولا مفـر

عجبـا له رشـا تحكـم في الهـوى
خفقت له الاحشاء واصل او هجر

ما لاح ينتهـب القلـوب جمالـه
الا وقال الناس : ما هذا بشـر

---

(45) الى جانب مستفادات هذه القطعة التي نعلق عليها ، انظر عن ترجمة ابن علي : « رحلـة ابـن عمار » الاتفة الذكـر ـ ص 35 ـ 85 ، مـع مقتبسـات يسيرة منها : في كتاب « تعريف الخلف برجال السلف » ، تاليف ابي القاسم محمـد الحفناوي ، مطبعة فونتانة بالجزائر ـ القسم الثاني منها ، ص 86 ـ 87 . ومقتبسات اخرى من نفس الرحلة مع اضافات جديـدة .. في كتـاب (صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ..) تاليف نور الدين عبد القادر ، مطبعـة البعـث بقسنطينـة ص : 196 ـ 198 و ص : 200 ـ 201 .

(46) القاضي الافاندي : هو قاضي القضاة شهـاب الدين الخفاجي المصري : احمـد بن محمـد بن عمر الحنفي ، حسب ترجمته في خلاصة الاثر ـ ج 1 ص 331 ـ 343 ، اما ابو العباس المقيلدي : فهو احمد بن سعيد قاضي فاس الجديدة وغيرها ، انظر عن ترجمته ومراجعها : سلوة الانفاس ج 3 ص 206 .

(47) قصيدة ابن زمرك المشار لها : اثبتها ابن عمار في رحلته ص 86 ـ 87 ، وقبله ذكرها المقري في كل من « ازهار الرياض » ج 2 ص 122 ـ 125 ، مع نفح الطيب » ، المطبعة الازهرية المصرية ـ ج 4 ص 325 ـ 327 .

فضح الغزالة واللآلىء والنقا (48)
مهمــا تطلــع او تبســم او خطــر

من لي به قمرا قضى قمر السمــا
بالحسن ـ مقتصرا ـ لطلعته وقر

يبدو مرصــع خــده كزبرجــد
قد سال فى صفحات هاتيك الدرر

عاصيت فيه عواذلي واحلــت مــا
القاه من حكم الغــرام على القــدر

وانا الــذى جهــل الحقيقــة اولا
فاجال بادرة اللحاظ ومــا شعــر

فارقت فيه نفائســا وجنيت منــ
ـه وساوسا ورويت عن طرق الفكر

والعشق ربتما يلــذ بــه الفتــى
وهو الجهول بما سينتجه النظــر

حتى اذا عكفــت عليــه رياحــه
ولى وقد الــف الكآبــة والسهــر

يا روضة ما كنت احســب ظلهــا
يضحى ودمعي فى جوانبهــا نهــر

مسح ـ فديتك ـ ماء جفنــي انه
مهما استمر على منابتــه اضــر

ولقــد علمــت بأن حبــك قاتلــي
لكن اذا نفذ القضا عمي البصــر

فارحم عزيزا مات فيــك صبابــة
وغني قوم للخضــوع قــد افتقــر

وكتب بعدها ما نصه : فليطالعها مولانا بعيــن الشفقة الادبية ، فانها من جر الكلام ، الذى اتبعت فيه الخواطر ، والسلام .

قلت : لو حكمت فى قوله : للخضوع ، لقلت بدله : للســؤال، للمناسبة اللفظية والمعنوية (49) .

ولما راقتني بدائع هذه القصيدة ، خاطبتــه عنها بقولي ، وان كان دون طوله مرماي وطولي :

خمائل الازهــار هبت فــى سحــر
ام نفثة من شــادن عقلــي سحــر

ام نفحــة شحريــة مــن نشرهــا
نشر النسيم عن الهوى طي الخبر

بل غادة ضربت عبيــر خمارهــا
بمقطــر الهنــدي فى مــاء الزهــر

وغدت تجر ذيولها حــول الحمــى
فتارجت دارين من ذاك المجر (50)

اكــرم بهــا مــن غــادة لو انهــا
لم يكسها انسان عاشقهــا الخفــر

خطرت وبيــن وصالهــا وغريمهــا
بحر الهوى فركبت فيه على خطر

ورمت لنا عن وجه صبــح مسفــر
ليل الخمار فقلــت ما هــذا بشــر

بل دوحة مطلولــة بــل قطعــة
شعرية مــاء البديــع بهــا انهمــر

وافت تذكرنــي الصبــا فاجبتهــا
اني ـ وحقك ـ اي بعيش قد غبر

ما شمت بارقــه لرشــف عذيبــه
الا وكان عقيق دمعــي لــي مطــر

واتــت تعاطينــــي حديثــــا دره
نثر القضا من لبتي فيمــا نثــر

ايــه فديتــك هاتــه وكانــه
كأس العقار متى تلــذ بــه عقــر

ومتى يصــخ سمعــي اليا فغنــه
بأبي غزالا سيــف مقلتــه شهــر

هذا الذي ارضى ـ وحقك ـ فى الهوى
نظما يشرف فى النحور على الدرر

(48) النقا بفتح اوله مقصــورا : الكثيــب من الرمل المجتمع الابيض .
(49) بعد هذه الفقرة بالذات ، تنتقل القطعة التى نعلق عليها الى موضوعات ادبية اجنبيــة عن الرحلــة الجامعية ، وبعد فصل كثير تأتي قصيدة المترجم فى الرد على زميله الجزائري ، وقد ابتت هنا اثر الاولى اعتبارا بالاتصال الواضــح بيــن موضوعي القصيدتين .
(50) دارين اسم لموضعين : بالشام . وبالبحرين ، والمــراد ان نشــر ذيولهــا يفــوح الى الجهــات البعيــدة .

ما كل من نظم القريض موفيا
في حقوقه في عين من عرف النظر

ودليله انشاد ذاك وقوله
نفس الفداء لشادن مهما خطر (51)

ومن هذه الرحلة الجامعية بعد كلام كثير ما نصه : وقد اعتقدت السفر اعتقادا جازما ، والفيت من الهوامل ما كان لفعله جازما الا اني لم ازل اقدم في ركوب البحر رجلا والاخر اخرى ، حتى رايته ـ لقصور النفقة ـ بي اولى واحرى ، فاستبدلت الفجاج والعجاج ، بالثجاج المجاج ، واقتحمت امتطاء مطي كافر (52) جامح للسلامة غير جانح ، ونسيت ما قال فيه ناعته ، لا يستقرب من البحر الا سلامته ، لا جرم ان الدر لا يلتقط دون غوص البحار ، ومن استسهل الصعب ادرك المنى ، ودون اجتناء العسل ما جنت نحله ، ولا يقطف الرطب الا من شاكه نخله

فركبنا من مرسى الجزائر حرسها الله على بلقاء حاتمية الجؤجؤ والاضلاع ، ذات اجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يلعب بها الريح فتطاوعه مطاوعة الاراكة للنسيم ، ويسقم بها الصحيح فلا يتمكن من التسقيم ، كانها حبشية (53) تصارع من عباب البحر ثعبانا ، وكان شراعها شيب قوديها مما اذاقها عتوا وطغيانا ، فامهلتنا ريثما قرانا آية نوح ، وطفق من احرقته من الاحباب لوعة البين ينوح ، ثم مدت اجنحتها للدبور الهبوب ، وطارت بالاجساد وخلفت القلوب ، فبقيت بأيدي المودعين خافقة الجوانح ، كما انتفضت الطرائد في مخالب الجوارح ، فانشدت في ذلك اقول ، وهو في معناه من بديع المقول :

اعان على البين والبين قاتلي
غراب ولكن بالشراع يطير

من الزنج مبيض السوابق سابق
لاغربة الاعراب (54) حيث يسير

لعمرك ما مد النوى واطالها
سوى الفلك في لج البحار تخور

وليس غراب البين الا غرابها
ولا ذنب عند العيس حين تثور

فكم بين مرجو اللحاق وسابح
يسير فلا يرجو لقاه مفير

فلم يزل الهوى يخفضنا تارة وتارة يرفعنا ، ويدفعنا طورا الى الهلاك ومنه حينا يمنعنا ، حتى هيج من البحر عبابه ، وقد اقام الليل عمود بيته الاسود وارخى اطنابه ، فبتنا بين محوقل وداع ، ورافع صوته بالاستحلال والوداع ، حتى انقض بازي الصباح ، وكسر من غراب الليل القوادم والجناح ، فصار البحر يسكن بنا تارة وتارة يموج ، وطورا يميل بنا الى حيث يميل الانس ويعوج ، حتى امتد من نور شمس اصيل اليوم الثاني مريء بهيج ، وكان ماء البحر ذائب فضة سال فيه من النضار خليج ، فاطللنا على اطلال بونة ، ثم راينا بيوتا انتظمت ذات محاسن غير منهوكة ولا مخبونة (55)، اوجدنا الله برؤيتها من العدم ثانيا ، وخرجنا من البحر اليها خروج الجنين من الرحم وانيا قد خلتها آما دار الشيخ الرباني ، العالم العرفاني ، الذي بنيت في هذه الرحلة المباركة على قواعد بركته اساسي ، ابي العباس احمد بن الولي الصالح ، البر الناجح ، ابي عبد الله قاسم، بن الولي الصالح، ابي عبد الله محمد المعروف ساسي ، رحم الله عددهم ، وقوى مددهم، فتيسر في الحال لقاؤه ، ودل على فرحه بملاقاتي مبالاته واعتناؤه ، فحيى ، طلق المحيا ، وانزلني بمنزل لاكرم اضيافه عليه مهيا ، فاقمت عنده

---

(51) ابتداء من قول هذه القطعة : واما مدينة الجزائر . . الى هنا : كله ورد عند ابن عمار منسوبا الى رحلة الجامعي ، حسب نحلة اللبيب ص 81 ـ85 ، ومن الجدير بالذكر ان هذه القصيدة الاخيرة والتي قبلها ، وردتا في هذا المصدر متصلتين دون فاصل اجنبي بينهما .

(52) الكافر من اسماء البحر .

(53) في القاموس : والحبشية من الابل الشديدة السواد .

(54) يقصد بذكر الزنج ان معظم المركب كان لونه السواد ، وقوله سابق لاغربة الاعراب : اشارة الى ان هذا المركب كان للافرنج .

(55) تلميح الى لقبين عروضيين : فالبيت المنهوك : هو الذي ذهب ثلثاه ؛ والخبن : حذف ثاني الجزء ساكنا .

برجا ملأ الفضاء ارتفاعا وامتدادا ، وزاحمــه قبــة الجوزاء فكان لها عمادا ، فعلمت انه منزل صاحـــب السعادة الابدية ، ودار امير الحضرة العلية ، فكبرت اجلالا وتمجيدا ، وانشدت مخاطبا لنفسي تبشيرا وتجريدا (57) :

خليلي هذي تونــس وديارهــا
دنت بعدما قد شط عنك مزارها

وهذي ربوع طالما كنت تشتهـي
تواصلها بانــت فبــان نفارهــا

سريت لها هل تحمد اليوم عندهــا
سراها وهل يثني عليــك قــرارها

وخضت لها بحرا عميقا ومن يشأ الـ
ـجواهر لم تعظم عليــه بحارهــا

وخاطرت في اخطار بيداء لو مشت
بها الغول يوما افزعتها قفارهـــا

وسنجتزي بهذه المطالع من القصيدة التونسية، مقتبسات الرحلة الجامعية بفقرة عن الاديب التونسي محمد الوزير السراج ، وهي تبتدي هكذا :

« .. وفي اليوم المذكور ، جمع الله بيني وبين ناظم الحضرة وناثرها ، اديبها الذى احيا الله به من رياض الادب مواتها ، واجرى بها من بلاغته نيـل محاسنها وقراءتها ، وشد لها سروج الالفـاظ على متون جياد المعاني فركبها ، وبسـط بهـا جواهـر بدائع المحسنات في صدور الطروس وركبها ، الاديب الشهير ، ابي عبـد الله محمد بن محمد الملقـب بالوزير المعروف بالسراج ، ادام الله بوجوده الابتهاج، فوقعت بيننا ــ بعد التعارف ــ مذاكرة قامت لهـا سوق الادب على سوقها ، وتبابعنا فيها مبايعة لا نزال ــ ان شاء الله ــ قائمين بحقوقها ، فكنت بعد ذلك ازوره بدكانه ، لاتنزه في بيانه وبنانــه ، فلـم يزل يونس وحشتي ، ويسلي غربتي ، حتى قدم الامير ــ نصره الله ــ من غيبته ، واستـهل هـلال طلعته في سماء حضرته، وكان ذلك اوائـل محـرم سنة 1123 .. » .

الرباط ــ محمد المنوني

---

(57) تلميح الى التجريد ، من المحسنات البديعية المعنوية ، ويتمثل هنا حيث جرد الشاعر من نفســه شخصا يعيش في مثل وضعيته ، وصار يخـاطبــه .

نظام الكتاتيب القرآنية في أيام الدولة العلوية



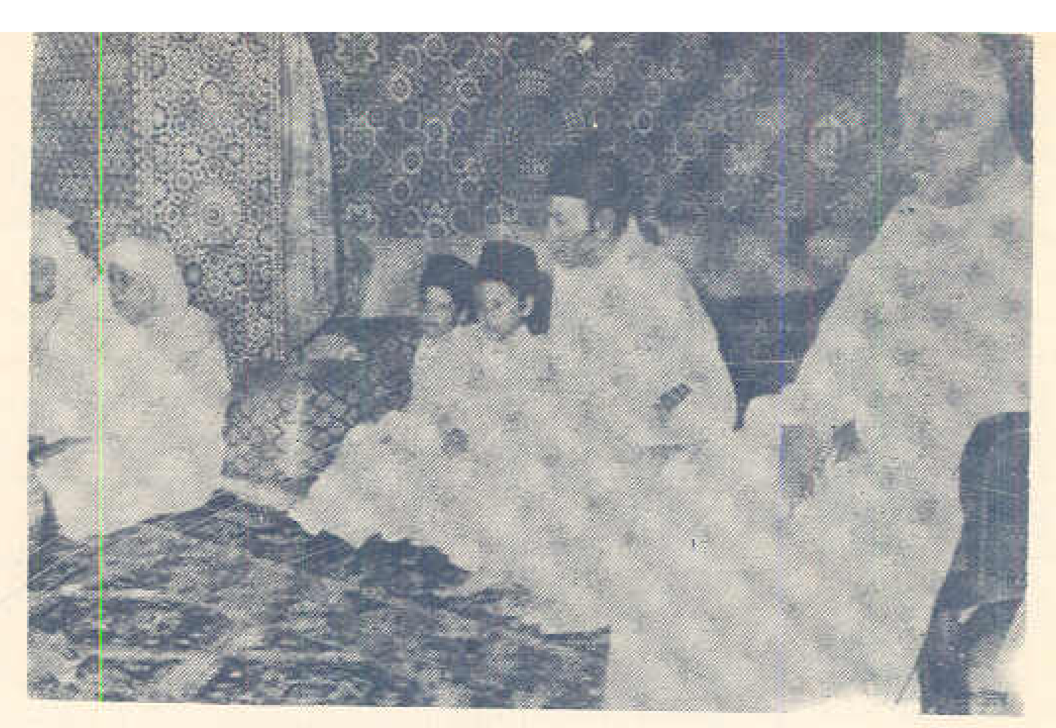
للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

اقبل سكان المغرب الاقصى على الدين الاسلامي بمجرد ما وصلته الدعوة المحمدية كأنهم كانوا على موعد معه ، وما لبثوا أن جعلوا يدخلون فى دين الله أفواجا عن رضى وطيب خاطر ، يتعلمون شعائر الدين الجديد ويعلمونها عن طريق اللغة العربية لبقية المواطنين ؛ فتغلغلت اللغة العربية فى نفوسهم وانتشر الاسلام فى كل مكان يدعو الناس الى الخير والاحسان ؛ واذا كان الشرق العربي ، مصدر الوحي ، بمثابة نقطة ارسال للاشعاع الديني واللغوي فى بداية الحملة الاسلامية فان بعض المدن المغربية كالقيروان وتلمسان وفاس كانت بمثابة نقطة ارتكاز واشعاع لتعاليم هذا الدين الحنيف والحضارة العربية فيما بعد ذلك ؛ يلاحظ ايضا ان الفضل فى تركيز الديانة الاسلامية فى بلدان المغرب العربي عامة يرجع الى المغرب الاقصى حيث كانت تتبلور حملات المجاهدين فى مراكز اشعاعية تنطلق منها الدعوة الاسلامية فى كل جهة ، وتستقر بفضلها اللغة العربية فى كل مكان باعتبارها أداة للتخاطب والتعامل بين كافة المؤمنين ؛ ثم كانت عناية الدول الاسلامية التي تعاقبت على المغرب الاقصى عناية خاصة بكل ما يتصل بنشر تعاليم الاسلام وتعليم اللغة العربية للكبار والصغار على السواء .

— × —

وظهرت هذه العناية بصورة أوضح عندما جعل الله أمر هذه الامة بين يدي ملوك الدولة العلوية الشريفة ؛ فراحوا يؤسسون المساجد والكتاتيب القرءانية فى كل جهة من جهات المملكة ، لا فرق بين سهولها وجبالها ، مدنها ودساكرها ، ومن ثم بات كتاب الله محفوظا فى صدور الرجال والنساء أحيانا ، والكل يعلم ان أهل المغرب لا يحتاجون الى الرجوع لكتاب الله فى كل حين لتحفيظه ؛ فهم يعتمدون فى ذلك على قوة حافظتهم التي مكنتهم من وعيه وحفظه فى صدورهم ؛ وذلك فضل من الله يوتيه من يشاء من عباده الصالحين .

هذا ولم تنقطع هذه السنة الحميدة يوما فى هذه البلاد بالنسبة لملوك الدولة العلوية سواء منهم السابقون أو اللاحقون ؛ فهم يعنون بكتاب الله ويقبلون على نشره فى ربوع المملكة كلها من اقصى البلاد الى اقصاها ؛ والدليل على ما نقول ما سنه جلالة الملك الحسن الثاني – نصره الله – منذ أن اعتلى كرسي أسلافه المكرمين من قرارات تهدف فى مبناها وفحواها الى العناية بشؤون الدين والاهتمام خاصة بالمحافظة على القرآن الكريم ؛ فقد خصص – حفظه الله – جانبا من مكتبته الزاخرة للمصاحف القرآنية وجميع ما يتعلق بها من التفاسير والشروح ، كما تظهر عنايته الدينية بكتاب الله فى بذل العطاء والنصح لكل من يهتمون بحفظ القرآن واقرائه ونشره ؛ ومن البراهين القاطعة الاخرى على محبته لكتاب الله وشغفه بحفظه وتحفيظه ، أنه وضع مادة القرآن الكريم فى طليعة المواد التي يعني بدراستها ولي عهده المحبوب سيد محمد أصلحه الله . وينتهزها جلالته فرصة طيبة عند حلول



العاهل يتفضل بتدشين عملية الكتاتيب القرآنيـــة فى
يـــوم 22 اكتوبـــر 1968



صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد وا خته صاحبة السمـو
للا مريم يرتلان كتاب الله مع اطفال حي السويسي فى الكتـــاب القرآنـــي
بمسجـــد كـراكشـــو

شهر رمضان المعظم من كل عام ؛ فيقيم داخل قصره العامر ـ جريا على سنة اسلافه المنعمين ـ حفلات دينية يقرأ فيها القرآن وتلقى بمناسبتها أحاديث قيمة ، يستمد القائمون بها عناصرها من آيات الله البينات .

فلا غرابة أن يمتاز ملوك الدولة العلوية على غيرهم من الملوك الذين تعاقبوا على هذه الديار بحرصهم على تعليم أبنائهم مبادىء الدين والقرءان الكريم منذ نعومة اظفارهم ؛ ومن أجل ذلك كانوا يختارون للقيام بهذه المهمة أمهر الاساتذة والمربين والعارفين بأساليب التربية ، المعروفين بالصلاح والعقيدة المتينة حتى يتمكنوا من توجيه أبنائهم وبناتهم توجيها صالحا يؤهلهم فيما افضت اليهم أمور الحكم من تسيير شؤون الدولة على أحسن وجه مستطاع ؛ فكانوا يفردون لهم جناحا من القصر الملكي في كل من عواصم مملكتهم بفاس ومكناس ومراكش والرباط ، يتلقى فيها أمراء الدولة تعليمهم الاولي ، بعيدين عن ضوضاء الحياة السياسية ؛ فلا تصرفهم عن الدرس والتحصيل عظمة الملك ولا فخفخة السلطان .

وغني عن البيان انه بقدر ما كان الملوك العلويون يعنون بتعليم أبنائهم وتربيتهم كذلك كانوا يهتمون بتثقيف بناتهم وتحليتهم بزينة العلوم والفنون ؛ وفي مقدمة ذلك حملهن على حفظ كتاب الله العزيز ، لا فرق بين شريفات ومشروفات ؛ فيستقدمون لهن ثلة من خيرة المعلمين وأطيبهم خلقا، وأشدهم نزاهة وأحمدهم صيتا وذكرا ، علما منهم بأن النساء شقائق الرجال في المعاملة والاحكام وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) ، وبعد أن يقع البث في تنظيم هذه الدروس ينقطع المعلمون لتهذيب الامراء والاميرات ، فلا يعود لهم شغل الا تعليمهم القراءة والكتابة وحفظ ما يتيسر من القرءان الكريم وتلقي الضروري من الدين مما لا يسع المكلف جهله شرعا .

وهذه الكتاتيب التي كان الملوك يحرصون على انشائها داخل القصور الملكية كانت توضع تحت رعاية متصرف يكلفونه بالاشراف عليها ماديا وأدبيا ، حرصا منهم قدس الله ارواحهم على تنشئة أبنائهم وبناتهم تنشئة حسنة مرضية ، واعطائهم ما يلين بالامراء والاميرات من تربية خلقية كريمة تستمد طهارتها من تعاليم الدين القويم .

هذا وكانت الفتاة على الخصوص لا تدخل الكتاب الا بمرافقة مربيتها والقائمة على شؤونها ، كما انه بات من المستحيل أن يدخل الكتاب الخاص بالفتيات أحد من الذكور ، حتى لو كان يصغرهن سنا أو كان شقيقا من أشقائهن . ويخبرنا الذين كرسوا حياتهم لدراسة احوال الدولة العلوية الشريفة ، جملة وتفصيلا ، أن نظام العمل في تلك الكتاتيب كان يدعو المؤدب الى الحضور مع شروق الشمس ، ولا يترك عمله الا بعد صلاة العصر مع تلاميذه ، بحيث كان يتناول فطوره وطعام الغذاء معهم ؛ وذلك معناه ان المعلم كان يقضي معظم نهاره مع التلاميذ او التلميذات ، ومما لا شك فيه ان نظاما كهذا يمكن المؤدب من فرض شخصيته عليهم لطول اختلاطه بهم ، ويعنيه بالتالي على طبعهم بطابع المروءة والوقار ؛ فلا يغادرون الكتاب الا وقد اقتبسوا المحاسن التي يتحلى بها معلموهم ؛ خصوصا وأن النصائح التي كان الملوك يزودون بها معلمي أبنائهم هي ان لا يفصلوا ابدا بين القول والعمل او الكلام والتطبيق ، عملا بقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك ان العلم بدون عمل لا خير فيه بل كثيرا ما يكون وبالا على صاحبه فلذلك كان المعلمون في القصور الملكية يحرصون على تطبيق التعاليم الدينية قولا وفعلا فيحملون المتعلمين والمتعلمات اداء فريضة الصلاة في اوقاتها ، فيطبعهم ذلك السلوك الحميد بالروح الاسلامية ويشبون على المروءة والايمان ، متصفين بالتقى وطاعة الله والرسول، مسترشدين بما وعد الله به عباده المتقين ؛ ((ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)) . ومن نافلة القول أن السلاطين كانوا لا ينفكون عن تزويد معلمي أولادهم بالنصيحة والارشاد ، متتبعين لخطواتهم في الليل والنهار ، لا يتأخرون عن اخذهم باللوم والتأنيب كلما لاحظوا منهم نوعا من التواكل او التقصير ؛ نلتمس شاهدا على ذلك الحرص فيما رواه عن نفسه شيخ المؤرخين مولاي عبد الرحمان بن زيدان في كتابه ((العز والصولة في نظام الدولة)) من أنه بعد ختمة القرءان الكريم ، وذلك في أيام السلطان المقدس مولاي الحسن الاول ، دخل على جلالته يطلب الختمة وفي يده لوحه ، وكان اللوح مكتوبا بخط مؤدبه من جهتين ؛ قال : ((فاخذ السلطان اللوح مني وقراه وقال : ((لمن هذا الخط ؟ قلت : للفقيه ؛ فقال هذا غش ، لا ينبغي ؛ فليترك لكم كتابة الواحكم بأيديكم ، وسالوه)) .

وغني عن البيان ان في مثل هذه الملاحظة دليلا واضحا على تفطن ملوك الدولة العلوية لما يجب اعتماده في التدريس من أساليب عملية حية من شأنها ان

تحفز الاطفال الى العمل الذاتي وذلك بحملهم على الاشتراك فى عملية التعليم بصورة لا بد أن تعود عليهم بالفائدة والنفع ؛ فكيف يستطيع الطفل ان يتدرب على الكتابة حتى يحذقها اذا كان معلمه يكفيه مشقة العمل، فيقوم بنفسه بكتابة ما وجب ان يخطه باناملة تذليلا للعراقيل والصعوبات ؛ ولا حاجة الى القول بان الفرق عظيم بين الطريقة الاولى والطريقة الثانية ، اعني بين اسلوب يحمل المعلم مشقة كل عمل مكان الطفل ، فتظل بذلك مواهب الصغار معطلة ، وبين اسلوب حي يضطر الطفل معه ، منذ خوله الكتاب او المدرسة ، الى مباشرة العمل بنفسه حتى يتعود السير بمفرده وينساب شيئا فشيئا مع دروب الخلق والابتكار .

هذا وكما ان الملوك العلويين كانوا يراقبون مؤدبي اولادهم فينبهونهم الى ضرورة سلوك سبل العمل المنتج المفيد ، كذلك كانوا يبذلون لهم العطايا والصلات ؛ تشجيعا لهم على القيام بالواجب خير قيام؛ ومتى بلغ الامراء مرحلة معينة من حفظهم لكتاب الله ، والاولى تدرك عندما يحذق الطفل استظهار سورة الاخلاص ، والثانية تنتهي مع حفظ سورة البقرة ، فان الملك كان يامر اذاذاك باقامة حفلة دينية شيقة تسمى حفلة ختم القرآن ؛ فيرفع بتلك المناسبة الكريمة لوح المحتفل به او المحتفل بها على منصة ، ثم يؤتي من القصور بالهدايا الثمينة ، فتوضع على ذلك اللوح ، نقودا وثيابا ذات قيمة رفيعة ، مخيطة او غير مخيطة ، ويقدم ذلك كله للمعلم جزاء له وتبركا بكتاب الله . ويستطرد صاحب كتاب ((العز والصولة)) فى وصف حفلات الختم ، فيقول : « ويخرج من القصر الكسكس للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر ، مع قوارير الزهر والورد وقماقمه ، ومجامير الطيب ، ويستدعي الاستاذ المقرىء لتناول ذلك وغيره من الاساتذة المؤدبين ؛ فيحضرون الاحتفال ويوزع الطعام على السجون والزوايا واضرحة الصالحين رحمة بالبؤساء والفقراء والمعوزين عملا بقوله تعالى : ((انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليهم حكيم)) .

وهناك دليل آخر على ما لملوك الدولة العلوية من اهتمام بالغ بتربية ابنائهم وتنشئتهم نشأة اسلامية صالحة ، هو انه لم يوجد منهم داخل القصور الملكية، من لم يحسن القراءة والكتابة والحساب مع استظهار قليل او كثير من القرآن الكريم ؛ وربما وجد بين اميرات القصر فضلا عن امرائه من كانت تقرأ برواية البصري كالشريفة السيدة حفصة بنت السلطان عبد الرحمان بن هشام ؛ ويذكر مؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمان بن زيدان فى هذا المقام ان اللوح الذي كانت تقرأ فيه السيدة حفصة الآنفة الذكر لا يزال محفوظا الى اليوم تبركا به ؛ ومما يؤكد مرة أخرى عناية ملوك الدولة العلوية بكتاب الله أن السلطان مولاي عبد الرحمان كان قد عين معلما ممن امتازوا بقوة الايمان وسلامة الاخلاق لاقراء بناته فى اقليم تافيلالت، هو المشارك مولاي الشريف بن علي بن عبد الرحمان دفين مراش ؛ ومن جملة السيدات اللاتي كن يقران على المعلم المذكور للا حبيبة ، وللا اسماء ، وللا ستي؛ ولم يكن مولاي عبد الرحمان فى ذلك بدعا من الملوك والسلاطين ، انما كان يسير فى ذلك كله على سنة من سبقه من آبائه الاولين ؛ فكانت تربيتهم تربية اسلامية عربية ، أساسها كتاب الله ، وسندها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد تأصلت هذه السنة الحميدة فى القصور الملكية حتى انك كنت تجد بين النساء من يقرئن غيرهن من البنات والنساء ، ويحفظن نصيبا من القرآن لمن فاتهن زمن الدراسة والتحصيل .

وبالرغم من أن سرد اسماء الشيوخ والمؤدبين الذين كانوا مكلفين بتدريس القرآن الكريم داخل القصور الملكية من شانه ان يورث نوعا من الملل لكثرة عددهم ، فاننا سنورد مع ذلك نقلا عن المصدر الآنف الذكر ، طائفة ممن كتب لهم فضل اقراء ابناء الدوحة العلوية المنيفة ؛ ذلك ليتيقن القارىء الكريم من اصالة هذا البيت العتيق ويعلم مقدار اعتماد ملوكه الميامين على كتاب الله قبل كل شيء فى زرع البذرة الصالحة فى قلوب ابنائهم ، أولئك الاساتذة الامجاد الذين سبق لهم اقراء ابناء الملوك العلويين السابقين هم بالنسبة لمن كان يقطن مدينة فاس الاستاذ ابو محمد التهامي العلمي ، وأبو زيد عبد الرحمان بن الرضى العلمي اللجائي ، وأبو عبد الله بن الطاهر الهواري ، والاستاذ ابو محمد التهامي بن عبد النور ، والاستاذ ابو عبد الله محمد بن الهاشمي اللجائي ، والاستاذ حمادي بن عبد القادر ، والاستاذ ابو العباس احمد السعيدي ؛ وقد صاهر هذا الاخير السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام ؛ فزوجه من كريمته السيدة للا فاطمة الجبلية ؛ يضاف الى هذه النخبة الطيبة الصالحة الاستاذ احمد عبابو وهو آخر من كان له شرف اقراء البنات بمدينة فاس الفيحاء .

اما فى مراكش فقد تولى خطة التدريس بها فى الكتاتيب الملكية جماعة من أساتذة الجنوب المعروفين بالعلم ممن يخشون ربهم ويراقبونه سرا وعلانية ؛ وهم بحسب ما نقلناه ، عن كتاب ((العز والصولة)) ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي والعلامة الجليل ابو عبد الله محمد بن الفاطمي ، والاستاذ ابو عبد الله محمد ابن الصديق الفيلالي ، والاستاذ محمد بن موسى ، الاستاذ ابو اسحاق ابراهيم الضرير الذي اختاره السلطان مولاي الحسن الاول لتعليم حريمه امور دينهن ؛ وكان من الخير والصلاح بحيث كان يلازم مولاي الحسن فى حله وترحاله ؛ وهو الذي تولى غسل السلطان المذكور بعد وفاته أسبغ الله عليهما رداء رحمته .

وغني عن الاثبات أن هؤلاء الاساتذة كانوا يعملون بكامل الاخلاص والتفاني للقيام بما أنيط بهم من أعمال ؛ وكثر منهم من كان مفتوحا عليه وعلى يديه كالاستاذ الفقيه السيد محمد بن موسى السابق الذكر الذي كان فى أول أمره مكلفا بتربية أبناء السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام حتى برع من بينهم العلامة الشهير ابو الحسن علي صاحب البستان المعروف بجنان مولاي علي بمراكش الحمراء .

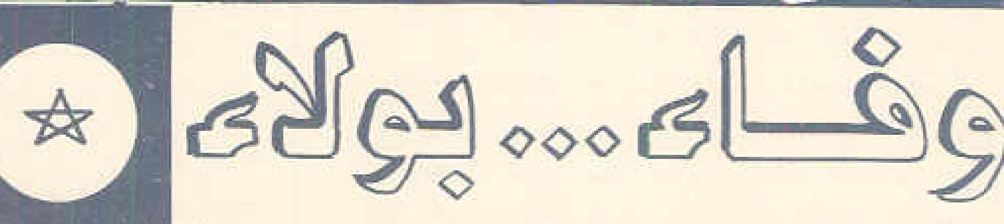
— × —

يستخلص من كل ما تقدم أن ملوك الدولة العلوية وجهوا عناية خاصة للمحافظة على كتاب الله وتحفيظه لابنائهم وبناتهم ؛ ولم يعتمدوا عليه رجاء أن ينالهم منه فائدة عاجلة ؛ وانما كان تمسكهم به عن ايمان عريض وعقيدة راسخة ؛ ومن اجل هذا الايمان القوي العريض أصلح الله أمورهم فى الدنيا ، وأنار أمامهم السبيل لخدمة هذه الامة العريقة تحت راية القرآن ؛ ومن ثم باتت أعمالهم مباركة طيبة تؤتي أكلها باذن ربها فى كل حين،وظلت شجرتهم باسقة عالية،أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، لا سبيل الى أن تنال منها النوائب أو تمتد اليها العواصف ، كيفما كان مصدرها ومهما كانت شدتها .

حقا لقد تطوعوا لخدمة كتاب الله العزيز ؛ فأعز الله أمرهم فى هذه الارض التي بوركت بوجودهم فيها، مستلهمين فى كل عمل يقومون به بقوله تعالى : ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا)) . صدق الله العظيم .

الرباط : محمد محيي الدين المشرفي





في تاريخ المغرب الدبلوماسي

وفاء ... بولاء

للاستاذ عبد الهادي التازي

« كثير من الناس لا يعرف ان السبب الاساسي فى تصعيد الازمة المغربية اوائل الخمسينات او بالحري فى نفي سيدي محمد بن يوسف مع عائلته الى مجاهل الدنيا انما كان يرجع لامتناعه من ان يخذل فريقا من مواطنيه وان يسلمهم للظلم والقمع .. وهذه وثيقة تاريخية تنشر لاول مرة بالمغرب تذكر بما عرفت به تقاليد المغرب من تلاحم متين بين الملك وشعبه .. »

ليس هناك من تفسير عندي للغيرة الشديدة التى عرف بها الملوك المغاربة على مواطنيهم الا ذلك التعلق الغير المحدود لهؤلاء المواطنين بملوكهم عبر التاريخ ، فهناك تجاوب متين نحسه بين الجانبين فى السراء والضراء ، بل هناك رباط مقدس يشد هذا الفريق الى ذلك ، وقد دلت الايام على انه لا يزداد الا صلابة ومتانة مهما كانت الظروف .

قد لا يدرك مثل هذه الحقائق من يعيش بعيدا عن الواقع المغربي لانه بالفعل يفقد عناصر الاقتناع بحكم انه لم يلمس هذه الظواهر عن كثب ، لكن الذين مارسوا الحياة مع مواكب الزمن السابق واللاحق لابد ان يتوفروا على كل المعطيات التى تجعل منهم مؤمنين اكثر ما يكون الايمان بأن ذلك التلاحم قدر ومصير ، وبانه حقيقة لا تقبل البديل ..

لقد دخل العاهل المغربي ماسينيسا فى حرب طاحنة ضد قرطاجنة تعبيرا عن الامتعاض الذى كان يشعر به وقد بلغه عن تقصير القرطاجنيين فى معاملة سفيريه مسيبسا Micipsa وغولوسا Gulussa

وقامت قيامة المرابطين عندما بلغهم ان المواطنين من بني جنسهم يستهدفون للاهانة والتعذيب فى شبه الجزيرة فسجلوا من اجل انقاذهم اعنف المعارك حتى لا يسلموهم للهوان .

لقد فضل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ان يدخل فى حرب طاحنة مع بني غانية حتى لا يخذل سفيره ابن الروبيرتير المعدود فى مواطنيه ، وقد كان بعث به الى ميورقة فى مهمة سياسية ..

وكانت لبني مرين مواقف مشرفة من اجل حماية شرف المواطن وكرامته ..

وبذل الوطاسيون النفس والنفيس من اجل ان لا يتعرض ابو الفضل جار الله محمد خروف التونسي لمذلة الاسر ، ولم يهدا لهم بال الا عندما كان ينعم بالحرية فى رحاب فاس .

وبالرغم مما كان يعيش فيه المنصور السعدي من ترف ونعيم فقد استحالت الايام عنده الى ظلام عندما سمع بأن (ابن القاضي) امسى تحت هيمنة

الاجانب ، وكانت العطاءات السخية التى بذلها لتحرير المواطن المغربي لا تـوازي عنـده مثقال ذرة ما دام قد استرجع للعلماء كرامتهم .

ولم تكن حركة الملوك تلك نابعة عن شعور خاص اقتضته رتبة هذا او مركز ذاك ، ولكنها كانت عن دافع وطني صرف .

وقد بلغنا عن السلطان المولى اسماعيل غضبته الكبرى عندما تناهى الى مسامعه ان فرنسيا عمد الى احد الاسرى المغاربة فجدع انفه وصلم اذنه ، وكانت احتجاجاته الشديدة ورسائله العنيفة الى لويس الرابع عشر . وقرانا عن اشهار الحرب من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله ضد جمهورية راكوزة لانها قصرت فى حق فريق من الحجاج المغاربة كانوا قد اتفقوا مع احد مراكبها على انزالهم فى المغرب فحطت بهم فى مالطة .

اولم تنقل لنا الاخبار عن القنصل الفرنسي دوشيني (De Chènier) الذى لم يتردد العاهل المغربي فى ان يؤنبه فى البلاط على مرأى ومسمع من اعضاء السلك واعضاء الحكومة جوابا عادلا بالمثل على معاملة ملك فرنسا السفير المغربي ؟

وبالرغم من الظروف الصعبة التى كان يعيش فيها المغرب فى النصف الثاني من القرن الثالث عشر فقد فضل ان يدخل فى حرب يائسة ضد اسبانيا حتى لا يسلم اليها عشرة مواطنين مغاربة ، لقد كان معنى ذلك فى نظره عذاب ضمير فضل عليه ان يسيل دماءه وان يعرض بلاده كلها للخطر المحقق !.

كذلك هو تاريخ المغرب وليس لاحد من يد فى صنعه لانه كذلك كان ، ومن هنا نجد الجواب عن بعض الازمات التى كانت تمر بالمغرب فى بعض الاحيان حيث تسول النفس لبعضهم ان يناهض السلطة المركزية لباعث او آخر فاذا به اي بذلك البعض ـ وقد اوشك ان يتصور انه وصل الى السلطة ـ يعاوده الندم ويتطارح امام القائد الشرعي يبتغي رضاه ويستغفر من زلله ! هناك اذن شيء ، لا يوجد ما يؤدي مضمونه من الكلمات الا انه الرباط المقدس الذى تحدثنا عنه ..

ولنطو الآن صفحة تاريخ مضى ! اننا هنا فى عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف ، قبيل انفجار الازمة التى انتهت بابعاده واسرته الى كورسيكا ..

كثير من الناس لا يعرف ان السبب الاساسي فى تصعيد الازمة المغربية اوائل الخمسينات او بالحري فى نفي سيدي محمد بن يوسف مع عائلته الى مجاهل الدنيا انما كان يرجع لامتناعه من ان يخذل فريقا من مواطنيه وان يسلمهم للظلم والقمع، وهذه وثيقة تاريخية تنشر لاول مرة بالمغرب تذكر بما عرفت به تقاليد المغرب من تلاحم متين بين الملك وشعبه ..

كانت الازمة فى طريق التوتر يوما عن يوم منذ تصريحات العاهل فى مدينة طنجة ابريل سنة 1947 ، وبقدر ما كان يرغب جلالته فى ان تكون ((الاقامة العامة)) فى مستوى الاحداث بالمغرب ، كانت هي تصر على ان تتجاهل ، وقد دعا كل هذا الى وضع القضية بكاملها على بساط البحث ، ومن اجل ذلك قام جلالة الملك برحلة رسمية الى فرنسا فى اكتوبر 1950 حيث اجرى محادثات مع الحكومة الفرنسية اشترط الا يحضرها المقيم العام ، وقدم مذكرة طالب فيها بالغاء عقد الحماية.. الا ان الحكومة الفرنسية اجابت عن المذكرة بان تغيير النظام القائم بالمغرب سابق لاوانه ، وهكذا كانت تعرض عليه مشروع مراسيم ((اصلاحات)) فى وقت كان صدرها يضيق بمقترحاته هو ، فتتهمه بعرقلة التطور .

وقد رات اخيرا ان تمتحنه فى مواطنيه فطلبت اليه ان يدين حزبهم وان يشجب اساليبهم.. وقد هالها انها اكتشفت انه يرتبط عضويا برفاقه فى النضال !

واملت عليه بالقوة ان يوقع بروتوكول 25 يبراير 1951 معتقدة ان التوقيع المفروض سيحمل الحل الحقيقي للمشكل ! وهنا كانت الفضيحة الكبرى ! لقد اشاع اولئك الوطنيون خارج البلاد ان فرنسا قصفت مدينة فاس بالقنابل ! وان جامع القرويين انهار على المصلين ! فعمدت ((الاقامة العامة)) الى توجيه الدعوة لكبريات الصحف العالمية لتشهد مباني فاس ، وقد كان من بين الصحفيين

المدعوين الدكتور محمود عزمي مندوب جريدة (الاهرام) الذي – عن طريق خاص – وجه اسئلة خطية رفعت سرا الى جلالته . ولما كان رحمه الله يجد في سمو ولي عهده الامير مولاي الحسن ساعده الايمن فقد تدرس معه السؤال والجواب .. وكان الجواب كذلك كتابيا ، وقد وصل بطريق مكتوم كذلك الى « الجرائدي الفذ » كمانعته المغفور له .. كانت الاسئلة ثلاثة ، وكان اوسطها :

قيل ان الازمة ترجع الى تعطيل اصدار بعض الظهائر (المراسيم) . فاذا كان هذا صحيحا ترى ما هي اسباب هذا التعطيل ؟

الجواب « ان سبب الازمة هو غير ما اشيع من اننا رفضنا بعض التشاريع القانونية المقترح علينا قبولها ، اذ الازمة في الواقع ترجع الى الرغبة التي اعرب عنها مقيم فرنسا العام في ان يصدر منا استنكار لاساليب حزب الاستقلال والى عدم نزولنا عند هذه الرغبة . ولقد قدم المقيم العام هذا الطلب قبل سفره الى امريكا بلهجة لا تخلو من تهديد » .

صورة لنص الاسئلة التي توجه بها الدكتور محمود عزمي عن طريق خاص الى جلالة المغفور له السلطان سيدي محمد بن يوسف ، وهي بخط يده كما يلاحظ ذلك ، وقد نشرت بمصر يوم 27 – 3 – 1951

لشد ما كانت الخيبة عند ما عاد ولئك الصحفيون ليقولوا : ان الامر كان اعظم من قصف مدينة او انهيار جامع ، انه عدوان على كيان امة بكاملها ، على شخص يقدسه المغاربة عن بكرة ابيهم ، بل ليؤكدوا ان تراص الصفوف المغربية لا يعطي املا في فتح اية ثغرة ممكنة لتركيع هذه الامة لمشيئة الاجنبي ! لقد سقط في يد الاستعمار فعلا وقد ظهر الاستجواب بجريدة الاهرام ليوم 27 – 3 – 1951 .

وبعد هذا فان كل واحد يعرف انه بعد سنتين من هذه الحادثة اخرج سيدي محمد من قصره يرافقه سمو ولي عهده الامير المولى الحسن وصنوه الامير مولاي عبد الله .. وقد صوبت نحوهم الاسلحة النارية مهددة سيد البلاد واشباله .

وبعد فهل هناك طيلة مسيرة التاريخ اسرة مالكة زهدت في كل شيء الا في مصلحة شعبها ؟ هل هناك ملك في الدنيا زهد في المال ، في الراحة ، في العرش ليختار العوز والضنك والحصير ؟ وهل هناك شعب عبر الدنيا اطبق على مقاطعة المباهج والملاذ ، واصر عن بكرة ابيه ، على اخطر واجرا طرق التضحية من اجل استعادة مليكه الى عرشه !

لست اتحدث من موقع اعتزاز واعجاب بمليكي وبلادي ، ولكن كمواطن يلذ له ان يعيش على اجترار امجاد تاريخنا البعيد كما يسعده ان يلمس الشعور العارم بالحفاظ على تلك الامجاد في تاريخنا القريب ، ولكن كمواطن يرتاح اتم ما تكون الراحة ، من كل دعوة كريمة الى وحدة الصف والتئام الشمل ، وجمع الكلمة لصالح هذه الارض الثرة المعطاءة التي قدمت ، عبر الاجيال ، امثلة عملاقة في البطولة والوطنية ونكران الذات .

ان تاريخنا مليء بالعبر ، زاخر بالعظة ، وكله يؤكد حقيقة ناصعة ، تلك انه في كل مرة يتصدع فيها الصف المغربي يكون وراء ذلك التصدع عدو خارجي يتربص الدائرة بوحدتنا ، ويتحين الفرصة لبث الفرقة بين ظهرانينا .. لناخذ مثلا على ذلك من تاريخ ما قبل الاسلام ، من عهد سيطرة الرومان على بلادنا ..! ومن تاريخ ما بعد الاسلام عندما توجهت الانظار لهذا المغرب المحظوظ المجدود ... امامنا سلسلة من الاحداث الجسام في تاريخنا كافية للفت

I ان ثورتنا على "بروتوكول" ٢٨ مارس ١٩٥٠ كانت نتيجة لعوامل متعددة، اهمها

١ التحدي الذي وجه الينا بواسطة وزير الخارجية والتصريحات من بعض شخصيات الاقامة العامة اثناء المحادثات التي كانت جارية بيننا والاقامة العامة في ذلك اليوم

٢ مركز [illegible] من جهات متعددة دون ان [illegible] [illegible] بواسطة [illegible]

٣ وجهنا به ما كان يتوقع من عواقب سيئة للعوامل الانية الذكر

بما ظهر لنا من هذه الاسباب جميعها الى [illegible] مطالب الاقامة العامة

II ان سبب الازمة هو غير ما اشيع من اننا رفضنا بعض المشاريع القانونية المعروض علينا قبولها. ان الازمة في الواقع ترجع الى الازمة التي [illegible] عنها [illegible] [illegible] لاستنكار اساليب عهد الاستبداد، [illegible] زوالنا عن هذه الازمة
ولذلك [illegible] العام هذا الكتاب [illegible] الى [illegible] لا تخلو من تحديد
اما مشاريع الظهائر التشريعية المعروض علينا [illegible]
[illegible]
[illegible] المعاهدات وما [illegible] القانون

III ان رغبتنا شديدة في [illegible] البلاد [illegible] ديمقراطيا وجميع امالنا وسعينا [illegible] الاسلامية بالشكل الذي [illegible] فيها الخير
واملنا عظيم ان تنظر حكومة الجمهورية الفرنسية اعتمادا الى ما بين الدولتين من روابط الصداقة الى مطامح شعبنا المغربي بما يليق بها من العناية

صورة للاجوبة التي سلمها جلالة الملك محمد الخامس بطريقة خاصة الى ((الجزائري الفذ)) السيد محمود نزمي ، ويذكر انه بمجرد ما تسلم نص هذه الاجوبة حرص على مغادرة الرباط قبل أن يتعرض هو الآخر لبعض التصرفات التي لم تكن غريبة على الاقامة العامة انذاك .

النظر – ان كنا فى حاجة الى ذلك ، فما استطاع الاجنبي ان يتسلل الى بلادنا ومواقعنا الا عندما خذل بعضنا البعض الاخر .. والا عندما اسلم بعضنا البعض الآخر .. وما سجل التاريخ مرحلة من مراحل اوج عظمتنا وقمة ازدهارنا الا عندما كانت صفوفنا مستحكمة متراصة وكانت كلمتنا صادقة مستقيمة هادفة ، وكانت مقاصدنا شريفة نبيلة مخلصة ..

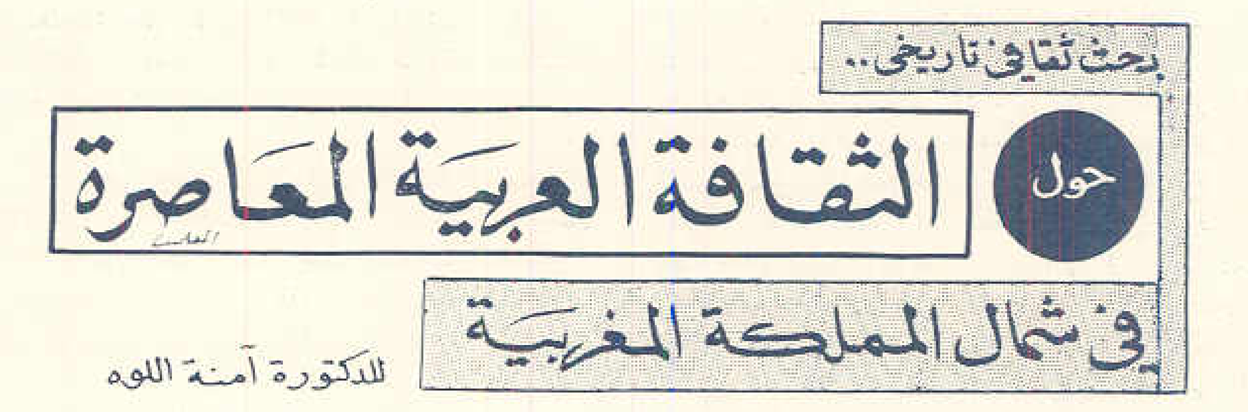
« روى الجهشياري فى كتابه « الوزراء والكتاب » هذه الحكمة المأثورة : « القيت فأس ليس فيها عود بين شجر ، فقال بعض الشجر لبعض : ما القي هذا هنا لخير ، فقالت لهم شجرة قديمة : « ان لم يدخل فى است هذا عود منكن فلا تخفنه »

لقد ادرك المتتبع للتطورات التى استهدف لها المغرب خلال السنوات الاخيرة ، والتى كانت تقصد ضرب وحدتنا والاجهاز على مجدنا .. ادرك العناصر الدخيلة التى كانت وراء تلك الحركات بما فيها الايادي التى كانت يشوكها ان تمسح عن مسيرتنا الظافرة ، وعن ارضنا الطيبة ، وعن قادتنا الاوفياء.

وان اكبر واجب ينتظر منا القيام به والاخلاص اليه ، والتفاني من اجله هو ان نفتح عيوننا جيدا .. وان تكون الرؤى واضحة بالنسبة الينا .. فليس هناك ولن يكون هناك من طريق غير طريق العودة الى سلوك نفس الطريق الذى سلكناه بالامس .. يجب ان نكون حذرين يقظين ازاء كل دعوة مارقة فاسقة يجب ان نحرص اشد ما يكون الحرص على ان لا ننساق وراء كل صوت دون ان نتبين مصدر ذلك الصوت وبواعثه واهدافه .. وبنفس تلك الروح التى حفزت بجلالة المغفور له محمد الخامس للوقوف بجانب المواطنين المقاربة ومناصرتهم الى آخر رمق بل للتضحية بعرشه دون خذلانهم والتفريط فيهم.. وبنفس الروح التي دفعت بالشعب المغربي قاطبة الى التعلق الغير المشروط بالعاهل المغربي .. بنفس تلك الروح العالية السامية يجب ان نظل متشبثين ملتزمين، متخذين من الامثلة السابقة واللاحقة دروسا نافعة ناجعة لا يصرفنا عن الحق غرض ولا هوى .. ان ذلك الوفاء الكريم لا يوجد له من ثمن غير هذا الولاء العظيم ..

د. عبد الهادي التازي





قبل ان ادخل فى صلب الموضوع ، لابد من توضيح بعض المفاهيم :

اولا – مفهوم الثقافة العربية :

ان مؤتمر اليونسكو المنعقد ما بين 29 ماي و 3 يونيو 1960 لنظر ، فى الثقافة العربية المعاصرة ، والذى حضره بعض خبراء العرب أصدر تقريرا : وصف الثقافة العربية المعاصرة بالشمول ، لكن على لمستوى الذاتي الداخلي ، لا على المستوى الخارجي العالمي ، لكون انتاجها الفكري والفني لم تظهر له ترجمات كافية الى اللغات الاجنبية، ولكون مجهودات الفكر العربي متجهة الى ابناء جلدته والى جماعات محدودة ، اكثر مما هو متجه الى الجماعات الخارجية .. هذا من جهة **العطاء** .. واما من جهة الاخذ ، فان الثقافة العربية دائمة الاستمداد ، والاقتباس ، من عصارة الثقافات الاخرى المعاصرة برمتها ، سواء منها الشرقية والغربية اما عن طريق البعثات او المترجمات ، او بشتى الاتصالات والعلاقات ..

وعلى العموم – يقول التقرير – فان الثقافة العربية المعاصرة اجتازت ثلاث مراحل :

الاولى – من عام 1870 الى قيام الحرب العالمية الاولى .. وهي فترة تتسم ببزوغ بوادر النهضة ، وتأجج الافكار .. والانطلاق نحو بعث اللغة العربية والاقبال على المترجمات .. وتجديد فى الفكر وتكوين نهضة قومية ، واصلاح اجتماعي ..

الثانية – من عام 1914 الى انتهاء الحرب العالمية الثانية (أي ما بين الحربين) .. هذه الفترة تميزت بتطور فى اللغة العربية وآدابها ، وظهور نخبة مثقفة ثقافية عصرية .

الثالثة من عام 1945 الى اليوم .. هذه الفترة برزت فيها الشخصية العربية الاسلامية ، مستقلة فى كثير من المجالات لها ذاتيتها المتميزة ، وكيانها الخاص بين الدول .. وهي تطمح الى ما هو ابعد واسعد ..

هذا من ناحية الثقافة العربية المعاصرة بصفة عامة ، واما الثقافة المغربية المعاصرة فينبغي ان نعالج تطورها فى اطار الثقافات القومية ، الخاص بكل امة .. اذ ان لكل امة ثقافتها الخاصة .. فاذا كان العلم عالميا والمعرفة عامة ، فان لكل امة ثقافتها الخاصة ، التى تقوم على اسس ومقومات مستمدة من ذاتها ، وتاريخها ، ولغتها ، ومأثراتها ومآثرها الاصيلة .. وانه لا سبيل الى ان تتداخل ثقافة فى ثقافة اخرى متباينة ، وان كان فى الامكان ان تستمد احداهما من الاخرى ، القدر المشترك ، او ما تقتضيه ظروف المعايشة ، والتفاهم ، والتعارف .. دون ان تفقد احداهما ميزتها الخاصة ، وقيمتها الذاتية مما

يجعلنا مضطرين الى التنبيه الى خطأ النظرية التي تقول بانسانية الثقافة بمعنى ان ثقافة الامم ينبغي ان تختلط وتمتزج ويذوب بعضها في بعض ، الى ان تصير ثقافة انسانية واحدة ، فهذه النظرية انما تستهدف القضاء على بعض الثقافات المناهضة لثقافة معينة — او بالاحرى أن تكون لغلبة والسيطرة لثقافة قوية ، توفرت لها اسباب الظهور والانتشار ، على ثقافة محلية ضعيفة لم تستكمل بعد اسباب نهضتها ، وقدرتها على التماسك .. كما هو الشأن في ثقافتنا ازاء الثقافات الغربية الجبارة ، التي حلت بساحات بلادنا ، وأرادت اكتساحنا والقضاء على ثقافتنا بحجة العالمية والانسانية ..

هذا ، ولا ننكر ان في الثقافات على اختلافها وتباينها قدرا مشتركا ، ينبغي ان ينعت بانه انساني كدواعي الخير والحق والعدل .. هذه التي لا تخلو منها ثقافة اية أمة ذات حضارة وطبع سليم ..

وفي هذ المضمار ينبغي ايضا ان لا نخلط بين الثقافة والحضارة ، اذ لكل منهما مقوماتها واسسها .. فاذا كانت الثقافة قومية ، وذاتية ، فان الحضارة تابى الا ان تكون عالمية ، او على الاقل ان تكون عملا لا يعرف الحدود ، وارثا مشتركا بين سائر الاجيال .. ومن هنا كانت الحضارة تتسم غالبا بطابع الشمول ، في حين تجد الثقافة تتميز بطابع الذاتية والقومية .

وانطلاقا من هذا المفهوم ، نصل الى ان الثقافة المغربية — اذا كان لها شبه ، فهو الثقافات العربية الاخرى — انها ترتكز على مقومات الامة العربية عموما ، من عقيدة اسلامية ، واخلاق قرآنية ، ولغة عربية ، وآداب وعلوم ، وتاريخ ، وتراث ، وامجاد مشتركة .. ثم على مقوماتنا القومية الخاصة ، من جغرافية ، وبيئة ، ومجتمع ، واشياء اخرى حسية ، ومعنوية ، يدق التعبير عنها ، وتأبى التحديد والحصر .. ذلك لانها اشبه بالطقس والمناخ او بالعبير والرحيق الذي ترعاه النحل من الازهار والاشجار وهو متعدد الانواع .

وجماع القول في الثقافة المغربية ، انها مرتكزة على التراث الاسلامي العربي ، وقائمة على ارضيتنا واصولنا العريقة ، وفي نفس الوقت تصطبغ بالعصر وبالبيئة التي نعيش فيها ..

ولا ازعم ان ثقافتنا بالامس ، هي ثقافة اليوم والغد .. بحيث تظل بلادنا على لون واحد من الثقافة تتوارثه الاجيال دون تغيير او تبديل — فهذا هو الجمود بعينه ، والقضاء على كياننا .. ولكن الثقافة المغربية الحقة هي التي تتكيف مع الزمان ومع مقتضيات الاحوال ..

وهذا الموضوع — موضوع الثقافة المغربية — قد وفاه حقه الاستاذ انور الجندي في كتابه : « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا » وهو يوصي بأن تظل الثقافة المغربية العربية مفتوحة امام الثقافات الاجنبية تأخذ منها وتعطي ، ولكن يجب ان تظل قادرة على رفض ما لا يتفق مع كيانها ، ومزاج اهلها .. حفاظا على الشخصية العربية الاسلامية ، وصونا للذات المغربية وطابعها الخاص .

ذلك اننا اذا امعنا النظر واستعرضنا انواعا من الثقافات، في القديم والحديث ، فاننا نجد ان بعض الثقافات يغلب عليها الجانب المادي ، والبعض يغلب عليه الجانب الروحي ، والبعض يتعادل فيه الجانبان .. ولا شك ان معظم ثقافات هذا العصر ، تغلب فيها الماديات على الروحانيات اذ كادت المعتقدات الدينية والقيم الاخلاقية ، تنعدم منها او تتضاءل ، حتى لا تكاد تذكر .. وهذا موضع الخطر بالنسبة الينا ، لاننا — وبالاسف — تقع بلادنا في مفترق الطرق ، حيث تتصارع الثقافات المادية ، وتتلاطم امواجها في كل وقت وحين ..

زيادة على اننا ما زلنا في صراع عنيف — لا مع الثقافات المادية والتيارات الوافدة ، بل مع انفسنا وضد بعضنا ، فاننا لم نحدد الى الآن مفهوم الثقافة المغربية ، التي ينبغي ان تأخذ بها انفسنا ، ونربي عليها اجيالنا ، فما زلنا نتساءل هل نأخذ ذات اليمين ، او ذات اليسار ، هل نسير مع الماديات الغربية ، ونكتفي بقشور مغرياتها وزخارفها ، ام نرجع الى التمسك بمعتقداتنا الدينية واخلاقنا الاصيلة وقيمنا الروحية وسلوكنا القويم ، مع التخلق والتعلم بمقتضيات العصر .. ما زلنا في حيرة من امرنا ، وما زال اولياؤنا يذهبون في ذلك طرائق قددا ..

ومقياس ذلك ، انك لو طرحت سؤالا وقلت : من هو المثقف عندنا ، او ما هي المقومات الثقافية التي نكون ونربي عليها اجيالنا ..

فالمتشبث بالقيم الروحية ، يريد من المثقف ان يكون مومنا مسلما ، قولا وعملا ، عارفا بما احل الله وما حرم ، مجتنبا النواهي ومؤتمرا باوامر الشريعة.

والمتشبث بالقومية الوطنية ، يريد من المثقف ـ بجانب ما ذكر ـ ان يكون عربيا غيورا على لغته ودينه ووطنه ..

والمتشبث بالمادية الحديثة ، يريد من المثقف ان يكون على قدر كبير او قليل من ثقافة العصر ، ومن التقنيات والصناعات ، ومن اللغات الاجنبية والشؤون المالية والاقتصادية ، ومشاكل العصر ومجريات الاحوال .

وهكذا .. فالكل يطلب من المثقف الشيء الذي يعنيه .. وهنا يكمن المشكل ، فالمتطلبات من المثقف كثيرة ومتنوعة ، ووقته لا يتسع للاحاطة بها ، ولا لبلوغ مداها .. فاذا ضاق به الوقت وانصرف عن جانب ، واكتفى بجانب منها رمي بالقصور او بالزيغ والضلال ..

ونحن نعلم ان الاخذ بمقومات الثقافة له وقت محدود ، عندما يكون الطبع قابلا ، والجسم لدنا مرنا ـ وهو ما دون العشرين او ما دون الثلاثين على اكثر تقدير ـ لمن اراد ان يتم الرضاعة ـ رضاعة العلوم والفنون ـ وقليل من يتسع له هذا الوقت لاستيعاب فنون الثقافة ، وتكوين شخصيته حسب تلك المتطلبات ..

فلم نكن نحن وحدنا الذين ضجوا من هذا المشكل ، مشكل ازدحام برامج التكوين والتثقيف فى مراحل التعليم المتوسط والعالي ـ فكثير من الامم، عدلت من برامجها التعليمية والثقافية وقدمت الاهم فالاهم ، واكتفت بما هو ضروري واساسي ، محسنة فى نفس الوقت ، اساليب التعليم ، ومقربة المواد من الاذهان ، والفت ، فى معظمها ، ما هو نظري ، واعتمدت الممارسة والتجربة ، واكثرت من وسائل التطبيق ـ بهذا امكن لها اختصار الوقت ، وتزويد الطلاب ، باكثر ما يمكن من انواع التثقيف ، وهي قاعدة « ما لا يمكن كله لا يترك جله او بعضه » التى كان اسلافنا يعملون بها فى مضمار التعليم والتثقيف .

ان الثقافة المستوعبة الشاملة ، شيء صعب المنال مهما توفرت الاسباب ، واتسع الوقت وتطاول العمر، واذا كان الامر كذلك ، فلتكن الاولية للمقومات النفسية والفكرية ثم مقومات السلوك والاخلاق .. وبعدها المقومات المهنية والمعاشية.. لانه لا غنى لاحد عن تقويم نفسه وتحسين اخلاقه ..

عليك بالنفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس ، لا بالجسم انسان

ولعل هذا هو ميزة ثقافة اجيالنا القديمة ، الذين استطاعوا بقليل من الثقافة القويمة الاصيلة ان يقوموا بجلائل الاعمال ويصلوا الى غايات ، تنقطع دونها الآمال ..

ان المثقفين ثقافة مهنية محضة ، لم تحصن بثقافة اخلاقية واقية ، جديرون بأن ينقلبوا على المجتمع ، ويكونوا شرا عليه ، واداة من ادوات التخريب .. وهذا لا يحتاج الى برهان ، والمحسوس اعظم برهان ..

فهذا الحذر ، وهذا الحس ـ هو الذي جعل الكثير من المشفقين على اجيالنا ، وعلى مجتمعنا ، يلتمسون النجاة ، ويطلبون السلامة فى الرجوع الى الثقافة المغربية الاصيلة ، ملتزمين معها ان تكون ثقافة عربية ، مطعمة بمقتضيات العصر ، مجارية لثقافات الامم الحديثة فيما تحسن فيه المجاراة وتفيد المباراة ..

ولا مؤاخذة ، اذا اطلت فى مفهوم الثقافة المغربية المعاصرة .. التي هي موضوع هذا الحديث ، لاني اريد ان يفهم باديء ذي بدء ، المغزى الذى ارمي اليه فى ثنايا البحث .

ثانيا ـ مبدأ المعاصرة :

وكذلك لابد من تحديد مبدا « المعاصرة » التى اجول فى مداها ، واتحدث فى نطاقها .

ان كثيرا من متتبعي الاحداث المغربية ، الواقعة فى القرون الاخيرة ، يذهبون الى ان المغرب لم يدخل باب « العصر الحديث » الا فى منتصف القرن الماضي التاسع عشر .. وبالتحديد بعد وقعة اسلي (1844) ثم بعد وقعة تطوان (1860) اي ان المعاصرة للنهضة الحديثة العالمية ، لم تبدا فى المملكة المغربية الا منذ قرن ونيف .. وهو امد متاخر جدا عن عصر النهضة الحديثة الذى ابتدا عند معظم دول اوربا من القرن السادس عشر .. وعند بعض الدول

الشرقية .. كآل عثمان ومصر ولبنان منذ نحو قرنين .. اي فى اواخر القرن الثامن عشر .. ولكننا اذا عرفنا أن مدافع نابليون هي التي ايقظت الشرق يوم ضرب الشواطىء المصرية وضرب يافا وغيرها .. ادركنا ان فى آذان المغاربة ، كآذان المشارقة ، صمما بالغا ، لا يوقظه ولا يسمعه الا قصف المدافع ، ورجع الرجات ، وهز الرجفات ، وما يدرينا .. ماذا كان يكون حال المغاربة ، لو لم تقصف مدافع الفرنسيين ومدافع الاسبان سواحل المغرب ومدنه وحدوده ، اكان يظل نائما ويغط فى سباته ..

اقول ، وقد افاق الشرق ذعرا
من الحال الشبيهة بالمنام

اقول بصوته لحماة دار
رماها من بغاة الغرب رام

بنا عطل السماع ، فاسمعونا
بقعقعة الحديد لدى الصدام

وهي ابيات لشاعر القطرين خليل مطران لما ضرب الاسطول الايطالي شواطىء لبنان .

على اي حال ، فان المغرب ادركته اليقظة فى ذلك الحين .. وكانت يقظة بطيئة متمهلة .. او يقظة متثائبة .. متمطية ، لا يقظة مستوفزة ،

فلا اريد ان اطيل ، واستعرض تلك الاحداث الاليمة ، وتلكم النتائج المفجعة التى ترتبت عن احتلال تطوان وعن احتلال وجدة والحدود الشرقية .. وانما الذى اريد استرعاء الانتباه اليه ، هو ان كثيرا من اجزاء المغرب ومدنه الساحلية وقعت قبل ذلك بكثير تحت ايدي المغيرين .. فلقد احتل البرتغال سبتة سنة 1415 ، واحتلوا طنجة سنة 1471 – اي قبل سقوط غرناطة بنحو 21 سنة ، (لذلك كان المهاجرون الاندلسيون لايمرون على طنجة وسبتة المحتلتين بل كانوا يلتمسون طريقهم عبر موانىء الريف او مرتيل – وهذا ايضا هو السبب فى أن سكان طنجة لا ينتمون الى العنصر الاندلسي) . كما احتلوا غيرها من مدن السواحل وكذلك الاسبان احتلوا مليلية سنة 1496 – وبعدها العرائش عام 1019 هـ وغير ذلك مما نتج عن التوزيع الاستعماري القديم بمقتضى الاتفاق المبرم ، بين تينك الدولتين الاستعماريتين والمصادق عليه من البابا الكسندر السادس سنة 1494 الذى كان يقضي بتقسيم المغرب شطرين ، من حجرة باديس شرقا لاسبانيا ، ومنها غربا للبرتغال .. وقد طال احتلال تلك الدولتين لجل السواحل المغربية ، آمادا طويلة ، والحضارة العالمية قائمة آنذاك على مسمع ومرآى من الجميع .. والخطر محدق بالمغرب من كل جانب ، منذ ذلك الحين وهو يرى ويعي الاحداث .. ويتتبع عن كثب ما عليه الامم المجاورة ، من تقدم ورقي ، ومع ذلك لم يستيقظ ولم يأخذ بأسباب النهضة والمعاصرة الا عند وقعة اسلي ووقعة تطوان ..

اننا لو ربطنا الاسباب بالمسببات ، ورددنا الاشياء الى اشباهها ، لقلنا ان نهضة المغرب واخذه بأسباب المعاصرة، كان يجب ان تبدا باحتلال البرتغال الاول لسبتة سنة 1415 م (819 هـ) لا باحتلال الاسبان لتطوان سنة 1860 م . او بالاحرى بعد وقعة وادي المخازن سنة 1578 التى انتصر فيها المغرب ايما انتصار ، واندحر فيها البرتغال واحلافه ايما اندحار .. ولكن لكل اجل كتاب .

ثالثا – مدلول الشمال

واما اقليم الشمال ، الذى نحصر فى حدوده هذا البحث ، فهو من عرف الجغرافيين ، هو ما يقابل الجنوب .. اي ان المغرب منذ ان خلقه الله فيه شمال وجنوب كسائر البلدان – فهذا الشمال ، معروف ومحدود من بعض الجهات الا انه لم يحدد بكيفية طبيعية من جهة جنوبه ، وان كان البعض يريد تحديده بوادي سبو ، فتدخل فيه اجزاء من اقاليم الرباط ، ومكناس ، وفاس ومجموع اقليمي تطوان وطنجة والريف . واما التحديد الاداري المتعارف عليه بان الحمايتين الفرنسية والاسبانية ، فانه تحديد تحكمي ، بعيد عن الحقيقة والواقع .. هذا وان الطريف فى الامر ، ان الرياضيين اصابوا عندما يتحدثون عن شطر الشمال ، وشطر الجنوب ، فى القسمين الرياضيين لكرة القدم .. قائلين للقسم الوطني الاول : شطر الشمال ، فيدخلون فيه الفرق الواقعة ابتداء من الرباط فما فوق .. وللقسم الوطني الثاني ، شطر الجنوب ، قاصدين الفرق الواقعة ابتداء من البيضاء فما دونها جنوبا ..

ترى ، هل نذهب مع الرياضيين .. ام نسير مع الاداريين .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة ، اذا قلنا ان شمال المغرب له وحدته وكيانه المتميز .. وذلك يتجلى في الوحدة المتماسكة طبيعيا و جتماعيا ، بين اقاليم الرباط وفاس وطنجة وتطوان وما اليها من المدن والبلدان .. وربما كانت هذه الوحدة المتماسكة هي ما رعاه التقسيم الاداري الاخير حين اضاف بعض الاقاليم الى بعض .. فجعل بعض تلك الاقاليم تندمج اقتصاديا في اقليم واحد ، حيث اعتبر اقليم الشمال يمتد الى ابواب الرباط .. الا انه لم يعتبر معه ما يتعلق بمكناس وفاس .

ولكن في هذا الحديث ، ورغبة في الاختصار .. اراني مضطرة الى تضييق النطاق شيئا ما .. فاقتصر على ما يتعلق بالمدينتين الرئيسيتين في الشمال : طنجة وتطوان ، وما اليهما ..

دور الشمــــال :

ومعلوم ان الشمال بهذا المعنى الخاص ، له دور هام في تاريخ المغرب ، قديما وحديثا .. فنحن اذا نظرنا الى موقعه في الخريطة المغربيــة ، ادركنا بالبداهة مدى خطورته واهميته .. فهو باب المغرب. وطريق مواصلاته البرية والبحرية منذ قديم الزمان .. فمن سواحله دخل الفاتحون ، وعن طرقه جتازوا من الشرق ، وواصلوا سيرهم الى بقية التخوم والثغور المغربية .. ثم منه خرجت الافواج عبر التاريخ الى المحيط ، والى الابيض المتوسط ، والى البوغاز .. فكل الحركات لواقعة في المغرب ذهابا وايابا ، فهي من هذا الاقليم واليه .. ومعظم المدن العريقة في القدم : طنجة ، سبتة ، تمودة ، وليلي ، شميس او اكسوس ، تطوان القديمة ، روسادير (مليلية) واخريات .. كلها واقعة في هذا الاقليم الشمالي — مما اضفى عليه صفة خاصة ، ربطته بالخارج في بعض الاحيان ، اكثر من ارتباطه بالداخل، ولاسيما طنجة التي كان يضاف اليها المغرب كله قديما عندما كانوايقولون موريطانيا الطنجية ، ويقصدون المغرب كله او معظمه ، ونجد في خرائب وليلي الرومانية ، بابا يعرف بباب طنجة ، كانت تسير منه العربات الرومانية على عجلات حديدية في طريق ممهدة ، عبر الشمال الى ميناء طنجة ، ولعله اول طريق من نوعه في عموم المغرب .. وذلك ما جعل المولى ادريس الاكبر يتخذ في اول امره طنجة مقرا لحكمه ثم انتقل الى وليلي لما رآها متصلة بطنجة وواقعة بين قبائل اوربة وغيرها من القبائل الموالية له .. وكذلك الولاة المسلمون ، من عقبة الى موسى بن نصير .. فقد اتخذوا من طنجة مركز اعمالهم ، ومنطلق تحركاتهم .. وفيها استخلف موسى بن نصير ، مولاه طارق بن زياد ، الحاكم على جميع الاقاليم التابعة له .. فكان طارق وهو من اصل مغربي معروف ، اول حاكم مغربي معروف ، اول حاكم مغربي مسلم اتخذ طنجة عاصمة ادارية لولاية المغرب بعد الفتح الاسلامي .. ولما وجه الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز بعثة تعليمية تتكون من القراء الفقهاء ، لنشر الدين الاسلامي ، وبث التعليم العربي بين المغاربة الحديثي العهد بالاسلام ، انزلوهم طنجة .. ومنها كانوا ينطلقون الى سائر النواحي ، يعلمون القرآن وتعاليم الدين الحنيف . فكانت طنجة ايضا من هذه الوجهة اول منار شع منه نور الهداية الاسلامية الى جميع ارجاء الوطن المغربي .. وبطبيعة الحال فلابد من مسجد جامع بطنجة يكون مقرا لهذه البعثة التعليمية الاسلامية الاولى وان كان التاريخ لا يسعفنا بذكر هذا المسجد الاول .. ولكننا نفترض وجوده لاقامة الشعائر الدينية ، ولاتخاذه مدرسة للتعليم والارشاد، شان سائر المساجد حيثما كانت . وكل ما نعلمه ، هو انه كان بالموضع الذي عليه المسجد الاعظم الآن ، مسجد قديم حول الى كنيسة في عهد البرتغال ، ثم أعيد بناؤه مسجدا ، لما استعيدت طنجة من الانجليز .

ولعل من المفيد ان نذكر بالمناسبة بعض المساجد الاولى المؤسسة هناك من قبل موسى بن نصير ، واصحابه ، في الاقاليم القريبة من طنجة ، اذ اسعفنا التاريخ بذكرها .. منها مسجد اشرافات بغمارة ، في قبيلة الاخماس ، على بعد 35 كلم من شفشاون الحالية .. بناه — كما يقول ابن عسكر في كتابه « الدوحة » — طارق بن زياد ، اواخر المائة الاولى للهجرة .. ويقال انه اقدم جامع في المغرب .. وقد كان مقرا للعلم واشتهر بالقراءات العشر .. وهو الآن على غير ما كان عليه في سالف العهد — ومنها المسجد المعروف (بالجامع البيضاء) بقبيلة بني حسان على بعد نحو 30 كلم من تطوان — على ربوة عالية هناك ، قرب سوق الاربعاء ، ويعرف عند العامة بمسجد الملائكة ، تقديرا لشأنه .. وهو مسجد صغير ، يتبرك به الاهالي ، ويقدسونه ، معتقدين ان من اخذ منه شيئا لابد ان يصاب بسوء ، لذلك حماه الله من التلف والخراب .. واذا تلاشى منه

شيء اسرعوا الى تلافيه واصلاحه .. وهم ينسبونه خلفا عن سلف الى موسى بن نصير ويسمونه باسمه في القديم .. غير ان العمارة اصبحت اليوم بعيدة عنه ، فلم تعد تقام فيه الصلوات الا قليلا .. وربما صار مهجورا ..

وكانت هناك مساجد اخرى من هذا القبيل تقادمت واندثرت ولم يبق منها الا الاطلال .. وما اجدر ان تحيي وترمم ، وترفع من جديد ، ويذكر فيها اسم الله — ولاسيما انها اسست من أول يوم، من اول عهد هذه البلاد بالاسلام ، كمسجد قباء الذى قال الله فيه : « لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه .. »

ومما يجدر ذكره ان سبتة كانت اذ ذاك ، بجانب طنجة ، مدينة عامرة مشهورة ، الا انها في ذلك الحين ايام انفتح الاسلامي الاول ، ظلت مقرا للحاكم القوطي المعروف باسم يوليان الغماري المزعوم انه من اصل مغربي ، من غمارة ، حيث انه داهن القائد الفاتح موسى بن نصير ، والقى اليه بفروض الطاعة والولاء ، فاقره موسى على عمله .. وفي نفس الوقت ، كان له ارتباط آخر بالقوط ، حكام الجزيرة الاندلسية ، وحافظ عليه كذلك ..

لذلك كان دور سبتة في ذلك العهد الاول، دون الدور العظيم الذى انفردت به طنجة — واما تطوان فهي وقتئذ لا تكاد تذكر ، الا كبلدة مغمورة ليس بمعمورة . لان عمارتها من جديد تاخرت كثيرا ..

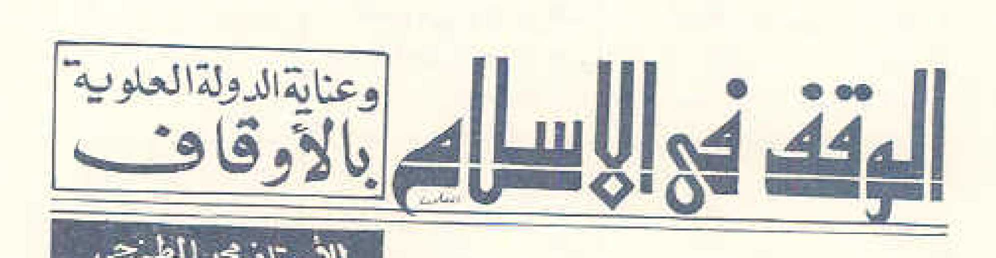
ومجمل القول في تطوان — على سبيل التذكير — نقلا عن تاريخ تطوان لاستاذنا الحاج محمد دواد ، ان كثيرا من المؤرخين اشاروا الى انها قديمة العهد وحديثة العمارة . فلقد ذكر الحسن الوزان ، المعروف بليون الافريقي : ان مؤسسيها هم الافارقة الاقدمون ، وانها من جملة البلاد المفتتحة من قبل المسلمين حينما فتحوا سبتة وطنجة وما والاهما ، وانها ظلت خالية في القرون الاولى ، بسبب ان امراء الادارسة تولوا هدمها واخلاءها ، استجابة لرغبة اهل سبتة ، الذين زعموا انها تضر بمرافقهم . ومن المحتمل ان يكون سكان تطوان اذ ذاك اتخذوها مركزا للغارات على السواحل ، فكان ذلك سبب خرابها وهجرها ، ردحا من الزمان . ثم اشار البكري في كتابه : « المسالك والممالك » ، الى ما يفيد انها اصبحت عامرة في عهده اي في القرن الخامس الهجري ، وكذلك الشريف الادريسي ذكرها في كتابه « نزهة المشتاق » وهو من ابناء القرن السادس ، بانها حصن بربري ماهول بالسكان . وقد استوطنها في ذلك العهد الشيخ سيدي عبد الله التبين ، مهاجرا اليها من غرناطة — وكذلك الشيخ عبد الله الفخار ، الذى انتقل من سبتة .. وكلاهما له ضريح ما زال مزارة معروفة بتطوان الى الآن .. ثم اعتراها ما يقتضي اعادة بنائها من جديد في العهد المريني حيث امر السلطان ابو ثابت المريني بتحصينها سنة 1308 م — 708 هـ .. واستمرت في عمارتها مرة اخرى الى ان خربها القراصنة الاسبان والبرتغال اوائل المائة التاسعة من الهجرة .. اي عقب احتلال البرتغال لسبتة 1415 م) ولما اخذت افواج الاندلسيين تصل الى المغرب عقب الجلاء عن غرناطة ومالقة وغيرهما .. قصدها القائد الاندلسي ابو الحسن علي المنظري ، ومن معه من الغرناطيين الذين كانوا نزلوا قيما قبل بشفشاون — قيل انهم نحو اربعين عائلة وقيل اكثر — فاستوطنوها وعمروها وبنوها سنة 1493 م 898 هـ (اي بعد سقوط غرناطة بنحو عام) على النحو الذى هي عليه الآن تقريبا . ثم تكاثر اليها جموع المهاجرين الاندلسيين وغيرهم من الجزائريين واهل فاس والريف .. فاتسع عمرانها وعظم شأنها شيئا فشيئا . ومعلوم ان عمارة الاندلسيين لتطوان ، لم تتم الا بمساعدة الشريف علي بن راشد العلمي ، باني مدينة شفشاون في ذلك العهد ، اذ انه هو الذى اقر الاندلسيين على استئطان تطوان ، بعد استئذان امير البلاد السلطان الوطاسي محمد الشيخ .. وذكر مؤرخ قديم ان القائد المنظري شكا الى الشريف ابن راشد تعسف السكان الجبليين ، وافسادهم ما بناه الاندلسيون ، فاستقدم ابن راشد اربعمائة فارس ، من قبائل الريف ، لحماية الاندلسيين .. وبوجود اولئك وحراستهم ساد الامن وتم المشروع .. ومن اجل ذلك ظل المنظري واولاده، في اتصال مستمر، وتعاون وثيق ، مع علي ابن راشد وابنائه .. معاونين معهم في تنظيم البلاد وحكمها ، ودفع غائلة الاسبان والبرتغال .. وقد توثقت العلائق بين العائلتين .. المعروفة « بالسيدة الحرة » ذات الشهرة والذكر

وتزوج المنظري الحفيد بعائشة بنت علي بن راشد الحميد .. حيث انها استطاعت ان تخلف زوجها فى حكم تطوان وما جاورها ، وان تقوم بقيادة الجيوش بنفسها ، وتخوض معارك حامية ضد معاقل الاسبان والبرتغال .. وكان لها اسطول قوي يخوض البحار ويحمي الثغور .. ومن اخبارها انها تزوجت ايضا بالسلطان الوطاسي احمد ، لما حل بتطوان ، متفقدا احوالها . ولما غادر تطوان فوض اليها فى حكمها ، وتسيير شؤون الاقليم فقامت بذلك خير قيام ، وكان لها صوت فى الخارج وتحدث عنها الافرنج باعجاب ، ولها مراسلات معهم وعلاقات دولية مدونة فى التاريخ باسم **الاميرة حاكمة تطوان..** الى غير ذلك من اخبارها العجيبة مما جعل المؤرخين يسجلون هذه الظاهرة الفريدة فى تاريخ تطوان بل فى تاريخ المغرب كله .. حيث ان الانفراد بالحكم لم يتفق لامراة اخرى بالمغرب .. اللهم الا ما كان من زهور الوطاسية التي تحدث عنها التاريخ بانها حكمت فاس نحو عام فى ظروف حرجة مماثلة قبل ان يتمكن الوطاسيون من الحكم . واما الاميرة خناثة زوجة المولى اسماعيل ووالدة الملك عبد الله فانها لم تنفرد بالحكم قط ، اذ ان نفوذها لم يكن يصل الى البت فى الامور ، ومزاولة السلطة الفعلية فى حرية وتفويض .. فالمكتوبات الرسمية التى كانت تصدر عن خناثة لم تكن تتجاوز دور الوساطات ، او ما يسمى بالتدخلات .. وكذلك ضرتها المعروفة بالاميرة ام العز .. فهي دون ذلك بكثير .. وحتى لقب الاميرة ، او الملكة ، او السلطانة ، فانه لم يكن يخلع بصفة رسمية ، على زوجات الملوك وبناتهم وانما على سبيل التحلية والاكرام .. على انني وقفت اخيرا على رسالة رسمية محفوظة فى مجموعة الوثائق الرسمية باسبانيا ، وجهتها للا فاطمة زوجة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الاميرة الاسبانية مدام لويزة دي استوارياس زوجة الامير الاسباني الذى اصبح ملكا باسم كارلوس الثالث ، جوابا من اميرتنا عن رسالة سابقة ، واردة اليها من الاميرة الاسبانية المذكورة ، تطلب فيها منها تسريح اسيرات اسبانيات فاجابتها اميرتنا بان ليس بالمغرب – وقتها – اسيرات سبانيات ، قائلة : « لو كان عندنا اسيرات سرحناهن لاجل خاطرك » .. وذاكرة انها وجهت اليها على سبيل الهدية قسارية من اللوبان (علبة صفراء للحلى) وزوج دمالج من ذهب قائلة : « هما من الذهب الذي ياتينا من جناوة متاعنا – وهما من الحنية التى نستعملها فى ايدينا ، تفكرة من عندنا اليك » . فالرسالة بسيطة فى اسلوبها وتفكيرها ، مما يدل على انها صادرة من للا فاطمة نفسها مباشرة .. ولكن الذى لفت نظري بغرابة من الرسالة هو انها تحمل فى طالعتها عبارة : « من السلطانة العظيمة بالمملكة المغربية لالتنا فاطمة ادام الله عزها ، زوجة مولانا السلطان الاعظم سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت وسوس ودرعة نصره الله .. » مما يدل على ان الرسالة صدرت عنها بوصفها « سلطانة عظيمة بالمملكة المغربية » وهو وصف غير مالوف .. الا ان يكون الكاتب السلطاني الذى تولى توجيه الرسالة اراد ان يخلع على الكاتبة القاب الفخامة ، قصد اكبارها فى عين الاميرة الاسبانية المكتوب اليها .. وهذا جانب مهم من تاريخنا النسائي يحتاج الى مزيد بيان لا يتسع المقام للاسترسال فيه ، وربما افرده بحديث آخر ان شاء الله ..

والى الحلقة القادمة .

الرباط – الدكتورة آمنة اللوه





للأستاذ محمد الطنجي

(تسجيلها في دفاتر خاصة تسمى الحوالات) ـ بعض امتيازات خاصة بالاوقاف ـ ابطال التنافيذ واكراء أملاكها بالكراء الوقتي ـ اعفاء الاوقاف من ضرائب ترصيف الطرق المحاذية للاماكن الدينية ـ اعطاء الحق للاوقاف في فسخ عقد امكنتها بعد تقاعد المكتري اي ثلاثة اشهر عن اداء كرائها بعد اعطاء أجل ثمانية ايام فقط ـ اعفاء الاوقاف من ايداع مطالب التحفيظ ـ المكرمة الكبرى من امير المؤمنين لها باعفائها من ضريبة المباني دون ضريبة الازبال لانها على المكتري ـ من مصالح الاوقاف اعادة النظر في تشريعها واستصلاح اراضيها لصالح نفس الاوقاف .

ابتداء الوقف في الاسلام

يقول الله تبارك وتعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » . وتقول آية اخرى : « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . وفي نطاق التعاون على البر اهتم صحابة الرسول بقضية وقف حصص من املاكهم على اسناد تعاليم الدين بنشر دعوته وعلى القيام بالشعائر الدينية في اماكن العبادة وعلى اسداء المعروف واكرام الضيوف واغاثة الملهوف ، فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد الله ابن عمر ان عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ثمغ وكان نخلا فقال يارسول الله اني استفدت مالا وهو عندي نفيس فاردت ان اتصدق به ، فقال النبي (ص) تصدق باصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره .

فتصدق به عمر فصدقته تلك في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل ولذوي القربى ولا جناح على من وليه ان ياكل منه بالمعروف او يؤكل صديقه غير متمول به »

وروى عمر بن شبة عن عمرو بن سعد ابن معاذ قال سألنا عن اول حبس في الاسلام فقال المهاجرون صدقة عمر وقال الانصار صدقة رسول (ص) وفي اسناده الواقدي وفي مغازي الواقدي ان اول صدقة موقوفة كانت في الاسلام اراضي مخيريق بالمعجمة مصغرا أوصى بها الى النبي (ص) فوقفها النبي (ص)

واذا كان الوقف على مصالح الاسلام ابتدا في عهد الرسول الاكرم فقد داب المسلمون في مشارق

الارض ومغاربها على وقف بعض املاكهم على المصالح الدينية والخيرية وعلى المساجد والقائمين عليها لانها بيوت الله وعلى الضعفاء والمرضى والعلاج وما يخص التعليم الديني حتى تحفظ شريعة الاسلام ويتلقاها الخلف عن السلف بكل عناية ويجد الطالبون لها في وقت دراستهم ما يعينهم على التفرغ لهذه الدراسة .

والمغرب المسلم له قسم اوفر من هذه المبرات والمكارم الاسلامية اوقفها المسلمون رجاء ثواب الله لهم على اعمالهم الصالحة وعملا بقول الرسول بان ثواب هذه الصدقة الجارية لا ينقطع بعد موت صاحبها حيث قال عليه السلام : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له)) .

والدول الاسلامية على اختلاف العصور لها مواقف كريمة في هذا الميدان سواء بالتحبيس من ولاة الامور او بالحفظ والرعاية لما حبسه المخلصون من المسلمين .

وان الدولة العلوية الشريفة من اوائل نشأتها وهي تهتم بمؤسسة الاوقاف تحفظ ما هو موجود منها وتنشأ اوقافا جديدة مهمة تضاف الى ما هو جديد وهكذا دواليك فمنذ عهد المولى الرشيد اول الملوك العلويين ابتدات هذه العناية بالاوقاف .

فاهتم المولى الرشيد اول جلوسه على دست الملك بمدينة فاس اولا باستشارة اكبر عالم فيها فيمن يوليه وتكلف المجيء الى داره بنفسه نظرا لكبر سن العالم ، وثانيا بتمسكه بتولية النزهاء ولو بالاكراه البدني حتى يحصل الاستقرار واطمئنان الناس على مصالح الدين ومصالحهم الخاصة فقد ذكر ابو القاسم الزياني في الفية السلوك عند حلول المولى الرشيد بمدينة فاس ما معناه : « انه وجه للاستاذ ابي زيد عبد الرحمن بن القاضي الفاسي يستقدمه لدار امارته ، فاعتذر بعدم القدرة لكبر سنه وملازمته داره ، فأتاه السلطان لعرصة قريبة من بيته من ثقب أحدث في سورها ، فقال له السلطان جئت لاستشيرك فيمن اوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر ، فقال له اما الحاكم فلا اتقلده ، والقاضي حمدون المزوار ، والمحتسب عبد القادر المركني الفلالي ، والناظر العدل مسعود الشامي ، ثم ذكر الزياني امتناع الشامي من نظارة الاوقاف حيث قال : فامتنع الشامي من النظارة فسجن سبعة اشهر ، ولما ضاق به الامر اجاب على شرط ان لا يتعرض له قاض ولا وال **لان الاحباس كلها حازها اللصوص والاشراف ايام الفتنة حتى كادت ان تستأصل كلها** (يعني فولاه المولى الرشيد على شرطه) واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهم بربع او ارض او جنان او دكان يحوز ما عنده من الرباع ، فما ظهر رسمه يرده له ، وما وجد مغصوبا او لا رسم عنده علم انه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الاوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف او غيره .

وان اسعاف المولى الرشيد العدل مسعود الشامي بقبول شرطه وتأييده حتى استرد الاوقاف كلها بفاس من ايدي الغاصبين لهي مكرمة وفاتحة خير لرعاية اوقاف الاسلاف المحبسين رحمهم الله من الدولة العلوية .

عناية المولى اسماعيل بالمساجد وحوالات الاوقاف

وفي حوالة مدينة تازة حكاية لاعتناء المولى اسماعيل بعمارة المساجد وافتقاد احوالها والاحباس وكتابة حوالاتها وانه قلد الامين ابا عبد الله محمد القيسي الاندلسي المشهور بالكاتب امورها على على الشمول والاستغراق واطلق له في محاسبة احباسها على العموم الاطلاق وانه ، اي ناظر الاحباس العام كما سر ذلك بتوقيعه في هذه الحوالة الكبرى .

ويظهر ان المولى اسماعيل ولى بعد ذلك امور الاحباس العامة للسيد بلقاسم المسطاسي

ففي ظهير شريف للمولى عبد الله بن اسماعيل ما ياتي :

« ويتعرف منه بحول الله اننا جددنا له (اي لبلقاسم المسطاسي) ما كان عليه من النظارة في امور الاحباس في جميع الاقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر وجعل له المولى عبد الله ان يولي من اراد ويترك من اراد » .

وقد بقيت احباس بعض المدن دون تسجيل الى زمان مولاي محمد بن عبد الرحمن حيث امر العلامة

السيد محمد عواد قاضي مدينة سلا ان ينظر فى تلك الاوقاف نظر الرائد ويعمل الجهد فى استنساخها ووصل الصلة بالعائد ، وتؤلف كلها بديوان جامع لاشتاتها ، ومحيط بأجزائها وكليتها على نسق حوالة اهل فاس الغراء لانها عمل من تقادم من جهابذة العلماء والقراء » .

ونجد رسالة من المولى عبد العزيز تأمر بتقييد رباع الاحباس بالدار البيضاء للاطلاع على احوالها كلها ، ونص الرسالة : خديمنا الارضى ، ناظر الاحباس بالدار البيضاء حرسها الله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد ، فنأمرك ان تجعل تقييد الجميع رباع الحبس الذى على يدك هناك كل محل على حدة ، وتقييد ما بازائه اسم مكتريه ، وان كان رعية فنبه عليه ، وان كان حماية فكذلك ، واذكر اسم حاميه ، وان كان اجنبيا فبين اسمه وجنسه ، وقيد امام اسم المكتري الكراء الذى يدفعه فى ضلع ، وما يساويه اليوم كراء فى ضلع آخر ، ومن كان متقاعدا عن الاداء نبه عليه ، وبين سبب تقاعده ، ثم قيد عقب ذلك المنفذ منها بدون كراء ، وبيد من هو ، وهل يعتمره المنفذ له او يكريه على يده ، ، وهكذا الى ان تأتي على جميعها على الوجه المذكور ووجه التقييد بها واصلا لحضرتنا الشريفة والسلام » .

وهذا بحث دقيق يبرز اهتمام المولى عبد العزيز باملاك الاحباس حتى تعود لاداء مهمتها على الوجه المطلوب شرعا .

ويوجد ظهير شريف مؤرخ ربيع الثاني 1332 — 27 فبراير 1914 فيما يتعلق بالجزاء والاستئجار والجلسة والزينة وشبهها مما يسمى بالمفتاح والغبطة والعرف والحلاوة ونحو ذلك وعرض هذه القضايا على لجنة من العلماء فاجتمعت لجنة العلماء وتفاوضت مع رجال الدولة فصدر الامر بجعل سبعين بالمائة لصاحب المنفعة وثلاثين للاحباس » ويكون التقويم للكراء الحقيقي فى كل ثلاثة اعوام بواسطة لجنة تعينها وزارة الاوقاف وهذا امتياز تجب المحافظة عليه .

تسهيل بيع المنافع تبعا لما جرى به العمل فى معاوضات الاوقاف

وفى ظهير 17 رمضان 1334 — 8 يوليوز 1916 يوجد تسهيل فى معاوضة المنافع المسلمة شرعا حيث يقول الفصل الثاني منه :

يمكن تعويض المنافع المسلمة شرعا من الجزاء والاستئجار والمفتاح والزينة والحلاوة بوجه المراضاة مع اربابها بطلب منهم سواء كان ذلك بالنقد او بالعقار على ان يكون مناب الاحباس بنسبة ثلاثين فى المائة من قيمة الملك الذى عليه المنفعة حسبما هو منصوص عليها بالظهير المؤرخ بفاتح ربيع الثاني 1332 » .

ويشترط فى كل المفاوضات كما هو معلوم صدور امر مولوي بها .

ويشترى بثمن المفاوضات املاك للحبس فى اقرب وقت .

وفى كتاب مولوي شريف مؤرخ ب‍ 10 رمضان 1331 هجرية استيفاء الكراء الوقتي فى الاملاك الحبسية حسب تقدير اللجنة وعدم الالتفات الى التنافيذ السالفة فى استيفاء الكراء الوقتي فى الاوقاف المنفذة لمن هي فى يده بدون كراء او بكراء دون المقدر لها باللجنة .

وفى ظهير شريف مؤرخ 25 جمادى الاولى 1334 هجرية 20 مارس 1916 اقرار ما فى حوالة احباس مدينة سلا من تجديد قضية تحبيس الحوت الشابل الذى اقره سابقا المولى اسماعيل للعدوتين الرباط وسلا ..

ولنظارتي العدوتين ان يباشرا معا اصطياد الحوت الشابل ولهما ان يدفعاه بالسمسرة لمن يقوم بذلك ان رأيا فى ذلك مصلحة للاحباس .

وفى منشور بتاريخ 5 رمضان 1336 ه‍ 14 يونيو 1918 وجه للنظار فى شأن اعفاء جانب الحبس من الضرائب على ترصيف الشوارع والطرقات المحاذية للمحلات الدينية وانه كتب من الاقامة العامة الى رئيس الادارة البلدية بذلك .

امتياز للاوقاف فى قبض كراء املاكها

فى الفصل الخامس من ظهير 16 شعبان 1331 ما نصه ان لم يدفع المكتري اي ثلاثة اشهر كانت بعد تأجيله ثمانية ايام فللوزارة الحق فى فسخ كرائه زيادة على محاكمته فى التقاعد عن الدفع ، وصدر منشور من وزارة الاوقاف فى شأن تطبيق هذا الفصل بتاريخ 26 ماي 1967 .

وفي ظهير شريف مؤرخ 17 ربيع الثاني 1383 هـ 7 شتنبر 1963 :

ان مسطرات تحفيظ الاملاك الحبسية باستثناء الحبس العائلي التي يطلب النظار اجراءها بعد موافقة وزير الاوقاف تعفى من صوائر ايداع مطلب التحفيظ » .

وحسبما اعلن عنه وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة في العام المنصرم ان مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني اصدر امره الشريف باعفاء املاك الاوقاف من ضريبة المباني دون ضريبة الازبال لانها على المكتري .

وهذا امتياز عظيم للاوقاف في عهد البعث الاسلامي الذى اعلن عنه جلالته وعناية كبيرة بالمؤسسات حفظه الله ذخرا للاسلام وسندا لشريعة جده المصطفى عليه السلام .

ومن مصالح الاوقاف اعادة النظر في تشريعها الفقهي والاداري

ان عددا من المسلمين المحسنين يقومون ببناء مساجد جديدة ويوقفون بعض املاكهم عليها لتقوم غلتها بما يلزم لتلك المساجد من موظفين وغيرهم الا ان تلك الاوقاف كثيرا ماتبقى بيد البانين للمساجد ونجد الامام مالكا رحمه الله اشترط لصحة التحبيس على وجه الاحتياط شرط حيازة الملك المحبس من يد المحبس الى غيره من ناظر او متصرف ، وهذا الشرط وان كان احتياطا فهو يبطل جميع الاوقاف التى بقيت بيد الواقفين الى وفاتهم وهو من جهة اخرى مخالف لعمل الصحابة فقد عقد الامام البخاري في صحيحه «باب هل ينتفع الواقف بوقفه» ثم قال : وقد اشترط عمر رضي الله عنه لا جناح على من وليه ان يأكل منها (اي من ثمرة الارض الموقوفة) قال البخاري وقد يلي الواقف وغيره ، قال وكذلك كل من جعل بدنة او شيئا لله فله ان ينتفع بها كما ينتفع غيره ، فعلق الحافظ ابن حجر على قول البخاري وقد يلي الواقف وغيره اي يلي النظر في الوقف قال ابن حجر هو من تفقه المصنف (اي البخاري) وهو يقتضي ان ولاية النظر لا نزاع فيها ، وليس كذلك ، وكأنه فرعه على المختار عنده والا فعند المالكية انه لا يجوز ثم نقل الحافظ ابن حجر قول ابن بطال شارح البخاري وهو من المالكية حيث قال : وانما منع مالك من ذلك (اي من تصرف الواقف في وقفه دون تسليمه وتحويزه لغيره) ايلا يصير كانه وقف على نفسه او بطول العهد فينسى الوقف او يفلس الواقف فيتصرف فيه لنفسه ، او يموت فيتصرف فيه ورثته ، قال ابن بطال : وهذا لا يمنع الجواز اذا حصل الامن من ذلك انتهى قول ابن بطال ، والامن الذي يشترطه ابن بطال بناء على راي الامام مالك حاصل الآن حيث تسجل رسوم الاوقاف في المحاكم وتسجل ايضا بطريقة شرعية في حوالات الاوقاف وبالغاء هذا الشرط تحفظ الاملاك المحبسة التى بقي المحبسون انفسهم يتصرفون فيها بعد تسجيلها في سجلات المحاكم وحوالات الاوقاف على ان عمل الصحابة الذى اخذ به الامام الشافعي على خلاف اعتبار شرط التحويز لصحة الحبس فقد نقل الحافظ ابن عبد البر في كتاب التمهيد ان الشافعي يجوز عنده في الاوقاف من ترك القبض ما لا يجوز في الهبات والصدقات المملوكات لان الوقف عنده يجري مجرى العتق يتم بالكلام دون القبض قال : ويحرم على الموقف ملكه كما يحرم عليه ملك رقبة العبد اذا اعتقه ، الا انه جائز له أن يتولى صدقته وتكون بيده ليفرقها ويسبلها فيما اخرجها فيه لان عمر بن الخطاب لم يزل يلي صدقته فيما بلغنا حتى قبضه الله وكذلك علي وفاطمة كانا يليان صدقاتهما. انتهى .

وبهذا التشريع الذي هو عمل الصحابة واجتهاد الشافعي واتباع مذهبه ينفتح الباب أمام المريدين للتحبيس على المصالح الدينية وتحفظ في نفس الوقت الاحباس التى حبسها البانون للمساجد من البطلان عند وفاتهم وان بقيت في ايديهم يتصرفون في مدخولها وينفقونها في مصالح المساجد او في الاعمال الخيرية الاخرى وكما وقع تعديل في الاحوال الشخصية حتى ضبطت جميع الاصلاحات في مدونة خاصة كذلك ينبغي ان يكون للاوقاف قانون خاص تسجل فيه ما في الظهائر الشريفة من اجراءات ادارية واحكام فقهية تحقق وتحفظ مصالحه.

حول اصلاح اراضي الاوقاف

اماالامل الكبير الذى يرجى تحقيقه لاسناد المؤسسات الدينية فهو ما يتعلق باصلاح اراضي الاوقاف لفائدة الاوقاف نفسها حتى تستطيع ان تقوم بمهمتها فى مجتمعنا الاسلامي خير قيام اذ لا يخفى انارتفاع زيادة السكان المسلمين فى المغرب يقتضي زيادة المساجد التى تقام فيه الشعائر الدينية التى هي خير رابطة بين قلوب المغاربة منذ تكوين كيانه واجتماع شمله بالاسلام .ولا ينكر ما تقوم به وزارة الاوقاف وحكومة صاحب الجلالة فى تشييدها من جديد واصلاح الموجود منها او اعادة بنائه وبالطبع يكلف احداث هذه المساجد المتزايدة وقيام الموظفين الدينيين بها وتجهيزها الثقافي بالدروس الدينية من العلماء الاكفاء، يكلف كل ذلك اعتمادات ذات اهمية فتحتاج الاوقاف الى موارد جديدة ، واحسن مورد فى هذا الصدد هو استصلاح اراضيها فى مختلف العمالات وتجميعها حسب نظام تجميع الاراضي التى ستسقى وابقاؤها فى حظيرة الاوقاف حيث سيزداد مدخولها باضعاف كثيرة وتكتفي الاوقاف بها فلا تطلب اعتمادات جديدة من الدولة للقيام بمهماتها النبيلة وما تحقيق هذه الغاية النبيلة فى عهد امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني بعزيز ، حفظ الله مولانا الامام وابقاه ذخرا للاسلام وباعثا لنهضته حتى يعيد للاسلام عزته وصولته فى هذه الديار المغربية الوفية للامامة الاسلامية بحول الله .

الرباط ـ محمد الطنجي





ملحمة النصر

وإذا بالحسن المقدام سباق مبادر

وإذا المغرب في المشرق حشد من مفاخر

للاستاذ عمر بهاء الدين الأميري

اقامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مهرجانا اسلاميا كبيرا فى جامع السنة فى الرباط بمناسبة عيد الهجرة النبوية المشرفة ، حضره عدد كبير من صفوة العلماء والوزراء والسفراء ورجالات الاسلام ، وقد تليت فيه آيات من الكتاب الكريم واناشيد دينية ، وتكلم خلاله عدد من الاساتذة العلماء ، وكانت قصيدة الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ((ملحمة النصر)) بهاء الحفل الذي كان مسك ختامه كلمة رائعة جامعة لمعالي الوزير فضيلة الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري ، وقد خص الاستاذ ((دعوة الحق)) بملحمته الفذة ، التي تضم صفحات كلها مشاعر ، من تاريخ الاسلام المعاصر ، تبدأ بعد احداث نكبة فلسطين عام 1387 (1967) حيث يعرب الشاعر عن اعتقاده ـ رغم الهزيمة ـ بالنصر فى المستقبل ، ثم يتوجه الشاعر الكبير باهابة كلها امل وثقة بعاهل المغرب المفدى ، ثم يتحدث فى ملحمته عن حالة الامة العربية عقب النكبة ، وهي حالة عاشها العرب بين اليأس والرجاء ، فى تردد بعض القادة والزعماء ، وتبلبل مختلف اوضاع الامة العربية ... حتى اشرقت اطلالة النصر من انوار ونفحات رمضان المعظم ، وهنا يلم الشاعر بما كان للمغرب وعاهله المقدام من المبادرة المشكورة التى يشدو بها الشاعر الكبير ، ثم ينتقل الى وصف اشعاعات النصر الاولى التى نرجو الله لها الكمال ، داعيا الى عدم الاخلاد الى الدعة والاطمئنان الى الوعود ، مناديا بالتوجه الى الله ، وانها بحق لقصيدة رائعة احرى بها ان تسمى ((ملحمة النصر)) ، ودعوة الحق تنشر هذه اللحمة معتزة شاكرة :

جـــلوة .. تلهـــب العـــزم
وجـــــد .. وتقـــد

زفـــرات ، وابتـــهـــالات ، ونـــجـــوى ، وبشـــائـــر
صـــور مخلصـــة التعبيـــر ، عن شتـــى المشاعـــر
واناشيـــد ، بهـــا الوجـــد ، بهـــا التقـــد ، خـــرائـــر
مـــن مـــرارات اســـى النكبـــة ، فيهـــا يـــث شاعـــر
لـــم يجـــر ، لكنمـــا تفريـــط مـــن فـــرط ، جـــائـــر
فشكـــى الامـــر الـــى اللـــه ، والقـــى فى الضمـــائـــر
جـــذوة تلهـــبـــها عزمـــا ، فقـــالـــوا عنـــه : ثائـــر !

اهابـــة .. وثقة باستجابـــة
وكان حقا علينا نصر المؤمنيـــن

هدي النبـــوة ، يا ابنهـــا   ما زال مقـــدوح الزنـــاد
هـــذى رحـــى الارزاء   تطحننا ، وللامر اشتداد
كـــان الـــذى قـــد كـــان   والدنيا انقباض وامتـــداد
والعاقـــل المقـــدام ، لا   يثنيه عن سعـــي حـــداد
واراك تدرك ، كيف حاد   القوم ، فى غرر الجيـــاد
« وتقدمـــوا » فتاخـــروا   والسير دون هدى ، ارتداد
وتفاخـــروا ، وتهاتـــروا   و« ازرق» و« احمر» المداد!
فكـــن المجاهـــر باعتنـــاق   الحق ، وابتدر الجهـــاد
عبء « الامانة » يستحثك   والحـــروب لهـــا عتـــاد
« للامة الوسط» الشـــهادة   والسيـــادة ، والســـداد
و « المغـــرب » المغوار   للاسلام والفصحى عمـــاد
من ســـار فيه على هـــدى   الرحمـــن ، اولاه القيـــاد
فاجمع على الله العبـــاد   فانـــه رب العبـــاد
وحد صفـــوف العـــرب   بالاسلام وانتهز الرشـــاد
فالقوم فى الصف المشتت   ليس ينفعهـــم عتـــاد
اللـــه فى الميـــدان   والمدد الملائك فى تنـــاد

فاقدم جنود الخير والايمان واقتحم الجلاد
وامدد «فلسطين» السليبة بالمضمرة الجياد
وشدد على اعدائها الباغين بالقوم الشداد
وحمى الوغى ، فالنصر حق . والطغاة الى نفاد

(1387 - 1967 في اعقاب النكبة)

عدو غادر .. وحاكم مكابر
والاحرار .. بركان نور ونار

ويمر العام اثر العام ، والدولاب دائر
العدو المجرم المتكبر الممعن ، غادر
والذي يحكم باسم الشعب ، بالشعب يتاجر
اورد الامة اهوالا وما زال يكابر
يتبنى في سفاه « ايديولوجيات » كافر
وهو عن دين الهدى والحق مقطوع الأواصر
ودم الاحرار كالبركان فيه الرفض فائر

هم .. وتفنيد .. وتنديد
وجه تقلب في السماء

بين المشارق والمغارب قلب على الصهوات واثب
عصفت بصاحبه الهموم وآده كر المصاعب
وتنقلت بخطاه همة مشرئب العزم لاهب
في الارض يطوي بونها ويشق مزدحم المناكب
وعلى متون الجو ينتهب المدى ، والجو صاخب
واذا استقر فكره عبر الدنى ، حيران لاغب
وجه تقلب في السماء تحف قبلته الشوائب
وإباء حر ، والحياة كأنها نفق المصائب
لبكي على «الاقصى» الاسير وفي « الخليل » لنا مناحب
في القدس في الجولان في سيناء تمزعنا مخالب
اعداؤنا لد وقاح البغي ، في ختل الثعالب

يستقطبون لحربنا الاشتات في كيد .. مواظب
ورجالنا يسعون ... لكن في المآدب وللمواكب !
اما الشعوب فامرها في حيرة والراي سائب
قد ضللوها بالشعارات المزورة ... الكواذب
واستهلكوها بالفجور وبالطلا أم المثالب
واستحدثوا « بالفن » ما يلهي النفوس عن الوجائب
فتغافلت .. وتقاعست وعدوها يقظان دائب
ورموا اباة الضيم احرار الضمائر بالغياهب
وتشبثوا .. بربوقهم ومضوا مضيا غير صائب
والامة العربية « الشماء » بين نيوب غاصب !!

(1970 — 1390)

غيرة الله — ... في رمضان ..
عاهل سباق .. ومغرب مجاهد

ويغار الله ، ولله ان امهل قاهر
فاذا بالجبروت الزور ، تفتيه المقابر
واذا « الرجعي » بالرجعى الى الله يباهر
واذا بالعاهل المقدام ، سباق مبادر
واذا المغرب في المشرق ، حشد من مفاخر
واذا في رمضان الخير ، في حرب المصائر
تقلب الاوضاع في كل الدنى ، قدرة قادر

نصر من الله ...
طليعة الزحف المقدس

من الله ، من اقداره جل قدره
تنزل هذا « الفتح » فالنصر نصره
ومن حوله ، من طوله ، وبأمره
وحكمته في حكمه ، ثم أمره

وان له عمقا ، وافقا ، على مدى
من الدهر ، لن يرتد ، قد ذر فجره

وأن لـــــه اشـــراقــــــه ، وانطلاقـــــــه
ومـــن قــــال اوقفنـــاه ، فالجـــهـــــل وزره
ولكنـــــه .. لآجـــــال ، لليـــوم حـــقــه
وللغـــد ـ مـــلء السعـــي والـــوعــــي ـ أزره
بعد الحصيـــف ، الثاقـــب الــــراي ، عزمـــه
أموعـــده المرصـــود فـــي الـغـيــب ســـره
لموعـــده المـــرصــــود فـــي الغيـب ســـره
علـــى ثقـــة ، كالراســـخ الـطـــود ، اتـــه
سيــأتـــي وفـــي الابـــان ، يـــزحــف كـــره

الهجرة درس الدهر ـ ...
وانك لتهدي الى صراط مستقيم

يا رســـول اللـــه ، والهجـــرة خلـــد مـــن مآثــر
هي درس الدهـــر ، فـــي الايمـــان والعـــزم المثابـــر
هي مجـــد الحكمـــة القعســـاء ، في قهـــر العوائـــر
هي مكـــر اللـــه بالبغـــي ، ومـــا كاللـــه ماكـــر
يا رسول الله ، نحـــن اليـــوم في شـــدق المخاطـــر
بك نستهـــدي ونمضـــي ، فلتنـــر منـــا البصائـــر
وليكـــن فـــي عوننـــا اللـــه ، فنصحـــو ونهـــاجـــر

هجـــرة الـــى اللـــه ....
يا خير امة اخرجت للنـــاس

هجـــرة للـــه ، يـــا امـــة خيـــر المرسليـــن
النبـــي العربـــي الصـــادق الثبـــت الاميـــن
الابـــي ، المثـــل العلـــوي ، فـــي دنيـــا وديـــن
سيد الخلـــق ، لســـان الحـــق ، عـــدل الشاهديـــن
مـــن بنـــا الانســـان بالايمـــان ، بالعزم المكيـــن

دعوة الى نبذ «الايديولوجيات» الخائبة
سيطرة الباغيـــن .. الى حيـــن

امة الاســـلام ، مـــا فـــي الارض مـــن مستخلفيـــن

غيرنا ، واضلتنا ، حتام تبقى نائمين ؟!
هجرة ، من وهدة الضعف ومن كل مشين
هجرة نفدو بها حقا وصدقا مؤمنين
هجره ، من « ايديولوجيات » قوم خائبين
قادهم علمهم الظاهر للجهل الدفين
فهم يحيون ، لكن فى شقاء سادرين
ما الذي ينفعهم غزو فضاء بسفين ؟
وهمو فى أرضهم ، صرعى بغزو « الهرويين » !
وبهتك الخمر والعهر ، وفتك المجرمين !!
سلبوا الانسان فحواه ، وسادوا غاشمين
سيطروا ، لكنها سيطرة البغي ، لحين

1394 : عام التمحيص :
الجنة تحت ظلال السيوف

امة الاسلام هذي سنة لا كالسنين
نحن فى مفترق بين دروب الحائرين
قد نراهم فى شماس وحماس خائضين
مكر جبارين ، والليث سجين فى العرين
لهمو جزم طليق ، وله عزم رهين
نسأل الله الهدى ، والله خير الماكرين
وهو القاهر والقادر ، والرب المعين
وطريق النصر ، ليست ظللا من ياسمين
جنة الرضوان فى ظل سيوف الفاتحين
فاحشدي الطاقات ، واسعي بقناة لا تلين
وافتحي للنور عينيك ، وللحق المبين
ان في درب خطانا اليوم ، مليون كمين
فاستبيني ، ضل من في خطوه لا يستبين

وجاهدوا فى الله حق جهاده
... ان وعد الله حق

امة الاسلام ، حبل الله ممدود متين

والنجـاة الحـق ، في الداريـن ، للمستمسكيـن
فاضربـي الامثـال للنـاس ، بهـدي تتبعيـن
اكبـر المقـت ، اذا قلـت الـذي لا تفعليـن !
جاهدي ، والتمسي فـي السعـي نهج الفائزيـن
وثقـي باللـه ، وعـد الله حتـم لا يمـن
نصـره آت ، وان طالـت طريـق الكادحيـن

سيطـرة الافتيـن علـى الدنيـا ...
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود

يا الـه الكـون ، ربـان الدنـى اليـوم افيـن
لا يراعي الـروح ، والانسـان دون الـروح طيـن
« سامري » واحد « روزفيلت » يدعـى او « لينيـن »
لم يزل في « تيهـه » المنبـوذ ، منـذ الاربعيـن
هالـك ، يمكـر كـي يجعلنـا في الهالكيـن

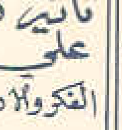
ضراعـة ... وشفاعـة ...
وما ارسلناك الا رحمة للعالميـن

يـا الـه الكـون ، قلـد امـره المسلميـن
زكهـم ، انقـذه ، اسعـد خلقـه بالمفلحيـن
بـك ندعـوك ، ونرجـوك رجـاء الضارعيـن
برسـول اللـه ، بالقـرآن ، بالنـور المبيـن
انجـز الوعـد بـدارا ، انـه حـق اليقيـن
كـن لنـا ، نبعـث عهـود الخلفـاء الراشديـن
واقمنـا وادمنـا رحمـة للعالميـن

الرباط ــ عمر بهاء الدين الاميري



التيار الفقهي المرابطي



ومدى تأثيره على الفكر والأدب

للدكتور عباس الجراري
أستاذ الأدب العربي والأدب الشعبي بكلية الآداب



يعتبر التعليم الجامعي الدعامة الاساسية لبناء أي مجتمع ناهض يسعى للسير في طريق التطور والتقدم .

وقد كان انشاء الجامعة المغربية غداة الاستقلال تجاوبا مع هذه الحقيقة وايمانا من المغفور له محمد الخامس بأن بناء هذا الاستقلال لا يمكن أن يتم بدون تكوين أطر عليا قادرة على تحمل المسؤولية في مختلف القطاعات ، وبدون خلق ثقافة وطنية تكون استمرارا علميا وتجديديا لثقافتنا الاصيلة .

واذا كانت جامعة محمد الخامس قد قدمت الكثير من العطاء الفني المثمر على توالي السنوات الاولى لعهد الاستقلال ، فانها في ظل الحسن الثاني العظيم قد طفرت بعيدا بفضل عنايته ورعايته أبقاه الله ، حيث أصبحت تتسع لمختلف الاختصاصات العلمية ولجميع أبناء الشعب ، في تشجيع منقطع النظير .

وقد عاشت الجامعة هذه السنة طفرة جديدة حيث دشنت مباني جديدة أضيفت لكلية الآداب سواء في الرباط أو فاس ، وتم تعريب مختلف فروع الدراسة بهذه الكلية ، كما أعلن عن انشاء كليات واحياء جامعية جديدة تلبية للمتطلبات المطردة التي يقتضيها النمو المتزايد للمجتمع المغربي ، وتأكيدا للتجاوب التلقائي الذي يجعل الجامعة في خدمته وباستمرار .

ولقد كان يوم الاربعاء سابع نوفمبر 1973 يوما مشهودا في تاريخ الجامعة حيث دشن الموسم الدراسي الجديد في حفل علمي رائع حضره أساتذة الجامعة وطلابها وجمهور من المثقفين غص بهم مدرج ابن خلدون بكلية آداب الرباط حيث كانت المناسبة فرصة لافتتاحه .

وقد تراس هذا الحفل معالي وزير التربية الوطنية السيد الداي ولد سيدي بابا ، والى جانبه عدد كبير من أعضاء الحكومة وفي طليعتهم صاحبا المعالي وزيرا الدولة الفقيه السيد الحاج محمد ابا حنيني والدكتور محمد بنهيمة .

وفيما يلي نص المحاضرة التي ألقاها في الحفل الدكتور عباس الجراري أستاذ الادب العربي والادب الشعبي بكلية الآداب :

اصحاب المعالي والسعادة
زملائي الاساتذة
ايها الاخوة الطلاب
حضرات السادة

موضوع هذه المحاضرة التي يشرفني أن افتتح بها الموسم الجامعي الجديد هو : ((التيار الفقهي المرابطي ومدى تأثيره على الفكر والادب)) . وسأناقش فيه قضية لعلها من اهم القضايا التي يثيرها ادبنا ـ الادب المغربي ـ والتي لا جدال في انها تعترض الباحثين فيه .

هذه القضية ترتبط في اطارها العام بفكرة شاعت عند الدارسين وغير الدارسين ، تذهب الى طغيان الروح الديني والطابع الفقهي على أدبنا في مختلف انواعه واشكاله وعلى مر الحقب والعهود ، وترتبط في اطارها الضيق بعصر لا اخال عصرا من عصور التاريخ والادب في المغرب تعرض لما تعرض له من نقد متطرف لاذع ، كاد لشدته وعنفه أن يشوه ملامح صورة القوة والمجد التي رسمها المغاربة على صفحات التاريخ لهذا العهد ، ببطولة نادرة وفي كثير من الصدق والاخلاص .

ويتلخص هذا النقد في حملة اتهام للمرابطين بالاقتصار على الفقه والجمود عنده ومحاربة ما سواه . وقد بدات هذه الحملة على المرابطين منذ عهد خصومهم الموحدين ، وعلى يد مؤرخ موال لهم هو عبد الواحد المراكشي ، ثم انتقلت الى بعض الاندلسيين امثال الشقندي ، واستمرت كذلك الى ان تلقفها المستشرقون فيما بعد ، لهوى صادفته في نفوسهم ، وغلفوها بمظاهر من الموضوعية العلمية والبحث النزيه ، حتى حمل عنهم عبء شنها بعض الدارسين العرب ، سواء منهم المشارقة او المغاربة ، عن اقتناع حينا وعن تقليد في غالب الاحيان .

ويكفينا للتعرف على الاتجاه الذي سارت فيه هذه الحملة ان نستعرض امثلة من اقوال هؤلاء :

يقول المراكشي في المعجب : ((فلم يكن يقرب من امير المسلمين ويحظى عنده الا من علم علم الفروع ، اعني فروع مذهب مالك ، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها ، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحد من مشاهير اهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ، ودان اهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام ، وقرر الفقهاء عند امير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه ، وأنه بدعة في الدين ، وربما أدى أكثره الى اختلال في العقائد)) (1) .

وعند المستشرق دوزي في تاريخه أن الحياة الفكرية تدهورت في الاندلس المرابطية بسبب سيطرة الفقهاء (2) .

اما المستشرق اشباخ فيأتي من هذه اللهجة يتحدث ، ويذهب في تاريخه للاندلس الى ان المرابطين ((اضطهدوا كل ما عنيت الدول العربية بتشجيعه من قبل ، وطاردوا العلوم الفلسفية والكلامية التي تنكرها التعاليم المرابطية ، وحظروا قراءة الكتب التي تحتويها واحرقوها علنا)) (3) .

وفي موضع آخر من تاريخه يضيف : ((ظهر المرابطون من بين سكان الصحراء البدو الساذجية ، فكانوا أعداء لكل حضارة عربية ، ومن ثم كانت حكومتهم كريح الصحراء اللافح حيث يهب على الغياض النضرة ، تعمل لتحطيم جميع العلوم والفنون ... وكان اولئك الحكام القساة يمقتون القبائل العربية وثقافتها ، ويعملون على سحق هذه الثقافة بكل ما وسعوا ، فكانوا يطاردون العلماء الذين ينحرفون عن معتقداتهم ويحرقون كتبهم)) (4) .

— × —

ونود منذ البدء ان نقرر ان التيار الفقهي ـ متمثلا في المذهب المالكي ـ كان موجودا بالفعل على عهد المرابطين ، ولكنه لم يكن جديدا على المغاربة . فقد أخذوا به والتزموا بآرائه فقها وعقيدة منذ العهد الادريسي ، واستمروا يعملون به ـ ولا يزالون ـ

(1) ص 172 .
(2) ج 3 ، ص 155 .
(3) ج 2 ، ص 239 .
(4) ج 2 ، ص 250 .

لاسباب ترتبط بعملية فكرية تاريخية طويلة ستحيد بنا عن الموضوع لو حاولنا تناولها . كل ما فعل المرابطون انهم عمموا نشره واتخذوه دليل عمل لحركتهم الاصلاحية .

ومعروف ان الدولة قامت على اساس من الاصلاح الديني ، انطلاقا من التفوق الاقتصادي ، لحماية هذا التفوق من جهة ، ولضرورة تقتضيها هذه الحماية ، وهي اقامة تنظيم سياسي ، اي اقامة الدولة .

هنا يحق لنا ان نذكر ما قاله يحيى بن ابراهيم الجدالي — احد زعماء المرابطين قبل انشاء الدولة — في التعبير عن الواقع الفكري للمنطقة التي خرج منها هؤلاء المرابطون . فقد قال : ((اننا في الصحراء منقطعون ، لا يصل الينا الا بعض التجار الجهال ، حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ، وفينا اقوام يحرصون على تعلم القرءان وطلب العلم ، ويرغبون في الفقه والدين لو وجدوا الى ذلك سبيلا)) (5) .

وهذا النقد الذاتي المتمثل في هذا الاعتراف بالجهل كان في الواقع أساس انبعاث صادق ، واساس تطور المعرفة عند المرابطين ، تلكم المعرفة التي انطلقوا منها في حركتهم الاصلاحية حتى أتيح لهم انشاء الدولة .

مهما يكن ، فقد أسس المرابطون — ولاول مرة — دولة بكامل المعنى ، ليس على مستوى القطر المغربي فحسب ، بل على مستوى منطقة تمتد في الشمال الافريقي والصحراء وفي شبه الجزيرة الايبيرية . ونقول لاول مرة لان المغرب لم يكن يعرف من قبل غير نظام الامارات الموزعة هنا وهناك على أساس أسرى أو قبلى .

وقد ساعدت على ظهور هذه الدولة جملة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلي :

اولا : التحام عدد من القبائل الكبيرة ، واهمها لمتونة وجدالة وجزولة . وهو التحام لم يلبث ان تحول الى سند شعبي لم يلبث بدوره أن تحول الى سند عسكري لم يلبث في النهاية ان تحول الى قوة .

ثانيا : قوة اقتصاد هذه القبائل وسيطرتها على مناجم المنطقة وطرقها التجارية .

ثالثا : (وهو مهم) اعتماد المرابطين في مبادىء حركتهم الاصلاحية على المذهب المالكي ، حيث كان المغاربة مستعدين (وهنا تكمن اهمية هذا العامل) لقبول هذه المبادىء لمعرفة سابقة لهم بالمذهب ولموافقة مزاجهم .

وكان — وفي هذه المرحلة التاريخية بالذات — المذهب الوحيد القادر على توحيد المغاربة في خط ايديولوجي معين .

ولعلنا ان نسجل هنا أن المستوى الفكري والحالة العقلية التي كان عليها المغاربة يومئذ لم تكن لبساطتها تسمح بفتح المجال للمذاهب المعقدة ، وانما كانت في حاجة الى ان تثبت فيها قواعد الدين ومبادئه الاولية بابسط ما يكون . وليس يخفى ان المذهب المالكي — باعتماده على النص والنقل وابتعاده عن المنطق والقياس — كان أكثر من غيره قدرة على تحقيق هذا الهدف . ولو حصل شيء غير ذلك في هذه الفترة الاولى من عهد الاصلاح لعاد المغرب لما كان يعاني من فوضى فكرية ، ولاستغل المشعوذون واصحاب الاغراض هذه الفوضى لترويج بضاعات مزيفة ومذاهب باطلة ضالة — وما امر البورغواطيين ببعيد — من شانها ان تصدع الصفوف وتمزق الوحدة وتبعث على التفرقة والضلال ، لاسيما وان العالم الاسلامي في هذه الفترة كان يتخبط في خلافات مذهبية وانقسامات حزبية لم يكن يجني منها غير الوان من التفرقة وضروب من التنافر والتناحر لا حد لها ولا حصر .

من هنا لم يكن الدين عند المرابطين مجرد مذهب، بل حركة تقود نضالهم ، وتكيف طبيعة هذا النضال ، وتحدد شروطه وغاياته . ومن تحليل للواقع التاريخي وتناقضاته سواء في المغرب او الاندلس ، في المغرب الذي كان يتخبط في فوضى فكرية واضطراب سياسي ، ثم في الاندلس التي كانت ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية تنذر بالانهيار ؛ من تحليل هذا كله انطلق المرابطون يحققون الاصلاح الديني ، ويحققون في نفس الوقت الاسلام المبسط الواضح في صيغة ثورية

---

(5) الحلل الموشية ، ص 9 .

كانت رهنا بمرحلة نضالية محدودة الاهداف ، لا ترمي الى برنامج طويل الامد والى اهداف بعيدة ونهائية . وكانوا في هذه المرحلة مطالبين بتحديد طبيعة الدولة وتحديد علاقاتها بالمجتمع ، اي تحديد المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ اي وضع تنظيم متكامل ، ولكن على غير النموذج الذي كان ينهار امامهم في الاندلس .

والاصلاح — بصفة عامة — اما ان يدعو له فلاسفة ومفكرون ينطلقون فيه من تأملات واستنباطات وارهاصات بالنظر الى الاوضاع ونقدها وتمثل صياغة جديدة لهذه الاوضاع ، واما ان يدعو له رجال الدين بالرجوع الى كتب هذا الدين ومبادئه ؛ وهذا ما حدث في ظل المرابطين .

ولنا ان نتساءل : من هم رجال الدين الذين قادوا هذه الدعوة ؟

والجواب ليس صعبا ، فالداعية الاول هو عبد الله بن ياسين وهو فقيه مالكي ، وشيخه ودافعه للدعوة هو وجاج بن زلو اللمطي وهو فقيه مالكي كذلك ، اما الموجه الاول فهو أبو عمران الفاسي الذي كان المغراويون قد ضايقوه واضطروه الى مغادرة فاس والذهاب الى القيروان ، وكان شيخ فقهاء المالكية في عصره .

اذن ، ليس غريبا أن يكون المذهب الذي تقوم عليه هذه الدعوة هو المذهب المالكي . هنا أفتح قوسا: وجود ابي عمران في طليعة الموجهين ، وهو يومئذ بالقيروان ، وخروج يحيى بن ابراهيم الكدالي — السالف الذكر — في رحلة استطلاعية — كما يقال — الى المشرق قبل الاتصال بأبي عمران في طريق العودة؛ أليست هذه عناصر تسمح لنا بأن نوسع مجال النظر الى الامر ، وبأن نعتقد ان اعتماد المرابطين على المذهب المالكي داخل في نطاق صراع المذهب السني عموما مع المذهب الشيعي على مستوى العالم الاسلامي ، ولا سيما في الشرق .

ولست اريد ان ادخل في التفاصيل ، ولكني لا استبعد ذلك ، لا سيما حين أرى مساندة العباسيين ليوسف بن تاشفين ، وكان بحاجة الى مثل هذه المساندة ، بل الى مسالمة مع الجانب الشرقي ، حتى لا يعزل سياسيا وحتى لا يواجه أي تحالف ضده ، وحتى يتفرغ للعمل في الداخل ، أي في المغرب والاندلس .

اقفل القوس ، وأعود الى اللائحة فأراها طويلة بأسماء الفقهاء المالكيين الذين زخر بهم العصر ، ولا داعي للاطالة بذكرهم ، ولكن الذي يجب التنبيه له هو انهم لم يكونوا فقهاء بالمعنى التنقيصي الذي يتبادر الى ذهننا بعد أن مسخ لقب الفقيه ، بل كانوا علماء كأوسع ما يعطيهم الوصف ، ليس في الفقه وما يتصل به فقط، بل في جميع فنون العلم والثقافة المعروفة لوقتهم .

وقد احتفظ لنا المقري في النفح بمفهوم لقب الفقيه حيث قال : ((وسمة الفقيه عندهم (أي عند الاندلسيين لانه في النص يتحدث عنهم) جليلة ، حتى ان الملثمين (اي المرابطين) كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه . (ويضيف المقري :) وهي الآن (في عصره أي في أوائل القرن الحادي عشر) بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم أرفع السمات)) (6) .

وكان الفقهاء المرابطون في نفس الوقت رجال الدولة ، يخططون سياستها ويتحملون مسؤولية حماية كيانها والاشراف على تنفيذ التعاليم وتوجيه الحكام . ولعله خير لامة مهما كانت — ولا سيما اذا كانت ناشئة في العلم والسياسة كما كان حال المغرب يومئذ — أن تتولى شؤونها طبقة من العلماء ، ولتكن طبقة فقهاء المالكية .

والمرابطون ، باعتمادهم على الفقه ، كانوا يرفضون العفوية واللا عقلانية ، وينظرون للحكم والدولة من خلال تصور علمي وتمثل واع تجليان عندهم في التعاليم الدينية . وابن تاشفين ، وهو رجل عمل وممارسة أكثر مما هو رجل معرفة وتأمل ، كان حكيما حين لم يعتبر نفسه حكيما قويا تغنيه حكمته وقوته عن أي قانون ، وحين اراد ان يعطي لحكمه الشرعية الشكلية الموضوعية ، وحين احتكم في هذه الشرعية الى الدين والى الفقه المالكي خاصة .

— × —

(6) ج1 ، صفحة 221 .

الآن ، وبعد أن اثبتنا وجود التيار الفقهي وطابعه ودوره ، ننتقل الى نقطة اخـرى فى الموضـوع ، فنتساءل : هل كان لهذا التيار اثر على الفكر والادب ؟

ونبدأ بالجانب الفكري .

وقبل ان اشير الى ملامح الحركة العلميـة فى المغرب ، لا بد ان الفت النظر الى بعض اعلام الفكر الاندلسي الذين كان لهم دور فى تنشيط تلك الحركة، والذين فى وجودهم وامثالهم دليل قاطع ضد من زعم ان المرابطين خنقوا الفكر فى الاندلس .

ففى العلوم الدينية لمعت أسماء أبي علي الصدفي وأبي علي الغساني وابن ابي الخصال وابن ايوب الفهري الذي قامت حوله نهضة احياء السنة . وفى المتكلمين لمع اسم ابو بكر المرادي الذي كان قد استقدمه ابو بكر ابن عمر ، زعيم المرابطين قبل ابن تاشفين وابن عمه. ويعتبر المرادي كما عند المقري فى ازهار الرياض (7) اول من ادخل علوم الاعتقاد الى المغرب ، وكان له فيها تلميذ حمل مشعلها ، هو يوسف بن موسى الكلبي . وقد ذكر عياض انه أخذ عنه ارجوزة في الموضوع (8) وفى الفلسفة ظهر مالك بن وهيب الـذي كان وزيـرا لابن يوسف ، ومثله ابو بكر بن باجة . وفى الطب برز ابـو العلاء بن زهر الذي قال عنه ابن ابي اصيبعة فى طبقات الاطباء : ((كان فى دولة الملثمين ... وحظـي فى ايامهم ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل ، وكان قد اشتغل بصناعة الطب... وفى زمانه وصل كتـاب القانون لابن سينا الى المغرب)) (9) .

كان طبيعيا ان تلقي هذه النهضة العلمية الاندلسية باشعاعاتها على المغاربة ، وهم ما يزالـون فى طـور التكوين ولما ينضج فكرهم بعد ، فازدهرت الى جانب الفقه المالكي دراسة التفسير ومايتصل به من علوم ، وخاصة علم القراءات . وظهرت عناية المغاربة بالرواية والحفظ والاسناد ، ونشط التصوف التعبدي البعيد عن التعقيدات الفلسفية .

واشتهرت اسماء كثير من الفقهاء نذكر منهم عبد الملك المصمودي قاضي الجماعة بمراكش ، وعبد الله ابن سعيد الوجدي وكان قاضيا ببلنسية ، وعبد الله اللخمي قاضي الجماعة بمراكش وكان بارعا فى الحديث والاصول ، وعبد المنعم بن علوش الطنجي وتولى القضاء فى عدة مدن بالاندلس ، وابراهيم البصري قاضـي سبتة ، والعالم المناظر عبد الرحمن الكتامي الاصيلي المعروف بابن المجوز ، وعبد اللـه الازدي القاضـي المفتي الذي كان مشهورا بصلابته وعدم مصانعتـه ، وكان ابن يوسف يقدر فيه ذلك .

واشتهر من رجال التفسير والقراءات أبو بكـر محمد بن علي المعافري السبتي المعروف بابن الجوزي وقد الف تفسيرا لم يتمه ، وابو عبد اللـه القيسـي المكناسي ، واحمد بن عبد الله بن الخطيئة اللخمـي الفاسي الذي كانت له رحلة الى المشرق عرض عليه فيها قضاء مصر فرفض .

وبرز فى الحديث بكار بن الفرديس الذي روى عن الهروي حافظ مكة ، وابراهيم ابن احمد بن خلف السلمي المعروف بابن فرتون ، ومحمد بن عيسـى التميمي الفاسي ، وابراهيم اللواتي احد شيوخ عياض فى الحديث (10) . ولمع فى التصوف اسم علي بن حرزهـم .

ونبغ فى العلوم اللسانية الحسـن بن طريـف السبتي شيخ القاضي عيـاض فى النحـو والادب والحديث كذلك (11) .

وفى الاصول والكلام لمع نجم ابي القاسم المعافري السبتي . وقد ذكر القاضي عياض فى فهرسته (12) انه درس هذين العلمين فى سبتة طوال حياته ، وعليه اخذهما جماعة من العلماء ، وكان الناس يرحلون اليه لدراستهمـا .

اما الفلسفة فقد استدعى ابن ماجة لتدريسهـا وما يتصل بها من علوم ، وكذلك الطب فقد كان يدرسه

---

(7) ج 3 ، صفحـة 161 – 162 .
(8) نفـس المصـدر .
(9) صفحة 517 .
(10) فهرست عياض ، ص 50 – 52 .
(11) المصـدر السابـق ، ص 58 .
(12) صفحة 68 .

ابن زهر ، ونبغ فيه من المغاربة ابو الحسن بن زنباع الطنجي . وفي علوم اخرى كالحساب برع ابن مرانة السبتي وتلميذه ابن العربي ، وهو من سبتة كذلك .

اذا اضفنا الى هذه اللائحة المقتضبة اسم القاضي عياض مفخرة المغرب في هذا العصر والذي يليه ، واذا اضفنا اسماء العديد من العلماء الذين زخرت بهم الحركة الفكرية ، سواء في المغرب او الاندلس على عهد الموحدين ، من امثال ابن رشد وابن طفيل ، دون ان ننسى أن هذا العهد استمرار لعهد المرابطين ، تأكد لنا الى اي حد كانت مبالغة تلكم الاحكام التي صدرت ضد المرابطين والتي رمتهم بخنق الفكر وتعطيل حركته وتقييده داخل الفقه المالكي لا يتعداه لما سواه .

ومع ذلك لا مناص لنا من الاعتراف بأن المذهب المالكي قد اكتسب في هذا العهد قوة جعلته يصمد أمام تيار الموحدين ، ابتداء من دعوة المهدي الى التقلبات المذهبية الاخرى التي عرفتها هذه الدولة ، ولا سيما ايام المنصور .

سيقول لنا معترض : تذهب الى أن الحركة الفكرية كانت مزدهرة ، وكانت الحرية الفكرية متيسرة، ولم يكن هناك خنق او تعطيل، فكيف يحرق كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي ؟

الحق ان القضية كبيرة ومثيرة ، وساحاول مناقشتها بسرعة ، وفي نقاط محدودة :

أولا : قضية الاحراق في حد ذاتها دليل على ان الامير – والمقصود هنا علي بن يوسف – كان يصغي للفقهاء ، ويخضع لما يفتونه به .

ثانيا : الذين ثاروا على كتاب الاحياء او ((انجوا ضده)) على حد قول المستشرق جولد تسيهر (13) هم بعض فقهاء الاندلس ، وعلى راسهم ابو عبد الله ابن حمدين قاضي قرطبة ، ثم تبعهم بعض الفقاء المغاربة .

ونسبة القضية للاندلس لا تبرىء ساحة المرابطين من التهمة الملصقة بهم ما دامت العدوتان تكونان دولة واحدة . حقا ان الوحدة كانت تجمع الاندلس والمغرب ، ولكن لا ينبغي ان ننسى شيئا ، لعله ان يؤكد ما نقصد اليه حين ننسب القضية للاندلس ، وهو أن الوحدة بين البلدين كانت قائمة على الاخذ والعطاء ، وعلى التبادل المثمر لكل من الطرفين . فالمغرب لقوته يحمي الاندلس ويسير فيها شؤون الحكم ، والاندلس لمكانتها العلمية تثقف المغرب وتؤدبه . وكلا الطرفين افاد مما عند الآخر الشيء الكثير ، واذن فلعلماء الاندلس وفقهائها أن يحكموا على الاحياء ويفتوا بعدم صلاحيته وبضرورة احراقه ، وعلى امراء الدولة وولاتها – وقد اعترفوا للاندلس بهذا الحق – أن يطبقوا الفتيا،ويعملوا على تنفيذها بكل شدة وحزم.

ثالثا : بعض الفقهاء المغاربة عارضوا في الاحراق وانتصروا للغزالي . وموقف أبي الفضل بن النحوي وفتياه المضادة اكبر شاهد على ذلك . وكان قد تبعه فيها علي بن حرزهم ، ففي ((التشوف)) أن هذا الاخير قال : ((لما وصل الى فاس كتاب علي بن يوسف بالتحريج على كتاب الاحياء وأن يحلف الناس بالايمان المغلظة أن الاحياء ليس عندهم ، ذهبت الى ابي الفضل أستفتيه في تلك الايمان ، فافتى بانها لا تلزم)) (14) ثم تبعهما في الرفض غير قليل من فقهاء المغرب والاندلس بعد ذلك .

رابعا : ورأيي أن احراق الاحياء – وكان في أواخر عهد المرابطين – يعتبر مظهرا من مظاهر عجز فقهاء الدولة المسؤولين ، أو بداية العجز عن توجيه الرأي العام . وهو عجز قد يكون ناتجا عن عدم قدرة هؤلاء الفقهاء على تطوير المذهب باعتباره ايديولوجية حتى تنسجم مع ظروف الدولة الكبيرة التي اصبحت تحت نفوذ المرابطين . ويبدو أنهم في هذه المرحلة كونوا بيروقراطية كهنوتية خصت نفسها وبعض الولاة الموالين لها بجميع امتيازات الاستثمار والسيطرة ، وكان ذلك سببا من أسباب انهيار هذه الدولة .

---

(13) Islam d'Occident - Provençal صفحة 254 .

(14) صفحة 73 .

اذا تركنا الجانب الفكري ، ونظرنا في الجانب الادبي ، ماذا عسانا نجد ؟

هنا نصادف بعض النقد الموجه للمرابطين ، يكفي في تلخيصه هذا النص من دوزي يقول فيه : ان سلاطين المرابطين لم يبدوا ((كبير عناية بامر العلوم والفنون والشعر)) (15) وانهم كانوا ((يعملون بالاخص على تحطيم الروح الشعرية الاندلسية)) (16) .

الواقع ان عناية المرابطين بالادب اوضح من ان تنكر ، فقد اجتمع ليوسف ((من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار)) على ما يروي صاحب المعجب (17) . ومن كتابه عبد الرحمن بن اسباط ومحمد بن عبد الغفور وعبد المجيد ابن عبدون . وكذلك كان علي ، فقد ذكر عنه المراكشي انه لم يزل ((من امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك)) (18) ؛ ومن كتابه محمد ابن ابي الخصال وابو القاسم بن الجد المعروف بابن الاحدب وابو بكر بن محمد المعروف بابن القبطرنة .

وكان لبقية أمراء الدولة وولاتها كبير اهتمام بالكتاب والشعراء ، يقربونهم في عناية وتشجيع ؛ وربما كان من اكثر هؤلاء رعاية للادب ابراهيم بن يوسف وأبو بكر ابن تافلويت وعبد الله بن مزدلي .

فقد قرب ابراهيم الفتح بن خاقان الذي الف القلائد باسمه ، وذكر في المقدمة فضله على الادب حيث قال : ((ولم يزل شخص الادب وهو متوار وزنده غير وارز وجده عاثر ومنهجه داثر ، الى ان اراد الله اعتلاء اسمه واحياء رسمه وانارة افقه واعادة رونقه ، فبعث من الامير الاجل ابو اسحق ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين ملكا عاليا للبة المجد حليا وهي على الامة وسما دوليا البس الدنيا جمالا جدد لاهلها آمالا تاهيك به من ملك عالي ناظم لاشتات المعالي)) (19) .

ومن الشعراء الذين مدحوه ابن خفاجة وابو بكر بن رحيم والشنتمري ، وغيرهم كثيرون تجدون مدائحهم في قلائد العقيان ومغرب ابن سعيد .

(15) ج 2 ، صفحة 239 .
(16) ج 2 صفحة 250 ــ 251 .
(17) صفحة 164 .
(18) صفحة 173 .
(19) صفحة 3 .

اما عبد الله بن مزدلي فكان يقصده الادباء للمدح ، امثال ابو محمد بن عطية وابي عامر بن ارقم وابي جعفر ابن مسعدة الذي اتخذه كاتبا له .

اما ابن تافلويت فكان من أهم كتابه ومادحيه ابو بكر بن باجة وكذلك ابن سارة الشنتريني ، وهو نفسه كان يقرض الشعر .

وبلغ من عناية المرابطين بالادب ــ والشعر خاصة ــ ان نساءهم كن يتعشقنه ويحفظنه وينشدنه ، ويحكى انه كانت لهن مجالس أدب ، وقد لمعت في هذا المجال حواء بنت ابراهيم بن تافلويت واختها زينب وكذلك تميمة بنت يوسف بن تاشفين .

كان نتيجة لهذه الرعاية ان نبغ أدباء من ابناء المغرب . ومع ان الباحث يصادف كثيرا من العناء في الكشف عن هؤلاء الادباء ، فانه لا يلبث ان يعثر على غير قليل من الاسماء ، نذكر منها ابن حبوس وابن زنباع وابن الزيتوني وابن القابلة السبتي وعبد الله التادلي وابن عطاء وابن غازي وكذلك القاضي عياض .

اما في الاندلس ــ حيث الاسماء عديدة وشهيرة ــ فقد عرف الادب على هذا العهد تطورا تمثل في ظاهرتين :

الاولى : ازدهار فن التوشيح ، اقول الازدهار ولا اقول النشأة ، فرق بين نشأة فن ما وبين ازدهار هذا الفن . في العصر المرابطي ازدهر فن التوشيح على يد وشاحين كبار اشهرهم التطيلي وابن بقي . وكانت لهما موشحات في مدح بعض الولاة والقضاة المغاربة . بل ان بعض الوشاحين وفدوا الى المغرب وساعدوا على تعريف المغاربة بهذا الفن ــ الجديد عليهم ــ نذكر منهم ابن باجة وابن اللبانة .

الثانية : ظهور الزجل كفن مستقل يفرض وجوده في ميادين الشعر ،و كان نشأ من قبل ، ولكنه

فى هذا العصر ـ مثله مثل التوشيح ـ يعرف كثيرا من الانطلاق والازدهار .
واذا كان كثير من الباحثين ـ وعلى رأسهم المستشرق الاسباني الكبير كارسيا كومث ـ يرون ان مثل هذه الظاهرة دليل على هبوط الذوق هبوطا بالغا فى عهد المرابطين (20) ، فانا نرى عكس ذلك ، ونؤكد هنا ما سبق أن شرحناه فى بعض ابحاثنا المنشورة من أن ((العامية ليست مظهرا للغة المدرسية فى صورة منحطة مسفة لانها كانت ابدا موجودة الى جانبها تقتبس منها وتغنيها وتتبادل واياها التاثير ، ومن ثم كان التعبير الشعري بها ـ كلا كما فى الزجل او جزءا كما فى الموشح ـ دليلا على تجذر تلك اللغة في الالسنة والافهام والاذواق ، ودليلا فى نفس الوقت على مدى حيويتها وانفتاحها للتوسع والتجدد ، وليس من شك فى أن مثل هذه الظاهرة لا يمكن ان تتحقق الا على يد فنانين يكونون مالكين لناصية الاداتين العامية والمعربة ، قادرين على تطويعهما للتعبير فى حرية وشجاعة . وقد كان شعراء التوشيح والزجل من هؤلاء الفنانين ، اذ استطاعوا أن ينشئوا تيارا ارفد اللغة والادب فى وقت ما واتاح لهما بعض الازدهار)) (21) .

وكما واجهنا فى مجال الفكر من يعترض بقضية احراق الاحياء فسيواجهنا فى ميدان الادب من يعترض بأمرين :

اولهما : يتعلق بقضية المعتمد الشاعر ومعاملة ابن تاشفين له . وقد وصف دوزي هذه المعاملة بانها ((كانت قاسية ومقيتة)) 22) .

والثاني : يتصل بما رمى به ابن تاشفين ، وخاصة من طرف الشقندي فى رسالته التي الف فى فضل الاندلس ، من انه كان قليل المعرفة منحط الذوق .

أما قضية المعتمد فلا نراها الا مقحمة على ميدان الادب وعلى هذا الموضوع بالذات ، لانها قضية سياسية صرف لا مجال فيها لاقحام الشعر ومدى تذوقه او رعايته، ومع ذلك فقد كانت معاملة ابن تاشفين ـ الصحراوي الخشن ـ للمعتمد ارحم بكثير من معاملة المعتمد الشاعر الرقيق لوزيره ابن عمار الشاعر الرقيق حيث قتله بيده وهو مكبل بالقيود يجرها ، يبكي ويستعطفه شعرا .

وأما عن معرفة يوسف ، فلا جدال فى انها كانت محدودة فى مبادىء من اللغة والقرءان والدين ، خاصة وأنه قضى سنوات طويلة فى صحبة ابن ياسين ، ملازما له فى رباطه ، ولكن ليس الى الدرجة التي تصوره بها الشقندي حين ذهب الى انه لم يكن يعرف العربية ، ولم يكن يفهم ما ينشد امامه من شعر ، وأنه كان يسأل عن هذا الشعر اذا كان فهمه ، كان يجيب بأن أصحابه يطلبون الخبز (23) ، وما الى هذا من الكلام الذي لم اشأ ذكره هنا ، فقد ناقشته فى دراسات لي موسعة عن المرابطين ، ،وهو كلام دعت صاحبه الى اختلاقه وتلفيقه رغبة اقحام السخرية والتهكم ، وظهر به الشقندي بعيدا عن الثقة والنزاهة والامانة والموضوعية، يصدر عن مشاعر دفينة لديه .

ومع ذلك فالحقيقة التي تكمن خلف ما قاله هذا الاديب الاندلسي حين تحدث عن موقف ابن تاشفين من منشديه ، هي أنه لم يتخذ له شعراء رسميين ، ولم يكن له مجلس رسمي للشعر . هذه الحقيقة تفسر لماذا خلا الشعر فى هذا العصر ـ أو كاد ـ من تأثير التيار المذهبي الذي قامت عليه دولة المرابطين . وهذا على عكس الموحدين الذين كان لهم بلاط وشعراء رسميون كابن العباس الجراوي الذي كان يطلق عليه شاعر الخلافة . فقد كان لمذهبية الموحدين أثر ملحوظ فى انتاج هؤلاء الشعراء ، ولا سيما فى المدائح حيث يختلط المدح بمعان دينية يتبلور من خلالها نوع من الشعر المتصل بالعقيدة وبالمذهب .

وليس معنى هذا أنا لا نصادف شعرا فى مدح المرابطين ، بل انا نجده ، ونجد فيه أحيانا ، وفى

(20) الشعر الاندلسي ، صفحة 62 .
(21) موشحات مغربية ، ص 72 ـ 73
(22) ج 3 ، صفحة 168 .
(23) انظر النفح ج 3 ، صفحة 191 .

أبيات قليلة منه ، بعض الكلمات التي تشم منها رائحة الاسلام وتاريخه ، في محاولة لتشبيه مواقف الممدوح بمواقف المسلمين الاوائل . ونمثل لهـذه الظاهـرة ببيتين لابي الحسن بن الجد في مدح يوسف ، يقول :

انظر الى الصبح سيفا في يدي ملك
في الله من جنده التأييد والظفر

يرعى الرعايا بطرف ساهـر يقـظ
كما رعاها بطرف ساهر عمـر (24)

وباستثناء هذه الملاحظة الجزئية ، فان القصائد التي قيلت في الامراء المرابطين تكاد تكون في عمومها اقرب الى شعر الحروب والمعارك والى شعر الفتوح ، منها الى شعر المدح . ويكفينا في هذا الصدد ان نذكر ابياتا للاعمى التطيلي ، مقتبسة من قصيدة يمدح بها ابن يوسف ، يقـول :

جلبت الخيل مشرفة الهـوادي
تعز على قيـادك او تهـون

كارام الصريمـة ارمهاهـا
وليس سوى الرماح لها قـرون

سوابح من غمار في حديـد
فما تدري اخيل ام سفيـن

يلقيها الطعـان ولا يبالـي
مشيح ما يبـل لـه طعيـن

يجللها ثيـاب مكايديـه
اذا انتفضت من الورق الغصون (25)

اذا تركنا هذا النوع من الشعـر ، وجدنـا ان الشعراء كانوا ميالين الى القول في الغزل والطبيعة ، تأثرا منهم بالاندلسيين الذين كانوا قد برزوا في هذين الفنين . ولتمثل هذه الحقيقة ننشد الابيات البديعية التالية ، نقتطفها من قصيدة لابن زنباع في وصـف الـربيـع :

ابدت لنا الايام زهرة طيبهـا
وتسربلت بنضيرهـا وقشيبهـا

واهتز عطف الارض بعد خشوعها
وبدت بها النعماء بعد شحوبهـا

وتطلعت في عنفوان شبابهـا
من بعد ما بلغت عتى مشيبهـا

وقفت عليها السحب وقفة راحم
فبكت لها بعيونهـا وقلوبهـا

فعجبت للازهار كيف تضاحكت
ببكائها وتبشـرت بقطوبهـا

وتسربلت حللا تجـر ذيولهـا
من له مها فيها وشق جيوبهـا

فادر كؤوس الانس في حافاتهـا
واجعل سديد القول من مشروبها

واركض الى اللذات في ميدانهـا
واسبق لسـد ثغورها ودروبها (26)

وربما كان شعر القاضي عياض اكثر دلالـة على هذا الاتجاه ، وهو العالم الفقيه . ولنستمع اليه في هذه الابيات يخاطب حبيبه في شكوى مبرحة وجناس محكم تـام :

يا من تحمل عني غير مكتـرث
لكنه للضنى والسقم أوصى بـي

تركتني مستهام القلب ذا حـرق
أخا جوى وتباريح واوصـاب

اراقب النجم في جنح الدجى سهرا
كأنني راصد للنجـم أوصابـي

وما وجدت لذيذ النـوم بعدكـم
الا جني حنظل في الطعم أوصاب (27)

ولنستمع اليه كذلك في هذين البيتين اللذيـن ينسبان له ، ويمثلان معادلة غزلية رائعة :

رأت قمر السماء فأذكرتنـي
ليالي وصلهـا بالـرقمتيـن

(24) كتـاب أعمـال الاعـلام ، صفحـة 242 .
(25) ديـوان الاعمى التطيلي ، ص 200 .
(26) القـلائـد ، ص 225 .
(27) المطـرب ، صفحـة 87 .

كلانا ناظر قمـــرا ولكـــــــن
رأيت بعينها ورأت بعينـــي (28)

ونود ان نشير الى انا نلاحظ في بعض الاحيان اثر المعارك والحروب منعكسا على التعبير الشعري حتى في موضوعات الغزل والطبيعة ، على حد قول ابن زنباع في هذا البيت الذائع :

وقد تحمي الدروع من العوالـــي
ولا تحمي من الحرق الدروع (29)

وعلى حد قول عياض في هذين البيتين المشهورين :

انظر الى الــزرع وخاماتـــه
تحكي وقد ماست أمام الرياح

كتيبة خضـــراء مهزومـــــة
شقائق النعمان فيها جراح (30)

ولعل هذا الاثر — على ضعفه — يدل على مدى سريان روح القوة والبطولة التي تجلت في هذا العصر .

— × —

من هذا كله يتبين لنا أن التيار الفقهي الذي كان سائدا في هذا العهد والذي اتخذه المرابطون اساسا لقيام دولتهم ولتحقيق دعوتهم الاصلاحية ، لم يكن له من تأثير على الفكر الا بالقدر الذي نشطت به الدراسات الفقهية دون تجميد بقية الدراسات . امـا في الادب فلم يكن له من تأثير يذكر الا ما كان من الغاء المظاهر الرسمية التي كانت تقام للادب والشعر في احضان اللهو والمجون على عهد الطوائف ، الا ما كان من روح القوة التي تسيطر على شعر المدائح والفتوح وما قد يعلو بعض ابيات هذا الشعر من مسحة دينية لعلها كانت باهتة في غالب الاحيان .

وعلى العكس من كل ما يقال عن جمود المرابطين ، فقد عرف المغرب على عهدهم بداية نهوض وتفتح بعد أن تعثر فترة من الزمن طويلة . وساعدت على ذلك جملة عوامل ، أهمها (31) .

أولا : قوة الدولة في مجال الدين والسياسة والاقتصاد — كما لا احتاج ان أوضح — وما نتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمانينة في نفوس المغاربة ، وثبت العقيدة في قلوبهم ، واتاح لهم فرص الدرس والبحث في مختلف فروع العلوم والآداب .

ثانيا : الوحدة مع الاندلس والاستفادة — فكريا — من هذه الوحدة التي حملت للمغرب روافد في جميع ميادين العلم والحياة ، حيث فتحت لابنائه كثيرا من الآفاق الحضارية والثقافية ، واقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء الاندلسيين في تدفق لم يكن له مثيل .

ثالثا : عناية المرابطين بالثقافة ، واقصد منهم رجال الدولة . فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجاله يستقدمونهم او يرحلون اليهم للدراسة عليهم والاستفادة . نذكر منهم زاوي بن مناد بن عطية الله بن منصور الصنهاجي الشهير بابن تقسوط ، وخلوف ابن خلف الله الصنهاجي ، وعمر بن امام بن المعتز الصنهاجي ، والامير المنصور ابن محمد بن الحاج داود ، وكذلك الامير ميمون بن ياسين وغيرهم .

رابعا : انشاء المدارس والرباطات في مختلف المراكز بقصد بث الوعي الديني والاصلاح الاجتماعي ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة . واهم هذه المعاهد جامع ابن يوسف الذي اسسه علي بن يوسف بن تاشفين في مراكش . ومثله جوامع سبتة التي كانت مزدهرة بالعلم حتى قال منها المعتمد : ((اشتهي ان يكون عندي من اهل سبتة ثلاثة نفر : ابن غازي الخطيب وابن عطاء الكاتب وابن مرانة الفرضي)) (32) .

---

(28) نفح الازهار ، صفحة 9 .
(29) القلائد ، صفحة 228 .
(30) المطرب ، صفحة 87 .
(31) انظر كتاب ((القصيدة)) ، صفحة 91 — 92 .
(32) معجم البلدان (سبتة) ج 5 ، ص 26 — 27 .

وقد اشتهرت مدارس هذه المدينة بتدريس علم الاصول والكلام ، وكان يتصدر فيهـا تدريسهما ثلاثة من الاعلام هم ابو القاسم بن محمد المعافري ويوسف بن الكلبي وابـو محمد عبد الله الغالب السالمي .

هذا بالاضافة الى الازدهار العلمي الـذي عرفه جامع القرويين وجامع قرطبة .

خامسا : الاتصال بالمشرق . وقد ظهر هذا الاتصال في العلاقات الوطيدة التي كانت تربط بين امير المسلمين في مراكش والخليفة العباسي في بغداد ، والتي كانت لها انعكاسات تجلت في مظاهر متعددة تكفلت بذكرها كتب التاريخ .

وختاما اشكركم على انتباهكم والسلام عليكم

الرباط : عباس الجراري

المراجـع المذكـورة

ابـن سعيـد

المغرب في حلى المغـرب
تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ طبـع دار المعارف ، مصـر .

ابو العباس أحمد بن القاسم بن خليفـة الخزرجـي (ابن أبي أصيبعة)

عيون الانباء في طبقات الاطباء
تحقيق نزار رضا ـ نشر دار مكتبة الحياة، بيـروت 1965 .

أبـو العبـاس أحمد المقـري

1 ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار صادر، بيـروت 1968 .

2 ـ ازهار الرياض في أخبار عياض
تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيـاري وعبد الحفيظ شلبي ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة 1939 ـ 1942

احمد بن عبد الله (الاعمى التطيلي)

ديـوان الاعمـى التطيلـي
تحقيق الدكتور احسـان عبـاس ـ دار الثقافـة ، بيـروت .

بـروفنسـال

E. Lévi - Provençal
Islam d'Occident
Paris 1948

د و ز ي

R. Dozy
Histoire des Musulmans d'Espagne
Leyde 1932

شاكـر البتلونـي الحاصبانـي

نفح الازهار في منتخبات الاشعار

تصحيح ابراهيم اليازجي ـ طبع بيروت .

عبـاس الجـراري

1 ـ القصيدة (الزجل في المغرب)

الطبعة الاولى ـ الرباط 1970

2 ـ موشحات مغربيـة
دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء 1973

عبد الواحـد المراكشـي

المعجب في تلخيص اخبار المغرب
تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ـ القاهرة 1949 .

محمد بن دحيـــة (أبو الخطاب)

المطرب من اشعار أهل المغرب
تحقيق ابراهيم الابياري والدكتور حامـد عبد المجيد والدكتور احمـد بـدوي ، القـاهـرة 1954 .

عيــاض (القاضـــي)

الفهـــرســـت
مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3147

غارسيــا غومـــث

Garcia Gomez

الشعـــر الاندلســـي
Poemas arabigoandaluces
ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، طبع وزارة التربية والتعليم ـ مصر (الالف كتاب) .

الفتـــح بن خاقـــان

قـلائـــد العقيـــان
طبـــع بـــولاق 1284 هـ .

لســـان الدين ابن الخطيـــب

أعمـــال الاعـــلام
تحقيق بروفنسال ـ طبع دار المكشوف ، بيـــروت 1956 .

مـــؤلـــف مجهـــول

الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية
نشر أحمد علوش ـ الرباط 1936 .

يــاقـــوت الحمـــوي

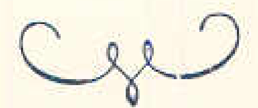
معجـــم البلـــدان
طبـــع مصـــر 1324 .

يوســـف اشبـــاخ

تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين
ترجمة محمد عبد الله عنان ، طبع مصر 1940

يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات)

التشوف الى رجال التصوف
مطبوعات معهد الابحاث العليا المصرية ـ الربـــاط 1958 .



أحداث فريدة في تاريخ الأمة العربية

المغرب العربي مع المشرق العربي في ساحة المعركة

وحدة الأمة العربية بدأت في الحرب الرابعة مع اسرائيل



للأستاذ ادريس الكتاني

بدأ العالم ، منذ 6 اكتوبر 1973 ، يكتشف أبعاد الظاهرة الاجتماعية ــ السياسية الجديدة ، التي برزت بوضوح خلال الحرب الرابعة بين العرب والصهيونية العالمية ، وفي مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد بالجزائر (26 نونبر 1971) والتي تمثلت في وحدة العالم العربي ، واشتراك دوله وشعوبه ، من الخليج الى المحيط ، او من الكويت الى شنقيط ، في حرب اسرائيل وحلفائها ، وهذه المشاركة الفعلية التلقائية بالمال والرجال والسلاح من جانب دول عربية تمتد رقعتها من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي على مسافة تزيد على ستة آلاف كيلو متر ، من اجل تحرير أراضي عربية محتلة ، والاعتراف للشعب الفلسطيني بحقه في وطنه وفي تقرير مصيره ، هذه المشاركة التضامنية الاخوية الوحدوية ، بالشكل الواضح والقوي الذي برزت به هذه المرة ، تعتبر أول حدث من نوعه في تاريخ الامة العربية ، لم يسجل له نظير لا في تاريخ الحروب الصليبية التي امتدت خلال قرنين (1096 ــ 1291 م) ، ولا عند اجتياح المغول والتتار الوثنيين للاقطار الاسلامية بالشرق الاقصى والاوسط ، وسقوط بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية تحت اقدامهم سنة 1258 م . كما لم يسجل له نظير حتى عند ما كانت الدولة العربية الاسلامية في الاندلس تتساقط قطعة بعد قطعة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان شعراء الاندلس يرسلون في شعرهم (وسيلة الاعلام السريعة والمؤثرة في ذلك العصر) الى المغرب العربي ، والعالم العربي أجمع ، انات الاستغاثة والاستنجاد ، ويصفون ما كان يقوم به الصليبيون الاسبان من تقتيل وتعذيب للمسلمين .

وعندما جاء عصر الاستعمار الغربي ظلت الدول والشعوب العربية والاسلامية تواجه اعداءها ايضا منفردة ، وتحرر نفسها واحدة تلو اخرى بفضل مقاومتها ووسائلها الخاصة ، وطاقاتها المنبثقة من عقيدتها الدينية ، وايمانها القوي بالله .

ان وحدة الامة العربية التي تجلت في الحرب الرابعة لها مع اسرائيل ، كما تجلت في الموقف التاريخي للدول العربية المنتجة للبترول ، والتي تغيرت معها كل المفاهيم والمقاييس الخاطئة التي تبنتها وعاشت عليها النخبة المثقفة ، وبعض القيادات السياسية منذ ربع قرن ، هذه الوحدة التلقائية التي لم تكن بحاجة لا الى معاهدات ، ولطالما فشلت مثل هذه المعاهدات ، ولا الى وجود مصالح اقتصادية ، وقلما وقع الاهتمام بمثل تلك المصالح ، هي ابرز ظاهرة لاصالة خلق الاخوة الاسلامية في المجتمع العربي المعاصر ، قبل ان تكون ظاهرة سياسية اجتماعية ، تؤكد نمو وتطور المشاعر بالوحدة السياسية والعسكرية والقومية والاقتصادية لدى شعوب الامة العربية .

لقد فاجأت هذه الظاهرة العالم المتقدم غربا وشرقا ، وخاصة الولايات المتحدة واوربا ، وهزت كيان الصهيونية العالمية ، وايقظت افريقيا من غفوتها، بل انها قضت على أوهام نخبة من المثقفين المستلبين

العرب ، انعزلت فكريا وثقافيا عن شعوبها ، وحاولت تقسيم العالم العربي الى رجعي وتقدمي ، يميني ويساري ، اشتراكي وراسمالي ، ملكي وجمهوري ، ولتدعيم هذا التقسيم تبنت فكرة الصراع الطبقي ، وعاشت في هذا الصراع منذ ربع قرن ، دون أن تجني منه الامة العربية الا المزيد من تمزيق وحدتها الفكرية والعقيدية والسياسية ، واضعافها اقتصاديا وعسكريا، وعرقلة اي خطوة فى سبيل تعاونها وتقدمها .

وعند ما بلغ الامر ببعض القيادات العربية الى هذا الحد من التعفن السياسي ، والتنافس الحزبي والصراع المذهبي أو الطائفي أو الاقليمي ، لتنعكس آثاره على المجتمعات العربية ، وعلى مؤسساتها وانظمتها ، كان لا بد من ان ينظر العالم المتقدم الى العرب نظرة الازدراء والاحتقار ، وكان من الطبيعي ان تعامل اسرائيل العرب بمقتضى هذه النظرة ، وان تمعن فى اذلالهم واحتلال اراضيهم ، وان تجد من اعدائهم الصليبيين والاستعماريين حلفاء طبيعيين لها ، يتشفون منهم ، ويصفقون لتحديها لهم .

وفجاة جاءت الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل ، وهي فى الواقع اول حرب اتيح فيها للعرب ان يقاتلوا اسرائيل ، ليكتشف العالم اجمع ، وبعض القيادات السياسية العربية نفسها ، عددا من الحقائق النفسية ــ الاجتماعية عن الامة العربية ، كاد الجهل ، والتخلف ، والتعصب المذهبي ، والتآمر الاجنبي ، يخفيها، بل كاد ينكر وجودها انكارا ، ولا شك انها ستصبح ميدانا جديدا خصبا للمفكرين والباحثين الاجتماعيين ، والمؤخرين المعاصرين ، ومن هذه الحقائق :

أ ــ العداء او النفور بين انظمة الحكم العربية الذي استمر عشرات السنين لم يكن فى الواقع الا عداء سطحيا . ولا علاقة له بالشعوب العربية التي تكون امة واحدة .

ب ــ الصراع الطويل بين من أطلقوا على انفسهم لقب التقدميين وعلى اخوانهم العرب الآخرين لقب الرجعيين،لم يكن له اي ظل على الشعوب العربية، كان صراعا فقط بين نخبة ، ليس اكثر من ((زوبعة فى فنجان)) .

ج ــ اصالة ((الاخوة)) فى الامة العربية ذات عمق نفسي لا تصل اليه ، ولا تؤثر فيه العداوات والمهاترات ولا حتى مذاهب وثورات ((الرفاق)) انها عطاء الاسلام لمجتمع المومنين ، وهي الاسمنت الذي يلتحم به بنيان هذا المجتمع ، ويشد بعضه الى بعض ، وقد عبر عنها المثل الشعبي المغربي بقوله : ((عدو خاه ؟ ! مسو تراه)ي احذر ان تغتر بعداوة الاخ لاخيه، اذا شئت ان تختبر الامر فحاول ان تمس الاخ بسوء لترى رد فعل اخيه .

د ــ الامة العربية ، شعوبها ، وقياداتها السياسية ، بعد ربع قرن من ((التجارب المرة)) ، من بعد خمسة قرون من التخلف ، دخلت اليوم ((مرحلة الوعي بالذات ، والشعور بالواجبات والمسؤوليات)) ، انها بداية عصر نهضتها الجماعية كأمة متماسكة ، يجب ان تتحد .

فى لحظة حاسمة من التاريخ العربي ، كان يوم عاشر رمضان 1393 (6 اكتوبر 1973) رمزا لها ، ذابت كل الفروق ، كل الخلافات، كل المذاهب الدخيلة بين الدول العربية ، فى تلك اللحظة من التاريخ ، شعر المواطن العربي ، فى الشرق والغرب ، بان قياداته السياسية الحاكمة تغيرت ، ارتفعت فجأة الى ((مستوى الاحداث)) .

كانت الخطوة الرائدة الاولى فى هذا الاتجاه من اقصى المغرب ، من ((مملكة تقليدية عريقة)) تبعد خمسة آلاف كيلو متر عن ميدان المعركة ، لم تعلن ثورة ، ولم ترفع شعارا ، كان ذلك قبل اربعة اشهر من حرب رمضان ، عندما وقف الملك الحسن الثاني يستعرض فى احتفال رسمي مؤثر ، كتائب المتطوعين من القوات الملكية المسلحة ، التي قرر ارسالها الى الجولان ، المنطقة الخطيرة من جبهة القتال ضد اسرائيل ، كانت جماهير الشعب تملأ ساحة الاستعراض التاريخي ، تغطي الاشجار والسطوح ، وسط موجة عارمة من حماس الرجال وزغاريد النساء .

كانت الدهشة تغمر الدبلوماسيين والصحفيين الاجانب ، الامريكيون ساخطون فى صمت ، واسرائيل تتوعد وتتحدى ، والغرب يتساءل فى استغراب : كيف تساعد ((مملكة تقليدية)) (جمهورية ثورية) وبينهما آلاف من الكيلومترات ، وعدد كبير من الخلافات ؟ ! .

لم يكن احد يتصور ان الملك كان على موعد مع اسرائيل يوم عاشر رمضان ، شهر المعارك الحاسمة

فى تاريخ الاسلام ، وفى ليلة عيد الفطر التالي جاء جواب الملك فى الخطاب الذي وجهه الى الشعب المغربي : ((لقد ذهب جنودنا الابطال الى الشرق ليدافعوا عن فكرة ، عن كرامة ، عن دين وحضارة وشرف سلالة ، هي من اديم واحد ، ولغة واحدة ، وعقيدة واحدة . .)) .

وتكرر جواب الملك فى نهاية مؤتمر القمة العربي فى الجزائر ، وفى هذه المرة تكلم باسمه وباسم ملوك ورؤساء الدول العربية قائلا : ((سوف نصلي فى القدس ، وسوف نحيي هناك علم فلسطين ، وسوف نحضر استعراضات النصر فى دمشق والقاهرة . .)) ثم اضاف : ((ومنذ الآن ، سيعتز المغربي المسافر الى الشرق عندما يسأل عن سبب سفره فيجيب : انا ذاهب لاترحم على قبر قريب لي استشهد فى الشرق دفاعا عن الاسلام)) .

بكامل الصراحة والشجاعة ، وبكل ثقة وايمان ، عبر الملك عن مشاعر المسلم المغربي ، والمسلم المشرقي ، بل المسلم العالمي ، عن اصالته ، عن ايمانه وثقته بالمستقبل ، تجاوز كل الزيف ، وكل الصدا الذي غطى هذه الاصالة ، وبفضل هذه الاصالة وحدها انتصر العرب على انفسهم ، وعلى كبريائهم ، وعلى عصبياتهم المذهبية والاقليمية والطائفية .

وعندما اعلن الملك عن فتح باب التطوع للجهاد للمجندين السابقين ، كانت صفوف المتطوعين فى كل مدينة تبلغ عدة آلاف ، وفى الدار البيضاء تجاوزت عشرين الفا ، وقدم الملك دمه للمجاهدين فى جبهة القتال فتسارعت الجماهير الى تقديم دمها ، وطلب جمع التبرعات ودفع زكاة الفطر لتجهيز المجاهدين ، وتأمين حياة اسرهم ، فتسارع الناس للتبرع ، وقال رجل فقير لزميله ، فى الصف الطويل الذي كان اصحابه ينتظرون دورهم لدفع الزكاة : ما قيمة هذه الدراهم التي سندفعها ؟ ! ، نحن مستعدون لتقديم ارواحنا لو قبلوا . .

ذلك كان موقف المغرب المسلم العربي ملكا وشعبا ، من اسرائيل وحلفائها فى الشرق الاوسط ، كنموذج فقط ، عشنا احداثه ، وعاصرنا ردود فعله ، وعرفنا حقيقة مشاعره ، منذ قيام اسرائيل ، ولا شك انه موقف كل شعب عربي فى المغرب او المشرق ، دون جدال ، وان المثل الذي ضربته المملكة العربية السعودية بزعامة الملك فيصل ، ودولة الكويت عندما فتحا خزائنهما لتمويل الحرب المقدسة ، وبعثا بجيوشهما الى ميدان المعركة ، وكانا فى طليعة الدول العربية المتحدة فى استعمال النفط سلاحا فى المعركة، هذا المثل وحده دليل آخر على صدق الحقائق التي اشرنا اليها آنفا ، والتي غيرت معطيات القضية العربية تغييرا كاملا .

ومع ذلك ، فنحن ـ فى المغرب مثلا ـ نندهش حقا للمفاهيم الخاطئة التي لا يزال بعض كبار الصحفيين والكتاب العرب فى الشرق يعيشون عليها حتى الآن ، ولعله ليس بغريب ان نجد رئيس تحرير ((الاهرام)) السابق محمد حسنين هيكل يقدم لنا تفسيره لاحداث الحرب الرابعة مع اسرائيل بتاريخ 2 نونبر 1973 قائلا:

((ان اكبر مفاجآت الحرب هي : الانسان العربي العادي وما استطاع ان يعطيه فى الحرب . . ان بطل الحرب الحقيقي هو الانسان العربي العادي وما كان وما يزال كامنا فى اعماقه ، الى جانب ما كان ولا يزال يحمله من السلاح . . .

لقد استطاع احمد وجرجس . . عويس ومرقص ان يواجهوا موشيه وحاييم . . آري وافراهام .

استطاع خريج الهندسة المصري المجند مثلا ان يواجه خريج التخنيون ـ الاسرائيلي المجند . . .
استطاع (الفلاح) المصري ان يواجه ((السابرا)) الاسرائيلي ـ وليد حركة المستعمرات فى اسرائيل ـ واكثر من ذلك استطاع ان يضربه .

كان الانسان العربي ، وهذه هي مفاجأة التاريخ التي اعنيها ، على استعداد لان يعطي بأكثر مما كان منتظرا منه ، بل بأكثر مما كان منتظرا بأي مقياس)) .

هذا هو التحليل الذي يقدمه لنا هيكل بعد عشرة ايام من وقف اطلاق النار عن اكبر مفاجآت الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل فى نظره ، ونحن عندما نقرأ له مثل هذا الكلام فى المغرب ، نشعر بالعار والخجل معا :

ا ـ الانسان العربي العادي الذي يتحدث عنه فى 6 اكتوبر 73 ، أليس هو الانسان العربي العادي الذي كان موجودا فى 5 يونيه 67 بعمقه التاريخي ؟ ! . . هل يمكن لاحد ان يدعي ان انسان 5 يونيه 67 انهزم لانه كان مجردا من العمق التاريخي او الاعتبار المعنوي او التاريخي ، بينما انتصر الآن لان هذا العمق او هذا الاعتبار عادله ؟ .

لماذا يحاول هيكل توجيه الانظار الى الانسان العربي ، على اعتباره انه تحول الى انسان آخر ، وان الفضل فى هذا الانتصار يرجع الى هذا التحول ؟! ، هل يريد بذلك ان يخفي مسؤولية القيادات السياسية والعسكرية فى هزيمة 5 يونيه 67 حتى لا تتحول الانظار الى المقارنة بينها وبين القيادات التي حققت انتصارات 6 اكتوبر 73 ؟! .

ب — لا يزال هيكل يتحدث بلهجة المنهزم الذي فاجاه الانتصار ولم يكن اهلا له ، فاخذ يهرول ويصيح فى الناس تعالوا انظروا المعجزة ، انظروا المفاجاة الكبرى فى التاريخ ، ما هو ذا المصري ، المهندس ، والفلاح ، استطاع ان يواجه الاسرائيلي ، بل اكثر من ذلك ، استطاع ان يضربه !!! ، يا للعار ! ، لا يمكن ان يكون هناك امعان فى اذلال معنوية المواطن المصري ، ووضعه فى اسفل درجات الضعف ، اكثر مما فعل هيكل بمواطنيه ! ، لماذا يستكثر هيكل على المصري ان يواجه الاسرائيلي ؟ وان يضربه ؟ ، لماذا يريد ان يحمل مواطنيه ((عقدة الهزيمة)) كما يشعر هو بها ؟ ، وبأي حق يضع مواطنيه فى هذه الدرجة من الهوان ؟ .

الم يكن من واجب هيكل ان يذكر مواطنيه المصريين بأنهم هم الذين هزموا الصليبيين ، وفتحوا بيت المقدس فى معركة حطين ، تحت قيادة صلاح الدين الايوبي سنة 1187 م ؟ .

الم يكن من واجب هيكل ان يذكر مواطنيه المصريين بأنهم هم الذين سحقوا المغول والصليبيين المتحالفين معهم ، بعد ان اجتاحوا الشرق الاقصى ، واحتلوا العراق وسورية ، وخربوا بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية ، فى معركة عين جالوت ، بقيادة السلطان بيبرس سنة 1260 م ؟ .

لماذا لم يوح له ((العمق التاريخي)) بان للمصريين موعدا ثالثا مع التاريخ ، على ارض فلسطين ايضا ، لايقاف الزحف الصهيوني ، وتحطيم صلفه وغروره ؟ .

ج — لم يستطع هيكل اذن ان يتخلص من ((عقدة الهزيمة)) فى تحليله ، والدليل على ذلك اننا لا نجد مثل هذا الوضع المهين للانسان العربي أو المصري ، فى اي تحليل علمي نزيه لنتائج الحرب ، ولناخذ مثلا ما جاء فى دراسة للاستاذ مايكل هوارد استاذ الدراسات العسكرية العليا بجامعة اكسفورد البريطانية ، نشرت بتاريخ 21 اكتوبر 1973 :

((.. ونرى الآن ان العرب لم يضيعوا السنوات الستة الماضية من الهزيمة ، وكما فعل البريطانيون فى عام 1942 ، فقد درسوا (اي العرب) اسباب هزائمهم ، وطهروا قيادتهم ، واعادوا تسليح قواتهم ، ودخلوا المعركة الآن بثقة جديدة وتصميم لمحو العار الذي لحق بهم فى الهزائم الماضية)) .

د — يتحدث هيكل فى تحليله هذا عن شيء لا يزال كامنا فى اعماق الانسان العربي ، ويعبر عنه مرة بالاعتبار التاريخي ، ومرة بالعمق التاريخي ، ولكنه لا يفصح عن ماهية هذا الشيء العميق ، قد يكون فى نظره شيئا آخر غير الايمان او الاسلام ، وفى هذه الحالة لم يكن هناك داع لعدم التصريح به ، وقد يكون هو الايمان او الاسلام ، وفى هذه الحالة فان عدم التصريح به يدل على ان بعض النخبة المثقفة السياسية فى العالم العربي يوجد فى حالة عزلة فكرية تامة عن شعوبها ، ولذلك كانت غير مؤهلة اطلاقا ، لا للتحدث باسم هذه الشعوب ، ولا لزعامتها أو قيادتها .

هـ — على خلاف ما ذكره هيكل من ان الانسان العربي هو مفاجاة التاريخ فى هذه الحرب ، فان جميع تحليلات القادة العرب وغير العرب ، ابرزت باهتمام بالغ اهمية وحدة الامة العربية التي فرضت نفسها فرضا منذ بداية هذه الحرب ، وقد صرح السيد عمر السقاف وزير الخارجية السعودي لدى وصوله يوم 18 اكتوبر الى مدريد قادما من نيويورك قائلا : ((لقد أعطينا البرهان للعالم بان العالم العربي هو العالم الذي عرفه التاريخ)) بل هذه كولدا مايير رئيسة دولة العصابات اليهودية نفسها لم تستطع ان تخفي اكبر مفاجآت الحرب بالنسبة الى اسرائيل فى ندوة صحفية بتاريخ 20 اكتوبر 1973 عندما قالت : ((اننا نحارب العرب كما لم نكن نعرفهم من قبل .. اننا نحارب مصر وسوريا والمغرب والجزائر وتونس والعراق والاردن والكويت)) ، وبعد هذه الندوة بقليل اعلنت المملكة العربية السعودية عن مشاركة قواتها فى الحرب .

وبعد ، فقد تركت هذه الحرب ، وهي الاولى من نوعها اذ ساهمت فيها كل الشعوب العربية تقريبا ، اثرا بعيد المدى ، نفسيا ومعنويا ، اجتماعيا واقتصاديا ، دينيا واخلاقيا ، ارتفع بمعنويات العالم العربي ، ودفع به خطوة كبيرة الى الامام ، ولو لم يكن من حسناتها الا

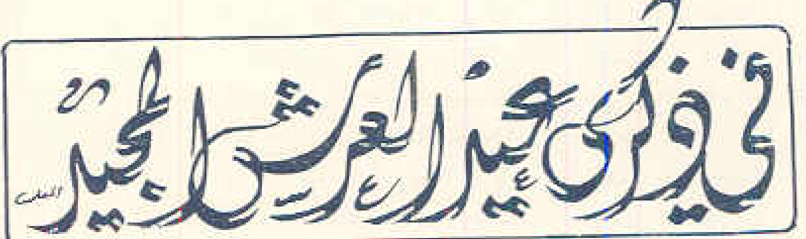
تأجيج مشاعر الوحدة والتضامن والتعاون والاخاء بين شعوب الامة العربية والاسلامية، وقياداتها السياسية، وحكوماتها ، وفرض احترام هذا الموقف الجماعي،على الغرب والشرق ، وتفتح الامكانيات لقيام نهضة ثورية حقيقية ، اقتصادية واجتماعية ، ذات طابع عربي اسلامي مستقل،لكان ذلك اكبر كسب من هذه الحرب.

ولعل هذا هو السر في ان الاسلام جعل الجهاد فرضا كفائيا دائما على المسلمين ، واعتبر تركه كبيرة من الكبائر ، وفرض ((التجنيد الاجباري)) على جميع المسلمين في واقع الامر ، بصريح الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب ، ومنها حديث مسلم عن ابي هريرة مرفوعا ((من لم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق)) ، والغزو يتطلب الاعداد والتدريب ، قال تعالى : ((ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة)) . ولو درسنا اثر الجهاد في تاريخ الاسلام من الوجهة الاجتماعية فقط لتبين لنا انه اشبه شيء بعملية تطهير وتصفية ، دائمة ومتجددة ، لنفسية المجتمع الاسلامي الدينية والاجتماعية ، مما يتراكم عليها من انانية ، وتواكل ، ونفاق ، وتكالب على المادة ، ونسيان للقيم ، وانحلال للروابط ، فلنجدد ثقتنا وايماننا بمستقبل هذه الامة العربية الاسلامية ، وليكن احياء فرض الجهاد في الاسلام احد عناصر ثورتنا الاسلامية المعاصرة ، من اجل تحقيق وحدتنا وعزتنا ، كشرط حضاري لتحقيق مطامح امتنا الكبرى في التقدم والازدهار .

الرباط : ادريس الكتاني







للأستاذ محمد العربي الزكاري

عند ما تظلنا هذه الذكرى لا مناص من أن نعود قليلا الى الوراء لنستعرض مراحل فترة عصيبة من تاريخ كفاحنا الوطني لتوطيد دعائم العرش المغربي والحفاظ على مقوماتنا كشعب عريق فى المجد وغير متطفل على الوجود الدولي ، فلقد كان مجرد التفكير فى تنظيم حفل — ولو على نطاق ضيق — لتمجيد هذه الذكرى العزيزة بمثابة جريمة يتعرض لها المواطنون لكثير من المضايقات وعديد من العقوبات .

ذلك ان الاستعمار كان على يقين من خطر التفاف الشعب حول عرشه ، وعلى حذر من توطيد اواصر المحبة والانسجام بينهما ، فاستخدم كل وسائل الوعد والوعيد ليحول بين جماهيرنا واظهار عواطفها الجياشة نحو رمز السيادة القومية ، واستعمل كل ما لديه من حيل ومؤامرات ، وما يملك من اذناب وابواق، لعرقلة المسيرة الشعبية العارمة ، وارادة الجماهير الواعية والمتحمسة ، والاجماع الوطني الكامل ، والتصميم الشعبي الهائل .

واذا اردنا تحليل الدوافع الحقيقية لموقف الحماية من فكرة عيد العرش ، لا نجد له مبررا سوى الهلع من وحد الشعب والعرش ، فهي ترى الخطر كل الخطر على وجودها يكمن فى هذا الانصهار الذي يجسم اكبر واروع مشهد من مشاهد وحدتنا الازلية الخالدة التي يباركها الخالق سبحانه من فوق سبع سماوات ، بل ان الحماية تعتبر تعاطفنا وتساندنا وانسجامنا المسمار الاخير فى نعش وجودها ، ونهاية حتمية لحياتها .

وفى مقابل هذا الهلع آمن المواطنون بأن لا خلاص لهذه الامة من السيطرة الاجنبية الا بالسير فى ركاب العرش المغربي ، باعتباره الدعامة الكبرى لكياننا الوطني ، والحصن الحصين لسيادتنا القومية ، والرمز الحي لوجودنا الدولي ، فاندفع كالسيل الجارف يكافح ويناضل حتى اذن الله بالفتح المبين .

وفى الواجهة الثالثة كان المغفور له محمد الخامس يدرك تمام الادراك مخططات الاستعمار الرامية الى ابتلاع هذا الوطن بصفة نهائية ، ويقدر كل التقدير هيام الجماهير بعرشه وشخصه ، ويعلم حق العلم ان آمال الشعب فى انتزاع الاستقلال وتحطيم جميع القيود وكافة الاغلال امانة عظمى فى احضان العرش المغربي ، فراح يخطط ويوجه ويعمل بحماس المجاهدين وايمان الزاهدين .

اذا شهدوا الوغى كانوا كماة
يدكون المعاقل والحصونا

وان جن المساء فلا تراهم
من الاشفاق الا ساجدينا

هذه العوامل مجتمعة ومتفرقة اضفت على الذكرى صبغة الكفاح المرير الذي خاضه شعبنا

وعرشنا ضد مخططات الاستعمار العنيد البغيض ، وكانت محور العراك السياسي ، فالاصطدام المسلح الذي ادى فى النهاية الى انتصارنا وانهزام الاستعمار بعدده وعدته امام الضربات القاسية التي وجهتها الامة مجسمة فى اراده وعزيمة وايمان ملك عصامي ، آثر شعبه الكفاح والنضال بجانبه وفى ركابه وتحت لوائه.

ولعلنا فى غنى عن الدخول فى تفاصيل الاحداث السابقة واللاحقة ، فجيلنا عاشها بافراده وهيئاتـه ومنظماته ، وواكب مراحلها وتطوراتها ، وذاق مرارتها يوما بيوم ، وانما تكفينا العبرة الوحيدة المستخلصة من احداث الكفاح الوطني فى هذا الميدان ، وهـي ان مستقبلنا ومصير اجيالنا الصاعدة مرتبط كل الارتباط بالوحدة الكاملة والشاملة بين العرش والشعب ، وان هذه الوحدة ضرورة حتمية لضمان وجودنا حاضـرا ومستقبلا ، فلقد اتضح من ملابسـات الاحـداث ان سواعدنا المجتمعة والمتشابكة هي التي قطعت اوداج العملاق الاستعماري المخيف ، وما كـان فى مقدور شعب اعزل ، وعرش محاصر ، ان يلحقا الهزيمة النكراء باستعمار متغطرس يتوفر على جيش مجهز باحـدث الاسلحة ، ومعزز بمآت الآلاف من أبنائه المتعصبيـن والاذناب من الخونة والعاقين ، لولا الوحدة التي جمعت شملنا ، ووحدت اهدافنا ، وخلقت منا قوة عارمـة لا تقهـر .

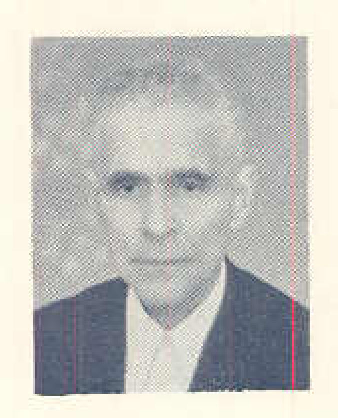
ويندحر الاستعمار ويتحقق الاستقلال ، فيصبح لزاما علينا بعد هذا الفوز المبين ان نفكر فى تشييـد صرحنا الوطني على أسس معقولة ومفاهيم جديدة من الاحداث التي اكتوينا بلظاها حقبة من الدهر ، لنحول بيننا وبين الهزات العنيفة التي تعصف عادة بالشعوب فى فتراتها الانتقالية ، تلك الهزات التي تفوت الكثيـر من الفرص الذهبية فى البناء والترميم والتشييـد والتعميـر .

وهنا يدرك شعبنا مرة اخرى ان مصيره مرتبط كل الارتباط بعرشه الخالد ، وان نجاحه فى معركـة البناء مرهون بتضامن أقوى وأعم ، ووحـدة أمتـن واقوم ، وفى هذا الاتجاه السليم سار محمد الخامس الى ان اختاره الله لجواره ، ولهذه الغاية النبيلة اندفع شعبنا لصيانة مكاسبنا التي انتزعناها انتزاعا ، وعلى هذا النهج القويم تسلم جلالة الحسن الثاني مشعـل والده المقدس لهداية الامة وقيادة القافلة ، وعلى ضوء هذه المبادىء السامية وفى نطاق الحب المتبـادل والانسجام الكامل انطلق عرشنا وشعبنا يبنيان ما هدمه الاستعمار ويرممان ما خربه الطغاة من صروحنا المادية والروحية ، تلك الصروح التي نعتبرها ركيزة اساسية من ركائز حضارتنا الاصيلة ، والتي نريدهـا اليـوم متفتحة دون الانحراف عن مبادىء الاسلام الصحيـح وتراثنا الحضاري الممتاز ، لدرجة اننا نقبل كل ما هو مفيد ونافع فى الحضارة الغربية ونرفض رفضا باتـا وصارما جميع ما فيها من خبال ، وما تحويه من فتور ، وما يصاحبها من فجور .

واذا ما سلطنا الاضواء الكشافة ، ونظرنا بتعمق وواقعية الى الابعاد التي ترمي اليها فكرة عيد العرش، نجد ان الزمان يستحثنا لمضاعفة الجهد لتظل عجلة السير فى دوران متواصل ، وان الضغط بقـوة على « البنزين » ضرورة حتمية ليتحرك الركب بسرعة حتى تلحق القافلة ، ان لم تتصدر مسيرتها .

وعندي ان ذكرى عيد العرش تحمل بين طياتهـا الكثير من المعاني السامية ، وترمز الى العديد مـن المواقف البطولية التي خاضها عرشنا وشعبنا ، اهمها واغلاها الوحدة التي تصنع المعجزات ، فبها استطعنا الخلاص من استعمار ظالم غاشم ومتغطرس ، وبهـا وحدها تمكن العرب من الحاق الهزيمة بجيش اسرائيل وهي الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من صيانة مكاسبنا القومية والحفاظ على الاستقـلال ، وهي وحدهـا الضمانة الكبرى للتغلب على كل صعب وتذليل جميع العقبات التي تعترض سبيلنا ، وهي فى نظري « باقة الزهور » التي ينبغي ان نضعها على مكتب العمل اليومي لعاهلنا كلما حلت هذه الذكرى المجيدة ليستنشـق عبيرها ويتنسم شذاها عاما كاملا فى انتظار باقة تكون اجمل وأغلى فى الذكرى المقبلة ان شاء الله .

الرباط : محمد العربي الزكاري



ما للملوك والرؤساء من اثر في التكوين والتثقيف

للأستاذ عبد الله الجراري

من المسلم نفسيا ان كل فرد من افراد الانسان وجد او يوجد الا وله في قرارة نفسه نوازع فطرية مستعدة بطبيعتها، ومهياة بكنهها للحركة والكشف عما من شانه ان يدرك ويعلم في هذا الوجود الواسع الارجاء والذي قد تعجز خطى الباحثين عن بلوغ مداه، والوصول الى ادنى غاياته. لذا كان من اللازم وبتاكيد وجود طائفة من مثقفي الامة لخدمة المعرفة، وتسخير مواهبها للعمل على تكوين الصاعدين من النشء وفتق تلك النوازع الفطرية المجبول عليها كل فرد، وابرازها بالتالي لتربيح نسيم الحياة، وتعمل بدورها طبعا على نشر الوية الثقافة الحق بين الناشئين الذين كم هي الامة في ترقب امثالهم رغبة في سد الحاجات الملحة في غير ما قطاع من القطاعات الضرورية الكون ثقافيا واجتماعيا، واقتصاديا وسياسيا، ينابيع حيوية لا غنى من السعي والسعي حثيثا لبلوغ اهدافها وتوزيع الاتجاهات والمواهب الى مراميها الحيوية رتقا لثغرات الاطر الفقيرة في المجموع، نعم قد لا نذهب بعيدا اذا ما اصبحنا نرى من يوم لآخر ما يتجدد من فئة لفئة وفي عالم الثقافة على اختلاف موضوعاتها وقضاياها في عصر الحسن المؤيد في سائر المحاولات والمجالات حتى غدا لكل وزارة من الوزارات معهد يكون العاملين في مصالحها قصد انجاز المشاريع المتزاحمة عن بينة وخبرة يتوفر عليها الدارسون. ولا غرو تتجلى هذه الظاهرة بما يعقده نصره الله من جلسات عمل مع اعضاء حكومته حيث تطرح المسائل على بساط الدرس والتمحيص فيدلي كل وزير بما يهم قطاعه من مشاريع، وهناك ياخذ النقاش يجري في جدية ومنطقية يسفران في النهاية عن فكرة نيرة بلورتها الآراء، وصقلت جوانبها الخبرة والممارسة بما ينعكس عليها من اضواء الحسن الكشافة لما يختبيء في اعماقها من اهداف ودرر حجبها الغموض، وغطى كرائمها الاضطراب والفتور.

وانطلاقا من هذه الفكرة الواعية والموفقة ننتقل والهدف، نفس الهدف ــ كالتقات محتوي ــ مذكرين انفسنا والذكرى توقظ وتحيي ان المغرب عرف منذ فجر الاسلام واشعاع العقيدة الصادقة على ربوعه وهو مثال التشبث بمبادىء الدين وتعاليم القرءان وهدي السنة، لا نفتا تمضي فترة من الفترات (طوال اربعة عشر قرنا) الا وازدادت العناية بدراستها؛ والبحث في تعمق عما توحي به نصوصها من آي يقضي منها علماء العصر الحديث (عصر الذرة والصواريخ ومحطات الفضاء) ما يتضاءل امامه سائر ما يطلعون به على البشرية من مخترعات ومبتكرات لا ريب يتفتح لها دستور الاسلام، وتسعها نصوصه الثرية دونما انغلاق وضيق، ولا عجب ما كان المغرب في الطليعة بخاصة في الدولة العلوية الشريفة بما كان لملوكها من رعاية واهتمام بتنشيط الحركة الفكرية، ودعم الجولات العلمية على العموم وحتى داخل قصورهم ومساجدهم

الخاصة ، لا سيما فى الاشهر الثلاثة (رجب الفرد ، وشعبان ، ورمضان) حيث تنهض الهمم اكثر وتطمح النفوس الى المعرفة وقد صاحبها الطهر والطمأنينة محلقة في أجواء اللذة الكبرى لذة العلوم والمعارف رغبة فى الكرع من ينابيعها الصافية على اختلاف مشاربها واذواقها ، اذ تحضر حلقاتها نخبة من رجال الثقافة والفكر من جهات المملكة وقواعدها وطائفة من أعلام الشرق ومثقفيه للمشاركة في الدروس والمحاضرات الملقاة على مستوى عال في التفسير والحديث والرقائق والتاريخ ، يتتبع خطواتها العاهل المؤيد وولي عهده المحبوب وعلية من الاسرة الشريفة واعضاء الحكومة والسفراء وطائفة من المثقفين والطلبة ، واحيانا وفى هذه الاثناء تطرح اسئلة على بساط البحث ومحكه لاستكناه ما يمكن ان يخفى من حقائق ويغمض فى ثناياها من دقائق العلم ورقائقه ، وفي تلك اللحظات الواعية ينبري جلالة العاهل لميدان البحث والنقاش بآراء تحليلية تضفي فلسفتها القانونية روحا جديدا على ما يلقى من تعريرات علمية عن الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، مما يندهش له الجمهور مستفيدا اكثر مما لو ترك الدرس يجري كذي قبل غير ناهض ولا متحرك ، اضف الى ذلك ان الملك الموفق لتتبعه خطوات الدرس ونقاطه نجده احيانا يوقف استاذ الدرس اذا ما حاد عن موضوعه سابحا في استطرادات نابية عن روح المدروس ، وبعيدة عن فصوله كعرض منه لمحفوظ يملا به دقات الظرف المحدود مما لا يسعه الا العود الى بنود المقروء ان لم يضطرب فيميل فجأة الى الاختصار المريح دونما اتمام للحصة المقدرة .

ولا غرابة فى هذا الفتح الملكي والاطلاع المولى (رغم عصاميته البحتة) هو دونما شك طبعي المحتد اصيل الارومة — انحدر من عرق الاسلاف الاماجد ملوك هذه الديار المغربية الذين حافظوا على كرامتها وسيادتها والذود عن عقيدتها ودينها في استماتة نادرة منذ ما يقرب من اربعة قرون فكان ذلك الشبل (الحسن الثاني) المجدد ويوفاء تحمد مغبته الاسلاف والاجداد ، وبفخر واعتزاز فى عالم الارواح الذي له الادراك والوعي اكثر :

(كم من أب قد علا بابن ذوى شرف
كما علا برسول الله عدنان)

ولا نذهب بعيدا او ننسى التاريخ الامين ما كان يختم به) ايده الله) الدروس الرمضانية كمشاركة فى حلقاتها كما يقول حفظه الله فى توضع — رغم اشغاله الكثيرة فى غير ما قطاع من قطاعات الملمح اليها اول الكلمة .

فكان في درسه المشرب بروحي القديم والجديد، يبدي ويعيد ، محلقا فى تحليلات موضوعاته واعطائها روح القانونية الهادف اليها فى ثناياه ، والمتصل بالحياة المتجددة والمتطورة حسبما توحي به ظروفها اليومية علما منه ان القانون الاسلامي وتشريعه غير عاجزين عن مسايرة ما يتجدد فى الحياة من فينة لاخرى ، ومعطيا في ذات الوقت توجيهات نيرة لا تلبث تشق طريق التلقين السهل والمنتج فى آن واحد ، وخلق نشاط جديد فى تكييف الدرس ووضعه فى اطار حي يبعث على الاقبال في توق وشوق طالما قارنه تحليل واستنباط موضوعيان لا يكادان يبعدان عن حدود النص الفني بمضامينه بين يدي من تفتحت بصائرهم ، وتشبعت افكارهم بصحيح العلم والتمكن من قواعده . فهذا الحديث الصحيح الذى اخرجه الامام احمد فى المسند ومسلم والاربعة عن ابي سعيد الخدري انه عليه السلام قال : من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان .

هنا ابدا جلالة الحسن الثاني واعاد فى تقدير الحديث وبحثه من اطرافه الواسعة سبرا وتقسيما مما ترك جمهور الحاضرين والمستمعين فى الاذاعة والتلفزة معجبين مشدوهين من تنقله فى تحليل النص النبوي واحاطته بصور من الابداع والاستكناة للذين قد يعسر على الوعاة من رجال المعرفة طرقه باسلوب جذاب رغبة الوصول الى الكنه ، وطبعا انها مدرسة المواهب التي قد لا تكترث للتردد على حلقات الدروس ومثافنة الشيوخ على ان العاهل الكريم غذى مواهبه الخاصة بما تلقاه عن جمهرة من العلماء مسلمين واجانب فى المعهد الاميري الذى كونه والده المقدس طيب الله ثراه ازاء القصر العامر بالرباط والذى كان يرعاه صباح مساء ، ومرة اخرى نجده ينطلق كمشارك فى الدروس مفسرا الآيتين الاخيرتين من سورة الاحزاب : « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »

فيهما حلق مفسرا ومبرزا خطورة الامانة ، وكيف يجب ان يصورها الانسان ويصونها ، ومعطيا عنها امثلة حية جعلت الكل معجبا ومدركا فى نفس الوقت مكانتها فى التعايش والحياة وما يبني عليها فى خلق الجو الصالح بين الفرد والفرد ، والفرد والجماعات ، والجماعات بعضهم بعضا بما كانت له البلسم الناجع فى وضع التفاهم والثقة حتى بين الامم والشعوب التى اصبحت اليوم واكثر من أي وقت مضى فى حاجة ملحة للاخذ بها والصدق فيما توحي به من وسائل ومقاصد لها مقاماتها الملحوظة والمنشودة .

ذلك ماجعل السنة الصحافة الداخلية والخارجية تسخر اقلامها وباحرف بارزة للتحدث عن الدرس والاشادة باطلاع العاهل ومقدرته العلمية على التكييف والتعميق فى استقراء واستكناه ، ولا نبعد النجعة اذا ما قدرنا المشاركة الملكية كتوجيه لاخواننا العلماء والمثقفين فى تكييف الدروس وتطويرها والغوص فى ثنايا نصوصها لاستكناه ما استبطن فى جوانبها من اسرار وآيات تجب بطبيعتها الاقبال والاستجلاء لنصوص التشريع من كتاب وسنة .

ويبعث على الاعجاب مرة اخرى ما امر به من المناقشة وخلق جو جديد يفسح المجال لبقية المثقفين والعلماء للمشاركة بما لديهم من معرفة فى توجيه اسئلة للمدرسين والمحاضرين قصد بلورة القضايا العلمية ومسائلها بالقاء بعض الاضواء الكاشفة عما يمكن ان يشكل ويخفى، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يكون هذا النقاش من بواعث تتبع مسائل الدرس واحصاء مقاماته رغبة فى تصفية ما قد يحيط بها من غموض .

وتلكم فكرة اوحى بها العاهل الحسني وفقه الله اثناء درس السنة الاولى من رئاسة الدروس الملكية مهيبا بالعلماء ان يبدو ما لديهم من ملاحظات واشكالات فى الدروس المقررة لبعث روح النشاط والحيوية . وهذا ما تحقق في السنتين : (1392 ـ 1393 \ 1972 ـ 1973) بامر مولوي ان يتصدى للنقاش والبحث بعض العلماء فى الختام مع هيأة من الاساتذة والمحاضرين .

وبعد فمن وراء هذه الظاهرة الكريمة يندفع المثقف خاصة الواعي الى الكرع من ينابيع المعرفة بايحاء ما ينطبع فى نفسه من اشعاعات وضاءة تغمر قلبه طالما شاهد ملكه يسمو فى اجواء المعارف مقررا ومحللا ما يطرقه من قضايا العلم ، وفى اطار باعث جذاب بعيد عن التحجر والتقليد النابيين عن الوعي واليقظة .

الرباط ـ عبد الله الجراري



يخلون ... ويقدسون

للاستاذ عبد القادر زمامة

اعتادت يد التاريخ ان تطوي صفحة من سجل الزمان . وتنشر اخرى . وتمحو رقما من الارقام ، وتعوضه بآخر ، كلما استوفت الايام عدتها ، واتمت الافلاك دورتها ، فتشرئب الاعناق استطلاعا!. وتتراقص حبات القلوب اشفاقا ..! وتتبادل العيون النظرات . والشفاه البسمات ، ثم تسير الحياة سيرها المعهود - بما فيها ومن فيها - الى اليوم المشهود ..!

على ان هناك فى تاريخ الملل والنحل، والشعوب والامم صفحات ومعالم ، وسنوات واياما ، لا ترفعها رافعة الزمان ..! ولا تخفضها خافضة التاريخ ..! لان الايام استوفت عدتها .. والافلاك تمت دورتها .. و « اليوميات » بدلت أرقامها ..!

وعالم العرب والمسلمين فى مشرق الدنيا ، ومغربها ، كان وما يزال ، على موعد مع التاريخ ، يعد لكل غاشية من غواشي الضلال والفتنة ، ردءا من الايمان، والوحدة ، ويجابه كل رادفة من روادف الظلم ، والمكيدة ، بما اودع الله فيه من شجاعة فى القلوب ، وهيبة فى النفوس ، وجراة فى الحق ، وصبر فى الشدة ، وثبات عند الابتلاء ..!

لهذا كانت يد التاريخ لاتستطيع، ولن تستطيع، ان تطوي من سجل الزمن صفحة رمضان 1393 هـ - اكتوبر 1973 م فيما طوت من الصفحات . ولا ان تدخلها فى شباب الاحداث المتكررة، والاعمال المالوفة والحركات العادية للتاريخ ..!

انها صفحة الاول المتجدد ، والماضي المنبعث..!

انها الدليل العملي على ان التمزق كان رجسا من عمل الشيطان ..! ومكيدة من مكايد الانسان ..! واضاولة قام على فسادها البرهان .. !

انها العطاء التاريخي لجذوة العقيدة ، التى ظلت متقدة فى الضمير المسلم تغذيها الايام بتناقضاتها وآلامها، وتنميها الارادة بمحاولاتها ، وتجاربها .

انها سجل ذهبي خط فيه ابناء المغرب العربي المسلم الى جانب اشقائهم فى العقيدة ، واخوانهم فى اللغة ، وشركائهم فى الحضارة والتاريخ ، ما خطه الرواد الاخيار ، والقادة الابرار ، منذ تحملت هذه الامة عبء حماية المقدسات ، والذب عن الحرمات ، ونصرة الحق ، والوقوف فى وجه العدوان ، متحدية انصار البغي والطغيان ..!

واذا كانت الملابسات المعاصرة قد الفتنا منها تسمية الاشياء بغير اسمائها .. فالخداع سياسة .. والنفاق كياسة .. والغدر تدبير .. والتفاهة تفكير .. ! فان ذلك ليس الا احبولة يقع فيها عادة اغرار التفكير ، وببغاوات التعبير ..!

اذ لماذا لا نسمي الاشياء بأسمائها المناسبة، التي تدل وضعا وعرفا على الحقيقة الواقعة ، لا على الخيال الوثاب ..؟ فحرب رمضان جهاد مقدس ، لا من اجل غبار ، او تراب ، او بر ، او بحر فقط .. ولكن من اجل ان تكون هذه الاشياء وسيلة لهدف

اسمى ، وغاية انبل ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ..!

ان الاسلام الذى قامت شريعته على الوحدة والتوحيد ، وسارت سياسة اهله على التوفيق والتسديد ، واضاءت انواره الافق القريب والبعيد ، ظل اهله محسدين متابعين ، لما انجزوه من اعمال ، نطقت الخرس ، واسمعت الصم ، ولما ضربوه من امثلة ، وما بذلوه من تضحيات فى تعليم الجاهل ، وارشاد الحيران ، وتحرير المستعبد ، واصلاح التربة وتعمير الخراب ..!

فعلوا ذلك ولم يكرهوا احدا على دين ..! ولم ينصبوا مكاتب تفتيش لمراقبة اديان وعقائد المستضعفين ..!

فعلوا ذلك ولم يطمسوا معلما من معالم التاريخ ..! ولم يشوهوا حقيقة من حقائق الدنيا والدين ..!

فعلوا ذلك وهم يعايشون ، ويعاملون بالحسنى كل من اراد التعايش والمعاملة ، ولا يستثنون الا من استثنى نفسه بكيد اضمره ، وغدر اظهره ، وفتنة ايقظها ، وامانة خانها ..!

فعلوا ذلك وقضية الدماء والالوان ، والاجناس قضية مهملة لان رب العزة جلت قدرته ، خاطبهم بقوله فى شأنها :

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقد جمع الايمان والتقوى الابيض والاحمر والاصفر والاسود فكانوا ، وما يزالون يشعرون فى اعماقهم بهذه الوضعية النبيلة التى وضعهم فيها القرآن ، ويتعاملون فى حياتهم على اساسها ..!

اما انانية الانسان فما تزال تلتوي ، بين غموض المبدا ، وتلون التطبيق ، واختلاف الاوضاع ، وتضارب المصالح ، وتداخل المقاييس ، ومن اجل ذلك ينمو محصول المتناقضات فى عالم الانانيات .. ! البعيدة عن الهدي السماوي ..!

ولعل القضية الفلسطينية كانت وما تزال المظهر العملي للاسلام المحسد ، والمسلمين المتابعين فمهما تبدلت الاصباغ ، وتعددت الالوان وتعاقبت الاوضاع فان القضية فى عمقها هي هي ..! تجد فى كل عصر من يلونها بلون خاص ، ويربطها بمصلحة خاصة ..! ليحاول فى آخر فصول الرواية « ستر » ما بدا للعيان فى اولها .

ومن الجائز فى عالم التضليل والدعاية ، ان ينظر الى هذه القضية نظرات اخرى ، من الزوايا الاخرى ، وان يقع ضحية ذلك كل من لم تمكنه دراسته ، او حاسته ، او عقيدته ، من تفهم الاشياء من المنبع الى المصب ، لكن الحقيقة تظل دائما شاهدة على ذلك كله ..!

ومن الجدير بالذكر هنا ونحن نتحدث عن ابعاد القضية الفلسطينية فى نفوس المسلمين وضمير التاريخ الاسلامي فى المغرب والمشرق ، ان نعرج على التعبير اللغوي الذى عرف فى المغرب وتداولته الالسنة فى القديم والحديث وهذا التعبير هو : (يخلل ويقدس) .

فاهل المغرب بالمعنى العام الذي يشمل الاندلس واقطار بر العدوة ، كانوا اذا ذهبوا لاداء فريضة الحج يرون من اكد اعمالهم ، واشرف مساعيهم ، ان يخللوا ويقدسوا ..!

وقد اطلقوا التخليل على زيارة قبر الخليل ابي الانبياء : ابراهيم عليه السلام ..

كما اطلقوا التقديس على زيارة القدس مسرى خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام ، وموطن المسجد الاقصى ، وملتقى الاديان السماوية ..!

وكان تحقيق هذه الرغبة فى التخليل والتقديس لا يتم دون معاناة الاهوال ، والشدائد بسبب ما كان يحيط بهذه البقعة الطيبة ، من مطامع وفتن ، وحروب ، اشترك فى اثارتها كل من كان وما يزال يحسد المسلمين على ما آتاهم الله من فضله .. منذ الحروب الصليبية الى الآن .. !

وكتب الرحالين المغاربة بالمعنى الذي قدمنا حافلة باخبار هذا التخليل ، وهذا التقديس والظروف والاحوال التي وقعا فيها .. !

ولا ريب ان تلك الظروف وتلك الاهوال ، والاحوال ، التي عانها المخللون والمقدسون ، هي التي جعلتهم يضفون على التعبير معنى الشدة والالم ومعاناة الصعاب ..!

فكلما راوا انسانا يعاني آلاما في جسمه ، او عذابا في عمله . قالوا : هو يخلل ويقدس .. ! كانه يعاني ماعاناه اولئك الرحالون ، قبل ان يحققوا رغبتهم النبيلة ، في زيارة القدس وقبر الخليل ..!

فهذا التعبير اللغوي ان دل على شيء فانما يدل على مكانة القدس والخليل في القلوب المؤمنة والضمائر المسلمة التي ترعى المقدسات حرمتها على ناي الديار ، وبعد المزر ، وكثرة الاهوال والاخطار ..!

ولا ندري هل وسبب مثل هذا التعبير في لهجة من لهجات اخرى في الاقطار العربية والاسلامية ، أم انفرد المغرب بهذا التعبير الذكي الذي يحمل في صيغته وحروفه ومدلوله ، كل ما أراد له المتكلمون به ..! من علاقة لا تبلى جدتها .. وصلة لا تنقطع أرحامها ..!

والمسلمون في حرب رمضان من قمتهم الرشيدة المومنة ، الى قاعدتهم الواعية النبيلة ، خللوا وقدسوا « بالمعنى الثاني » وسيخللون ويقدسون بهذا المعنى .. ! يؤدون بذلك رسالة . ويجددون عهدا ، ويرضون ضميرا ، الى أن يأتي اليوم الذي يخللون فيه ويقدسون « بالمعنى الاول »

ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ..!

فاس ــ عبد القادر زمامه

يتميز العصر الذي نعيش فيه بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقصادية والاجتماعية . وأرشد الحكومات حكومة عرفت كيف تحسن الاختيار وسط هذا الخضم العالمي الصاخب المتلاطم بالاراء والنظريات المختلفة وتخط لشعبنا سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته مرتكزة على مقوماته ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الاسرة الانسانية الكبرى .

من خطاب جلالة الملك
الحسن الثاني



دوكاستر وتاريخ المغرب

للاستاذ عبد القادر الخلادي

قال المارشال فرنشي دسبيري (2) في مقدمة كتاب (3) عن حياة الفريد لوشتلي Alfred de Chatelier مؤسس البعثة العلمية الفرنسية بطنجة (1903) والمدير الاول لمجلة العالم الاسلامي البارسية (1905 ـ 1926) ومؤلف كتاب الغارة على الاسلام(4) قال : « ان التوسع الاسلامي الفرنسي لم يكن وليد طفرة يسرتها ظروف مواتية ، او نتيجة لبوادر عفوية ومغامرات شخصية تلقائية ، بل هو حصيلة مجهودات فكرية وامدادات مادية متواصلة الحلقات متكاملة الجوانب . فهو توسع قام به غزاة فاتحون ولكن هيأ اجواءه اساتذة مخلصون وتنبأ بنجاحه دعاة يقظون ومهد سبله مكتشفون اذكياء ووضع مبادئه مخططون اوفياء ، وكلهم ضحوا بالنفس والنفيس قصد تحقيق اهدافه » .

كان دوكاستر احد هؤلاء الرجال الذين عملوا بجد وصبر لصالح الاستعمار الفرنسي بالجزائر والمغرب وقدم لبلاده خدمات جلى بما قام به من دراسات وابحاث في مجالات علمية مختلفة، واشتهر بما قام به من دراسات وابحاث في مجالات علمية مختلفة ، واشتهر بوجه خاص بما وضعه من خرائط جغرفية وما اكتشفه من وثائق تاريخية في المكتبات والخزانات الغربية الرسمية : في فرنسا واسبانيا وهولند وانكلترا .. الخ . وبدأ ينشرها بالتوالي وبمساعدة الاستاذ دوسنيفال في « مجموعة » تحت عنوان : « مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب الاقصى »

(Les sources inédites de l'Histoire du Maroc)

مات دكاستر سنة 1927 وعمره ستة وسبعون عاما وابنه دوسنيفال في مجلة هسبريس (عدد الفصل الثالث من سنة 1927) فقال عنه : « قلما نجد حياة ملئت باعمال انفع وانبل من الاعمال التي حفلت بها حياة دوكاستر .. كان ، الى خمسة اشهر قبل وفاته ، يجوب مستويا على صهوة فرسه (وانا بجانبه على فرس آخر) المنطقة التي بين الجديدة وآسفي يبحث عن آثار الاحتلال البرتغالي وبقايا المنازل التي عمروها ، وقد سمعته ، خلال هذه الرحلة يذكر ان اول زيارته للمغرب كانت منذ

---

(1) Le Lieutenant Colonel Henry de Castries

(2) Le Maréchal Franchet d'Esperey (1850-1942)

هو من مواليد مستغانم بالجزائر وكان في آخر حياته عضو الاكاديمية الفرنسية .

(3) La genèse de Notre Victoire Marocaine.
Un précuseur : Alfred Le Chatelier
par le Lieutenant Colonel Raymond Messal

(4) « La conquête du Monde Musulman »

نشر هذا الكتاب معربا بالقاهرة سنة 1350 هـ تم بجده سنة 1387 هـ . وكان قام بترجمته السيدان مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب فورا اثر ظهوره باللغة الفرنسية .

اربعين سنة خلت ، وانه قد مرت ربع وخمسون سنة على مجيئه للجزائر للمرة الاولى كضابط فى الجيش الفرنسي الرابض قرب الحدود المغربية .

فالكونت دو كاستر قضى اذن اكثر من خمسين سنة فى البحث والتنقيب ووضع الخرائط ودراسة الظواهر الاجتماعية والنظم السياسية والآثار العمرانية والوثائق التاريخية ، وكل ذلك بصفته ضابطا مستعربا ماحقا بمصالح الشؤون الاهلية .

تلك « المدرسة » التى تكون فيها اكبر رواد الاستعمار الفرنسي واخلص اعلام « الاستشراق » و « لاستخبار » .

ان المطلع على الاعمال التى انجزها دوكاستر لا يلبث ان يرى فيه دبلوماسيا محنكا وسياسيا ذكيا ومؤرخا متضلعا وباحثا صبورا ولكن لا يلبث كذلك ان يدرك انه كان معتدا بنفسه ، معتزا بقوميته ، مقتنعا بتفوق منهجية البحث الغربية وسداد احكام المستشرقين من بني قومه .

عرف اهل المشرق دوكاستر اثر نشر ترجمة كتابه : « الاسلام : خواطر وسوانح» (5) بمصر ، وكان قد نقله الى اللغة العربية المرحوم احمد فتحي زغلول باشا ، بعد ظهوره سنة 1896 وباذن من المؤلف ، وهو كتاب اقدم على تاليفه ، وعمره خمسة وعشرون سنة ، واورد فيه حقائق عن الديانة الاسلامية ذاكرا « ما كان يعتقده او يتوهمه مسيحيو العصور الخالية فى الاسلام من الشناعات والسباب» مريدا « محو تلك الصور من مخيلات الاجيال الحاضرة ، ومرغبا الى قومه ان يستبدلوا تلك الصور المشوهة بصورة الاسلام الحقيقي وما يدعو اليه من خير وصلاح » .

نعم اعترف دوكاستر ، فى الكتاب « بما امتاز به الاسلام من صفات سامية ، وتعاليم شريفة » وفعل ذلك « ليحمل بني قومه على الا يأتوا بما ينفر قلوب المسلمين منهم » ويندد باولئك الكتاب الطائشة اقلامهم ، السابحة مخيلاتهم « الذين يكتبون على الاسلام كل ما يتلقفونه ، اثناء سياحة قصيرة ، من خرافات واوهام » الا ان المترجمين ، كما لم يتوفقا فى رسم الاعلام الجغرافية (حوران عوض وهران ، وسجير عوض السوفر ، وزرقوم عوض زرقون ، ولمغرب عوض الغرب الخ ..) لم يتحريا الدقة فى النقل ولذا لم يتجل فى النسخة المعربة « همزات » الكاتب الفرسان المسلمين الذين كانوا يرافقونه ، ووصفه اياهم بالخنوع والتملق .

ومهما يكن من امر فان دوكاستر ، وان يطمئن قلبه للاسلام كما وقع للرسام الشهير ، ديني Dinet ببوسعاده فى صحراء الجزائر وقد سحرته الطبيعة البدوية وطيبة اخلاق اهل الصحراء ، فقد اعترف بانه « منجذب بحلاوة الاسلام » ويعد كتابه من احسن ما جادت به قريحة متشيع للدين المسيحي للدعوة الى احترام المسلمين ، واجتناب السخرية من معتقداتهم والى الاعراض عن سياسة الادماج والتفرنس . واظن شخصيا انه لو طبقت « محذوراته » هذه منذئذ لتاخر استيقاظ المستعمرين .

هذا وقد اهتم دوكاستر بدراسة مواضيع دينية اخرى منها : « رباعيات سيدي عبد الرحمان المجذوب » (6) وحياة « سبعة رجال » (7) المقبورين بمراكش . ونشر على حدة وثيقة تنص على « تنصر احد الامراء الدلائيين » (8) ،ولا شك ان الدافع الى اعتنائه بمثل هذه الموضوعات هو معرفة مدى التاثير الذى كان لرجال الدين المسلمين فى المجالات الشعبية وما يتوقع من نتائج لدعايتهم ضد فرنسا وتحريضهم لاخوانهم على المقاومة والعصيان .

نشر دراسته حول « قضية تنصر احد الامراء الدلائيين فى كتاب خصص لتابين هنري باسي بعد ان اعدها لتنشر ضمن المصادر غير

---

(5) « L'Islam : Impressions et Etudes »
Paris 1896

(6) Les moralistes populaires de l'Islam :
Les gnomes de Sidi Abderrahman El Majdoub
Paris 1896

(7) Les sept patrons de Marrakech
Hespéris 3e trim. 1924

(8) Trois princes convertis au Christianisme - Mémorial H. Basset



هنـــري دوكاستـــر
1927 - 1850

المنشورة (9) وذكر كثيرا من الوثائق المسيحية المتعلقة بها ولكنه لم يقدم على تاكيد صحة ما ورد فيها . وقد اشار الاستاذ محمد حجي الى هذا الموضوع (10) واستخلص من دراسته لها ان « اثر الاختلاق والتلفيق واضح فى اخبار هذا الامير الدلائي المزعوم » .

ومما يلفت النظر فيما كتبه دوكاستر فى كتابه « سبعة رجال » تصريحه بان غايته من الاهتمام بتراجم « سبعة رجال » لا ذكر المناقب والكرامات والمكاشفات ولا مناقشة ما ورد عن رجال التصوف فى كتب التراجم ، مثل « ممتع الاسماع » و « الصفوة » و « السعادة الابدية » و « اظهار الكمال » و « دوحة الناشر » و « سلوة الانفاس » و « جذوة الاقتباس » الخ .. بل استخلاص ما قد يكونون قد اسهموا فيه من احداث تاريخية .

وفعلا فاننا نراه مثلا ، بعد كلام طويل عن « رجال رجراجة » يحلل سياسة مولاي اسماعيل فى شان زيارة قبور السبعة رجال واعتماده ، فى ذلك على العالم الجليل الشيخ ابي علي الحسين اليوسي الذى تنسب اليه القصيدة العينية فى ترتيب مراحل تلك الزيارة والتى مطلعها :

بمراكش لاحت نجوم طوالع
جبال رواس بل سيوف قواطع

ويحلل كذلك موقف مولاي سليمان الذى كتب فى الموضوع رسالته المشهورة التى تكلم فيها عن « متفقرة الوقت وحذر فيها ، رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي فى البدعة .. ومن كلامه فيها ما نصه « .. من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة « سبعة رجال » .. فعلينا ان نقتدي « بسبعة رجال » ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما آل اليه فى يغوث ويعوق ونسرا ..» (11) .

ولم يفت دوكاستر ، وهو يلخص حياة القاضي عياض ، احد السبعة رجال ، ان يستقرب من مقاومة هذا العالم الشديد التمسك بايمانه لما ادعاه أئمة الموحدين من « عصمة وعلم المغيبات ، وكذا من موقفه فى صف المعادين لكتاب « احياء علوم الدين » راميا اياه بالخيانة وضيق الفكر (12) .

لم يكتف دوكاستر بدراسة المؤلفات والوثائق المطبوعة والمترجمة بل كان يستغل فائض نشاطه فى تحقيق بعض المخطوطات مستعينا باساتذة العربية الذين بجامعة الجزائر ويهتم بترجمتها ويشرف على طبعها اذا وجد فيها ما يعينه على التعمق فى معرفة الوسط المغربي ومقوماته الدينية والاجتماعية وكذا تراثه التاريخي والحضاري .

ومن جملة المخطوطات التى اشتغل بطبعها واهتم بدراسة محتواها : « التحفة المسكية فى السفارة التركية » تاليف « الامام العلامة المدرس ابي الحسن علي بن المعظم ابي عبد الله سيدي محمد الجزولي التمجروتي » (13) .

طبعت هذه الرسالة فى باريس ، ولكن بواسطة « التصوير » لا بالحروف المتحركة ، ولذا جاءت بخط تصعب قراءته لانه خط ناسخ غير متقن لعلمه ، وجاءت ترجمتها عبارة عن ملخص لا غير .

ودو كاستر يعترف فى هذا الملخص انه استقى من الرحلة معلومات تاريخية واجتماعية لا باس بها الا انه يبدي فى شأن مؤلفها آراء تتسم بالتعسف الشديد فهو يقول : » فالرحلة فى مجموعها ليست سوى سرقة من كتاب المسالك والممالك للبكري وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه »

(9) « Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc » France - Deuxième série t. I. p. 2.

(10) الزاوية الدلائية ـ الرباط 1964 ص 199 وما بعدها .

(11) نقلت هذه الفقرات من كتاب الاستقصاء (ص 123 ج 8 من طبعة الدار البيضاء 1956

(12) انظر ما قاله فى هذا الموضوع الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى التقديم الذى وضعه للجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك ».

(13) اشار الاستاذ ليفي بروفنصال ، فى كتابه مؤرخو الشرفاء » المطبوع سنة 1922 م الى اهتمام دوكاستر بطبع هذه الرحلة (ص 99) ولكن لم يظهر النص العربي والترجمة الا سنة 1929 اي بعد وفاة دوكاستر

وبعد ان سخر من عفة ابن عبد ربه وكتابه استطرادا قال « تشتمل الرحلة على مئات من الابيات الشعرية لا يربطها فى اغلب الاحيان اي رباط بمحتويات الكتاب 14) » وحمل حملة نكراء على ما زين به الكاتب اسلوب رحلته من تعابير بلاغية ومحسنات بديعية ؛ وعلى اللغة العربية بصفة عامة مكررا تقريبا ما قاله في كتابه «الاسلام» عن الشعر الملحون حيث قال: «وكنت اصغي الى اشعارهم ساعات متتابعة بغير ملل وقد عيت البعض منها وكلها اراجيز محبوكة الاطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز المادح من الممدوح والمخاطب والمتكلم بحيث يصعب علينا معشر الغربيين ادراك مراميها » ولم يفته ، من جهة اخرى ان يشيد باللغة الفرنسية وما تتسم به من دقة وحسن بيان ، وكل محب معجب بليلاه !

بدا دوكاستر يتخصص فى الدراسات التاريخية يوم بدا ينقب عن الوثائق المحفوظة في المكتبات الاجنبية اي بفرنسا واسبانيا وانجلترا الخ . . والمتعلقة بتاريخ المغرب وتطوراته السياسية وعلاقاته الديلوماسية والاقتصادية مع مختلف الدول الكبرى منذ عهد الدولة السعدية .

وقبل ان يشرع فى نشر الوثائق اعتنى بدراسة رسالة عربية عثر عليها ، وهي مرفقة بملخص لها باللغة الاسبانية ، ضمن ملف « ملف المراسلات السياسية الخاصة بالمغرب » فى ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . وهي رسالة كتبها المولى اسماعيل للملك الانجليز جاك الثاني ، فصحح ترجمتها وكان قد نقلها الى اللغة الفرنسية احد التراجمة (15) الرسميين ببلاط الملك الفرنسي لويز الرابع عشر ، ونشر الوثيقتين ، العربية والاسبانية، والترجمة المصححة ، مع مقدمة طويلة للتعريف بالملك جاك الثاني ، والملك المغربي المولى اسماعيل، وتعاليق ضافية ورسوم ، كل ذلك فى كتاب خاص سنة 1903 م (16) .

تكلم دوكاستر عن المولى اسماعيل باسهاب معتمدا على مصادر عربية (مترجمة الى الفرنسية) وفرنسية واسبانية وانجليزية من تقارير ورسائل حررها سفراء او اساقفة او اسرى ، وبين الاسباب التى دعت العاهل المغربي الى مراسلة جاك الثاني ، او خيمس الثاني ، الملك الانجليزي الذى كان لجأ الى بلاط الملك الفرنسي لويز الرابع عشر عندها ثار ضده الشعب الانجليزي البروستنتيني ونفاه البرلمان لاعتناقه المذهب الكاثوليكي وتدخله فى السلطة القضائية .

وذكر دوكاستر انه من المحتمل الشديد ان الاصل العربي من الرسالة لم يصل لجاك الثاني وانه لم يعثر ، رغم البحث الطويل على جواب لتلك الوثيقة .

نشرت هذه الرسالة ، فيما بعد ، فى « المصادر » (سنة 1931 ـ الجزء الرابع من السلسلة الفرنسية الثانية الخاصة بالدولة العلوية ص . 56 ، ولكن بتعاليق جد قليلة .

ونشر نسخة من الرسالة الاسماعيلية المرحوم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فى كتابه « الاتحاف » (ج 2 ص 56) الا انه كتب تحتها غلطا انها موجهة لجيمس الخامس واهتم بدراستها وتحليل عناصرها الاستاذ عبد الله العمراني ، فى مجلة البحث العلمي (ح 4 ـ 5 ، ص 286) وقال منبها لشهرتها : « فقد نشرت فى كتيب خاص ، باربع لغات ، هي العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية ، وعثرت على الكتاب ايام الطلب فى مكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة تحت عدد 5357 حرف ح ، فنسخت الرسالة ، ولما رجعت الى المغرب نشرتها وعلقت عليها فى مجلة « المعرفة » التطوانية عدد نوفمبر ـ دسمبر 1947 . »

ويبدو ان اشتغال دوكاستر بدراسة هذه الرسالة كان من الاسباب التى حملته على التفرغ

---

(14) انتقد هذه الآراء الاستاذ الروسي كراتشكوفسكي فى كتابه « تاريخ الادب الجغرافي العربي » ج 1 ص 419

(15) Petis de La Croix وقد لعب هذا الترجمان دورا يكتنفه كثير من الغموض ، فى الاتصالات الرسمية التى كانت بين المغرب وفرنسا فى ذلك الوقت .

(16) Moulay Ismaïl et Jacques II : une apologie de l'Islam par un Sultan du Maroc. Paris - Leroux 1903)

لدراسة العلاقات بين المغرب والدول الاوربية على ضوء الوثائق الموجودة فى مكتبات تلك الدول لان تلك الرسالة فتحت له اجواء لم يكن يتوقعها حيث اقنعته ان المولى اسماعيل كان من اخلص الدعاة للاسلام (17) . يقوم احسن قيام بمهامه الروحية والزمنية وانه ذو اطلاع واسع على المسائل الدينية سواء الاسلامية منها او المسيحية وملم غاية الالمام بالاحوال السياسية الغربية ..

حقا فان المولى اسماعيل بين انه وجه هذه الرسالة لجيمس (اوجاك) الثاني » لمسالتين احداهما دينية ، والاخرى سياسية دنيوية .. فاما الدينية منهما ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من ارشادك ونصحك ان وفقك الله تعالى ...

« وها نحن قد املينا عليك نبذة من الآي القرآنية والاحاديث النبوية والدلائل المعقولة المطبقة على افضلية هذا الدين القويم .. وانت ان خممت مع راسك وفكرت فى نفسك ، واخترت الدار الآخرة على الدنيا ، ودخول الجنة على النار .. فاتبع هذا الدين الحنيفي وانطق بالشهادتين ...

« والمسالة الدنيوية، هي اذا انت احببت الابقاء على دين الكفر ، فدين قومك الانجليز اخف وايسر عليك من عبادة الصليب ، ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم ...

... واي شيء رايت عن تغريبك عن وطنك وبعد عن بلدك ، وخروجك عن ملة ابيك وجدك ، وتدينك بغير دين قومك ، وان كان الجميع على ضلال ، فدينكم ، انتم معشر الريكس ايسر من الموغلين فى الكفر ..

« .. ولكن مسالة واحدة نعرفك اياها : فحاول حتى تنتصل من بلاد الفرنسيس .. ولكن بحيث لا يكون لهم بك شعور ، واما اذا عرفوا منك ذلك فلا يتركونك لمسالتين :

« احداهما : لا يريدونك تترك دينهم وترجع الى دين قومك .

« والثانية : يخافون انك اذا راجعت قومك ربما تعاديهم وتحاربهم ، لاسيما حيث عرفتهم وعرفت غرة بلادهم ...

« فعلى كل حال اذا انت راجعت قومك ودينك ، نجدد معك ما كان بيننا وبين اخيك (18) .. ووالله ما زال خديمنا (19) الذى كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما اوجب مكاتبتنا لك بنصحنا اياك ، وقد احببنا ان تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فتنتفع بها على كل حال ان شاء والسلام على من اتبع الهدى .

وكتب فى النصف من شعبان المبارك عام 1109 »

تثبت هذه اللقطات القليلة ان المولى اسماعيل كان شديد الاعتصام بحبل الله المتين وانه كان يسير سياسته الخارجية بحكمة وتبصر ، ومن المعلوم ان الاطلاع على الوثائق التى شرع دو كاستر فى نشرها واستمر نشرها حوالي الخمسين سنة ضروري لكل من يريد اعادة النظر فى تاريخ المغرب وتمحيص الحق من الباطل .

فان مجموعة « المصادر غير المنشورة عن المغرب الاقصى » بلغت الى الآن حوالي الثلاثين مجلدا من الحجم الكبير وكلها مبوبة ومفهرسة بدقة وضبط.

وسابين فى العدد الآتي ان شاء الله ، لماذا وكيف شرع دوكاستر فى نشر تلك « المصادر » وما هي المجالات التى اهتم بها والنتائج التى وصل اليها والسلام .

الرباط ــ عبد القادر الخلادي

---

(17) نشر بحثه تحت عنوان يمكن ان نترجمه هكذا: « دعوة ممجدة للاسلام من لدن سلطان مغربي » ونشر ملخصا لدراسته فى .Revue de l'Histoire des Religions t. 47 (1903)

(18) Charles II

(19) السفير عبد الله بن عائشة



اليد البيضاء لصاحب الجلالة الحسن الثاني في ازدهار القراءات القرآنية بالمغرب

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

كنت في السنوات الثلاثة السابقة حدثت (1) ، وبمناسبة عيد العرش المجيد قراء مجلة (دعوة الحق) عن القرار المولوي السامي ، القاضي بتحقيق وطبع تفسير ((الجامع المحرر الوجيز في تفسير القرءان الكريم)) لابن عطية . ذلك التفسير الذي ، هو ، كما سبق ان بينت ، اصل « لتفسير البحر المحيط » لابي حيان الغرناطي الذي توجد منه الآن في الدنيا طبعتان ، كان الفضل في اظهار الاولى لهمة وشهامة السلطان العلوي مولاي حفيظ الذي امر بطبعه من ماله الخاص . وجاءت الطبعة الثانية التي انجزت في عاصمة المملكة السعودية ، مصورة عن الطبعة الحفيظية لتلبي رغبة المتعطشين لقراءة هذا التفسير العظيم .

لقد بدات تصلنا اخبار سعيدة جدا عن اعمال اللجنة المكلفة من طرف امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله باخراج هذا التفسير محققا تحقيقا علميا دقيقا الى الوجود . واننا لننتظر من حين لآخر صدور جزء او جزاين من « الجامع المحرر الوجيز ... » تعقبه الاجزاء المتممة له في أقرب الآجال ، ولا شك .

ولم تكن لجنة « الجامع المحرر الوجيز » هي اللجنة الوحيدة التي أمر بتكوينها صاحب الجلالة ، وانما هناك لجن اخرى غيرها منكبة بعزم وصدق على تحقيق تراثنا المغربي الاسلامي الذي لا شك انه سيرفع وجه المغرب عاليا ويجعله يحتل ، في هذا الميدان أيضا ، المكانة التي يجب ان يتبوأها بين شقيقاته الدول العربية والاسلامية .

ذلك ان لجنة « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » للشيخ الامام القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي قد قطعت أشواطا تحمد لها ، وتشكر عليها .

وان وجود العلامة الشيخ محمد المكي الناصري على راس هذه الوزارة ليزيد في همة هذه اللجنة ؛ ذلك انها تجد فيه دوما السند الذي ينشطها والارادة التي تقوي عزيمتها .

(1) انظر ((دعوة الحق)) العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة الصادرة في ذي الحجة ومحرم الحرام عام 1391 هـ الموافق لفبراير 1971 ، صفحة 110 . وكذلك ((دعوة الحق)) العدد الاول من السنة الخامسة عشرة الصادر في محرم الحرام 1392 هـ الموافق لمارس 1972 م ، صفحة 90 . وكذلك ((دعوة الحق)) العدد الثامن ، السنة الخامسة عشرة ، الصادر في صفر الخير ، سنة 1393 هـ الموافق لمارس 1973 ، صفحة 146 .

ولقد ظهر من « ترتيب المدارك وتقريب المسالك » حتى الآن اربعة أجزاء (2) بتحقيق علماء مغاربة نشيطين ملمين الماما واسعا بمادة الكتاب . وان اجزاء اخرى قد دفعت مسوداتها للمطبعة وسترى النور قريبا .

كما ان لجنة « التمهيد لما فى الموطا من المعاني والاسانيد للعلامة الامام الحافظ ابي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي التي امر بانشائها صاحب الجلالة هي ايضا منكبة بجد لا يعرف الفتور على انجاز ما كلفت به (3) .

ولقد بلغني ان جزأين آخرين جديدين عدا الاجزاء التي ظهرت منه قد سلمت لمطبعة فضالة قصد الطبع . ولن يمر شهر او شهران حتى يكونا بين يدي الباحثين والعلماء والمهتمين بالفقه الاسلامي على العموم وبالفقه المالكي على الخصوص (4) .

وهناك لجن اخرى غير ما سبقت الاشارة اليه اعلاه منكبة ، بدون انقطاع ، هي ايضا ، على احياء تراثنا الخالد (5) .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لجادة كل الجد ، امتثالا للامر المولوي الشريف لانشاء لجن اخرى قصد العمل فى الميادين الاخرى الباقية من التراث العربي الاسلامي الخالد .

اما اللجنة ، التي يهمنا أعمالها الآن ، والتي كلفها جلالة الملك باحياء « الجامع المحرر الوجيز ... » فقد علمت ، كما علم كل المتتبعين لنشاطها ، انها تسير سيرها الحسن ، جادة فى اتمام ما كلفت به .

لكن ، لابد من مضافرة جهود جميع المثقفين المغاربة ، ذوي الاختصاص ، ليخرج هذا العمل الجبار تاما مفيدا ، تقدمه لهذا الجيل الصاعد من الشباب المسلم ، وللاجيال اللاحقة بعده بفخر واعتزاز .

ولذا ، واسهاما متواضعا مني كنت قدمت فى الحلقات الثلاثة السابقة ثلاث تخريجات للقراءات القرءانية ، اثبتها ابن عطية فى تفسيره ، ونقدها بشدة ابو حيان الغرناطي فى تفسيره الكبير (6) « البحر المحيط (7) » . واليوم اواصل ذلك .

وكان التخريج الرابع الذي لم يقبله ابو حيان ، هو ذلك الذي ذهب اليه ابن عطية عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى : « ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ، ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف

---

(2) حقق الجزء الاول الذي صدر بتاريخ 17 شوال عام 1384 هـ موافق لـ 19 فبراير 1965 الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي . ولقد اشير فى غلاف هذا الجزء على انه هو الرقم 1 من السلسلة التاريخية . وحقق الجزء الثاني الذي صدر بتاريخ 14 جمادى الاولى 1386 هـ الموافق لـ 31 غشت 1966 الاستاذ عبد القادر الصحراوي السفير الحالي لصاحب الجلالة بلبنان ، وحقق نفس الاستاذ الجزء الثالث الذي صدر بتاريخ 5 ربيع الثاني 1388 موافق لـ 2 يوليوز 1968 ، والجزء الرابع الذي صدر بتاريخ 17 ربيع الاول 1390 موافق لـ 29 مايو 1970 .

(3) ظهر من التمهيد لحد الآن جزآن بتحقيق من هيأة الاساتذة العاملين بوزارة الاوقاف بدون تاريخ .

(4) قام بتحقيق الاجزاء التي سلمت للمطبعة صديقي العلامة سعيد أعراب .

(5) لقد اصدرت هذه اللجنة « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » للامام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي . حقق هذا المصنف البالغ الاهمية الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي . وأصدرته وزارة الاوقاف تحت الاشارة « السلسلة الدينية » ، وكان هذا المؤلف رقمها الاول . ولقد وصلت الآن الى ايدي القراء الطبعة الثالثة منه مشكولة بالشكل التام .

(6) اسمي البحر المحيط لابي حيان بالتفسير الكبير ، لان هذا العلامة ترك لنا تفسيرا مختصرا سماه « النهر الماد من البحر » وهو الذي يعجبني أن اسميه بـ « التفسير الصغير » .

(7) كنت تعرضت لاول تخريج نقده ابو حيان فى العدد الاول من « دعوة الحق » السنة الخامسة عشرة ، صفحة 91 وكان هذا التخريج يدور حول الآية 74 من السورة الثانية ، البقرة ، وتعرضت للتخريج الثاني فى دعوة الحق ، العدد الثامن ، السنة الخامسة عشرة ، صفحة 146 . وتعرضت للتخريج الثالث فى نفس العدد من المجلة المذكورة ، صفحة 147 .

سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ، واللـــه بصير بما يعملـــون . » (8)

لقد تعرض في هذه الآية الكريمة الى قضيـــة الضمير في الجملة القرآنية : « وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر » .

ومعلوم ان هذا التركيب العربي « وما هو » قد اسال كثيرا من المداد ولم يتفق ، لا قديما ولا حديثا، علماء اللغة العربية في شيء منه .

الا ان هناك اتجاهين كبيرين ، همـــا اتجـــاه الحجازيين الذي يجعل من « ما » ناصبة للاسم،ورافعة للخبر . وبهذا التأويل يكون « هو » في محل نصـــب و « بمزحزحه » في محل رفع ، خبر « ما » . واتجاه التميميين الذي يبطل عمل ما . فيصبح بهذا التأويل ، «هو» في محل رفع مبتدأ و «بمزحزحه» في محل خبر.

وهذا التخريج هو الذي قدمه ابن عطية ، ولا شك انه ايده ايضا .

ولقد تعرض له ابو حيان ، غير انه لم يبد فيـــه رايه بصراحة ، كعادته ، فاكتفى بان قال : « وجوزوا ايضا في هذا الوجه اعني ان يكون الضمير عائدا على « احدهم » ، ان يكون هو مبتدأ و « بمزحزحه » خبر ، و ((ان يعمر)) فاعل بمزحزحه . فتكون ما تميمية . وهذا الوجه ، اعني ان تكون ما تميمية هو الذي ابتدا به ابن عطية (9) » .

وكان التخريج الخامس في كتاب « الجامـــع المحرر الوجيز.. » الذي اغضب ابا حيان الغرناطي ، وصوبه بشدة هو ما أورده ابن عطية وهو يفسر قوله تعالى : « الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ، ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلون من خير يعلمه الله وتزودوا فان خيـــر الـــزاد التقوى ، واتقون يا اولي الالباب » (10) .

لقد قال ابن عطية رحمه الله في تخريج قراءات « ولا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحـــج » : « ولا بمعنى ليس في قراءة الرفع وخبرها محـــذوف على قراءة ابي عمرو ، و « في الحج » خبر « لا جدال » . وحذف الخبر هنا هو على مذهب ابي علي وقد خولف في ذلك . بل « في الحج » هو خبر الكل ، اذ هو في موضع رفع في الوجهين لان لا انما تعمل على بابها فيما يليها وخبرها مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء . وظن ابو علي انها بمنزلة ليس في نصب الخبر وليس كذلك ، بل هي والاسم في موضوع الابتداء يطلبـــان الخبر ، وفي الحج هو الخبر » .

فاعترض عليه ابو حيان اعتراضا قويا ، فقال (11) « وهذا الذي جوزه وجزم به ابن عطية ضعيف ، لان اعمال لا اعمال ليس قليلا جدا لم يجيء منه في لسان العرب الا ما لا بال له ، والذي يحفظ من ذلك قوله :

تعز فلا شيء على الارض باقـــيا
ولا وزر مما قضى الله واقيــــــا

انشده ابن مالك ولا اعرف هذا البيت الا من جهته . وقال النابغة الجعدي :

وحلت سواد القلب لا انا باغيـــا
سواها ولا في حبها متراخيا . . .

وهذا كله يحتمل التأويل ، وعلى ان يحمل على ظاهره لا ينتهي من الكثرة بحيث تبني عليه القواعد ، فلا ينبغي ان يحمل عليه كتاب الله الذي هو افصـــح الكلام واجله ويعدل عن الوجه الكثير الفصيح . »

ولم يكتف بهذا القول ، بل صار يعلق على كـــل جزء من كلام ابن عطية مصوبا ما يراه خطأ . فتكـــون عنده ست ملاحظات ، اجملها فيما يلي :

— **الملاحظة الاولى** : قال ابن عطيـــة : ((ولا بمعنى ليس)) .

فرد عليه ابو حيان بما معناه ان « لا » بمعنـــى ((ليس)) هو من القلة في كلامهم بحيث لا تبنى عليه القواعـــد .

---

(8) الآيـــة 96 من الصورة الثانية ، البقرة .
(9) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 315 ، السطـــر 11 .
(10) الآية 197 من السورة الثانية ، البقـــرة .
(11) البحر المحيط ، الجزء الثاني ، صفحة 88 ، السطـــر 15 .

— **الملاحظة الثانية :** قال ابن عطية : ((وخبرها محذوف على قراءة ابى عمرو)) .

فرد عليه أبو حيان بهذا المعنى ان خبر كـان واخواتها ، ومنها ((ليس)) لا يجوز حذفه لا اختصارا ولا اقتصارا .

— **الملاحظة الثالثة :** قال ابن عطية : ((بل في الحج هو خبر الكل اذ هو فى موضع رفع على الوجهين))

فرد عليه صاحب البحر بأن « لا » اذا كانت بمعنى ليس ، احتاجت الى خبر منصوب . واذا كانت مبنية مع ((لا)) احتاجت الى ان يرتفع الخبر ، اما لكونها هي العاملة فيه الرفع ، واما لكونها مع معمولها فى موضع رفع على الابتداء .

— **الملاحظة الرابعة :** قال ابن عطية : ((لان لا)) انما تعمل على بابها فيما تليها وخبرها مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء .

فرد عليه ابو حيان قائلا : ذلك لا يجوز لانها اذا كانت بمعنى ليس كان خبرها فى موضع نصب (12) .

— **الملاحظة الخامسة :** قال ابن عطية : ((وظن ابو علي (13) انها فى منزلة ليس فى نصب الخبر وليس كذلـك .))

فاجابه ابو حيان بأن ظن ابي علي صحيـح ، وان جاء ذلك نادرا فى لغتهم .

— **الملاحظة السادسة :** قال ابن عطية : ((بل هي والاسم فى موضع الابتداء يطلبان الخبـر و ((فى الحج)) هو الخبر)) .

فرد ابو حيان هذا الكلام بما مؤداه ، لقد بينا أن ذلك ليس بصحيح لنصب العرب الخبر اذا كانت بمعنى ليس . وعلى تقدير ما قاله لا يمكننا العلم بانها تعمـل عمل ليس في الاسم فقط اذا كان الخبر مرفوعا (14).

ولقد احصيت لهذه الجملة خمس قراءات هـي التي كانت سببا فى الخلاف الناشب ، لا بين ابن عطية وابي حيان فقط ، وانما ايضا بين العديد من القـراء واللغويين غيرهما .

القراءة الاولى : هي قراءة أبي جعفر الذي يقراها برفع وتنوين الالفاظ الثلاثة(15) رفث وفسوق وجدال (16) ولقد رويت هذه القراءة عن عاصم (17) أيضا من بعض الطرق (18) .

القراءة الثانية : هي قراءة ابي رجاء العطـاردي الذي يقرأ « ولا رفثا ولا فسوقا ولا جدالا فى الحج » بالنصب والتنوين ؛ نصبها على انها مصادر عملت فيها افعال من لفظها ، فرفثا ، عمل فيها فعلها برفث ، وعمل

---

(12) نحن نعلم ان فى هذا الباب مذهبان : مذهب سيبويه الذى جعلها تعمل عمل ان ، ومذهب الاخفش الذي يجعلها عاملة عمل ليـس . لكن ابن عطية ذ هب مذهبا ثالثا ، لانه جعل ((الحج)) خبرا الكل .

(13) هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن سليمان النحوي المشهور ، احد أعيان القرن الرابع الهجري ؛ أزهى العصور الاسلامية واحفلها بصنوف المعارف . عرض على ابن مجاهد ، توفى سنة 377 هجرية خلف كتابين فى القراءات القرآنية هما كتاب التذ كرة ، والحجة بناه على كتاب ابي بكر بن مجاهـد . انظر ترجمته فى طبقات القراء ، الجزء الاول ، صفحة 206 ، وفى وفيات الاعيان ، الجزء الاول صفحة 361 ، وفى معجم الادباء ، الجزء السـابع، صفحة 292 .

(14) البحر المحيط ، الجزء الثاني ، صفحة 89 .

(15) لم يشر ابو البركات بن الانباري الى هذه القراءة فى كتابه ((البيان فى غريب اعراب القرآن)) .

(16) تصدى ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري لتعليل هذه القراءة من الناحية النحوية فى كتابه ((املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن ، الجـزء الاول ، صفحـة 86 .

(17) انظر تفصيل ذلك فى البحر المحيط ، الجزء الثاني ، صفحة 88 ، السطر 7 .

(18) طريق المفضل عن عاصم .

في فسوقا ، الفعل بفسق ، وعمل في جدالا ، فعلهـــا يجـــادل (19) .

القراءة الثالثة : هي قراءة الكوفيين ، ونافـــع بفتح الالفاظ الثلاثة ، وهي القراءة السائدة عندنـا بالمغرب لانها قراءة ورش عن نافع . علل هذه القراءة أبن الانباري فقال : ((فاما من قرأها كلها بالفتح ، جعل النكرة مبنية مع ((لا)) (20) . وعللها ابن خالوية بقوله: « فالحجة لمن نصب : انه قصد التبرئة « بـلا » في الثلاثة فبنى الاسم مع الحرف فزال التنوين للبناء (21)»

القراءة الرابعة : هي قراءة ابن كثير وابي عمرو اللذين رفعا بالتنوين اللفظين الاولين ونصبا اللفظـة الثالثة ((ولا جـــدال)) .

علل هذه القراءة ابن الانباري فقال : ((ومن قرأ لا رفث ولا فسوق بالرفع ، ولا جدال بالفتح لم يبـــن الفكرة مع لا رفث ولا فســوق لمكان العطف ، ورفعها بالابتداء ، والخبر مقدر وتقديره ، في الحج . وبنـــى (لا جدال) على الفتح لانه اراد أن يفرق بين الرفـــث والفسوق ، وبين الجدال (22) .))

القراءة الخامسة : لم يذكرها في علمي الا ابـــو حيان في بحره ، فقال : ((وقرأ ابن مسعود والاعمش رفـــوث)) (23) .

الدار البيضاء : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي

(19) لم يشر العكبري الى هذه القراءة مع انه اشار الى القراءة الاولى وهي في نظري أكثر شذوذا من الثانية
(20) البيان في غريب اعراب القرآن ، الجزء الاول ، صفحـــة 147 .
(21) الحجة في القراءات السبع ، صفحة 71 .
(22) البيـــان ... الجزء الاول ، صفحة 147 .
(23) البحر المحيط ، الجزء الثاني ، صفحة 88 ، السطـــر 6 .





رسالة مفتوحة
إلى الجندي المغربي المقاتل بالشرق العربي

للأستاذ عبد العلي الوزاني

يا جندينا البطل !!

انك تصنع اليوم تاريخا ، وتعلي شان حضارة ، وتبدد خرافات الافاكين اعداء الانسانية ، فالتاريخ قد وصل في هذه الايام الى مفترق الطرق بالنسبة الينا نحن ابناء الامة العربية والى اعدائنا ، وصل الى النقطة الحساسة التي تتفرع عنها شتى السبل والاتجاهات . فالقوى العالمية تكتنفها من جانب ، على ما فيها من تنوع واختلاف . والقوة الدخيلة الواغلة في ارض الوطن العربي تريد فرض اتجاهها من جانب آخر ، والصراع العقائدي والمذهبي يمزق الوسط ، وينتشر فيه البلبلة والتشويش ، وانت واقف وقفتك الجبارة في الميدان، لا ميدان الكلام الفارغ، والحذلقة اللفظية، وانما ميدان العمل الخلاق الفعال ، الذي يصنع الاحداث ، ويوجه الوقائع ، ويرتفع فوق بلاغة البلغاء وفصاحة الفصحاء ، انك صانع التاريخ !! ومتى صنع التاريخ على يدك ــ سلمت اليد التي لو استطعت لقبلتها ــ ما كان له ان يتغير الا بعد مئات السنين ، ارايت الى التاريخ الذى عشناه طويلا الى هذه اللحظات؟ انه من صنع اجداد لنا قدماء ، يخيل الي ان قاماتهم قد ملأت الكون طولا وعرضا كأبطال الاساطير ، لكثرة ما مر عليهم من عصور اثر عصور !! انهم خالد بن الوليد، وسعد بن ابي وقاص ، وطارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، وصلاح الدين الايوبي . انهم هم الذين يرجع اليهم الفضل في بقاء عروبتنا واسلامنا ، وفي حملنا لجوازات سفر عربية ، وبطاقات تعريف وطنية . فكلما رايت طابعا بريديا من المغرب او لبنان او مصر او سوريا تذكرتهم ، وكلما قرأت كتابا يحمل جنسية عربية تذكرتهم ، وكلما شخصت عيناي الى راية عربية تذكرتهم ، لانهم خلف كل هذه الاشياء .

وكما انك تصنع التاريخ ، فانك تعلي شان حضارة ومن قال ان قوام الحضارة مجرد افكار وفلسفات ونظريات ؟ الا فلنكن على يقين من ان السيف والبندقية والمدفع ، مما يدخل في وسائل المحافظة على الحضارة وصيانتها والتمكين لها في الارض . وقد علمنا التاريخ ان الحضارة لا بد ان تكون مسلحة كي تستطيع ان تعيش ، والا تسلط عليها الغزاة واعداء الحضارة واكلة لحوم البشر ، فخنقوا زهراتها اليانعات ، وسمموا تربتها الطيبة ، وكدروا نقاء هوائها المنعش الجميل . فحضارة اليونان والرومان كانت مسلحة ، وحضارة الاسلام كانت مسلحة . والحضارة الغربية انتشرت مع ظهور طابعها العسكري . واعتقد ان توقف الحضارة على السلاح ظاهرة تتفق ونواميس الطبيعة . فالطبيعة عندما صنعت الطائر الجميل اعطته المنقار الحاد ، وعندما ابدعت الوردة العطرة احاطتها بالشوك ، وعندما صاغت الشهد ذادت عنه بالنحل ، وهكذا دواليك . فليست الحضارة اذن بدعا من اشياء هذا الكون الجميلة في هذه القضية بالذات ، الانبياء والرسل انفسهم ذادوا عن مبادئهم بقوة السلاح ، وسيف عنترة كان يعطي شعره الحماسي معناه الصحيح ، كالشأن في جميع الشعراء الفرسان ، ونضال طارق بن زياد هو الذي

وضع لخطبته الشهيرة مكانتها في تاريخنا الادبـــي ، ولولاه لكانت هراء لا يلتفت اليه أحد .

وانت يا جندينا البطل ، بوقفتك الرائعـــة الى جانب اخوانك المصريين والسوريين ، تسند اهرامات مصر ، وتدعم بقامتك الفارهة الرفيعة هياكل المادن والمساجد والكنائس في شرق البلاد العربية وغربها ، وتعض بأسنانك القوية على كتب الجاحظ ودواويـــن المتنبي وابي فراس والبهاء زهير وسائر مدونـــات التراث العربي ، حتى لا تفتك بها خراب الهمج خلفـــاء هولاكو وجنكيز خان وتيمور لنك ، وبتلكم الوقفة التي لا ادري كيف اصف اثرها في نفسي ، تحمي عرض أمه ورقية وسعاد ، وتصد الشياطين عن مهاد طفلنا الصغير رجاء ، وطفلتنا الوديعة الرقيقة بشرى ، كي ينعمـــا بنومهما اللذيذ البريء ، وتقاتل عن شيخنا الهرم عم ابراهيم ، وخالتنا الطاعنة في السن الام رحمة ، كـــي يسعدا في شيخوختهما الحكيمة الطيبة . وتوســـع الآفاق ، آفاق الامل ، امام أجيالنا العربية المتطلعـــة لحياة النور والكرامة ، وتمهد الجو ليبقى صدى آذان المؤذنين في المشرق مترددا في آفاق المغـــرب . وبتلكم الوقفة نفسها بما فيها من عظمة وتحد لكـــل المصاعب ، يتأتى للحمام ان يعود مساء الى اعشاشه في رشاقة وشاعرية ، ولملايين الطيور ان تؤوب الى اوكارها بعد تجوالها في الاجواء تنشد الدفء والقوت والمرح ، وهي تتناغى وتتناجى بلغتها الرقيقة الوديعة . وبتلكم الوقفة يحس كل انسان عربي بالامن والسعادة ، فيحب ، ويقرأ ، ويصلي ، ويغني ، ويتملى محاســـن الطبيعة ، ويسعى في الحياة وراء كل مفيد ونافـــع وجميل . فانت القوة التي تحمي نظام الاشياء ، وتدعم عدالة الكون ، وتصون انسانية الانسان ، وتجعل الكلمة شامخة في فم الاستاذ ، والاغنية عذبة في حنجـــرة المغني ، والقلم ثابتا في اصابع الكاتب ، والقافيـــة طيعة للهاة الشاعر ، والنجوى منسابة من قلب العاشق المتيم ... لولا وقفتك ، ووقفة رفقائك في السلاح ، لتهاوت اشياء كثيرة ، ولما تهيأ للنار أن تتوهـــج في حجراتنا الباردة . وللبسمات ان ترف على شفاهنـــا الظمأى ، وللحديث الشيق أن يدور بيننا حول آنيـــة الشـــاي .

يا جندينا البطل !! يا نشيدنا العذب الخالـــد !! لقد رفعت رؤوسنا عالية ، وجعلت دماء الفخر تتدفق حارة في عروقنا ، واتحت لنـــا الا نخجل من ابراز بطاقات جوازاتنا عند زيارتنا لارض اجنبية ، واعدت لديوان الحماسة في تراثنا معناه ومغزاه ، بعـــد ان اصبح كلاما فارغا يخجل من ذكره العرب ، وتشيح عنه بوجهها قريش ...

كنا ــ نحن العرب ــ ضائعين بين مذاهب الراي ، ممزقين بين ايديولوجيات الشرق والغرب ، فخططت لنا الطريق الصحيح ، وانقذتنا من انفسنـــا ، وكنـــا يائسين ، تعلو وجوهنا غمامة الخيبة والفشل ، فكنت لنا الامل الباسم والرجاء الحبيب . وكنا لبضع سنين على هامش التاريخ ، وفي حواشي الاحداث ، فنقلتنا الى الوسط ، وجعلتنا محور اهتمام العالـــم ، فباي لسان نشكرك ، وبأية لغة نعدد افضالك وحسناتك !

ان هدير مدفعك صار احب الينـــا من اصـــوات المغنين ، وصرير سلاحك صار اشهى عندنا من الحان المطربين ، ووقع خطواتك الزاحفة على ارض المعركة ، صار احلى من نقرات العصافير على الشرفات ، ومن همسات المحبين خلال المناجاة . كل رصاصة توجهها الى قلب العدو تبعث فينا نخوة ، وكل قذيفة تسحقه بها تحدث فينا رعشة ، وكل صيحة تخلع بها قلـــوب المعتدين تنزل على قلوبنا بردا وسلاما ...

ما اروعك وانت تحيل الارض من حولهم جحيما ، وتجعل التحصينات من خلفهم رميما !! ما اروعك وانت ترقص على السنة النار ، وتتخطى الحواجز وتعلـــو الاسوار ، وقد زال عندك الفرق بين الموت والحياه ، واستوى بالنسبة اليك الوقوع والنجاة ، لانك وهبت نفسك لقضية ، راميا اياها بين انياب المنية ، فامـــا نصر عظيم ، او موت شريف !!

كان العالم كله يتتبع انباءك أثناء المعارك ، بين اخ لك يود لو قبل الارض التي يزحف فوقها جسمك القوي ، وصديق يعتز بصداقتك ويفخر بمعرفتـــك وعدو يأكل الغيظ قلبه ، وتنهش الحسرة كبده . وأنا كنت من بين اخوتك الملايين الذين تلتصق آذانهـــم المرهفة بأجهزة الراديو، لالتقاط كل خبر عن فتوحاتك ، وكل اشارة لبطولاتك . ثم طالعتنا الصحف بصـــورك وانت تصنع الامجاد ، وتكتب بدمك اروع قصة مـــن قصص التضحية والفداء . وكنت انا واحدا من طوابير القراء من ابناء بلادي ، نتطلع الى صورك ، وانت بالغ الروعة ، فاتن البسالة ، فكنا نشعر جميعا باننا هناك معك ، والى جانبك ، ومن حولك ، نبارك انتصاراتك ، ونقفو آثار خطواتك ، ونقبل مواطىء قدميك ، ان كل عائلة مغربية كنت رجلها في تلك الايام الخالدة التـــي لا تنسى ، يعتز بك الرجال والنساء ، ويتفنى بأمجادك الاطفال .. وطفلي انا ، لقد انشأت قطعة ادبية تشيد

بفضائلك ، وقدمتها اليه ليحفظها عن ظهر قلب ، فكان يرددها واارددها معه !! وقد تندت عيناه الجميلتان الوديعتان !! لقد رددها مرات عديدات ، حتى شعرت بانه قد كبر عشر سنوات !!

لقد حارب المغاربة كلهم فى شخصك ، فكانوا يرقصون طربا اذا نلت من عدوك وسقيته كاس المنون حتى الثمالة ، وكانوا يغضبون ويزمجرون ويخاصمون كل الاشياء ، اذا مررت بشدة ، او نالك مكروه ! لن انسى ابناء بلادي وبلادك الطيبين ، وهم يتحدثون عنك فى زوايا البيوت ، وعلى ارصفة المقاهي ، وبين ابنية المدارس والادارات ، وعلى متن الحافلات ، وحتى فى الاسواق ، وعلى أبواب الدكاكين !! لم يكونوا يتحدثون عنك ، لا ، لم يكن حديثا هذا الذي ياخذون فيه اذا اجتمع بعضهم الى بعض . قل انه مناجاة ، او قل انه غناء ، او قل انه هيام ، وغرام !! او قل انه (مونولوج) فلقد كان احدهم يحدث الآخرين عنك ، وكانه يتحدث الى نفسه ، اذ تخرج الكلمات من فمه حارة ، قوية ، مفعمة بالانفعال ، وعليها مسحة من شاعرية !! خطباء المساجد فى ايام الجمع كانوا يدعون لك ، والمصلون عندما تمس جباههم أديم الارض كانوا يدعون لك ، وشبابنا كان يتبارى فى تسجيل اسمه للالتحاق بك ، والوقوف الى جانبك ، حتى لا يفوته شرف التواجد معك فى ساحة الشرف . ولا عجب ، فقد اصبحت ابنا لكل اب، واخا لكل ولد، وفارس احلام كل عذراء تعشق البطولة والابطال ، ويصطخب قلبها بحب الوطن ، والهيام بالعروبة والغيرة على الاسلام !!

لقد سمعنا الكثير عن وقفتك الرائعة حول مدينة السويس المجاهدة ، تحمي منها الاعراض ، وتصون الحرائر ، وتذب عن المرضى والمجروحين ، كنت فى مداخلها ، ومن حولها ، سدا منيعا يرد عنها الطاعون، ويرد الوباء ، ويرجع الوحش الكاسر ينزف دما وهو مثخن بالجراح . لقد انضم اليك ابناء السويس افواجا اثر افواج ، يبثون معك للموت ، ويصمدون لقاتلة الجوع والعطش ، فى ملحمة من أروع ما عرفه تاريخ الكفاح الوطني من ملاحم . كنت تدافع عن مدينة السويس ، وكأنك تدافع عن فاس او مراكش او الرباط وكنت تذب عن اهلها الشجعان الطيبين ، وكانك تذب عن ابنائك وابويك واخوتك الاقربين ، لقد انعدمت الفوارق وصارت السويس رمزا لكل الوطن العربي ، وصار اهلها رمزا لكل اسرة عربية فى شرق البلاد وغربها .

اما اطلالتك علينا من جبل الشيخ بالجولان ، من خلال الصور ، وانباؤك المجيدة وانت قابض على هذه البقعة من ارض العروبة ، ففي نفوسنا منها الشيء الكثير ، لقد رأيناك فى خنادقك : عرين الاسود ، وملعب النسور ، ومرابض النمور !! ووراء مدفعك ، قابضا عليه بيد من حديد ، على اهبة كاملة لاطلاق رعده المكتوم ... هناك ، كانت قلوبنا تخفق من حولك ، ونفوسنا ترف فراشات بجانبك. كانت اصابعك المغربية القوية الطيبة ، مفاتيح عالم جديد... وكانت بندقيتك، الواثقة ، الشجاعة صانعة الحياة ، تجلب لنا الطمانينة، وتهبنا الاحساس بالامن ... وكانت نظراتك المفتحه ، اليقظة ، الواعدة بالنصر مصدر انس لنا ، نتعلق باشعتها ، ونلوذ بضيائها ، كما تلوذ الفراشات بضوء المصباح ... ستذكر الجولان دائما انك كتبت على اديمها أروع الصفحات، وانك ذدت عن شموخ هضابها، ودافعت عن كبرياء صخورها ، وحاميت عن منابت العشب ، واعشاش الطيور والحمائم بين ربوعها ...

يا جندينا البطل !!

اتمنى ان القاك عندما تعود ، وان اوجد فى عينيك الوضاءتين اللتين اصبحت افضلهما على كل العيون ، حتى عيون النساء الجميلات ... لاني اريد ان ارى فيهما احلام الشرف ، وغبار المعارك ، ونيران المواقع، وزحف الجيوش ، ومصرع الاعداء ... انهما عيناك!! سلمت عيناك ... كانتا يقظتين ، لا تنامان اياما واسابيع ، حتى لم يعد النوم من طبيعتهما .. وبفضل يقظتهما الكاملة ، تغفو عيون ملايين الاطفال والنساء والشيوخ العرب ، تداعبها الاحلام ... وتسبح فى باطن اجفانها الرؤى والاطياف ...

اتمنى ان القاك ، وان اضع يدي فى يدك الكريمة ، الجريئة ، البطلة ، التي تبدو روعة الرجولة فى اديمها، وتلوح الصلابة فى شعراتها ، ويشمخ العزم فى اعصابها !! احب أن اضع يدي فى يدك ، لاحس بالفخر، وباني قوي ، وباني استطيع السير وانا مرفوع الراس واني ابن هذا الاطلس ، واني طويل القامة ، متين الساعدين ...

اتمنى ان القاك ، وان المس كتفيك ، كتفيك الهائلتين الرائعتين ، الرفيعتين ، كأكتاف آلهة اليونان، كصخور الاطلس العظيم ، كاعمدة الهياكل الضخمة ، كانهما صورة مجسمة لعزمك الذى لا يقهر . عاشت كتفاك ... لقد نهض فوقها بناؤنا الجديد ، وارتفع

مجدنا العظيم ، واتكأت عليهما نهضتنا الاخيرة ، عندما رددنا جيوش الغزاة ، وكافحنا أبالسة الشر ، وغالبنا اعداء الانسانية .

نود تسلق كتفيك ، كأطفال يفرحون بأبيهم العائد نريد تسلق كتفيك ... كطيور تأوي الى فرع شجرة كبيرة ، نريد تسلق كتفيك ... كلاجئين الى حصن منيع ، نريد تسلق كتفيك ...

اتمنى أن القاك وأنت بغبار المعارك ، وقد لفك دخان البارود ، واشتعلت في مقلتيك نار الجهاد المقدس ، وتوهجت في خديك جمرات الغضب العارم ، وتصبب منك عرق الزحف العظيم ... يا له من عرق أين من طيبه ازكى العطور .. !! انه عطر الابطال !! فيه شيء من عرق الفرس الاصيل ساعة يتوثب ... وشيء من لعاب الاسد الهصور اذ يتحفز ... وشيء من افراز الغصن الريان اذ يتعرض لاولى اشعة الشمس .. !

اقبل علينا بعرقك المشتهى ، بل بعطر رجولتك ، ونفحات فحولتك ... لا تغسل ثيابك ، ولا تحلق عارضيك ، ولا تغير منك شيئا ، لانا نريد رؤيتك في روعة جهادك وعليك من المعركة بقايا وآثار ... حتى نملأ عيوننا من امجادك ، ومظاهر بطولاتك ... لا تغسل سلاحك من دمائهم ، لا تزل من ثوبك آثار ارجاسهم ، لا تنظف سكاكينك من صديد احشائهم .. بل اقبل علينا كما انت ... لانا نحبك كما انت ... لا لشيء الا لانك انت ...

يا جندينا البطل !!

عندما ذهبت الى الشرق ، لتقاتل ضد لصوص الوطن ، فتحول دون سرقتهم لحقول القمح ، ومزارع القطن ، وكنوز المعابد ، ومصادرتهم للنور والشمس والهواء ، ونهبهم لاشجار التفاح والبرتقال ، عندما ذهبت من اجل ذلك ، صلت من أجلك الحقول والاشجار وباركتك السماء ، وصافحتك الشمس ... ولسوف تصلي من اجلك سنابل القمح ، وعروق الدوالي ، والسكر الذائب في اصلاب الكروم ... وعندما أخذت موقفك بين الفدائيين من ابناء مصر العزيزة ، وسوريا الغالية ، فامتزج دمك بدمائهم ، وتداخلت انفاسك مع انفاسهم ، واقتسمت معهم البسمة والدمعة ، والشربة واللقمة ، كنت تنقل مئات الاشجار من جبال الاطلس ، لتغرسها في جنان سوريا ، وعلى ضفاف وادي النيل .. وكنت تحول صخورها العظيمة لتبني بها اهراما كاهرامات الفراعين ... وكنت تصل افواه الاطفال هناك ، باثداء الامهات المغربيات ، فيتدفق اللبن الى النخاع ... وكنت قد جمعت العطور ، من خلاصة ملايين الزهور ببلادي ، لتعطر بها كل شبر هناك وطئته قدماك ... عندما ذهبت الى هناك ، صاحبتك من بلادنا زغاريد النساء ... ودعوات الامهات ... والمعاني الحائرة في عيون الاطفال ... وما اختزنته في لحمك واعصابك من شمس المغرب وهوائه ، وقمحه واعنابه ... عندما ذهبت ، كان شيء في الطبيعة قد تغير ... من ذلك ان الشمس اصبحت تشرق من المغرب ..!

ان ضربتك التي انزلتها هناك بالعدو ، تردد صداها في المغرب مزبدا من اللبن في اثداء الامهات .. ومن الورود في جنان الخمائل ... ومن الصفاء في اعماق البحيرات ... ومن الاشراق في جبين الوطن ... وان قطرات الدم التي سالت من جسمك ، تفجرت ببركتها مئات العيون في بلادنا ، وسارت رعشة الحياة في ملايين الاغصان التي أدركها الذبول ... والتأمت جراح كل القلوب ، وان كان قد تخلف عنها بعض الندوب ... وان رصاصك اذ يحصد العدو ، كان يتحول عندنا حبا يلتقطه الطير ... وكرات ملونة يعبث بها الاطفال .. وثمرا ناضجا تزدان به جموع الاشجار ...

تغيرت فينا اشياء كثيرة عندما حدثتنا نسمات الشرق عن مجيد اعمالك ... فقاماتنا ازدادت طولا .. واصواتنا ازدادت جهارة ... واقدامنا صارت تحس تحتها بصلابة الارض ... ولهجتنا اتضح فيها معنى الوثوق ... وارادتنا اكتسبت معنى العناد ... وليس هذا كل شيء ، بل اننا اخذنا نصالح أشياء عديدة كنا قد خاصمناها منذ ايام الهزيمة الشنعاء ... فصرنا نحملق في الوجوه الملاح ... وفي الضفائر الطويلة ... وفي القدود الميادة من دلال ... ولاول مرة منذ الهزيمة البشعة ، شرعنا نستمع الى تغريد البلابل في حدائقنا ... ونلحظ انعكاس أشعة الشمس على زجاج نوافذنا ... ونديرا اعناقنا اذا مرت بنا ذات روعة وفتون ...

كل ذلك حصل ، لانك قاتلت بشجاعة وكفاءة .. لانك رفضت الخضوع والاستسلام ... لم نعرف ، اننا نملك كل هذه الطاقة الكبيرة ، من القدرة على وضع المعاني في الاشياء ... وعلى اعطائها صفات الجدة والطرافة ، الا عندما وضعت فوهة بندقيتك في دماغ العدو ...

فاس : عبد العلي الوزاني





في اليوم الخامس والعشرين من صفر الخير سنة 1171 هـ اجتمع علماء فاس ليحققوا امرا عظيما شهد لهم بحصافة رايهم وحسن تدبيرهم وعمق تصورهم ، انه اعلان بيعة المولى محمد بن عبد الله العلوي الذي لم يكن شخصية مجهولة فى البلاد المغربية آنذاك ، فهو قد كان خليفة موفقا لوالده بمراكش شارك مرارا فى قمع الفتن ونشر الامن وعمل ما فى وسعه لاحياء معالم جده المولى اسماعيل ، وكان شغوفا بدراسة عظماء الرجال ، حريصا على الاستفادة من اخلاقهم وشيمهم ، وعلى الاقتباس من هممهم ، كما كان معجبا كثير الاعجاب بالمنصور الذهبي السعدي يتحلى باخلاقه ، ويتصف بسيرته ، ويتأسى به فى سلوكه الشخصي وفى اعماله المرتبطة بنظام الدولة ، زيادة على اهتمامه بالعلوم والآداب ، فقد اجمعت الروايات على أنه كان مولعا بدراسة السير والاخبار أول حياته حتى كان يحفظ كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ثم غير الاتجاه الثقافي بعد الخلافة فعوض الدراسات الادبية بالدراسات الدينية واصبح مهتما بالحديث والفقه وكانت له نظريات اجتهادية بنى عليها كثيرا من قوانين الدولة وجعلها منطلق المعاملات فى بلاد المغرب ، ولعل مواقفه هاته هي التي حببت فيه اهل العلم فجعلته مرموقا لديهم معروفا فى اوساطهم ، ولعلها هي السبب فى اجماع اهل الحل والعقد من علماء فاس على بيعته وعلى راسهم قاضي الجماعة السيد عبد القادر بوخريص وشيخ الجماعة محمد جسوس والامام ابو حفص الفاسي وغير هؤلاء من العلماء الاجلاء (2) .

ان تحمل اعباء الملك فى حقبة من التاريخ شبيهة بالحقبة التي تولى فيها الحكم المولى محمد بن عبد الله ، يعد تكليفا لا تشريفا نظرا لما يتطلبه الحال من الحزم والقوة ، فالبلاد كانت تموج ببعض الفتن الداخلية وتفقد القدرة على مواجهة الاجانب الذين

---

(1) لهذه الرحالات السفارية قيمة كبرى فى تاريخ المغرب ، ولقد عنيت بها ونشرت حولها بعض المقالات فى مجلة (دعوة الحق) الغراء ، من ذلك رحلة سفارية الى اسبانية فى عهد المولى اسماعيل قام بها محمد بن عبد الوهاب الغساني نشرت بالعدد الخاص بعيد العرش سنة 1969 م وهو العدد الرابع من السنة الثانية عشرة ، ومن ذلك رحلة سفارية فى عهد المولى محمد بن عبد الله قام بها ابو القاسم الزياني نشرت تحت العنوان الآتي : ابو القاسم الزياني مؤرخ الدولة العلوية فى كتاب الترجمانة الكبرى بالعدد الخاص بعيد العرش سنة 1970 م وهو العدد الثالث من السنة الثالثة عشرة .

(2) انظر بتفصيل الحديث عن بيعته وبعض حوادث ايامه بكتاب اتحاف اعلام الناس للشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله الجزء الثالث صفحة 153 .

كانوا يتحكمون في مدن ساحلية ويتصرفون فيها تصرف المالك المطلق .

وامر كهذا يتطلب الحذر وبعد الهمة ويقتضي اختيار المواقف الحاسمة التي تبدل الخوف امنا ، والاستعباد عزة ، وتجعل المغرب دولة ذات شان في الاطار الدولي .

ولا يتيسر ذلك الا باهتمامين :

الاهتمام الاول يتعلق بالاطار الداخلي ويشتمل على قمع الفتن ، وتحرير الاراضي المحتلة ، ونشر الوعي بين المواطنين ، ورعاية المصالح الاجتماعية ، وحفظ كيان الدولة اخلاقيا واقتصاديا وفكريا .

الاهتمام الثاني دبلوماسي يتعلق ببناء العلاقات مع الدول الاجنبية على اساس من الكرامة والعزة والحرية بحيث لا يظهر المغرب مهيض الجناح او فاقد الهيبة او مهضوم الحق في أي مجال من المجالات .

وهذا الاهتمام الثاني كان يدفعه الى اختيار جماعة من الكتاب والسفراء تتمتع بالذكاء والصدق والمعرفة وتعالج المشاكل بعمق وتدبر ودراية . واشتهر من بين هؤلاء ابو عبد الله محمد بن عثمان المكناسي (3) الذي نتحدث عنه في مقالنا هذا من خلال رحلته الاندلسية المعروفة بالاكسير في فكال الاسير وهو كاتب عبقري وسفير محنك ، كان يمتاز بالمعرفة في حواره وبالصدق في لهجته تحدث عنه المولى عبد الرحمن بن زيدان في كتابه اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ، كما اهتم بدراسة احواله الاستاذ محمد الفاسي الذي حقق رحلته هاته تحقيقا محكما والذي ذكر في مقدمة هذا التحقيق انه قضى أكثر من ثلاثين سنة وهو ينقب عن كل ما يتصل بحياته وعن الوثائق المرتبطة بعصره وتاريخه . ولقد ترجم له ترجمة طويلة أبدت قيمة هذا السفير المغربي في عهد المولى محمد بن عبد الله وفي عهد ولديه المولى اليزيد والمولى سليمان رحمهم الله .

والحقيقة التي أراها دائما في دراسة الرحلات انها تعد سجلا حافلا بالاحداث مليئا بالوقائع ، مشتملا على تاريخ ودراسات وملاحظات قد تتفق مع الحق وقد تجانبه ، ولكنها رغم ذلك تعتبر وثائق تاريخية مهمة تعين على التوصل الى الحقيقة وترشد الباحث الى استخلاص الاحكام الصائبة بعد النقد والتمحيص وبعد وضعها في ميزان العقل وتصفيتها في قانون التجرد التاريخي وربطها بمنهاج البحث السليم المبني على الملاحظة والدقة والمقارنة من جهة وعلى دراسة الشخص المدون للاحداث من جهة اخرى ، وبذلك نتوصل الى صدقه او كذبه والى اخلاصه او نفاقه ، والى تجريحه او تعديله .

وهذه الملاحظة الاخيرة ضرورية ومفيدة ، ولهذا كثرت العناية بالحديث عن السند في البلوغ الى الحكم التاريخي وكثر البحث عن مدى تعصب بعض الكتاب او تطرفهم وعن مدى ارتباطهم بالحقيقة او انحرافهم عنها .

ونحن اذا ما جعلنا كتاب الرحلات في ميزان الثقل فاننا نجد بعضهم يغالي في حكمه وتظهر عليه علامات الانفعال واثر التسرع في حين اننا نجد آخرين لا يصدرون احكامهم الا بعد الوثوق من اسبابها ولا يسجلون الاخبار الا بعد البحث عن مصادرها .

ومن هذا النوع الثاني كاتبنا هذا الذي يتصف حسب ما يظهر لي بالخصائص التالية :

أولا : الرصانة في التفكير والاصالة في الرأي .

ثانيا : الصدق في القول والاستقامة في السلوك .

ثالثا : القدرة على الاستنتاج المنطقي المتزن .

رابعا : القدرة على ربط الاحداث وتسلسلها .

خامسا : التحري في الحكم وعدم الاستعجال في اصداره .

سادسا : الواقعية في وصفه واسلوبه .

سابعا : الاهتمام بالاحداث التاريخية .

ثامنا : الاعتزاز بالمبادىء الاسلامية الى الحد الذي يجعله ساخرا من عقيدة المسيحيين في المسيح ويجعله مستخفا ببعض العوائد المخالفة للدين الاسلامي .

ونحن فيما سنقدمه من تحليل لهذه الرحلة سيلاحظ القارىء هذه الخصائص متجلية واضحة في جل الجزئيات ، وسيراها مطبوعة بأخلاق المؤلف منسجمة مع آرائه وخططه مرتبطة بأسلوبه في التعبير والتفكير ، وربط الرحلات بأساليب كتابها وسلوكهم

(3) توفي أبو عبد الله محمد بن عثمان المكناسي حسب تحقيق الاستاذ الفاسي سنة 1214 هـ .

واخلافهم اصبح ضروريا فى الدراسات الايجابية كما أصبحت دراسة المضامين ضرورية ، لان دراسة المضمون يضع الرحلة فى اطارها الحضاري والادبي .

وما احوج الادب المغربي الى هذا النوع من الدراسة ، فنحن كثيرا ما نتحدث عن الكتاب والمؤلفين ونشير الى انتاجهم ، ولكننا لا نجعل ذلك الانتاج فى محك النقد ولا ندرسه دراسة كافية ، وهذا عيب من عيوب التاليف ينبغي الابتعاد عنه وتجنبه لان دراسة الانتاج كنص يساعدنا على تمثله وعلى ربطه بزمانه وعلى مقارنته بغيره ، وحينئذ تزكو المعارف ، وتنمو الافكار، وتقوى الروابط الثقافية بين المنتجين والقراء وتبدو المعالم الفكرية والحضارية لامعة وتصبح الاهداف التي يرسمها المهتمون بالتدوين معلومة لدى الخاص والعام.

وسيساعدنا هذا النوع من الدراسات على ربط المضامين بالاحداث التاريخية وبالاسباب الاجتماعية ، ويمكننا ان نجعل هذه الرحلة التي نتحدث عنها مثالا تطبيقيا لفكرتنا هاته فهي عند التامل فى محتواها وعند ربطها باسبابها قد تكون ناتجة عن الاسباب الثلاثة الآتية:

السبب الاول : استغلال المولى محمد بن عبد الله الوقائع التاريخية المعاصرة له للضغط على اسبانيا فى فك أسرى المسلمين واطلاق سراحهم .

فهو يعلم ان اسبانيا تعيش فى حرب مع انجلترا لسبب استيلاء هذه الاخيرة على جبل طارق ولسبب مساندة الاسبانيين لامريكا فى ثورتها ضد الانجليز (4).

وموقع المغرب من الناحية الاستراتيجية يمكنه ان يفسد على اسبانيا حصارها لجبل طارق ويمكنه ان يساعد على احباط خطتها واهدافها اللهم الا اذا ارادت اسبانيا ان تؤدي الثمن .

ولا يريد المغرب تعويضا ماديا او استغلالا انتفاعيا ذاتيا وانما يريد كسبا يعود على المسلمين بالعزة ويعيد لهم كرامتهم . ولهذا فكر المولى محمد بن عبد الله فى ارسال بعثات دبلوماسية الى اسبانيا يطالب فيها بفك الاسرى وهو يعلم تمام العلم ان اسبانيا ستكون راغبة فى هذا الامر لانها ستامن به على نفسها وستسلم بسببه من العواقب الوخيمة التي تحصل اذا رفضت .

وزادت اسبانيا اطمئنانا حينما علمت بمؤازرة المغرب لامريكا فى حربها ضد الانجليز ، وهذه المؤازره فى الحقيقة كان لها بعد اخلاقي من جهة وبعد سياسي من جهة اخرى ، اما البعد الاخلاقي فيتجلى فى مناصرة الحرية ، واما البعد السياسي فيظهر أثره فى ربط العلاقة بين اسبانيا والمغرب على أساس احترام اسبانيا للمطالب المغربية وتنازلاتها لكثير من رغباته .

والواقع ان هذا الضغط على اسبانيا لم يبلغ الدرجة النهائية التي كان يتوخاها المغرب لان المولى محمد بن عبد الله رغم مواقفه الحاسمة لم يجد الفرصة سانحة لتحرير مدينة مليلية من ايدي الاسبانيين ، فهو قد حاصرها سنة 1188 هـ ولكن الفتح لم يتم لاسباب سياسية محضة يرجعها اغلب المؤرخين لمخالفة الحصار لبنود معاهدة سلام كانت بين المغرب واسبانيا

وتنص هذه المعاهدة حسب زعم الاسبانيين على استمرار السلام ، ولا يجوز نقضها الا اذا وقع الاعلام بذلك قبل ستة اشهر من يوم النقض ، ولهذا كتبوا الى المولى محمد يطلبون منه فك الحصار لانه جاء مخالفا للنص الاصلي (5) .

واستجاب لهم ملك المغرب فى انتظار مراجعة النص وتراجع عن هذا الحصار على اساس فتح حوار بينه وبين الاسبانيين للتمكن من معرفة الحقيقة ، ودفعه ذلك الى ارسال بعثات تهتم بالموضوع وتستغل الظروف فى نفس الوقت للضغط على اسبانيا فى فك الاسارى المسلمين .

ومنذ ذلك التاريخ والاسبانيون يفكرون فى استمالة المولى محمد واستعطافه حتى لا يعود الى الهجوم ، ولهذا كانوا يبالغون فى الحفاوة كلما زارهم مغربي مسؤول ، وقد تحدث السفير ابن عثمان عن بعض هذه المظاهر وعن اسبابها فى رحلته ، ومن ذلك ذكره لاعفاء الوفد من الحجر الصحي الذي كان يفرض على كل زائر واختيار احسن الاماكن لمقامه ، واقامة المسارح من اجله ، وامتداد ايام ضيافته على غير العادة المعهودة لديهم .

(4) تحدث المؤلف عن هذه الحرب مرتين : المرة الاولى فى الصفحة 21 والمرة الثانية فى الصفحة 97 .
(5) هذا هو التعليل الذي ذكره المؤلف بصفحة 131و فى كتاب الاستقصا للناصري تعليل آخر مرجعه الى تحريف وقع فى النص الاصلي ، فلينظر ذلك بالجزء الثامن من طبعة دار الكتاب صفحة 40 .

وقد بين مرارا أن هذه الحفاوة راجعة الى رغبة الاسبانيين فى السلام ، والى تشوقهم الى الامن ، والى تخوفهم من سلطة الملك المغربي ، ولهذا قال فى بعض فقرات الكتاب (6) : ((واقمت برانخويز مع الطاغيـة شهر جمادى الاولى بتمامه (7) وفى خلاله كان الطاغية يتعاهدنا كثيرا فكان يبعثنا الى جناتـه وبساتينـه ومنتزهاته ، ففى هذه المدينه من البساتين البديعـة الشكل ما ليس فى غيرها ، وقد بعث الينا الطاغية ذات يوم فيلا ورد عليه من الهند مع اصحابه الذين قدموا به عليه ... وقد امر كبير الاجنات والبساتين أن يأتي الينا فى كل يوم بطبقين مشتملين على انواع من فوائه العام الفارط ، فقد كان يأتينا بتفاح العام الماضي فى شهر مايه يريد بذلك تأنيسنا حيث علم ما لحقنا مـن القلق وارادتنا التوجه الى سيدنا ومولانا امير المومنين وهو فى ضمن ذلك يريد ان يتم اموره التي يريد مـن سيدنا ومولانا ، لاننا لما كنا بمادريد بعث الينا مـع وزيره الاعظم وقال ان الطاغية يريد منك ان تتوسط له عند سيدنا ومولانا أمير المومنين فى تجديد الصلـح والمهادنة معه لان له محبة قوية فى جانبه الشريف ، فيريد ان يكون معه على اكمل الحالات ، ويجب أن يكون هذا الامر على يدك ، واعاد ذلك علي مرارا مشافهـة وبالوسائط ، وهذا كله من شدة ما القى الله تعالى فى قلوبهم من الرعب من سيدنا ومولانا امير المؤمنين اعز الله بيقائه الدين ، فتعين ان اجيبه لما طلب امتثالا لقول الله عز وجل لنبيه المفضل (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) فقلت اكتب لسيدنا ومولانا امير المؤمنين ولا يكون ان شاء الله الا خيرا ، ففعلت)) .

وبعد ذلك ذكر الكاتب أسباب الوحشة التـي ترتبت عن حصار مليلية وما نتج عن ذلك من المفاوضات حول النص الاصلي للمعاهدة السابقة وعـن شروط المعاهدة الجديدة التي كان ابن عثمان احد المراقبين لنصوصها المقدمة من طرف الاسبانيين .

ولا شك ان هذه المعاهدة التي كان الاسبانيون حريصين عليها راغبين فيها لتلافي ما يقع لهم من الحرب مع المغاربة ستكون بنودها منسجمة مـع المصلحـة المغربية آنذاك فى حدود الامكانيات المغربية .

وهي معاهدة اعطي للاسبان حق كتابة شروطها واملاء بنودها على شرط مراجعة ذلك من قبل المغاربة ورد كل ما يرونه مخالفا لكرامتهم ، ولهذا قال ابـن عثمان بعد ان تلقى الجواب من السلطان فى شأن هذه المعاهدة : ((فأجابنا سيدنا نصره الله وأمرنا ان نقبل منهم الشروط التي يريدون عقد الصلح عليهـا وان نصحبها معنا ليكملها ويمضيها ، فاعلمتهـم بذلـك فاستحسنوا الشروط المذكـورة وفـق مرادهـم فتصفحتها ورددت عليهم ما لا يليق ولا يجوز شرعـا واثبت ما رأيته صوابا)) (8) .

وان قبول اسبانيا لهذا التعديل من السفيـر وانتظارها لتعديل آخر من المولى محمد بن عبـد الله لدليل على رغبتها فى الصلح وعلى أنها كانت ترجو وداد المغرب ومسالمته ، ولهذا استغل ابن عثمان هـذه الرغبة فى رفع عدد من سيفك اسرهم مـن قبضـة الاسبانييـن .

ان الضغط المغربي على اسبانيا فى عهد المولى محمد بن عبد الله لم يحقق كل ما كان المغرب يرجوه كما قدمناه ولكن رغم ذلك استطاع أن يجعل بلادنا فى وضع يحسب له حسابه ويخشى جانبه ، وانه لمـن الاسباب التى ادت الى تمكن المولى محمد من التصرف فى مصير الاسرى المسلمين على اختلاف جنسياتهم وعلى العمل على رفع كرامتهم وتحرير رقابهم .

السبب الثاني : مرجعه الى اعـلان الموقـف الاسلامي السديد الذي اتخذه المولى محمد بن عبد الله فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الاسلام ، وهو موقف يتعلق بعدم التمييز بين المسلمين المأسورين لـدى اسبانيا ، فلا فرق بين من كان منهم مغربيا او غيـر مغربي ، ولا فرق بين من كان منهم عربيا او غير عربي .

وهو موقف عدائي لولاة العثمانيين على الجزائر أولئك الولاة الذين رفضوا ان يحرروا من الاسرى من كان عربيا واكتفوا بفداء الاتراك ليس غير .

ولقد كانت طبيعة هؤلاء الولاة أنهم يكثرون مـن الفتن على الحدود المغربية ولا يراعون حسن العلاقة بين المغرب والخليفة العثماني ، فاضطر محمد بن عبد الله الى الاسترعاء منهم والى ارسال بعثة الى الخليفة

(6) الاكسير فى فكاك الاسير ، صفحـة 140 .
(7) اي من سنـة 1194 هـ .
(8) الاكسير فى فكاك الاسير صفحة 142 .

العثماني يترأسها السفير عبد الكريم العوني التطواني تطالب بزجر هؤلاء الولاة وبنهيهم عما يرتكبون ، وحملت هاته البعثة رسالة شديدة اللهجة يقول فيها السلطان المغربي عن هؤلاء المنحرفين : ((ان لم ترفع ضررهم عن المسلمين فدعني واياهم)) (9) .

ولم يكن من الطبيعي ان يقف المغرب مكتوف الايدي امام وضع كهذا وان يرى بجانبه طبقة من الولاة تفقد الوعي الاسلامي العام ولا تراعي حق الجوار دون ان يحاول اصلاح ما افسدت ورتق ما خرمت ودون ان يخلق لها من العراقل ما يفسد عليها استقرارها ويؤلب عليها الرأي العام .

ان الجماهير الشعبية في الجزائر ستغضب غضبا شديدا حينما تعلم ان الولاة قد فدوا الاتراك وتركوا العرب ، وحينما يعلمون انهم باعوا أسرى الاسبانيين بالدرهم والدينار وتركوا مسلمين ابرياء في السجن لكونهم لا يحملون الجنسية التركية وسيزداد ايمانهم بالمغرب وملكه حينما يشاهدون أسراهم بين ايديهم مسرحين بفضل ما بذله المولى محمد من سعي وانفقه من مال .

ان هذا الموقف السديد الذي اتخذه المغرب يعتبر خطوة سياسية موفقة زيادة على ما يحمله من المعاني السامية المنسجمة مع عمق الاسلام ومبادئه الداعية الى الاخوة والحرية .

ونظرا لاهميته الكبرى ولقيمته دينيا وسياسيا نلاحظ تركيز الحديث عنه في رحلة ابن عثمان وتفصيل مراحله وذكر محاسنه وابراز ما فيه من الخير دينا ودنيا ليصغر في عين الناس موقف هؤلاء الولاة ويعظم في عيونهم موقف امير المؤمنين محمد بن عبد الله ، ولهذا قال ابن عثمان (10) : ((والاسرى المذكورون المسرحون كلهم من أهل الجزائر وايالتها ومع ذلك لم يغفل عنهم سيدنا ايده الله فقد أخرج منهم زهاء الالفين في دفعات ، وقد كان سيدنا ايده الله قبل هذا بنحو اربع عشرة سنة تكلم مع الطاغية وحتم عليه في فداء الاسرى المذكورين بالمعاوضة بأسرى الاصبنيول الذين بالجزائر فأسند الطاغية الامر الى سيدنا نصره الله فبعث الى عامل الجزائر يحضه على تتميم هذه الحسنة فأعلم الطاغية فحمل جميع أسارى المسلمين في المراكب ووجهم الى الجزائر بقصد مفاداة المسلمين بالنصارى ، ففدى عامل الجزائر الترك وامتنع عن فداء العرب ، وفدى من بقي عنده من النصارى بالمال ورد المسلمين الى الاسر ببلاد الكفرة فانظر الى هذا الفعل الشنيع والامر الفظيع)) .

ثم صار يندد بهذا العمل الذي قام به عامل الجزائر ، ويبرز مخالفته للدين ومعارضته للاخلاق ومنافاته للشيم الكريمة ، الى ان قال (11) : ((وكيف يحل له أن يفرق بين المسلمين وكلهم اخذوا تحت علمه فيفتدي اخوانه الترك ويترك اولاد العرب على انه بيده من أسارى النصارى ما يفتدي به أسارى المسلمين كلهم ، ويفضل بيده نصارى كثيرون فاثر الدنيا وفدى النصارى بالمال ورد المسلمين الى الاسر لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ، ولا زال سيدنا نصره الله يتلطف في انقاذهم شيئا فشيئا كل مرة ويخرج منهم شرذمة حتى اخرج جميعهم احتسابا له تعالى وابتغاء مرضاته)) .

وحرص المولى محمد بن عبد الله على فك هؤلاء الاسرى يعتبر عملا دينيا كما قدمنا وعملا سياسيا في آن واحد ، وهو يدعو الى اكتساب الثقة من المسلمين والى بعث روح ثورية ضد عمال الجزائر الذين كان موقفهم مخالفا للمصلحة الاسلامية . وتسجيل عمله هذا في رحلة ابن عثمان يعد مفخرة من المفاخر التي يجب اذاعتها رعاية للمواقف الشريفة التي تطبع حياة هذا الملك العظيم .

السبب الثالث : مرجعه الى تدوين المشاهد وتسجيل المظاهر الحضارية التي يسعى المغرب في الاطلاع عليها ليستفيد منها في تجهيز البلاد .

ولقد كان المولى محمد بن عبد الله يشجع سفراءه على التدوين ويقربهم اليه حسب مقدراتهم وحسب دقتهم في الوصف بل انه كان احيانا يحث هؤلاء على تدوين ما يشاهدون خصوصا اذا ظهرت كفاءتهم وتجلت قيمتهم .

فابن عثمان هذا اذا كان قد ارتأى تسجيل هذه الرحلة ورغب في تقييد ما يبصره في وجهته وأوبته

(9) الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزياني صفحة 84
(10) الاكسير في فكاك الاسير صفحة 164 .
(11) نفس المصدر ، صفحة 165 .

دون اذن مولوي فانه في رحلته العثمانية المعروفة باحراز المعلى والرقيب نص على أن التدوين كان نزولا لرغبة المولى محمد بن عبد الله (12) .

ومن الواضح ان اسلوب الكتابة عند السفراء غالبا ما يرتبط باتجاه من اوفدهم ، ولهذا أرى ان الدقة في وصف الرحلة هاته مرجعها الى رغبة السلطان في الاطلاع على احوال الدولة الاسبانية ومعرفة نظمها ودراسة مناهجها الحضارية في كل المظاهر .

ولهذا كانت عناية ابن عثمان بتصوير المظاهر الحضارية شديدة ، ويتجلى ذلك فيما يأتي :

1 — في حديثه عن دور الصناعة الخاصة بالسفن في مرسى سبتة وفي مرسى قرطاجنة التي تشتمل على كل ما يتوقف عليه تجهيز المراكب من تجارين وحدادين وناسجي القلوع وصانعي الاحبال وغير ذلك .

2 — في حديثه عن معاصر الزيتون باشبيلية ومدينة الش التي تعتبر آنذاك مدينة الزيتون ، فقد ذكر رواية عن حاكمها بأن غلتها في تلك السنة بلغت ثمانين وأربعمائة ألف ريال ، وعدد معاصرها مائة واحدى وعشرون معصرة ، ثلاثة قضبان في كل معصرة غالبا .

3 — في حديثه عن معامل الاسلحة كمعمل المدافع والمهارس باشبيلية ودار العدة بمادريد ودار البارود بمرسية ومعمل السيوف والمكاحل بطليطلة ، ولاحظ المؤلف أن هذا المعمل يستعمل الماء وسيلة للطاقة المحركة .

4 — في حديثه عن معمل الزوابي بمدريد .

5 — في حديثه عن مواضع الغزل الخاصة بصناعة الحرير بطليطلة وغرناطة ومرسية .

6 — في حديثه عن دار الكاغيد بشقوبية .

7 — في حديثه عن الدار المخصصة لنسيج الملف بها أيضا .

8 — في حديثه عن الدار التي تصنع البلور بشقوبية أيضا .

9 — في حديثه عن دار السكة باشبيلية وهي في نهاية الكبر ، وجل أعمالها بالحركات .

قال : ((ولقد رأيت عند رجل من القيمين على دار السكة وهو بمنزلة الامين عندنا ، ميزانا صغيرا يختبر به السكة ويعلم به المقدار الذي يزاد في السكة من النحاس ، وما رأيت اغرب من ذلك الميزان)) .

10 — في حديثه عن نظام البريد في اسبانيا .

11 — في حديثه عن صناعة الحجر باشكال غريبة في مدريد .

12 — في حديثه عن المدرسة العسكرية ونظامها البديع باشبيلية .

13 — في حديثه عن القناطر بكل اعجاب ، ومن هاته القناطر القنطرة المتصلة بسبتة وهي تحتوي على ثلاثة أقواس ، قوسان منها ثابتان وقوس متحرك ، اذا ما اغلقت باب المدينة ارتفع القوس واصبحت سبتة بسبب ذلك كأنها جزيرة صغيرة نظرا للحفر الذي احدثوه في الجانب البري .

ومنها قنطرة بوادي خيزر بنيت على نظام هندسي دقيق بحيث جعلت على مراكب طافية تعلو اذا كثر الماء وتنحدر اذا قل .

ومنها القنطرة المضروبة في اشبيلية على الوادي الكبير على الشكل الهندسي السابق .

هذا زيادة على الحديث عن مظاهر حضارية أخرى قيمة كتعبيد الطرق ونظام الفنادق وتعمير الاراضي وتقليم الغابات في الاماكن المخيفة وتعويضها بالمداشر والقرى ، وحفر الربى والتلال ووضع القناطر على الوديان .

ان الاطلاع على هذه المظاهر يعد أكبر عامل على المقارنة بين ما عند هؤلاء وبين ما عندنا في المغرب .

ولقد كان المولى محمد بن عبد الله حريصا اشد الحرص على الازدهار الصناعي ببلاد المغرب ، وعلى

---

(12) اقرا مضمون هذه الرحلة وذكر اسبابها بكتاب اتحاف اعلام الناس ، الجزء الثالث صفحة 301 فما بعد واسمها الكامل (احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب) .

تدشين معامل الاسلحة في مختلف البلاد ، وكان يستغل علاقته مع الدول الماهرة في ذلك لتنمية هذا القطاع الحيوي في تقوية الجيش وفي رفع مستواه .

وهذا هو السر في استبشاره بالعمال الذين بعثتهم الدولة العثمانية الى المغرب مصحوبين ببعض الاسلحة وببعض موادها ، ولقد وزع هؤلاء العمال على مختلف البلاد المغربيه ، فبعث معلمي القنابل الى تطوان ومعلمي المراكب الى سلا ومعلمي الرمي الى رباط الفتح ، وارسل اصحاب المدافع الى فاس (13) .

ان هذه الاسباب الثلاثة التي ذكرناها تصلح لوضع هذه الرحلة في اطارها السياسي والعسكري والاجتماعي وتتلاءم مع الاهداف التي كان المغرب يسعى في تحقيقها .

والرحلة في حد ذاتها رغم وضوح هذه الاسباب لم يكتمل نجاحها الا لسبب شخصية السفير المغربي ابن عثمان الذي كان يمتاز بمرونة فائقة وذكاء حاد .

ان هذا السفير كان له الدور الفعال في كسب الرهان وفي نجاح المسعى وفي خلق جو من التفاهم المنتج بين المغرب واسبانيا ، كتب رحلته هاته وفق تصميم مركز واستعمل فيها اسلوبا بسيطا مطبوعا بالاسلوب المغربي الاصيل .

ومما يثير الانتباه في هذه الرحلة صدق لهجتها والتحري في صدق اخبارها وروح العزة المسيطرة عليها ، مما يدل دلالة قطعية على ان كاتبها كان يعيش في حقبة مجيدة من تاريخ المغرب .

وربط الاسلوب بالشخص وبيئته امر أصبح واضحا في النقد الادبي ويمكن ان يكون قرينة تاريخية تعين على معرفة الحقائق وتصورها ، ولهذا لا يمكن الفصل بين الرحلات وأساليبها ، ولا بين الاساليب واشخاصها وبواعثها .

ونحن اذا ربطنا بين هاته الرحلة وبين تاريخ المغرب فسنجد الظروف تعزز هذا الراي وتدل على ان الرحلة كتبت بعد حوادث ذات شان في تاريخ بلادنا فالرحلة وقعت بين عشرين شوال سنة 1193 هـ والسادس والعشرين من رمضان سنة 1194 هـ .

وهذا التاريخ يقابل الفترة التي كان المولى محمد ابن عبد الله يتم فيها ما بدا ويضيف الى اعماله الجليلة ما لا ينسى من الاعمال .

ان المغرب في عهد المولى محمد شاهد احداثا جساما وحقق انتصارات عسكرية وسياسية ، فهو ليس شبيها بفترة الاضطراب الذي كان مسيطرا قبل ولايته بسنوات قليلة .

ويكفينا دليلا على ذلك ابراز هذه المواقف التالية حسب السنوات :

اولا في سنة 1176 هـ عقد الصلح بينه وبين جنس السويد .

ثانيا في سنة 1179 هـ جددت معاهدة السلام بين المغرب وفرنسا لتكون امتدادا للمعاهدة التي كانت بين المولى اسماعيل ولويس الرابع عشر (14) .

ثالثا في سنة 1181 هـ اقيمت معاهدة سياسية تجارية بين المغرب والدانمارك .

رابعا في سنة 1182 هـ فتحت الجديدة واستردها المولى محمد بن عبد الله من يد البرتغاليين

خامسا في سنة 1183 هـ اصبحت البرتغال تطلب الامان والمهادنة .

سادسا في سنة 1188 هـ وقع حصار مليلية لولا وجود خلاف حول بنود الصلح مع اسبانيا (15) .

ومثل هاته الحوادث في تاريخ المغرب ترفع من شانه عسكريا وسياسيا وتجعل المواطن المغربي يشعر بعزته ويفتخر بكرامته ويسجل وقائع بلاده بكل افتخار وهذا هو التعليل الواضح للاسلوب المقرون بالعزة في كتاب ابن عثمان .

---

(13) الاستقصا الناصري ، الجزء الثامن ، طبعة دار الكتاب ، صفحة 32 .
(14) يوجد نص هذه المعاهدة كاملا بكتاب اتحاف اعلام الناس ، ج 3 ، صفحة 266 .
(15) قال ابن عثمان في الرحلة هاته صفحة 141 عن هذا الحصار ، انه وقع في أوائل شوال سنة 1188 هـ ويوافق ذلك ما عند الضعيف وفي الاستقصا يؤرخ لهذا الحصار بأوائل محرم سنة 1185 هـ .

ونحن اذا انتقلنا من الاطار السياسي للرحلة الى الاطار الادبي فاننا نجد المؤلف قد نهج فيهـــا نهجـــا واضحا وكتبها وفق تصميم محدود واستعمل فيهـــا اسلوبا واقعيا يربط بين الاسلوب العربي العادي وبين الاسلوب المغربي الواقعي الذي لا يهمل المصطلحات المغربية ولا يلغي مفاهيمها .

وهو منهاج سليم ، ولكنه يحتـــاج الى شـــرح وتحليل يعين القراء الذين لا علاقة لهم بالمصطلحـــات المغربية ، وهذا العمل يمثل جزءا من مجهود الاستاذ الفاسي حينما حقق هذه الرحلة وعلق عليها وجعلهـــا اول منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، فلقد اخرجها في حلة قشيبة وشرح من الكلمات ما ليس معهودا ، لدى عرب المشرق وحاول ربط هذه الكلمات باصولها في العربية الفصحى او في اللغة الاسبانية او في اللغـــة التركية حسب الاستعمال في الدارجة المغربيـــة ، وعمل جهد امكانه في تحديد المقصود مـــن بعـــض الكلمات الدالة على المدن أو المداشر أو القـــرى أو المصطلحات الصناعية أو غيرها .

ورغم موقفه هذا فقد اخـــل بشـــرح بعـــض المصطلحات او ببعض التعليقـــات التاريخيـــة ، ولا يوصف بالكمال الا الله .

ولا بأس أن أتحدث عن بعضها خدمة للعلم مـــع احترامي الكامل للاستاذ الفاسي وتقديـــري لعملـــه الجليـــل .

اولا : هناك اخطاء مطبعية كان من الاولى وضـــع جدول لها ، ومن هاته الاخطاء ما هو واضح يستطيع القارىء أن يعرفه بسهولة ككتابة لا يقفل مثلا عوض لا يغفل ، وهناك ما ليس بواضح الا بعد التثبيت وبعـــد الاستعانة بالمعلومات الخارجية ، ومن ذلك قوله عند الاشارة الى حادثة اصيبت بها احدى اسر الاندلس في عهد ملوك بني الاحمر : ((وذلك على عهد السلطان حسن آخر ملوك غرناطة (16))) مع ان المراد ذكر السلطان محمد وهو آخر ملوك النصريين ، وفي الخط العربي قد يقع الالتباس بين حسن ومحمد ، وهذا الخلط قد يكون وقع في النسخ وقد يكون وقع عنـــد تنضيـــد الحروف وتهييئها .

ثانيا : هناك غفلة عن تصحيح خطا وقـــع فيـــه المؤلف حينما نسب علي بن حمود الادريسي الى عمر ابن ادريس بن حسين بن حسن بن علـــي بن أبـــي طالـــب (17) .

وهذه النسبة لا حقيقة لها ، ولم أدر كيف وقـــع الخلط فيها على المؤلف رغم دقته في اخباره او عدم التنبه لها من طرف الاستاذ الفاسي رغم حرصـــه على سلامة تحقيقه .

فالحموديون منسوبون الى عمر بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وهذه النسبة لا خلاف فيها بين المؤرخين ، وان كان الخلاف موجودا فيما قبل عمـــر (18) .

ثالثا : قال المؤلف في الصفحة الخامســـة والعشرين انه تأهب للسفر من مدينة قالص يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائة والف ثم توجه من قالص الى مدينة ليز له ذي اليون ، ثـــم توجه منها الى بعض القرى والمداشر ، الى ان وصل الى مدينة اشبيلية ، ثم قال بعد نهايته من زيارة هذه المدينة (19) : ((وسافرنا من اشبيلية يوم الاثنيـــن الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائـــة والف بعد ان اقمنا بها يومين)) . وهو نفس التاريـــخ المذكور اعلاه ، وان لم يكن نفس اليوم .

واختلاف اليوم دليل على أن الخطا انما وقع في التاريخ الثاني ، ومع ذلك لم ينتبه الاستاذ الفاسي الى هذا الاضطراب عند المؤلف ، وجعل الموافق للتاريخ الاول 21 دجنبر 1779 م ، وجعل الموافق للتاريـــخ الثاني عشرين دجنبر من نفس السنة من غير ان يراعي الفرق الزمني الذي اهمله المؤلف أيضا .

(16) الاكسير في فكاك الاسير ، صفحة 177 .
(17) نفس المصـــدر ، صفحـــة 16 .
(18) يظهر لك هذا الخلاف اذا قارنت بين ترجمة علي بن حمود في كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي وبين ترجمته في الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ، صفحة 247 .
(19) الاكسيـــر ، صفحة 49 .

رابعا : رغم المجهود الذي بذله الاستاذ الفاسي في شرح الكلمات ورغم براعته في ذلك فانه لم يشرح الكلمتين التاليتين شرحا دقيقا .

اما الكلمة الاولى فهي البساط ، فسرها الاستاذ الفاسي بقوله : (20) ((البساط قاعة فسيحة في طابق علوي من المنزل المغربي في ديار الاكابر ، له نوافذ تطل عادة على البساتين والرياض)) ، وهذا التفسير يتلاءم مع مفهوم البساط من حيث كونه حجرة ، ولكنه لا يتلاءم مع ما عناه المؤلف ، اذ المقصود به نوع من الزخرفة يقابل ما يعرف بالتسطير .

اما الكلمة الثانية فهي الشماريخ ذكرها المؤلف حينما مر على احدى الغابات قبل وصوله الى قرطبة : (21) ((ولما خرجنا من الغابة المذكورة اشرفنا على مدينة قرطبة وسرنا في أرض شماريخ كثيرة الطين لا يسلك منه الا بمشقة نحو ساعتين)) ، وفسرها الاستاذ الفاسي تفسيرا لغويا دون أن يبين المقصود منها داخل الكتاب فقال : ((الشمراخ في اللغة هو العثكال وهو العيدان التي يكون عليها التمر في النخيل وهو بمثابة عنقود العنب في الكرم ، ولا شك انه عبر بهذه الكلمة عن شيء آخر كانت تطلق عليه هذه اللفظة في عامية المغرب في وقته)) ومعنى هذا عدم تمكن الاستاذ الفاسي من معرفة حقيقة الاستعمال المقصود بهذه الكلمة في العامية المغربية آنذاك في حين انه لو تتبع مضمون الرحلة بدقة لوجد المعنى المقصود داخل بعض فقراتها ، فقد قال ابن عثمان حين خروجه من مدينة الكاربا (22) : ((وسافرنا من المدينة المذكورة الى مدشر يقال له لرديه ذي الري والري بلغة الاسبانيين الوادي لان هذا المدشر على الوادي الكبير ، فوصلناه على ثلاث ساعات ونصف كلها بلاد جيدة كبيرة ، وهي المسماة عندنا بالشماريخ اشبه شيء ببلاد الاحيانية ترابا وكدى ، وأهلها أهل فلاحة كثيرة)) .

وعليه فمفهوم الشماريخ في اللغة المغربية في عهد كاتب الرحلة يدل على الارض الجيدة الكبيرة ، ولقد اخبرني صديقنا الاستاذ ابراهيم الطويل بأن هذه الكلمة تطلق اليوم على الاراضي الرعوية الشاسعة وتستعمل بدون ياء ، فيقال فيها الشمارخ ، وبناء على هذا نلاحظ أن استعمالها المعاصر ما زال قريب الدلالة من استعمالها المعهود أيام ابن عثمان وهو استعمال لم ينتبه اليه الاستاذ الفاسي المحترم .

خامسا : البت بأن المؤلف لم يعتمد على أي كتاب مطلقا سوى ما كان من الاشارة الخفيفة لرحلة الوزير في افتكاك الاسير المدونة من قبل الكاتب محمد بن عبد الوهاب الغساني سفير المولى اسماعيل الى اسبانيا (23) .

والمطلع على رحله ابن عثمان يشعر بالعلاقة الموجودة بين معلومات الكاتب وبين أصولها ، وان لم ينص عليها ، ولكننا رغم ذلك نجده اعتمد زيادة على ما ذكره الاستاذ الفاسي على كتاب نفح الطيب للسان الدين ابن الخطيب ، فقال عند وصوله الى مدينة أوريوله (24) : ((فوصلنا بلدة يقال لها اوريوله ، ويسميها النصارى اورويلة على خمس ساعات وهي طرف عمالة بلنسية ، ورجعنا الى أرض مرسية لاننا لم نسلك في بلاد بلنسية الا في هذا المقدار القليل والا فهي ارض كبيرة وعمالة متسعة مثل مرسية . وأوريوله بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم الياء هكذا ضبطها في نفح الطيب)) .

ومن هذا النص الواضح نستطيع ان نتبين الدقة في التحقيق التي كان يمتاز بها الكاتب ابن عثمان وقوة ملاحظته واعتماده الكامل على الكتب الشهيرة ، وان لم ينص عليها ، وقدرته على المقارنة بين ما هو مشهور في الاستعمال العربي وما يقابله في الاستعمال الاسباني .

ونجد في هذا النص ايضا ذكرا لكتاب نفح الطيب وهو ام المصادر في بابه ، ويعتبر مصدرا آخر مذكورا في الرحلة زيادة على المصدر الذي ظن الاستاذ الفاسي انفراده في هذا الكتاب وانعدام غيره .

---

(20) الاكسير في فكاك الاسير ، صفحة 34 .
(21) نفس المصدر ، صفحة 55 .
(22) نفس المصدر ، صفحة 67 .
(23) نفس المصدر ، صفحة 101 .
(24) نفس المصدر ، صفحة 159 .

سادسا : نلاحظ في الفهرس الثاني المتعلق بالاعلام التاريخية خللا ناتجا عن الملاحظة الاولى المتعلقة بالاخطاء المطبعية او بالاخطاء غير المصححة في النسخ الاصلية ، فقد ذكرنا هناك الخلط الذي وقع عند ذكر آخر ملوك بني الاحمر ، فقد قال المؤلف :
((وذلك على عهد السلطان حسن آخر ملوك غرناطة))
ولكن تكرر الحديث عن هذا السلطان في الصفحة التالية فكتب على اصله دون وجود الخطا وسمي محمدا .

فتصحيح الخطا اذن واضح والقرينة ظاهرة ، فليس هناك أي داع لوجود التناقض في فهرس الاعلام لكن الاستاذ الفاسي ذكر في حرف الحاء (حسن) آخر ملوك غرناطة وأشار الى الصفحة 177 ثم ذكر في حرف الميم (محمد بن أبي الحسن بن سعد ... آخر ملوك بني نصر الذي اخذت على يده غرناطة ، وأشار الى الصفحة 178 ، ولم ينتبه رغم اختلاف الاسم ، فنعت كل واحد منهما بأنه آخر ملوك غرناطة ، وهذا سهو واضح لا يحتاج الا الى تركيز التحقيق .

ورغم هذه الملاحظات البسيطة فاننا لا نستطيع انكار الجهد الذي بذله الاستاذ الفاسي في تحقيقه لهذه الرحلة المفيدة التي لم يقتصر فيها الكاتب على الملاحظات العمرانية والسياسية ، بل اضاف اليها مشاهدات اخرى تتصل بالعوائد والتقاليد وترتبط بالدين والاخلاق .

ولقد كان أهتمام ابن عثمان بالشؤون الدينية قويا ، شأن الرحالة المغاربة في مختلف العصور ، ويظهر ذلك في خواطره وسوانحه التي في هذا المجال .

ولا بأس من أن نورد بعض ذلك تتميما للفائدة وابرازا لجانب آخر من الجوانب التي عني بها ابن عثمان في رحلته .

اولا نلاحظ نقدا متواصلا للرهبان في جميع اجزاء الرحلة ، ويكاد يتهمهم بالانحراف الباطني وبالنفاق في السلوك ويسخر من المسيحيين الذين يستغفرونهم ويلتجئون اليهم ليعترفوا بالذنوب المرتكبة وبالمخالفات الصادرة ، وكأنه يرى في موقفهم هذا تذللا لغير الله واعترافا بالواسطة التي يشك في نزاهتها وصدقها ، ولهذا قال (26) : ((وربما خلا راهب بامراة حسناء جميلة اذا ابصرتها العيون ترجع وهي كليلة ، فتقر بذنبها المستور ، لكن بعد أن يرخى عليه وعليها الستور ، فتخبره بما اسرت واعلنت ، ويلزمها أن تصدقه الخبر ولو زنت ، فيغفر لها بعد أن تنوي التوبة ، وربما تعده بالاوبة ، وتخرج من عنده وذنوبها قد غفرت ، وعيوبها للورى قد نشرت !)) .

ثانيا : نلاحظ أنه بسط الحديث عن الصوم عند المسيحيين ، ولكنه ابدى تعجبه من الكيفية التي يرخص بها للفرد في عدم القيام بهذه الفريضة ، فقد ذكر أن اذنا من الراهب يكفي في تحرير الفرد من الالتزام بما فرض عليه ، ولكن لا يتوصل الى هذا الاذن الا بدفع قدر من المال للكنيسة يفرضه البابا فرضا ويصرفه في تجهيز المراكب البحرية (27) .

ثالثا : نلاحظ انه كان يستخف ببعض التشريعات التي لا يستفيد منها الا الاغنياء ، ومن ذلك رخصة البابا الممنوحة لمن اراد أن يتزوج ببنت أخته ، ولهذا قال عند حديثه عن البابا (28) : ((وهو الذي يحل لهم ويحرم عليهم ويشرع لهم شرائع كفرياتهم على وفق ارادته ، ويحل لهم نكاح المحارم مثل بنت الاخت ، وهي حرام في دينهم ، لكن لا يقدر أن يتوصل الى نكاح ابنة اخته الا من كان ذا مال وجاه ، ويعطي على ذلك أموالا كثيرة فحينئذ يؤذن له في تزوجها لمسوغ يستنبطه ، وقد رأيت حاكم قالص تزوج بنت اخته فهم له أتبع من ظله واطوع من نعله)) .

رابعا : تسجيله لمناقشة دينية تتعلق بالاقانيم الثلاثة وبمفهوم التثليث عند المسيحيين وكيفية معارضته لها اعتمادا على النصوص الدينية وعلى الحجج العقلية .

ولقد كان في هذا الحوار قوي الحجة واسع الفكر اعتمد على أسس التوحيد في مفهوم المعية الالهية ، ولكنه لما لم يجد اذنا صاغية من الفراطي ترجمان

(25) نفس المصدر ، صفحة 215 .
(26) نفس المصدر ، صفحة 106 .
(27) نفس المصدر ، صفحة 110 .
(28) نفس المصدر ، صفحة 110 .

الطاغية الممثل للاتجاه المسيحي في الحوار ، قال (29) :
((فصمم الكافر على كفره أهلكه الله فأعدت معه الكلام في شأن عيسى فقلت عن زعمك الفاسد انه الله ، فكيف يمكن أن يقدر عليه اليهود ويتسلطوا عليه ويفعلوا به ما ذكرتم ، ولا يقدر ان يمنع نفسه ، فهذا عجز . فقال ان ذلك بارادته ، فقلت وبأي سبب ، فقال اراد أن يخلص الناس من الخطيئة التي اخطاها ابونا آدم ، لان بني آدم اخذوا بذنب ابيهم فأراد أن يخلصهم من الخطيئة وفداهم بنفسه ، بذلك الالم على شرط ان يصبوا الماء على رؤوسهم وهو ماء المعمودية والاسم التعميد ، وهو بلغة الفرس وكل من يولد بعد ذلك يذهب به الى الكنيسة ويصب القسيس على راسه ماء المعمودية ويقول حين صبه عمده بالاب والابن وروح القدس . فقلت له هؤلاء اليهود الذين تزعمون انهم قبضوا المسيح وقتلوه وصلبوه ، (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا) . أخطئوا أم لا ؟ ، فقال اخطئوا ، فقلت له انت تقول ان المسيح أراد ان يخلص الناس من خطيئة ادم فقال نعم ، فقلت كيف حال هؤلاء الذين تزعمون انهم فعلوا بالمسيح ما ذكرت خلصهم من خطيئة فعلها غيرهم واوقعهم فيما هو أعظم منها ، على ان آدم صلوات الله عليه تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وبنو آدم لم يتعلق بهم شيء من ذلك ، (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ، والانبياء مغفور لهم وأنتم تسلمون ذلك وهم ولد آدم . فصمم على اعتقاده الذميم وحاد عن الطريق المستقيم .

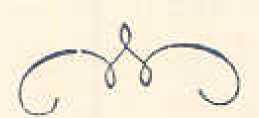
وهو في هذا النص يبرز عنصرا من الحوار الديني المبني على أسس من المنطق والمعتمد على نصوص تنزيهية لا يختلف مضمونها عن التصور العقلي .

وهذه الظاهرة في الاستدلال تدل دلالة قطعية على مدى انتشار التعليم الديني في عهد المولى محمد ابن عبد الله وعلى مدى ربط الايمان بالعقل عند الكتاب المقربين للدولة والممثلين لها في السفارات الرسمية .

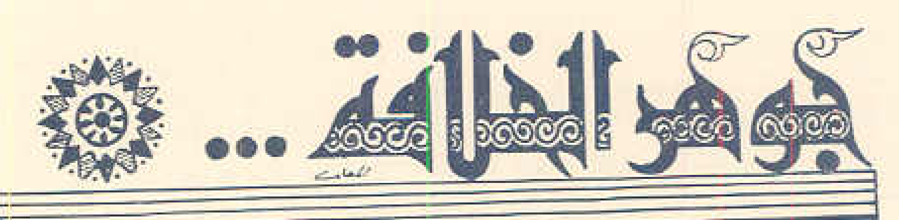
هذه نظرة وجيزة ربطنا فيها بين الاسباب السياسية والاجتماعية وبين الاسباب الدينية ، وابرزنا فيها خصال هذا الكاتب العبقري وجعلناها دراسة جزئية لبعض الملامح المتجلية في رحلة ابن عثمان المحتاجة الى دراسات متنوعة حسب الاختصاصات التاريخية والاجتماعية نتمنى أن يجد فيها القراء تصويرا لمنهاج ثقافي وسياسي ممثل للحقبة التي عاش فيها المولى محمد بن عبد الله رحمه الله .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(29) نفس المصدر ، صفحة 116 .







جوهر الخلافة...

للأستاذ الشاعر المدني الحمراوي

اقسمت انك ملهم وموفق — يا من مقاله بالفعال مصدق
ولانت فى كل المفاخر سابق : — من قال : حسبي منجم او فيلق
يا ابن الذين انا بهم متولع — وبحب معشرهم فؤادي يخفق
وبمجدهم شعري يغني هاتفا — فيطيل فى انشاده ويرقق
ما أنت يا مولاي الا رحمة — بعناية الرحمن فينا تنطق
جمع الاله لك الفضائل كلها — فجعلت من فيض الفضائل تغدق
وحبوتنا منها باطيب نعمة — لولاك ما كنا لها نتذوق
لا غرو ان محضتك ودا خالصا — مهج بشخصك لم تزل تتعلق
اضحيت فى اعماقها متغلغلا — فعليك من كل الطوارق تشفق
تمسي وتصبح عنك تسال نفسها — ويحثها شوق اليك مؤرق
وترى سلامتها سلامتك التى — هي عندها من كل شيء اسبق
يفديك من كل النوائب كلها — وشعورها بك هائم ، بك محدق
آثرت انك ان تعيش سوى لها — فغدت تبادلك الشعور وتصدق

— ❊ —

فتجاوب الطرفان : عرش صالح ... نادى ، وشعب للنداء يصفق
عرش ولكن الامامة روحه ... تسمو به فى جوها وتحلق
ميرائها ميراث صدق عاصم ... فمع الهدى خطواتها تتنسق
باسم الاله وبالكتاب تاسست ... لا بالتجبر والتطاول ترهق
وشعارها فى كل عصر رحمة ... وتعاون حق ، وسعي اليق
وملوكها لا كالقياصر غلظة ... بل هم خلائف بالهدى تتخلق
وهم الرعاة الصالحون ، ائمة ... نور الولاية فوقهم متالق
هم الرعية همهم ، فاذا بكت ... عين رايت دموعهم تترقرق
يتقاسمون مع الرعية عيشة ... فالحب بين الجانبين موثق
ارايت انبل دولة تاريخها ... متعطر ، وصنيعها متفوق ؟
فهي التى بنت الفخار ، ولم تزل ... تبني وتعلي صرحه ، وتنمق
والمغرب الراضي يبارك سعيها ... ويحوطها بحنانه ويطوق
ويمدها شعب بطاقة حبه ... فيرى عوائد برها تتدفق
من جانب الصحراء هب ليوثها ... يحدوهم القصد النبيل الاصدق
والحق والايمان اس نظامهم ... وسيوفهم تئد الفساد وتمحق
جمعوا على قطب العدالة امة ... كانت باهواء البغاة تفرق
بعثوا السيادة غضة عربية ... علوية ، بعفافها تتمنطق
سفرت فمال الغرب نحو خبالها ... واهتز للنبا الجليل المشرق
وغدت تواصل سيرها عذراءنا ... والله يحرس خطوها ويوفق
وحماتها فوق السروج عروشهم ... فالخيل منهم كل حين تقلق
وسميرهم خلف الستائر مصحف ... وتهجد يضنيهمو ويؤرق
لله كان جهادهم ، ولامة ... قد انقذوها من خطوب تطبق
نهضوا بها بعد الهمود بهمة ... هي من سواها فى المضايق اصدق
فاذا الحمى فى ظلهم مترفه ... واذا الزمان عن المنى يتفتق
واذا يد الاشراف تطفيء جمرة ... وتلم شعبا شمله متمزق
وضعوا على اسس النزاهة عرشهم ... فاذا الخلود لعرشهم متحقق
يعلوه منهم كل اصيد حازم ... فتراه في جو العلاء يحلق
ماضيه يربطه الفخار بحاضر ... يعتز بالحسن العظيم ويشرق
املى على الزمن الحديث صحائفا ... فى الخافقين لها حديث شيق
تدلي باروع قصة قد عاشها ... عرش ، وشعب ، والعدو المرهق

كان الكفاح بداية ونهاية … فيها ، وكان حوارها يتحرق
فاذا النتيجة فرحة وتحرر … والعرش فى صدر المسيرة يسبق
واذا بأيام الرشيد رواجع … وبنود اسماعيل فينا تخفق
واذا سليمان العظيم كأنه … حى يبث علومه ويدقق
عاش بعيد ادبرت ازمانه … يبدو كأنه مستجد ريق
همم من الحسن استردت عهده … وغدت بتالده طريفا تلحق
بطل تمحض للجهاد كأنما … بين الجهاد وبين عزمه موثق
له فى ميادين الجهاد صدارة … هو فى مفاخرها الزعيم الاسبق
قد شب فى ذاك العرين ، فصيته … فى العالمين مغرب ومشرق
احيا بصدق جهاده امجادنا … ومضى ينمى ثروة ويدفق
فالارض من سعي الهمام بهيجة … خضراء ، بالخير المبارك تفهق
عمل تكامل فى ميادين العلى … فى كل واد فضله متدفق

— * —

يا من تطاوعه الغيوب بنظرة … فيشق أستار الغيوب ويخرق
ابصرت ما يأتي بنور بصيرة … فكأن فكرك فيه عين ترمق
واتى كما قدرته ، فتحققت … لك فى الغيوب فراسة لا تخفق
ارسلت جيشك والهدوء مخيم … فاذا الهدوء ـ كما رأيت ـ ملفق
واذا بحرب كالبروق مريعة … هبت تحطم خصمنا وتمزق
حطت على «الجولان» كلكل ثقلها … وسهول « سيناء » فيها تفرق
وقع الزلازل والصواعق دونها … وهياج بركان أخف وارفق
لم تشهد الدنيا لها من مشبه … عن وصفها عجز الحجى والمنطق
رفعت لنا فى مصطلاها راية … منصورة فوق النجوم تعلق
اعلى جنودك بالبطولة رمزها … والنار تلتهم الحديد وتسلق
حدث اضاف الى تليد شامخ … مجدا طريفا بالعلى يتألق
انت الذى دبرته بشجاعة … وروية ، وبهمة لا تلحق
الهمت ذلك حكمة ورجاحة … لولاك لاخترم المساعي مزلق
فابنت انك فى زعامة يعرب … فذ ، بمنزلة الصدارة اخلق

— * —

يا من بحنكته العروبة اصبحت … عملا وسعيا لا شعارا يبرق

اخذ القياد بقوة فمشى على ... هدي ، ولم يعبأ بمن يتشدق
فاذا بكل يد اليه مشيرة ... واذا باصنام السياسة تصعق
واذا بصف العرب خلفه جامع ... من حوله متكتل متوثق
واذا الجهاد حقيقة من بعد ما ... عد الجهاد من المحال معوق
واذا الامامة واقع متحقق ... ما بيننا فيه الكتاب مطبق
نادى امير المومنين محرضا : ... باب الجهاد مفتح لا يغلق
حتى يوفر للعروبة حقها ... ويذاد عن اوطانها متلصق
ويزول عن قدس النبوة منكر ... متسلط متدنس متفسق
فالآن اصبحت الخلافة جوهرا ... لا هيكلا بنبال نقد يرشق
تحتاط للدين الحنيف ، وتفتدي ... حرماته من كل هول يطرق
وتعاهد القدس الشريف بأنها ... ستفكه من غاشم لا يشفق
فتعيد يوما مثل « خيبر » حاسما ... تشوى «قرود» الخزي فيه وتحرق

— * —

يا ايها الحسن المؤيد انها ... حسناتك الجلى بفخر تعبق
جردت عزمك للجهاد مصمما ... تجلو عن الاسلام كربا يقلق
فأعدتها نبوية سلفية ... عصفت بريب مشكك يتحذلق
وأثرت فى دنيا العروبة عزة ... وحمية كادت تذوب وتزهق
فتحرك الكون الكبير مدويا ... حتى تخاله من جديد يخلق
من شاطىء الغرب البعيد الى شفا ... شط الخليج تحمس وتشوق
الله اكبر والجهاد شعاره ... والى الشهادة شوقه متحرق
يا باعث الامجاد من ارماسها ... هذا فخارك شامخ ومروق
يا منعش الاسلام من عثراته ... تالله انك المكارم معتق
يا رائدا تقفو خطاه هداية ... فى كل ما يسعى له وينسق
سلمت حياتك يا مجدد امة ... يحيا لها ، وبها حنانه يرفق
قد عاهدتك على الولاء قلوبها ... ولها بعرشك صبوة وتعلق
فليكلأ الرحمن اقدس وحدة ... يسمو بها ود وثيق مطلق
بروابط القرآن احكم ربطها ... فلها ذمام فى الهدى متعمق

— * —

مولاي ! حقا ان فضلك معجز ... من راح فى احصائه يتعمق

لا شك انك بالعطاء مؤيد ... من واهب احسانه بك يحدق

ها انت في كل المحاسن مفرد ... ولمطمح العرب الأباة تحقق

ولما يحوط المسلمين ودينهم ... تسعى ، وتنصح بالوفاق ، وتنفق

فاسلم لامتك التى تحيا لها ... املا به ريح السلامة تنشق

ولتفتخر بولي عهدك اسرة ... هو فى منابتها اصيل معرق

واهنا بأعياد يسرك بشرها ... وتعود والدنيا بوجهك تشرق

دامت لعرشك عزة موصولة ... يزهو بها دهر بفضلك ينطق

الرباط ــ المدني الحمراوي





العصر العلوي الثاني : - ب -





الحياة الفكرية

للدكتور محمد الأخضر

اذا كانت حركة نهضة الآداب والعلوم قد امكنها ان تمتد طوال القرن الماضي بفضل جهود كل من السلطان مولاي الرشيد واخيه مولاي اسماعيل ، فان هذه الفترة تشهد ازدهار هذه الآداب والعلوم . ولم يكن بالامكان ان يقع غير ذلك ما دام الملكان العظيمان فيها ، وهما سيدي محمد بن عبد الله وابنه مولاي سليمان ، عالمين كبيرين وكاتبين قديرين . ونظرا لتضلعهما فى العلوم الشرعية بصفة خاصة وميلهما الشديد الى طريق القوم ، فان اكثر ما كان يحظى بتشجيعاتهما من يسلكون هذين السبيلين . وقد راينا فى القسم المتعلق بمنجزاتهما فى الميدان الثقافي المجهودات التي بذلاها فى هذا المضمار ، والوسائل المستعملة لتحقيق اهدافهما ، مما يغنينا عن تكرار ما قيل . غير اننا نذكر بأن هذه العلوم نمت واتسعت ، وانجبت من فحول الاعلام امثال المحدث الشهير ادريس العراقي المدعو ((سيوطي زمانه)) ، والصوفي اللامع المعطي بن صالح الشرقي مؤلف الكتاب الضخم ذخيرة الفني والمحتاج ، والفقهاء الكبار ابن كيران ، والرهوني ، وحمدون بن الحاج . (1)

وحتى التاريخ والتراجم اللذان لم يكن لهما شأن يذكر اثناء القرن الماضي ، اخذا يسجلان فى هذه الفترة تقدما بينا مع محمد بن الطيب القادري صاحب نشر المثاني الذى ترجم فيه لاعلام القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، والضعيف الرباطي ، وابي القاسم الزياني المؤرخين المشهورين (2) .

كذلك فن الرحلات الذى بدا يتطور على عهد السلطان مولاي اسماعيل ، بسبب ارساله السفراء الى اوربا ، قد ازدهر اكثر لهذا العهد . والواقع ان الملوك الثلاثة لم يالوا جهدا فى اقامة احسن

---

(1) ستاتي تراجم جميع هؤلاء الاعلام .

(2) ذكرنا اسم ابي القاسم الزياني هنا مع انه معدود من مؤرخي العصر العلوي الثالث باعتبار تاريخ وفاته (بعد 1238 — 1823) ، لانه قضى اكثر ايام حياته الطويلة — نحو قرن من الزمن — فى خدمة الملوك الثلاثة لهذه الفترة الثانية .

العلاقات مع الدول الغربية العظمى ، وحتى مع بعض دول الشرق الاوسط كتركيا والحجاز (3) .

ان الديبلوماسيين المنتدبين لدى مختلف رؤساء الدول ، كتبوا رحلات باسلوب ادبي فائق . ومما يتعلق منها بالبلاد الاوربية ، وهي ذات طابع ادبي صرف ، فانها على العموم محررة على نسق رحلة الوزير الغساني ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ؛ مثل نتيجة الاجتهاد لاحمد الغزال الذى ارسله لاول مرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا فى نهاية عام 1179 — 8 يونيه 1766 ، والاكسير فى فكاك الاسير لمحمد بن عثمان المكناسي الذى بعث به السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الملك الاسباني نفسه عام 1193 — 1779.

اما الرحلات ذات الطابع الديني والتى يقوم بها اصحابها لاداء فريضة الحج قبل كل شيء ، فانها اكثر موضوعية وحيوية : تنقل الاحداث بامانة ، واحيانا بظرف ودعابة ، الامر الذى يضفي عليها طابعا خاصا . واشهر من يمثلون هذه الطبقة من الرحالة، ابو القاسم الزياني ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر ، واحمد الفاسي (4) .

واخيرا فان الادب بحصر المعنى ادرك أوجه تفتحه ، سواء فى ذلك الادب الفصيح والملحون . وقد ازدهر هذا النوع الاخير على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذى كان هو نفسه من شعرائه (5) .

وعاش فى هذه الفترة اكبر شعراء الملحون الذين عرفهم المغرب ، على حد تعبير م . الفاسي (6) ، وهو الشيخ الجيلالي مثيرد مخترع اكثر البحور التى تتكون منها « ميازين » هذا الفن الشعبي ، وناظم احسن القطع بالهام فائق ، مثل قصائد القصادة ، والبحر ، والدريلة (او المرسول او المرشوش) ، وفاطمة (7) . ويكاد يكون سائر شعراء الملحون من المقلدين له والمحتذين حذوه ، مثل ابن علي الشريف (ت. 1237 — 1822) ، وابن سليمان ، والبغدادي مؤلف الحراز المشهور ، والعميري (8) . وهناك شاعر آخر لا يقل شهرة عن الجيلالي مثيرد ، هو سيدي قدور العلمي الذى خصصنا له ترجمة فيما يلي ؛ وهو ان توفي بعد هذه الفترة بثمانية وعشرين عاما عن سن عالية ، فانه فى الواقع عاصر مولاي سليمان وسيدي محمد بن عبد الرحمن .

اما الادب الفصيح فيشتمل على آثار ذات طابع ادبي صرف ولو ان الموضوعات التى تعالجها تأتي فى نطاق الدين او التصوف ، وبخصوص الشعر هناك قصيدتان سارت بذكرهما الركبان فى كل ارجاء المغرب وبعض جهات الشرق العربي ، واعني بهما شمقمقية ابن الونان ، وقافية ابن عمرو الرباطي (9). على انهما لا تمتازان بغير استعمال الكلمات الغريبة الرنانة ، وتضمين الحكم والامثال المقتبسة من عصري الجاهلية والاسلام . لكن صوغ هذه الافكار بالذات فى قوالب يسهل استذكارها، هو الذى اعطى القصيدتين تلك الشهرة الذائعة .

---

(3) نذكر باهم البعثات الدبلوماسية التى ارسلت فى هذه الفترة :
أ — احمد الغزال ارسله سيدي محمد بن عبد الله الى كارلوس الثاني (آخر 1179 — 8 يونيه 1766) .
ب — احمد الغزال ايضا ارسله سيدي محمد بن عبد الله الى الجزائر (1182 — 1768) .
ج — ابن عثمان المكناسي ارسله سيدي محمد بن عبد الله الى كارلوس الثاني (1193 — 1779)
د — ابن عثمان ايضا ارسله نفس السلطان الى مالطة ونابلي (1196 — 1782) .
هـ — ابن عثمان ايضا ارسله نفس السلطان الى تركيا (1200 — 1786) .
و — الزياني ارسله نفس السلطان الى تركيا ايضا (فى نفس السنة) .
ز — الزياني ايضا ارسله مولاي اليزيد الى كرلوس الرابع (1204 — 1790) .

(4) ستأتي تراجم جميع هؤلاء الاعلام .

(5) انظر م . الفاسي ، الادب الشعبي ، « الملحون » فى مجلة البحث العلمي ، العدد الاول ص 58 .

(6) المصدر السابق فى نفس الصفحة .

(7) نفس المصدر ، ص. 59 — 60 .

(8) المصدر السابق ، ص. 60 .

(9) ستأتي ترجمة هذين الشاعرين .

واذا نظرنا الى النثر فى هذا العصر وجدناه - كالشعر - قد اكتسى طابع التصوف كما تشهد بذلك المؤلفات العديدة .

وحتى لا نضرب الا مثلا واحدا نشير الى ان ابا مدين الفاسي ، وهو من اكبر كتاب العصر ، ترك ثلاثة كتب شهيرة تتسم كلها بهذا الطابع ، وهي : المحكم فى الامثال والحكم ، وتحفة الاريب ونزهة اللبيب ، ومجموع الظرف وجميع الطرف .

ويعتبر هذا الاتجاه الرامي الى الاستفادة من الامثال والحكم قصد استخراج قواعد السلوك فى طريق القوم الميزة الرئيسية للعصر .

ج - الرجال وآثارهم

احمد الهلالي السجلماسي (10)
(1761 - 1701 = 1175 - 1113)

هو احد الفقهاء الاعلام والمشاركين النابهين ، اسمه الكامل ابو العباس احمد بن عبد العزيز بن رشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد بن ابي اسحاق ابراهيم ابن هلال السجلماسي . ولد بسجلماسة عام 1113 = 1701 ، ومات بمدغرة تافيلالت يوم الواحد والعشرين من ربيع الاول عام 1175 = 20 اكتوبر 1761 .

تتلمذ الهلالي فى مسقط راسه على احمد الحبيب اللمطي ، وحضر فى فاس مجالس احمد بن المبارك السجلماسي ، ومحمد الكندوز ، ومحمد الكبير السرغيني ، قبل ان يستقر فى تافيلالت ويتفرغ للتدريس بها . وقد حج مرتين اجازه اثناءهما علماء مشارقة ، ممن بينهم محمد الحفناوي المصري (11) .

وتخرج على يد الهلالي عدد من الطلبة لمعت اسماؤهم فيما بعد، كمحمد بن الطيب القادري (12). ويروى ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما بويع بالخلافة سال ابا حفص الفاسي عن اكابر علماء العصر ، فاجابه : « الاحمدون الثلاثة » يقصد بالاضافة الى مترجمنا احمد بن عبد الله الغربي الرباطي (13)، واحمد بن محمد الورزازي التطواني (14) . وقد ايد هذه الشهادة علماء آخرون كانوا حاضرين بالمجلس ، من بينهم محمد التاودي ابن سودة .

الف احمد الهلالي كتبا عديدة نظما ونثرا يمكن ترتيبها هكذا :

ا - فى الفقه والعقائد :

1 - نور البصر فى شرح المختصر (15) . لم يتم .

2 - المراهم فى الدراهم (16) .

(10) ترجم له ل . بروفنسال ، شرفاء ، ص. 316 - 317 واورد مراجع ترجمته ، م. القادري النشر الكبير ، 127 - 128 ؛ ك . بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، 2 : 456 ؛ والملحق ، 2 : 390 ، ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 2 : 421 - 423 ، مخلوف ، شجرة النور ، 355 ؛ ع . العياشي، لاحياء 347 ، 350 ؛ م . السوسي ، المعسول، 4 : 32 ، 52 ؛ ع. الدمناتي ، فهرست ، مجموع ك 1254 فى الاخير ، ح. القيلالي ، المقتبس الاسمى ، مجموع ك 855 ، ص 1 - 10 ، م . الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 123 ، رقم 790 .

(11) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص. 317 وهامش 4 .

(12) ستاتي ترجمة هذين العالمين .

(13) انظر ترجمة هذا العالم المتوفى عام 1178 = 64 - 1765 عند ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 80 - 8 ، مع المراجع التى ذكرها لترجمته .

(14) ترجم له م. داوود ، تاريخ تطوان ، 3 : 85 - 92 مع ما ذكر من مراجع لترجمته . وكان الورزازي من اكابر علماء تطوان فى القرن الثاني عشر = 18 ، والف فهرست مهمة ، مات فى 18 ذي القعدة 1179 = 28 ابريل 1766 .

(15) مخطوط عدد 381 .

(16) مخطوط عدد 1081 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 11 ب الى ورقة 17 ا : المراهم فى احكام فساد الدراهم .

3 ـ شرح رجز عبد السلام القادري ، على مختصر السنوسي (17) .

4 ـ جواب سؤال عن الاستثناء في كلمة الشهادة (18) .

ب ـ **في التصـــوف :**

1 ـ قصيدة في التوسل الى الله تعالى باسمائه الحسنى (19) .

ج ـ **في القـــراءات :**

1 ـ عرف الند في حكم حذف المد (20) .

د ـ **في اللغـــة :**

1ـ فتح القدوس في شرح خطبة القاموس (21) .

2 ـ اضاءة الادموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس (22) .

هـ ـ **في الادب :**

1 ـ رحلـــة .

2ـ ثلاث فهارس ، كبرى وصغرى ووسطى .

وهذه الاخيرة هي اختصار الاولى .

3 ـ قصيدة في مدح القاموس (23) .

4 ـ قصيدة في النصائح : امثال وافكار فلسفية (24) .

5 ـ شرح قصيدة عبد السلام القادري في المنطق سماه الظواهر الفقهيـــة على الجواهر المنطقية (25) .

6 ـ ارجوزة اجاب بها عن سؤال منظوم عمن يسكن بيت المدرسة (26) .

هكذا يتبين من هذه القائمة ن لاحمد الهلالي انتاجا ادبيا لا يستهان به نظما ونثرا . ومن جهة اخرى فان قصيدة النصائح التي تحتوي على مائة وتسعة وعشرين بيتا ادركت في المغرب نفس الشهرة التي لقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) ولامية العجم للطغرائي ، وتبتديء هكذا :

يا أيها الانســان هـب من كـراك
واصح من السكر الذى قد اعتراك
ان الرحيــل يـا اخـي قريـــب
وكلنـــا مســافــر غـريـــب
والمـــوت لا يموتـــه غريـــب
فكيـــف لا يـــزود الاريـــب
فيــا لـه من سفـــر ما اطولـــه
ويــا لـه من هائـــل ما اهولـــه
كفى الحمام واعظا لمـن عقـــل
فانظر فكم من قاطن قد انتقل (27)

ومن نافلة القول التذكير بأن العبارات التي استعملها الشاعر هنا هي عبارات صوفية تدعو الانسان الى التهييء للحياة الاخرى بالقيام بواجباته في الحياة الدنيا ، كالمسافر الذى يستعد للرحيل . وان موضوعات هذه القصيدة التي لا تسير حسب

---

(17) مخطوطات عدد 362 د ، و 458 د ، و467 د .
(18) مخطوط عدد 1081 د ضمن مجموع ، من ورقة 7 ب الى 11 أ .
(19) مخطوط عدد 157 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 90 ب الى 91 أ ، ومخطوط عدد 1068 ، ورقة 1 ب الى 3 أ .
(20) مخطوط عدد 1371 د ، ضمـن مجمـوع ، ورقة 296 الى 303 أ . ومخطوط عدد 1641 د ، ورقة 33 أ الى 40 ب .
(21) مخطوطـات عـدد 905 د ، و 1696 ك ، و1703 ك .
(22) مخطوط عدد 269 د .
(23) مخطـــوط عـــدد 269 د .
(24) مخطـــوط عـــدد 157 د .
(25) مخطـوط عـــدد 276 ك .
(26) مخطـــوط عـــدد 194 د .
(27) مخطـوط عـدد 157 د ، ورقة 90 أ .

خطة مرسومة ، لتعطينا فكرة عن اتجاه الشاعر : اعتراف بالخطايا ، وهلع من الموت ، وتمجيد للعلم ، ومحاربة النفس والقلب والبطن والبدع ، والحث على الصمت ، وحسن السلوك مع الناس .

امحمـــد الفاســـي (28)

(1118 - 1179 = 1706 - 1765)

ابو عبد الله امحمد بن احمد بن امحمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري ، من أشهر أفراد الاسرة الفاسية . ولد بفاس عام 1118 = 1706 ، ونشأ بها في رعاية والده ، ثم تتلمذ على اكبر علماء المدينة الادريسية في عصره ، كابن عم ابيه المؤرخ امحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر ، والشيخ محمد التماق ، واحمد الوجاري ، ومحمد المسناوي الدلائي ، ومحمد الكندوز ، ومحمد بن عبد الرحمن الدلائي ، واحمد بن مبارك اللمطي ، ومحمد بن عبد السلام بناني ، ومحمد ميارة الصغير (29) .

وشارك امحمد الفاسي في علوم كثيرة ، وامتاز في الحساب والفرائض والتاريخ وصناعة التوثيق والانساب ، وكان حسن الخط حميد السيرة ، وولي الشهادة في احباس القرويين سنين عديدة قبل أن تسند اليه الخطابة بجامع الاندلس العتيق ، وادركته الوفاة بفاس في 20 ربيع الاول عام 1179 = 6 شتنبر 1765 ، ودفن بضريح جده عبد القادر الفاسي بحي القلقليين .

تكاد تكون جميع مؤلفات امحمد الفاسي في التراجم والانساب ، منها :

1 — شرح لم يكمل على درة التيجان ، وهي قصيدة لشيخه محمد بن عبد الرحمن الدلائي في شرفاء فاس (30) .

2 — ترجمة مطولة لشيخه عبد السلام القادري بعنوان المورد الهني باخبار الامام المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني (31) .

3 — فهرست للعلماء والمؤلفين المسلمين في عصره ، لم يكمل ايضا ويعتبر الآن ضائعا ، بعنوان تاليف في اعيان الاعيان الذين الفوا ، ومعهم اعيان المدرسين الذين لم يؤلفوا (32) .

4 — كناش في شرفاء المغرب ، كان يعتبر ضائعا ثم وقع العثور عليه (33) .

والف امحمد الفاسي ايضا شرحا لفقهية جد ابيه الشيخ عبد القادر الفاسي .

عبد الرحمن المنجرة الصغيـر (34)

(1111 - 1179 = 1700 - 1766)

ابو زيد عبد الرحمن بن ادريس بن امحمد بن احمد الحسني الادريسي ، ينتمي الى اسرة ادريسية من تلمسان ، نال فردان منها بالمغرب شهرة دينية وادبية : مترجمنا وابوه ادريس (35) .

---

(28) ترجم له ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 303، 318 ، 319 ، 335 واورد مراجع لترجمته ، س. العلوي ، عناية ، ص 58 — 59 ، م. القادري ، النشر الكبير ، 2 : 129 — 131 ، م. الفاسي ، الادب المغربي ، ص. 536 — 537 ، ع. ابن سودة ، دليـل ، 1 : 631 ، 228 — 252 ، و 2 : 384 ، 463 — 464 ، م. الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 18 (1، رقم 779 .

(29) ستأتي تراجم هؤلاء الشيوخ الا محمد التماق ، وقد ترجم له ل . بروفنسال ، شرفاء ، ص 318 ، هامش 7 ، ومحمد ميارة الصغير ، وترجم له ايضا ل . بروفنسال ، شرفاء ، ص 318 ، هامش 9 .

(30) مخطوط عدد 1432 ك .

(31) يسمى ايضا الروض الهني ، انظر م. القادري، النشر الكبير ، 2 : 129 ب .

(32) ع. ابن سودة ، دليل ، 1 : 252 — 253 ، نقلا عن م. القادري ، النشر الكبير ، ورقة 131 ا .

(33) ع. ابن سودة ، دليل ، 2 : 463 — 464 ، رقم 2155 و 2161 .

(34) ترجم له ل . بروفنسال ، شرفاء ، ص. 318 ، هامش 2 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 2 : 9 ، 1 . الفضيلي ، الدرر البهية ، 2 : 181 ، ك. بروكلمان، الملحق ، 2 : 698 ، ع. ابن سودة ، دليل ، 2 : 289 .

(35) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص. 318 ، هامش 1 ، وما ذكر من مراجع ترجمته .

كان عبد الرحمن اماما في القراءات . ولد بفاس عام 1111 = 1700 ، وتابع فيها دروس والده ثم دروس الشيخ المنناوي . ومات بفاس في خامس ذي الحجة عام 1179 = 15 ماي 1766 . ويمكن تصنيف مؤلفات المنجرة الصغير الى ثلاثة اصناف :

1 ـ فهرست (36) ذكر فيها شيوخه وما قرأ عليهم من فنون وكتب .

2 ـ حواش او شروح في القراءات :

ا ـ حاشية على شرح التونسي المعروف باسم الطراز في شرح ضبط الخراز ، ويسمى ضبط ابي عبد الله الخراز مورد الظمآن في رسم القرءان (37) .

ب ـ حاشية اخرى على شرح مورد الظمآن لعبد الواحد بن عاشر الانصاري المسمى فتح المنان (38) .

ج ـ شرح دالية ابي عبد الله محمد بن المبارك السجلماسي السرغيني بعنوان : المقاصد النامية في شرح الدالية (39) .

3 ـ **دراسات مختلفة :**

ا ـ فتح الهادي على بعض الفاظ نظم ابن غازي والمرادي ، وهي تعاليق في النحو .

ب ـ فتح الباري على بعض مشكلات ابي اسحاق الجعفري (41) .

المعطـي الشرقـي (42)

(ت. 1180 = 1766)

محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن امحمد الشرقي (او الشرقاوي) ، صالح ذائع الصيت ، وعالم مشارك ، واديب بارع . أصله من ابي الجعد في تادلا حيث كان رئيس الطريقة الصوفية بهذه الناحية ، ومجدد زاوية جده فيها .

وقد خصه كاتبه ومريده محمد بن عبد الكريم العبدوني (ت. 1189 = 75 ـ 1776) بترجمة حافلة ، ذكر معها ايضا تراجم افراد الاسرة الشرقية ، في كتاب ضخم بعنوان يتيمة العقود الوسطى في مناقب ابي عبد الله سيدي محمد المعطي (43) .

كان مترجمنا ، حسب رأي يتيمة العقود ، ذا احوال منذ صباه ، وكثيرا ما كان يعتريه الجذب، وحكي عنه في ذلك حكايات عجيبة تكاد تبلغ حد السحر (44) . كما كان متضلعا في جميع العلوم تقريبا ، من نحو وعقائد وفقه ، وقد قرأها على ابيه محمد الصالح ، وعمه امحمد المعطي ، وعبد القادر

---

(36) مخطوط عدد 2244 ك . وعنوانها : الاسناد الشفيع يوم التنادي وبما أحضر من الذخائر عند الانتقال من دار الكبائر .

(37) مخطوط عدد 1532 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 370 ا الى 377 ب

(38) مخطوط عدد 938 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 54 ا الى 103 ب .

(39) مخطوط عدد 379 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 206 ب الى 245 ب .

(40) ل. بروفنسال ، المخطوطات العربية ، ص . 86 ، رقم 261 (2 .

(41) مخطوط عدد 2060 ك .

(42) ترجم له ل . بروفنسال ، شرفاء ، ص. 119 وهامش عدد 2 ، وص. 330 مع هامش عدد 4 وذكر بعض مراجع ترجمته . كما ترجم له ايضا :
ـ م. ابن عبد الكريم العبدوني ، يتيمة العقود الوسطى .
ـ م. الكتاني ، سلوة ، 1 : 193 ،
ـ م. الفاسي ، الادب المغربي ، ص. 537 ا
ـ ع. ابن ابراهيم المراكشي ، الاعلام ، 2 : 161 و 5 : 46 .

(43) مخطوط عدد 305 ك، في 466 صفحة ، مبتور .

(44) من ذلك انه كان يقهر الاسود ، ويرد الخرق الممزقة الى حالة الجدة . (المصدر السابق ، ص 4 و 9) .

بن ابي القاسم الزيزي ، واصول وبيـان ومنطق ، وقد قراها على احمد ابن زاكـور الفـاسي (45) . وحديث وتفسير وسيـر ، وقد قراهـا على ابـي العافية الصومعي ، واخذ الطب عن عبد القادر بن شقرون المكناسي (46) .

غير ان شهرة المعطي الشرقي ترجع قبل كل شيء الى كتابه الضخم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعنوان : ذخيرة المغني والمحتاج في صاحب اللواء والتاج (47) . في هذا الكتاب الـذي يقع في ستين جزءا ضخما ، ويمكن ان يخـرج في نحو مائة مجلد عادي ، يبرهن المؤلف عن اطلاع واسع في الفقه والتصوف واللغة والادب . ومما جاء في المقدمة :

« لما وقفت على ما ورد فـي شـرف الـذات المحمدية ، وحسن الاعضاء الطاهرة المنورة النقية ، من الاحاديـث الصحيحـة المروية ، والآثار المقبولة المرضية ، ومابها من المحاسن الجميلـة البهيـة ، والفضائل والفواضل الجليلـة السنيـة ، سرحـت رائد فكري في رياض محاسنها الحسية والمعنوية ، وعالم سري في كنه حقيقتها المحمدية المصطفوية ، فوجدت ازاهرها الغضة الندية ، لا يقتطف جناهـا الا الاولياء والصالحون ، ولا يحوم حول حماهـا الا الاقطاب الواصلون ، والكمل العارفون ، فأحجمت نفسي هيبة لذلك المقام ، ووجمت جلالا وتعظيمـا لجناب خاتم الانبياء وسيد الرسل الكرام ، فناداني لسان الحال ، وباعث الاستشفاع والمقال ، اذ ايها المذنـب بمـلاذ الاعتصـام ، وسيـد الشفعـاء العظام .. » (48) .

ونظرا لصفاء باطن الشيخ المعطي وسمو همته، فانه اقبل على عمله الطويل الشاق ، وقضى حياته كلها في التاليف ، يملي على تلميذه وكاتبه محمـد بن عبد الكريم العبدوني المذكور آنفا . وتنسب الى المترجم كتب اخرى الا انها غير معروفة (49) .

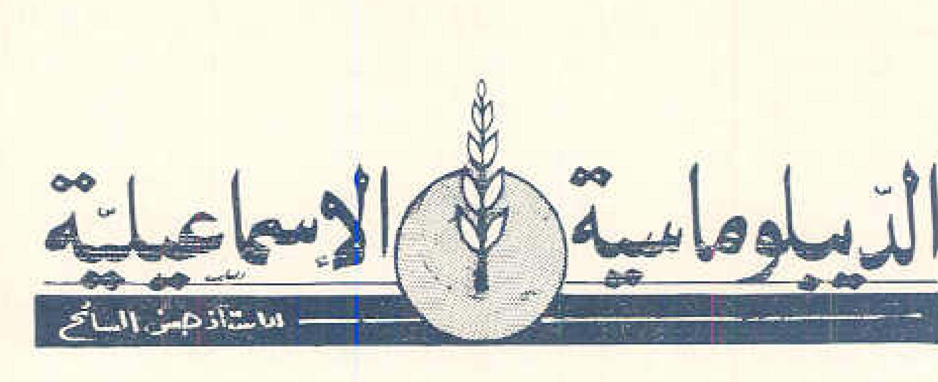
ومات المعطي الشرقي في العشر الاوائـل من محرم عام 1180 – 9 – 18 يونيه 1766 ، ودفن في داره بابي الجعد قريبا من زاوية جده الشيخ امحمد الشـرقي .

الرباط ـ د. محمـد الاخضـر

---

(45) انظر ترجمته عند م. الكتاني ، سلوة ، 3 : 353 .
(46) تقدمت ترجمتـه .
(47) مخطوطـات عـدد 2757 ك ، و 2758 ك ، و 2759 ك ، و 2760 ك .
(48) مخطوط عدد 2759 ك ، ص 1 – 2 .
(49) انظر م. القادري ، النشر الكبير ، ورقـة 131 ب .





الدبلوماسية الإسماعيلية

للأستاذ حسن السائح

بموت المنصور الذهبي ، دخلت البلاد المغربية لمرحلة دقيقة في تاريخ المغرب تتسم بالانحلال السياسي ، ومعاناة البلاد للا مركزية ، وذلك لاسباب كثيرة بسطها المؤرخون لهذه الحقبة من تاريخ المغرب بتفصيل وتحليل لا فائدة في ذكره من جديد .. وقد تكررت ماساة الطائفية بالاندلس بعد سقوط بني أمية فيها ، فظهرت في المغرب بعد ثورة السعديين الناجحة بفضل عبقرية المنصور الذهبي عدة ولايات يستقل بعضها عن بعض ، ويحارب بعضها البعض كولاية الدلائيين ، ومقاطعة شاطىء ابي رقراق ، وولاية الريسوني ومقاطعة العياشي في سلا ومقاطعة السملالي في سوس وولاية غيلان في الشمال ، ثم بروغ نواة الدولة العلوية في تافيلالت .. وقد استغلت البلاد الاوربية التي كانت تخوض عصر نهاية الاقطاع ونشوء الممالك القوية وما يتطلب ذلك من تكريس سياسي للسيطرة على البحار ، وامتصاص الثروة المعدنية والفلاحية من افريقيا وآسيا .. استغلت هذا الانحلال السياسي لتقيم علاقات ثنائية مع كل مقاطعة تعجل بضعف الحكومة المركزية ثم بتصفيتها .. ولا شك ان انجلترا كانت أحرص الدول الاوربية على تمتين مركزها الاقتصادي والبحري، ولذلك فقد وجهت سفيرها (هوادمون) سنة 1577 ليقيم صلات اقتصادية واوفاق عسكرية مع المولى عبد الملك السعدي الذي حاول من جهته ان يظهر سلطته السياسية وتفرده بالحكم فخصه باقتبال فخم شاركت فيه الجالية البرتغالية والاسبانية واقيمت فيه حفلات متنوعة ، ويذكر السفير مشاهدته لالعاب الكلاب الانجليزية والثيران، والصيد في البرك مما يظهر مدى صلة الملك السعدي بالذوق الانجليزي ومعرفته بالحضارة الاوربية ، ولا غرابة ان تسعى انجلترا لخطب ود عبد الملك السعدي بعد ما اشتدت الصلات مع والده الذي كان حليفا عظيما لها والذي كان يتمتع بصيت ذائع في أوربا بعد انتصاره في وادي المخازن حتى ان الاسبانيين أنفسهم لم يتاخروا عن تهنئته بوفد يتكون من ستين اسبانيا لابسين حللا مطعمة بالجواهر والذهب ويحملون اليه هدايا عظيمة منها (ياقوتة) في حجم الكف ، علقت بها جوهرة بقدر جوز مع زمردة في حجم التفاحة تتدلى منها زمردة طولها اصبع ، مع عقد انتظمت به اثنتا عشرة ياقوتة تشملها ست وثلاثون جوهرة ، ومائة وعشرين اوقية من الجوهر .. وكذلك هناه ملك فرنسا بواسطة سفيره كيوم بيرار الذي وثق صلته بالمنصور مذكرا بصلات فرنسا مع مولاي عبد الملك السعدي واثار تحرير الاسرى وفتح المراسي للسفن الفرنسية لاستيراد ملح البارود .. أما المنصور فقد كانت صلاته بانجلترا تعتبر جزءا من سياسته الهادفة لتحرير الاندلس ، لذلك وجه الى (اليزابيث) 1.600 وقد كان الظاهر من تحركاته الابحار في مركب انجليزي الى الاسكندرية ، وكان هدفه هو القيام بمأمورية سرية وهي تحقيق تحالف سياسي وعسكري ضد الدول المهددة للسيادة المغربية ..

ولهذا فقد نشطت الدبلوماسية الاوربية بعد موت المنصور وظهور (الطائفية) لتستفيد من الوضع المؤلم الذي عاشته بلادنا في هذه الحقبة ..

كما كان التطور الاقتصادي في أوربا والبحث عن المادة الخام من الاسباب التي اثرت التجربة الدبلوماسية في أوربا والمغرب ، ومنذ اكتشاف امريكا الجنوبية واستيلاء البرتغال والانجليز على عدة سواحل وجزر في افريقيا وآسيا والصلات تشتد في الدول الغربية والمغرب ـ اذ ان طريق السفن والمواصلات وحفظ توازن القوى الاقتصادية كان يرتكز على اسس سياسية تنمو باستمرار في المغرب والدول التي يهمها الامر ... ولا شك ان الصادرات المغربية الى الخارج كانت في حاجة الى تنظيم اسواق وفتح مجالات ولبحث عن الزبناء بالاضافة الى الصادرات التقليدية من جلود ولحوم وثمار وفواكه وعسل وسمن وريش كما ان القطن والزرابي كانت صادرات اخرى ظهرت في عصر السعديين كالسكر الذي كان يصنع في شيشاوة ومراكش وتارودنت.

لذلك ظهر عامل جديد في ميدان الدبلوماسية المغربية وهو الصلات التي تربط بين زعماء الطوائف وبين ممالك اوربا منذ بداية انهيار الدولة السعدية ، حيث كان في هذا الترابط ما يضمن لهؤلاء صداقة تمدهم بالعون المادي كشراء الاسلحة والعون المعنوي كاستنادهم الى دولة من الدول الكبرى .. ولذلك لا بدع ان نرى صلات دبلوماسية بين السعديين ، والاندلسيين الدلائيين . اما مع السعديين فيذكر دوكاستر في الجزء الثاني ص 106 من السلسلة الاولى من هولاندة ان زيدان السعدي حين انتصر عليه ابو محلى اضطر الىمغادرة آسفي والتجأ الى مرسى اكادير (سانت كروا) فاكترى في شهر جوان ـ 1612 باخرة القبطان جان فيلبي دوكاستيلان ، (ليذهب الى فرنسا ويلتجيء الى ملكها لويس 13 ليمده بالاسلحة (وكانت وردت المغرب وحملت اليه رسائل من لويس الثالث عشر والدوق دوكين) بحملها امتعته ولكن الباخرة فرت بسرعة في الشاطيء الى فرنسا وقد سرقت السفينة ايضا من طرف اسبانيين فحمل ما فيها الى اسبانيا ومن جملة ذلك خزانة كتبه التي كان عددها يتجاوز ثلاثة آلاف مجلد فاهداها الملك فيليب الثالث الى خزانة الاسكوريال ، وضعفت من اجل ذلك ثقة السعديين في فرنسا فاكترى المولى زيدان باخرة هولندية من مرسى اسفي وحملها اهله وعددهم مائتان الى اكادير والهم ان المولى زيدان كتب رسالة الى حكومة هولندة بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1020 يذكر ان سفينة فرنسية وردت الى المغرب وعليها سفير فرنسا القبطان جوهان فيليب ، الذي اوقع اتفاقية صلح بين فرنسا والمغرب وبمقتضاها فكت الاسرى الفرنسيين . واستعملت الباخرة لنقل امتعة السلطان السعدي الى فرنسا ولكن ربانيها فرا دون سبب معقول ، ولذلك أوفد زيدان السعدي سفيريه القائد احمد الجزولي وناصر قرطة ليذهبا الى فرنسا عن طريق هولندة .

والسفير الجزولي هو احمد الجزولي قاضي تارودانت وسوس كما يذكر دوكاستر مذكرة من القائد يوسف بيكاستر سفير المولى زيدان الى حكومة هولندا بتاريخ 31 يوليوز 1624 في موضوع خيانة جام ابوت الذي باع سلعة للمغرب ثم غادر البلاد دون ان يدفع السلعة التي اخذ ثمنها . وكان ممثل المغرب في هولندا (صاموبل بلاش) وهو يهودي من اسرة معروفة بالمغرب وكتب الى المولى زيدان اقتراحات على هولندا وردت عند دوكاستر (ص 55 ج الثاني ، السلسلة الاولى) وفي نفس السلسلة ج 3 ص 290 مذكرات (رووبل الهولندي 15 ابريل 1623) يذكر فيها بيع التاجر النيرلندي لاسلحة الى اصحاب بودمعة وفي نفس السلسلة ص 4 و 5 ج 4) سرد ليوميات التاجر الهولندي ادريان ماتان الذي جاء الى المغرب في 1646 على ظهر الباخرة (جينلورلاند) وكان بها السفير الهولندي لابي دميعة (انطوان ليدركيك) ليفاوض في اطلاق سراح النصارى المأسورين بسوس ـ وصاحب اليوميات يتكلم عن سوء معاملة الاسرى ناسيا ما يلاقيه المسلمون في بلاد اوربا من محن الاسر والتعذيب والاسترقاق .. والغريب ان السفير الانجليزي (هريسون) يتحدث في مذكرته المؤرخة في اكتوبر سنة 1630 على ما ينعم به تجار النصارى من حرية وامن في بلاد سوس . وفي نفس السلسلة ص 575 ج 5 يروي عن البحار هو دو لوستر (الهولندي) الذي كان يعمل في البحرية الهولندية في سفينة (سالاماندر) حياة الاسرى وافتداءهم لستة عبيد هولنديين كانوا في طريقهم الى البرازيل. ويروي في نفس السلسلة ص 571 ج 5 حكايات عن رحلة لوتير مقتبسة من حياة لوتير بقلم جرار براند وهي مطبوعة بامستردام سنة 1698 . وفي نفس السلسلة ايضا ص 470 ج 4 قرار من حكومة هولندا ولاهاي في موضوع الباخرة اراسموس التي تحطمت بشاطيء المغرب بسوس فوجهت الحكومة الهولندية رسالة الى سيدي علي بتاريخ 21 ماي

1639 اعتمادا على الاقتراح الذى قدمه السفير اسحاق بلاش الى حكومة هولندة الذي يرى ضرورة احياء علائق هولندا مع المغرب ونفوذ المغرب على غينية التى بها شركة الهند الغربية ، وفيها ما يشعر بان الحكومة المغربية كانت تعرف مدى تلاعب اليهود بالعلاقات مع اوربا ودفاع اليهود عن مصالحهم .

اما عن علائق هؤلاء مع انجلترا ، ففي السلسلة الاولى فى رسالة من وليام باجي الى ملك انجلترا هنري الرابع بتاريخ 1543 ان الفرنسيين يفكرون فى اخذ المعدن من المغرب لصنع المدافع .

وفى ص 17 ج 1 نقل عن رحلة جامس طوماس الى المغرب بتاريخ 1552 وبها ذكر للتجارة ونقل البضائع وزراعة قصب السكر . وفى السلسلة بالجزء الاول ذكر للمراسي التي تتعامل معها انجلترا وعلاقة البرتغال وانجلترا بالمراسي المغربية والمواد التى يشتريها المغرب وفى مقدمتها الاسلحة .

وفى الجزء الاول نقل عن رحلة الانجليزي هنري روبير بتاريخ غشت 1585 وتمثله للملكة اليزابيط فى المغرب ومفاوضته مع السلطان السعدي ووزيره ابراهيم السفياني وتوجه السفير المغربي (مرزوق) الى ملكة انجلترا . وفى الجزء الثالث فى السلسلة الاولى من رسالة من سيدي علي الى شارل الاول ملك انجلترا فى موضوع الاسرى بتاريخ صفر سنة 1040 موافق 1630 .

وفى ص 235 ج 3 عريضة للتجار الانجليز القاطنين بالمغرب الى حكومتهم فى موضوع احتجاج هؤلاء على اعتبار سيدي علي ، ثائرا على السعديين، وبه تقرير ايضا من (بيتو) الانجليزي فى موضوع التجارة الانجليزية مع المغرب ، ثم تقرير آخر كتبه (سكوت) فى نفس الموضوع .

وتحدث دوكاستر عن العلائق مع فرنسا فجاء (فى السلسلة الاولى ص 303 ج 1) نص اتفاق تجاري بين روان الفرنسية فى شان باخرة سمسون الفرنسية التى تحمل السلع وتاتي بالسكر ... و (فى ص 544 ج3) نقل عن رحلة مارج الفرنسي ويذكر هذا الرحالة انه حضر مقابلة السفير المغربي جوذر بن عبد الله لملك انجلترا بلندن . وهذا السفير برتغالي الاصل . سافر الى انجلترا صحبة (روبير بلاك) .

ويذكر دوكاستر فى السلسلة الاولى (ص 414 ج 3) معاهدة لويز الثالث عشر والسلطان الوليد الزيداني بتاريخ 1631 فى موضوع عدم تفاوض فرنسا مع الثائر بن على الملك .

وفي صفحة 358 ج 3 ذكر لبيعه المولى عبد الملك السعدي من مراكش وفاس وسوس وكاكو ، ووادي النيجر .

وظلت السياسة الخارجية المغربية على هذا النمط حتى اذا جاء المولى اسماعيل كان البطل الذى وحد المغرب شمالا وجنوبا شرقا وغربا على اساس شبكة من القلاع والحصون ونقل القبائل من جهة الى اخرى لخضد شوكتها ، بما سماه الزرهوني فى رحلته (بالنف) وتكوين جيش مغربي تعتمد عليه الدولة لمواجهة الغزو الخارجي ، والفتن الداخلية بدل الاعتماد على القبائل . وكان من نتائج هذا الاستقرار خلق حوار دبلوماسي مع مختلف الدول وتبادل سفراء معتمدين مع المغرب .. وسأعرض باختصار الى الدبلوماسية المغربية من وجهة المغرب فقط ، حتى تكون النظرة الموجزة متكاملة على الاقل، وقد يكون المولى اسماعيل ، فى الذين ركزوا الدبلوماسية المغربية على اسس عريقة ، فقد بسط له فى العمر ، واتيح له ان يحكم مدة طويلة ، وفى عصر حافل بالاحداث سواء فى فرنسا حيث لويس الرابع عشر — 1715 — 1643 — او فى انجلترا ، حيث الخلافات المستفحلة بين البروتستانت والكاثوليك او فى روسيا القيصرية حيث عصر كاترين (1729 — 1786) او فى الدولة العثمانية التى كانت فى اوج عظمتها وعزها ورغبتها فى السيطرة على الشمال الافريقي كله ..

واذا كان الاستعمار بمفهومه التقليدي الصليبي وبمفهومه الاستغلالي للارض وسكانها ، والاتجار فى انتاج القارات اخذ يستهدف بعنف كلا من افريقيا وآسيا ، فان عدة بلدان اخذت فى التحرر بالقوة ، وكان من جملتها امريكا التى اعلنت الانفصال عن انجلترا ، واخذ الامريكيون يقاومون الاستعمار وبدات المقاومة يوم اعلنوا الاضراب عن (الشاي) ، وعقدوا اول مؤتمر فى مدينة فيلادلفيا سنة 1774 ليقرروا فيه الصمود ضد المستعمرين والاستعداد للحرب ، وفى المؤتمر الثاني المنعقد فى نفس المدينة سنة 1775 انتخبت واشنطن قائدا عاما واعلن عن ميثاق الانسان .. وكان العالم الاسلامي وضمنه

المغرب يتطلع الى تحرير المستعمرات ، ليتحرر من تربصات الكنيسة وحنقها على العالم الاسلامي بعد هزيمتها في الحروب الصليبية ، ولهذا كان المغرب في طليعة المؤيدين لتحرير الانسان واعلان ميثاق حقوق الانسان التي اعلنت في الواقع منذ عهد الخليفة عمر رضي الله عنه الذي قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » ؟ وبدا الغرب يتطلع الى الشرق وافريقيا بعد هزيمته في الحروب الصليبية ، ويمكن ان نعتبر سنة 1534 في عهد فرانسوا الاول بالنسبة لفرنسا اول محاولة حكومية رسمية لارتياد العالم بحثا عن مجال اقتصادي . حتى اذا كانت سنة 1604 بدا الاستعمار الفرنسي على يد شامبلان Champlin الذي انشا مستعمرة سماها (أكاديا) المعروفة الآن (نوفا سكوشيا) ثم سنة 1608 مستعمرة (كويبك) .. ثم انشا مستعمرات اخرى في خليج المكسيك سنة 1682 المسماة بلويزيانا نسبة الى الملك لويس الرابع عشر ثم وقعت حرب السنين السبع سنة 1756 واشتركت فيها فرنسا ضد روسيا محاولة تركيز جهودها بين سياستها في أوربا ، وسياستها في المستعمرات، فاضاعتهما معا على يد (بت) الذي كان يسعى لقهر الاسطول الفرنسي .. وفي هذا العهد العصيب كانت فرنسا تخطب ود المولى اسماعيل الذي عرف كيف يحتفظ بالصداقة بين فرنسا وانجلترا ليبني لبلاده مجدا سياسيا ومكانة اقتصادية كبرى .. فقد كانت (أوربا) على عتبة نهضتها الكبرى ، مستفيدة من التجربة الاسلامية ومن الثقافة العربية المنتشرة آنذاك في اكسفورد والسربون وسلامانكا وسالرنو ، وكانت نهضة اوربا مدينة للمفكرين الاحرار المعارضين لتوجيه الكنيسة والمتاثرين بالفلسفة اليونانية المترجمة والمشروحة بواسطة العرب ، حيث كان منهم فولتير ، وروسو ، وبيكون ، والعالم الانجليزي (نيوتن) للمولى اسماعيل معاصرة مطابقة تماما لمولده ووفاته ، اي سنة 1643 — 1727 قائد الفكر التجريبي التحرري في اوربا ، وهو فكر استفاد من آراء التجريبيين العرب وكان (لابلاس) Laplace 1759 — 1827) العلامة الفرنسي الفيزيائي المشهور من اساطين تحرر الفكر الغربي واطلاعه على حضارة الشرق كما كان منهم منتسكيو الذي كانت له جولات في كتب ابن خلدون ، وكان لهذا التحرر الفكري تاثير على السياسة واساليب الحكم في اوربا فعاشت انجلترا سنواتها الاولى في التجربة البرلمانية ضد شارل الاول 1625 — 1649 ثم جاء جيمس الثاني سنة 1687 فاصدر لائحة التسامح الديني على حساب البروتستانتية وتدخل السلطان المولى اسماعيل في الموضوع معلنا ان البروتستانتية اكثر تقربا للاسلام من الكاثوليكية .

ولا شك ان الخلاف في نجلترا من جهة وفي فرنساواسبانيا من جهة اخرى اثر في المستعمرات الامريكية ، مما ادى الى استقلال امريكا واعتراف المغرب بهذا الاستقلال ليخضد شوكة الاستعمار الانجليزي والفرنسي ، والبرتغالي ، وبينما كان الغرب المسيحي يبحث عن مجالات للتوسع الاستعماري ، ويعيش في تناقض مع المبادىء الحرة التي اعلن عنها كتاب القرن السابع عشر ، ويحاول تحقيق الانظمة البرلمانية في نهاية عصر لويس الرابع عشر الذي كان يعيش قمة عهد التفويض وفي نفس هذه الحقبة كان المغرب يعيش عهد اسماعيل الاول باحثا عن اداء رسالة انسانية ، وتحقيق وحدة داخلية ، ومقاومة الغزو الاستعماري الجديد .. اما من وجهة النظم التشريعية والحكم فقد كان المولى اسماعيل — وهو اعظم حاكم طبع عصره — لا يصدر في آرائه الا عن فتاوي الفقهاء والعلماء صيانة لدينه ، فكان المجاصي واليوسي وغيرهما من اقرب العلماء اليه ، يبذلان النصح ويقيمان الحكم على اساس اسلامي ، وكان المولى اسماعيل يحاول دائما ان يقنع الغرب برسالة الاسلام فقد بنى قلعة خاصة لمن يسلم من اسرى المسيحيين في المغرب ليحتفظ سكانها بتقاليدهم ، ووجه رسالة الى ملك انجلترا ينتقد المسيحية ويرى ان البرتستانية احسن من الكاثوليكية على اي حال ، وقد اهتم الكتاب المسلمون في عصره بالمقارنات بين المسيحية والاسلام مبدين سماحة الدين الاسلامي وآخذين على المسيحية نزعة التقليد والاستسلام والخرافة وانظمة الكهنوت .

وشهد السفراء الذين وردوا على المغرب امثال استيورت والكومندار استيفار (كما نقل ذلك جون وندوسون في رحلته المغربية) ما كان يتمتع به عصر المولى اسماعيل من استقرار وتفتح وعمران ، حتى اذا جاز ان نقارن بين عصر لويس الرابع عشر وعصر المولى اسماعيل نرى انهما طبعا عصرهما بطابع القوة والفن ، فكانت قصور مكناس ببساطة فنها المعماري، لا تقل مكانة عن قصور فرساي وعبقرية الفنان الفرنسي مع اختلاف مشرب الفنيين .

واذا كان المولى اسماعيل اسس للمغرب داخليا فقد كانت قضايا الحدود الشرقية مما يثير المشاكل السياسية ولذلك كاتب ابراهيم الشريف في تونس ليضيف على الاجانب الذين اخذوا يتسربون الى الشمال الافريقي ويقيمون خلافات مع جيران المغرب .

وفي سنة 1103 هجرية ارسل لحاكم الجزائر سفارة لعقد الهدنة وكان من اعضاء الوفد المغربي المولى عبد الملك وكاتبه . فارست معاهدة صلح وحسن جوار ، وقد كانت معركة العرائش التي خاضها المغرب ضد الاسبان اعظم اعلان عن سياسة الحكم الجديد الذي لا يهادن في قضية الوحدة المغربية ولذلك ارسل اليه كارلوس الثاني وفدا سفاريا فيه (مندبل) للمفاوضة في قضية اسرى العرائش وكان رده ان بعث اليهم (سنة 1109) عمر بن عبد الوهاب الغساني لتحرير اسرى المسلمين من جهة ، واخذ الوثائق الاسلامية التي بقيت بالاندلس بعد نهاية حكم العرب بها ، اما مع انجلترا فقد وجه الى المولى اسماعيل (شارلس الثاني) لعقد تحالف يضايق به فرنسا ويقطع الطريق على منافسه جيمس الثاني وقد وقف المولى اسماعيل مع جيمس الثاني ودعاه الى الاسلام ، ويوجد نص هذا الكتاب بعدة مصادر مغربية وغيرها ، كما توجد وثيقة سياسية توضح السياسة الاسماعيلية في الخلاف بين فرنسا وانجلترا رغم ان علاقته مع لويس الرابع عشر كانت اقوى من اية علاقة مع دول اخرى ، لان لويس الرابع عشر كان راغبا في الاتصال مع الدول الافريقية محاولا بذلك سد الطريق امام الانجليز حسب المناهج التقليدية للسياسة الفرنسية ، ولذلك تردد كثير من سفراء المغرب على فرنسا كعلي الريفي ومحمد تميم وعبد الله بن عائشة ، الذي اشتهر في بلاط لويس الرابع عشر بذكائه ودعابته وخفة دمه حتى ليقال انه خطب ابنة لويس الرابع عشر للمولى اسماعيل تمشيا للصلات بين المغرب وفرنسا .

الرباط ــ حسن السائح





أفكار التغيير والبعث والانبعاث هي الافكار الضاغطة حاليا على اذهان المسؤولين فى جميع اقطار العالـــم الاسلامـــي ...

والمغرب فى مقدمة الدول العربية الاسلامية المهتمة بهذه القضية ...

وبعد جولة عميقة فى أغوار النفس الانسانية أصبحت قضية البعث الاسلامي تحت اضواء نفسيـة وفكرية كاشفة ، واصبح الحديث عنها محببا لدى النفوس والقلوب ، لصيقا بشغافها ... وقد تطرق الكاتب فى مقاله القيم الى التجربة المغربية ، فاشار الى المغزى من كون صاحب الجلالة الحسن الثاني المؤيد بالله أبى الا أن يعلن عن بداية الانطلاق فى مناسبة خاصة ، هي مناسبة عيد الشباب ، وبعد ان أشار حفظه الله الى الاوامر الملكية السامية التي صدرت فى السنة التالية لسنة البعث الاسلامي ، والقاضية بتطبيق الاشتراكية الاسلامية تأكيدا من جلالته ان الاسلام شعبتان : روحية ومادية ، وبعد ان ساق الكاتب بعض الامثلة كاشراك العمال فى ارباح المعامل ، وتوزيع الاراضي المسترجعة ، وتمديد حدود المياه الاقليمية ، والزيادة فى أجور العمال والموظفين خلص الى القول بان القطار المغربي استقام على خطين متوازيين : تربية اعتقادية ، وتنمية اجتماعية ، ثم قارن بين هذه التجربة الرائدة ، والطريق الذي رسمه الله جل جلاله للمجتمع الاسلامي فى بداية نشوئه عندما ركز القرءان المكي على الايمان والروح ، والمدني على الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، وبعد القوة جاء الضعف ! ! .

صـــراع النقيضيـــن

العلاقة بين الفكر والطبيعة والعقل والوجود والروح والمادة والجوهر والعرض والحقيقة والواقع والحرية والقوانين علاقة جدلية ، يسودها قانون الاخذ والرد والفعل ورد الفعل والتأثر والتأثير . والصراع بين الاثنين يتمخض عن طرف ثالث يعتبر توسطا بينهما وجمعا لاهم خصائصهما وعناصرهما الاساسية ، التى قاومت معاول الهدم وعوامل التحليل وصمدت لضغوط التجربة والاختبار . وكلما كان الصراع واعيا وهادفا والقوة متعادلة بين الكفتين كلما كان المركب اقرب الى الكمال واقوى واصلب واشد مناعة ومقاومة للسلبيات المتطفلة او الكامنة فى صلب أحد الطرفين .

الانسان يصارع فى واجهتيـن

ومن هذا القبيل صراع الانسان ضد نفسه وغرائزه وانفعالاته من جهة ، وضد الطبيعة وقوانينها وتوابعها من جهة ثانية . والسر فى هذا الصراع المزدوج ان الانسان تركيب عجيب جامع بين اضداد ومتناقضات تصطرع داخل كيانه وتتبادل عوامل

الهجوم والمد والانتصار، والهزيمة والجد والانحسار، وهو بينهما حائر تارة ينجذب الى اليمين ويرجح نفته فيسمو ويقترب من اصله واصالته وحقيقته، وتارة يندفع الى اليسار فيخلد الى الارض ويتبع هواه. وبالاضافة الى هذه المعركة الداخلية الهادفة الى تمام سيطرة الانسان على نفسه وتحريرها من سلبياتها وعماها وجهلها، هناك واجهة خارجية فتحتها حاجة الانسان الى السيطرة على وضعه وتوفير الوسائل الضرورية لاستمرار حياته ورقيها. والمعركتان معا متداخلتان ومتكاملتان تؤثر احداهما في الاخرى ان سلبا وانكسارا، وان ايجابا وانتصارا، ذلك ان الجانب المادي في الانسان جزء من الطبيعة، فقد كان قبل ان تجبله يد الخالق عز وجل وتصوره بشرا سويا ذرات ــ ترابية، هوائية، مائية، نارية ــ متناثرة بين سهولها وجبالها وبحارها وانهارها. ولهذا جاء قريب الشبه بها، خاضعا لنفس القوانين الالهية والنواميس الكونية التي تحكمها وتسيرها. وقد ادرك الاقدمون وجه الشبه بين الروح والشمس باعثة الحرارة والحركة في الاجسام الجامدة الباردة فألهوها وعبدوها، كما ادرك الفلاسفة العلاقة بين القوانين الكونية المتحكمة في الطبيعة وبين محتويات الكيان الانساني من الافكار والدوافع والحوافز التي تخضع الجسم وتوجهه. كما قارن بعضهم بين القلب واللا شعور، والقمر والبحر، وبين الانهار، وقنوات الافكار المصفاة. ولاحظ العلماء ان قيام الاشجار والنباتات بدور تلطيف الجو وتنقيته من ثاني اكسيد الكاربون يشبه دور الجهاز التنفسي للانسان، ثم ان حياته تشبه الفصول الاربعة، فالشتاء طفولته، والربيع شبابه، والصيف كهولته ورجولته والخريف شيخوخته. ومن هنا كان الجسد البشري صورة مصغرة للارض، فهي له أم وزوجة، الميم المادي مصدره، وفي سردابه مسيره واليه مصيره. أما جانبه الروحي حقيقته وجوهره فانه ازلي سابق للمادة وصورة مصغرة لحقيقة الحقائق : الله جل جلاله. ولذلك كرمه الباري عز وجل، ونفخ فيه من روحه (1). وميزه بالنطق والارادة الواعية والتفكير، وفضله على الكثير من مخلوقاته (2)، واودع كيانه بذور المعرفة وعلمه الاسماء (3)، وفطره على حب المعرفة والاستطلاع والقدرة على التعليم والكشف عن كوامن نفسه وقوانين الطبيعة، وتوجيههما لمصلحته وسعادته ورقيه وازدهاره روحيا وماديا. ومن هنا انبثق الصراع الابدي بين الانسان كقوة مفكرة عاقلة مريدة، وبين قوانين الطبيعة كقوى غامضة مجهولة متحدية قابلة لان تعلم وتعقل وتسخر. وكلما تعمق الانسان في الفهم واحاط بأسرار الكون وكيانه كلما قويت سلطته على الطرفين وازدادت قدرته على اخضاعهما واستغلال مذخوراتهما وكنوزهما، وذلل المادة الجموح والجمها بلجام العلم والمعرفة، وهمزها بمهماز الطاقة والتقنية، وستستمر هذه العلاقة الجدلية بين الفكر والمادة الى ان يرث الله الارض ومن عليها، اذ كلما تمخض الصراع عن حضارة وبلغت اوج كمالها واشرفت على شفا الشيخوخة الا ودخلت في صراع مصيري مع حضارة ناشئة يلدها علم جديد ومفاهيم حديثة، تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

الانسان بين كفتي المادة والروح :

نظرا الى حقيقة الانسان الازلية وصراعه المزدوج، وكونه يعيش على الارض مرحلة انتقالية، فان الحضارة الناشئة من صراعه ضد المادة لن تكون اقرب الى حقيقته والصق بجوهره ما لم تنصب عملية التغيير على الطرفين معا، وتتجاوز القشور والاعراض والمظاهر، وتنفذ الى اللباب والروح والجوهر، أما التغيير السطحي والمنصب على طرف واحد فانه اخلال بمبدا التوازن وتطوير لجانب واحد فانه اخلال بمبدا التوازن، وتطوير لجانب واحد فقط، وترجيح لكفته وطغيان له على الطرف الثاني. ومن هنا انبثق خطر التقدم العلمي الصناعي الذي لا يوازيه تقدم روحي اساسه العلم بواضع القوانين

(1) واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » سورة الحجر 28، 29.

(2) « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الاسراء 70.

(3) « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ».

العلمية والنواميس الكونية ، وصانع العالم وخالق الروح مصدر الطاقة الطبيعية والبشرية فهذا العلم الذي يقوم على جحود الخالق وجموح المادة وجمود الروح وخمودها وخمولها يعتبر بالنسبة للانسان اداة انحطاط واخضاع واذلال ، ذ هو عبادة للمادة وخضوع لها بدل العبادة والخضوع لله الواحد القهار.
فقد رأينا الانسان يصغر ويتقزم امام المادة كلما اشتد ساعدها وانفتلت عضلاتها وتضخم حجمها واستطالت وتسملقت ، حتى اذا اخرجت اظافر ذرية ومخالب هيدروجينية ووضعتها على صدرها انطبق عليه مثل الساحر الذى اخرج العفريت من قمقمه فاخضعه واذله (ولا قمقم هنا غير العقل المكلف بقم المادة وكمها وكبح جماحها ، والمسؤول امام الخالق والضمير) وهو الآن يعيش حالة رعب لا يدري متى يحتك الساعدان ـ الاحمر والابيض ـ فينفجر برميل الحرب الكونية الثالثة ، ويذهب ـ الانسان ـ ضحية علمه الناقص (المقصوص الجناح الروحي) الانسان بفكره وارادته وقواه الايجابية اقوى من المادة القافية العمياء وعواملها السلبية ، وكان من المهيأ له ان تتضاعف قوته باخضاعها وتطويرها وتطويعها ، الا ان الذي يحدث الآن هو العكس .
تتضخم المادة وتطغى وتمتد ظلالها وتتكاثف فتحجب الانسان عن حقيقته وتعميه وتضله . ترجح كفتها وتكبر ، فتشيل كفته ويصغر ، حتى لكان قانون القاعدة الثلاثية العكسية هو العلاقة بينهما ، كلما زادت نقص بنفس قيمة الزيادة فيها ، ما أشبه الانسان وهو ذليل للمادة وتابع لها بالرقم واحد تكون له قيمة معينة فاذا وضع خلف صفر ـ غير مسبوق بعدد صحيح ـ قلت قيمته بنسبة العشر ، وتزداد قيمته نقصانا كلما زاد عدد الاصفار أمامه ، ليقارن القارىء الكريم بين 1 و 0٫1 و0٫01 و 0٫001 .
وعندما نركز اضواء الفكر ونسلطها على مجموعة الآحاد والاصفار ونضدنها ونطلق عقالها من يد العقل السكوني ونمنحها حرية الحركة والحياة الذهنية فاننا سنلمح صورة رجل يجري خلف مجموعة من السجلات ، هذا هو وضع الانسان المادي بالضبط ، يجري خلف المادة فتجره وتجرجره . وما المصير ؟ تجيب المشاهد المحسوسة : نفس مآل عربة يدفعها حصان ، ترتطم العربة بسور او حاجز ويصطدم الانسان الجاهل بالقوانين الالهية والنواميس الكونية التى تجعل العقاب كامنا فى صلب الجريمة ، لقد تخلى الانسان عن رسالته فى قيادة المادة فقادته كما يقود اعمى مبصرا !

الانسان بين حوافز الذات وحواجز المجتمع

الفرد سابق للمجتمع ، وقد جاء هذا الاخير تلبية لرغبة دفينة واشباعا لحاجة نفسية عميقة في نفوس الافراد والجماعات . وهي التعارف والتعاون والتعاضد والتكافل . ولذلك جاء الجهاز المكون لطبقات المجتمع شبيها بالجهاز النفسي للانسان ، فقد قارن فلاسفة اليونان بين النفس الشهوية وعامة الجمهور وبين الغضبية ورجال الحرب وحماة الامن داخليا وخارجيا ، وبين النفس الناطقة ورجال الحكم والسياسة . ولا زال هذ التقسيم معمولا به احد الآن وان كان باسماء جديدة :

أ ـ الهي او اللا شعور ، وهي المنطقة المظلمة المجهولة من نفس الانسان ، يحس بضغطها وتأثيرها على سلوكه ولكنه لا يعرف محتوياتها على وجه الدقة والتحديد والوضوح ، ويشبه هذا الجزء مجموع الجمهور الجاهل عندما ينفصل عن نور القيادة فياتي باعمال انتحارية مخربة ، او يعمل تحت ضوئها وارشادها فيسعد ويتقدم .

ب ـ الانا او الشعور ، ويقوم بدور صمام الامان والحاجز بين اندفاعات وحوافز الهي غير المشروعة ومنطقة العمل ، فلا يدفع تأشيرة المرور ـ الى منطقة الشعور المضاءة ـ ويجيز من السلوك الا ما كان مناسبا لتقاليد المجتمع ونافعا وغير ضار . (قد تتقنع الدوافع الشريرة وتلبس طاقية الاختفاء كما يخفي البعض سلوكه الشاذ فى رداء جذاب بر ق) ويقابل « الانا » السلطة المباشرة والقوة المنظمة الرادعة ، وهي نوعان : مادية : جيش ، شرطة ، جمارك . ومعنوية : انظمة ، وقوانين ومسطرات .

ج ـ الانا الاعلى او الذات العليا او الضمير ، وتقوم بدور برج المراقبة الموجه للانسان ومحدد أهدافه ومقاصده وغاياته ، وراسم طرقه ووسائله ومراحله ، وذلك على ضوء القيم والمبادىء والمثل التى يؤمن بها الفرد والكامنة فى صلب الذات العليا ذاتها.
ويقابل هذا الجزء ـ القيادة الدينية السياسية الفكرية ـ الحاكمة التى تصمم وتشرع وتخطط وتوجه المجتمع طبقا لاصالته وقيمه وتقاليده .. وكما تندفع الرغبات والنزوات المشروعة وغير المشروعة

من منطقة الهي المظلمة وتقوم الانا بتوجيهها وارشادها او كبتها وكبحها امتثالا لاوامر الضمير ، كذلك تقوم السلطة المباشرة بتوجيه الجمهور وارشاده ومعاقبة المجرمين وردعهم تطبيقا للقوانين والانظمة التى تضعها السلطة العليا ، محافظة على سلامة المجتمع .

هذا التشابه والتطابق بين العالمين الداخلي والخارجي والتزاوج والتداخل بين الجهازين النفسي والاجتماعي هو الذى يجعل الفرد يتفاعل تلقائيا مع احداث المجتمع ، ويحيل ذاته مرآة ينعكس عليها المجتمع واحداثه ، والمجتمع مرآة تعكس ذاته وحالاته النفسية المختلفة . وهكذا تصبح علاقاته بالآخرين صورة مطابقة لعلاقاته بنفسه ، فاذا كانت حياته الداخلية اساسها الحب والتجاذب والوئام والانسجام بين القوى الشهوية ـ الطاقة العمياء ـ والقيادة العقلية النيرة ، وساد نفسه مناخ الرطوبة والخصوبة عامل الاوضاع الخارجية بلطف وطيبوبة . اما اذا وقع حاجز بين شمس الفكر وبحر القلب واللا شعور ونضب معين الحب فى اعماقه وساد قانون التناقر والتدابر والقلق والتمزق والتضارب بين نزوات الهي وكوابح الانا وتوبيخ الضمير ، وشمل نفسه مناخ جاف عامل الخارج بجفاء وجهل (ضد الحلم) وجاهر بعداوته ومناواته او لف رغبته التخريبية فى اسماء تخفي مقاصدها ومراميها . كما ان الحالة الاجتماعية السائدة تؤثر فى نفس الفرد وتجعل حياته الداخلية تابعة لها ، فاذا ساد جو الامن والاطمئنان وروح الوئام والتعاون والتكافل والثقة والمحبة والاحترام، انعكس ذلك على ذاته فعاش عيشة راضية مطمئنة ـ بشرط ان تتوفر له الوسائل الضرورية لحياته ـ واقبل على عمله بجد واخلاص وتحمل مسؤولياته كاملة . والعكس صحيح عندما يختل التوازن وتضطرب الاوضاع وينعدم الامن او يضعف، فينكمش على نفسه ويقل انتاجه . وهذا التعاكس المتبادل للمرآتين ، والحجة العملية على ان مصير الفرد والمجتمع واحد ، هو الذى يدفع العقلاء الى العمل على اشاعة روح المحبة والثقة والانسجام بين مختلف الطبقات ، والدعوة الى التعاون وازالة الحواجز المفوقة لنمو المجتمع ، والحد من غلواء الغنى الفاحش وتوزيع الثروات توزيعا عادلا، وتوطيد دعائم الامن والرخاء والاستقرار ، وتعبئة الوجدان الجماعي وتوجيه طاقته نحو العدو الاساسي المشترك الذى هو التخلف وعوائقه وكوابحه من جهل وفساد واجرام ومرض (عضوي ونفسي) ـ وهو اي التعاكس المتبادل للمرآتين ـ الذي يدفع ببعض المرضى نفسانيا والمعقدين والمجرمين طبعا واصلا الى محاولة تحطيم المرآة الاجتماعية عندما لا تعكس لهم الصورة التى يحبون ، وبها يحلمون ، لانهم انانيون لا تهمهم الا رغباتهم الضاغطة الملحاحة ، وبما انهم يعيشون حالة قلق وتمزق واضطراب وتنافر وتعارض بين اجزاء النفس الثلاثة ، وهدم وتخريب داخلي ، فانهم يجدون دواءهم وراحتهم فى ان يروا المجتمع تسوده نفس الحالة . وبذلك يشعرون بالوجود والتشابه مع الآخرين ، وعدم الغربة والشذوذ فى السلوك . اما عندما لا يقدم لهم الواقع الاجتماعي الحالة التي يبتغون ، ويرون المجتمع يسير على غير ما يحبون ويشتهون ، ويتحول سيره واستقراره وتقدمه الى تعطيل لوجودهم ، فانهم يلجأون الى خلق الحالة «الصحية» بالنسبة لهم المرضية بالنسبة للمجتمع ، وذلك بالوسائل التى يتوفرون عليها كالقتل ونشر الفوضى وبث الاشاعات والاراجيف . استثني هنا جماعة يحفزها العوز والحاجة الى القيام باعمال موازية لعمل الاولين ، غير ان هؤلاء اقل خطرا اذ سرعان ما يعودون الى الاندماج والانضباط بمجرد ما تتوفر لهم الحاجات الضرورية وتعاد لهم الثقة فى انفسهم ، ومن ثم فى الاوضاع الاجتماعية ، وذلك بخلاف الاوائل فلا يهمهم ان يجدوا العمل او لا يجدوه ، او ان يكونوا اغنياء مترفين او فقراء مدقعين ، يهمهم شيء واحد ، هو ان يثبتوا وجودهم ويعبروا عن ذواتهم ونفسياتهم المريضة ، ولن يتمكنوا من ذلك الا اذا مارسوا الاجرام والارهاب عمليا وفكريا وساد المجتمع جو من الفزع والرعب وانعدام الامن والاطمئنان على الارواح والاموال . وهؤلاء لا يصلحهم ويكبحهم ويكف اذاهم الا شيئان : سرير مصحة عقلية او قضبان سجن .

ضرورة العناية بتنظيم الطاقة وتوجيهها :

تشابه الجهازين النفسي والاجتماعي وتعاكس المرآتين يؤدي الى تشابك وتزاوج الحياتين الداخلية والخارجية ، ويسهل ما يسمى بعملية النقل والاسقاط ، حيث نرى البعض ينقل صراعه الداخلي الى الخارج ، فرارا من مواجهة نفسه وعجزا عن تصفية حساباته معها . فالكثير مما يسميه البعض بالرفض والثورية والتغيير الجذري للاوضاع ، ليس فى نهاية التحليل وازالة الاقنعة الا ثورة على النفس ورفضا لها ورغبة فى تغييرها ، كما ان الكثير من

اساليب التخريب النفسي كالاسراف في الفجور والخمور ، والسلبية والانعزالية والتقوقع ليس الا صدى لفشل خارجي ، وتعبيرا عن العجز عن التاقلم والتكيف مع الاوضاع الخارجية وعدم القدرة على التاثير في سيرها . ذلك ان الطاقة الحبيسة لا تكف تبحث عن متنفس وميدان للعمل، واذا ما سدت في وجهها ابواب البناء والتركيب عبرت عن نفسها باسلوب الهدم والتخريب ، واذا انتصبت امامها سدود الخارج انقلبت الى الذات تلقي عليها المسؤولية وتنتقم . ومن هنا جاءت ضرورة العناية بالطاقة العمياء المنبعثة من آبار الغرائز ، والدعوة الى دراستها وفهمها كمرحلة اولى للسيطرة عليها وتوجيهها وتحويلها والسمو بها واستعمالها فيما يعود بالخير والصلاح ، ذلك انها كالسيل ، بل هي سيل عارم جارف اذا لم تنظم وتبنى لها السدود والقنوات الفكرية قامت بدور نهر زيز — قبل ان يشيد سد الحسن الداخل — عندما اكتسح اودية الجنوب ، فاهلك الزرع والضرع والنسل . ولنتذكر فيضانات ورغة وسبو وقواجع الغرب في السنوات الماضية ونحاول ان نتصور الوضع بعد حوالي ثلاثين سنة عندما تكتمل شبكة السدود والقنوات بهذه الناحية.

فاذا كان الماء مانح الحياة في حالة العناية والتنظيم، ومانعها في حالة الفوضى والاهمال ، فكذلك طاقة الانسان هي حياة له اذا سيطر عليها ووجهها ، وموت — روحي او جسدي — اذا سيطرت عليه واخضعته . (الم يقل احد الصوفية نفسك كالدابة اذا ركبتها حملتك ، واذا ركبتك قتلتك !) من هذه الامثلة تبرز العناية بتربية الجمهور وتعليمه وتثقيفه ، وايجاد العمل والشغل له ، وتصريف طاقته في البناء والتعمير ، ومنعها من أن تنقلب الى اداة تخريب للكيان الاجتماعي . وطاقة الشباب اولى من غيرها بالعناية والرعاية ، لانه العنصر الاكثر حيوية ونشاطا ، والقوة الدافقة الدافعة التي لا تكف عن بذل الجهد ، ولا تنفك تتحرك وتبحث عما تحركه وتدفعه . بل ان الشباب هو الاداة الوحيدة التي يصلح المجتمع بصلاحها ويفسد بفسادها كما سنرى في كلمة خاصة عن الشباب ودوره في التغيير .

— * —

بعد هذه المقدمات التي كان لابد منها اعود الى جوهر الموضوع فاتساءل : من ايـن تبـدا عملية التغيير ؟

مـن ايـن نبـدا ؟

من اين ننطلق ؟ وما هو الشيء الذي نرغب في تغييره ؟ هل ننطلق من القيم والمبادىء والمثل ، أم من الواقع الاجتماعي الذي لا يثبت على حال ؟ من الفكر الذي يخترق الحجب ويعيش الزمان بابعاده الثلاثة ام من الرغبات الآنية التي تعيش وتتحرك تحت وطأة وضغط اللحظة الراهنة ؟ هل نبدا بتغيير النفس ، ام بتغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي ؟ هل تنطلق من الروح لتغيير المادة ام العكس ؟ لا اريد أن ادخل بالقارىء الكريم في متاهة المقارنة بين اسلوبي الجدل الهيجلي والماركسي ، وايهما السابق الفكر ام المادة ، فانني اعتقد ان الجدل حول هذه النقطة شبيه بالجدل البيزنطي وتساؤل علمائهم ايهما السابق الدجاجة ام البيضة ، وايهما السبب وايهما النتيجة ؟ في الوقت الذي كانت فيه الجيوش المعادية تحاصر المدينة وتدك اسوارها ، فالجدل الاجوف الفارغ الذي يصرف الطاقة في المهاترات ويكفها عن العمل احد الاسباب الرئيسية فيما تعانيه الشعوب المستقلة من ويلات وسلبيات وعدم القدرة على تكسير قشرة التخلف ، لان سبيله ليس مغلوقا ومحدودا نهائيا كما يظن البعض ، بل انه يؤدي الى اللا نهاية في السلب .. واذا اراد الله بقوم سوءا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل .

الانسان بين مبداي الثبات والتغير :

عندما يوجه الانسان بصره نحو سطح الارض فانه يلاحظ انها في تغير مستمر ، فالفصول تتوالى الواحد تلو الآخر ، من سواد الشتاء الى خضرة الربيع الى برتقالية الصيف ، فصفرة الخريف . ثم ميلاد جديد . (وبالاضافة الى هذا التغير التلقائي هناك تغيير آخر يحدثه الانسان ، فالسدود تشيد والصحاري القاحلة تستحيل جنات يانعة ، والطرق تمتد والمصانع ترتفع) وعندما نستعرض مراحل نشوء المجتمعات وتطورها نلاحظ انها تمر بنفس المراحل الاربع : نشوء وطفولة ، فشباب وربيع ، فرجولة وانتاج ، فخريف وشيخوخة ، ثم بعث وانبعاث ، وميلاد روحي جديد . بعد هذه الملاحظة نستنتج ان هناك قانونا عاما يسمى قانون التغير . وعندما ننتقل من مرحلة الملاحظة الى مرحلة التساؤل والتفسير فاننا نكتشف ان تغير الارض ناتج عن

حركتها ودورانها حول نفسها والشمس ، وان هذه الحركة دقيقة ومنظمة، فمنذ ملايين السنين والارض تتم دورتيها فى نفس الزمان وبنفس السرعة ، وكذلك القمر وباقي كواكب المجموعة الشمسية ، كلها تتم دورتها فى مدة معينة مضبوطة لا تزيد ولا تنقص . ومن هنا نستنتج ان هناك قانونا عاما منظما لعلاقات المجموعة الشمسية ، وهو قانون التجاذب العام المنبثق من مركز الشمس (بالنسبة لمجموعتنا) وهو الذي يجعل المجموعة متماسكة مترابطة تقوم بدورات متسقة منظمة . ولو انتفى هذا القانون لتقطعت الاواصر بين المجموعة واندفع كل كوكب شاردا على غير هدى وارتطم بغيره او ضاع فى الفضاء اللا نهائي ، ولو تغير القانون لتغيرت سرعة الكواكب والمسافات الفاصلة بينها . فهو اذن ثابت لا يتغير ابدا . وكذلك الامر بالنسبة للمجتمعات تتغير مظهريا ومرحليا ، ولكن العوامل التى توحد المجتمع وتكتله وتجعل له شخصية معينة والتي اساسها دين المجتمع وقيمه ومثله ومبادئه وتقاليده العريقة الاصيلة ، لا يلحقها التغيير ابدا ، والا تغير جوهر المجتمع وتبدلت طبيعته واصبح شيئا آخر ، فالدين والقيم والمبادىء بالنسبة للمجتمع كقانون التماسك والتجاذب بالنسبة للمجموعة الشمسية ، والمجتمعات تابعة له وجودا وعدما . وعندما اقول وجودا وعدما فانني لا اعني وصفا ذاتيا للدين والقيم والمثل فهي جواهر لا يلحقها التغيير فتقوى وتضعف ، وانما اعني وجودها وعدمها وقوتها وضعفها فى نفوس الافراد . (ومن ثم تأثيرها على سلوكهم واعمالهم) فضوء الشمس وحرارتها ينصبان ابدا بنفس القوة ، وانما يقويان او يضعفان على سطح الارض تبعا للطبقات الجوية، وتكاثف السحب والغيوم وانقشاعها. ثم انهما ينصبان على مدينة واحدة بنفس القوة ، فيتفجر الضوء فى هذا المنزل وتنتشر الحرارة لان نوافذه مشرعة ، ويعيش آخر بجانبه فى برودة وظلام لان نوافذه مغلقة او هي منعدمة بالمرة ، وكذلك الامر بالنسبة للدين والقيم والمثل يظل ضياؤها يشع ابدا جاذبا العقول والقلوب دافعا اياها للحركة منيرا لها الطريق ، وانما يضعف تأثير هذا الضياء وهذه الجاذبية فى عقولنا ونفوسنا او يقوى بحسب صفاء نفوسنا وتفتحها، أوكدارتها وانغلاقها وعماها. « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

من مثل المجموعة الشمسية وتغير الفصول والمجتمعات نستنتج الجواب على السؤال السابق « من اين نبدأ ؟ » والجواب ان البداية ليست من السطح (الهياكل الاقتصادية والاجتماعية) وانما من الباطن من الفكر والنفس (4) حيث تنطلق الحركة والقوانين المنظمة لعلاقات الافراد والجماعات . فما هي النفس ؟ وكيف يتم تغييرها ؟ .

ما هي النفس ؟

والآن تأتي هذه الأسئلة : ما هي النفس ، وهل هي الروح أم هما متمايزان ، واين تستقر ؟ وكيف يمكن تغييرها ؟ أما عن الشطر الاول من السؤال فلا يمكن الجزم والقطع براي حاسم ، وكل ما يمكننا فعله هو ايراد بعض النظريات ثم المقارنة بينها : يرى البعض ان النفس هي الروح ذاتها ، وان الاسماء الثلاثة ليست الا صفات تلحق الروح بحسب وظائفها. فهي نفس شهوية عند ما تولد الرغبة فى الطعام والجنس ، وهي غضبية عندما تولد الطاقة المحركة للجسد والفكر ليهاجما ويدافعا ، وهي ناطقة عندما تفكر وتكتشف وتفهم ، ويرى البعض الآخر ان النفس مرحلة من مراحل نمو الروح ورقيها ، فهي غرائز عمياء فى حالة ارتباطها الكلي بالشهوات ، وهي نفس فى مرحلة تالية عندما تجمع بين لذة الحوافز الغريزية ، والم الحواجز العقلية والاجتماعية ، وهي روح فى مرحلة سامية عندما تتطهر وتصفو وتسمو فوق قانون الثواب والعقاب ولا تصبح خاضعة الا لقانون الحق والخير والجمال ، فلا تقبل على عمل لان فيه لذة او وراءه ثوابا ، ولا تدبر عن ذلك لان فيه الما او وراءه عقابا ، وانما تقدم على هذا وتحض عليه لانه حق وجميل ، وتحجم عن ذاك وتوبخ وتلوم عليه لانه باطل وقبيح . ويرى بعض الصوفية ان العقل والقلب من أسماء الروح ، أما عن المستقر فيخصصون الجهازين الهضمي والتناسلي كمنطقة

---

(4) يؤكد القرآن الكريم هذا الراي فى آيتين :

أ ـ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الرعد 11 .

ب ـ « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الانفال 53 .

نفوذ للشهوية والقلب كمركز للغضبية ، والجهاز العصبي والدماغ كدفة للناطقة .

وما يمكن ان نخرج به هو ان هذه التقسيمات والتفسيرات لا يمكن الجزم بها والقطع بصحتها ، لان النفس والروح من الغيبيات التى استاثر العليم الحكيم بعلمها وسرها لحكمة نجهل مراميها (ربما تكون حافزا لقوانا على البحث والزيادة من المعرفة) ومع استئثاره سبحانه بالجواب الثاني فانه وضع اشارات ورموزا يمكن ان تقود الراغب فى المعرفة الى نوع من الحقيقة يطمئن اليها قلبه . فقد ميز بين النفس والروح ، وذكر ان الروح من امره ولم ينسب اليها عملا شريرا اطلاقا ، اما النفس فقد اضفى عليها ثلاث صفات متباينة . ــ 1 ــ فهناك النفس الامارة بالسوء الخاصة عليه . ((وما ابريء نفسي ، ان النفس لامارة بالسوء . . » (5) . وفى الطرف الثاني توجد النفس اللوامة الموبخة على فعل السوء « فلا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللومة » (6) وبين هذه وتلك توجد نفس ثالثة لم ينسب اليها سبحانه الاغراء على فعل السوء او التحذير من عواقبه، وانما وصفها بالاطمئنان والرضى « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . . » (7) . ونلاحظ ان هذه الاوصاف الثلاثة تشابه التقسيمات السابقة ، فالنفس الامارة بالسوء تقابلها الشهوية ، والهي ، واللا شعور . والنفس المطمئنة تقابلها الغضبية (الغضب هنا بمعنى القوة المعباة) والانا والشعور . والنفس اللوامة تقابلها النفس الناطقة والانا الاعلى والضمير .

القلب

ولو سلمنا بنظرية الاجزاء الثلاثة ، واستقرار كل جزء فى مكان ما من الجسد ، فانني أميل الى تخصيص القلب كمكان مناسب النفس المطمئنة. وذلك نظرا لتشابه الاثنين فى بعض الصفات والخصائص . فهما معا يعتبران توسطا واعتدالا بين طرفين متباعدين . فاذا كانت وظيفة النفس الغضبية ــ او الانا ، او الشعور ، او النفس المطمئنة ــ هو الربط بين الطرفين ، وتنظيم حوافز ودوافع الهي ، او اللا شعور والنفس الامارة بالسوء تبعا لاوامر وتوجيهات الانا الاعلى او الضمير او النفس اللوامة ، فان القلب ايضا يقوم بهذه المهمة التوسطية على مستويين ، عضوي ونفسي ، فهو من جهة يتلقى الدماء غير المصفاة ويرسلها الى الرئتين ، وبعد تصفيتها تعاد اليه ليوزعها على باقي الجسد بما فى ذلك الدماغ الذي يتلقى منه الاوامر بزيادة الضغط والاسراع فى توليد الطاقة وتوزيعها او التخفيف من الحركة وادخار الطاقة فى خزن الكبد بعد تحويلها الى سكر استعدادا للطوارىء ، فهو صلة وصل بين الدماغ وباقي الاعضاء وخاصة السفلية ، وهذه الوظيفة العضوية تقابلها وظيفة نفسية ، فهو ايضا صلة وصل بين حوافز ودوافع الغرائز العمياء وبين توجيهات العقل وارشاداته ، ففي داخله تتكيف الدوافع والحوافز بعد اصطدامها بالاوامر والنواهي العقلية ، ثم تتبلور وتصبح عاطفة تتجسد فى نوع قار من السلوك ، او قل عادة توجه الانسان وتدفعه الى عمل ما دون تفكير او اعمال روية .

وقد خولت هذه الوضعية الممتازة لمركز القلب أن يكون الاداة الفعالة فى ترجيح كفة على أخرى ، وتغيير ما فى نفس الانسان من سلبيات ودوافع شريرة الى حوافز خيرة وايجابيات .

القلب مكان التغيير فى نظر القرآن الكريم

لمعرفة خبايا آلة يجب ان نعود الى مصممها وصانعها وخالقها. اذا كان القرآن الكريم ضن باسرار الروح وأشار الى بعض صفات النفس ، فان موقفه من القلب غير ذلك تماما . لقد وقف عنده يحلله ويشرحه ويكشف غوامضه وخباياه واسراره ، فهو مناط خير الانسان وصلاحه وشره وفساده ، لانه جامع بين اضداد ومتناقضات تصطرع داخله ، ومصيره متوقف على رجحان كفة على اخرى . فهو مركز كل الصفات السلبية كالشك والارتياب : « انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

(5) يوسف 53 .
(6) القيامة 1 و 2
(7) الفجر 27 .

وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (8)
« ولا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » (9)
والزيغ والانحراف : « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله)) (10).
((لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ..)) (11) ((فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم » (12) « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا)) (13) . والمرض النفسي والنفاق : ((.. فى قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضا .. » (14) .
((ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض .. » (15) . « .. واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم .. » (16) .
« افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ، بل اولئك هم الظالمون » (17).
« فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (18) .
والفزع والرعب : « سنلقي فى قلوب الذين كفروا الرعب .. » (19) . « اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي فى قلوب الذين كفروا الرعب ..)) (20) . ((وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب .. » (21) وهو ايضا مركز كل الصفات الايجابية كالايمان : « الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم » (22) . « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ..)) (23) . والاطمئنان : ((.. وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به .. » (24) .
« واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .. » (25).
« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب .. » (26) والاتحاد والربط والالفة : « .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ..» (27) . « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » (28) . « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان

---

(8) التوبة 45 .
(9) التوبة 110 .
(10) آل عمران 7 .
(11) التوبة 117 .
(12) الصف 5 .
(13) آل عمران 8 .
(14) البقرة (10) .
(15) الحج 51 .
(16) التوبة 126 .
(17) النور 50 .
(18) التوبة 77 .
(19) آل عمران 151 .
(20) الانفال 12 .
(21) الاحزاب 26 .
(22) المائدة 41 .
(23) الحجرات 14 .
(24) آل عمران 126 .
(25) البقرة 260 .
(26) الرعد 28 .
(27) آل عمران 103 .
(28) الانفال 62 و 63 .

وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » (29) . « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم » (30) . والسلامة (من امراض الالحاد والنفاق والعصيان والشك والارتياب) : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (31) « وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم » (32) . ثم انه ادة العلم والمعرفة والفهم : « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (33) . « ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها » (34) . وهو مركز الجهل والغفلة عندما يطبع الله عليه : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ، واولئك هم الغافلون » (35). ((.. وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)) (36) .

« ومنهم من يستمع اليك ، حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا ، اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم » (37). او يختم : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يومنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة)) (38) . ((قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به ، انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون » (39) او يضع عليه اكنة : « .. وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا ..)) (40) . ((انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهون وفي آذانهم وقرا ..)) (41) . ((وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه)) (42) .

اكتفي بهذا القدر اليسير من استعراض الآيات الكريمة ، ومن أراد الزيادة فليرجع الى القرآن الكريم ليلمس بنفسه هذه العناية الفائقة التي يعيرها الباري عز وجل للقلب البشري ، فهو ملتقى الضدين، والبرزخ ومجمع البحرين ، العذب الفرات والمالح الاجاج ، هو النقطة الاستراتيجية الهامة على خريطة النفس الانسانية . وفيه يتقرر مصير المعركة بين الخير والشر ، والايجاب والسلب ، والهداية والضلال : ((فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء » (43) ولذلك كانت مستودعاته ومحتوياته هي قيمة الانسان الحقيقية ، وعلى اساسها يمتحن الله صاحبه ويختبره : ((وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » (44) .

الشباب قلب الامة

اذا كان القلب هو العضو الذي تتوقف عليه استقامة الانسان وانحرافه ، وهدايته وضلاله ، وسعادته وشقاؤه ، فان الشباب بالنسبة للمجتمع كالقلب بالنسبة للانسان ، فهو جامع لكل الخصائص والصفات السابقة ، لقد قال الرسول عليه السلام

---

(29) الانفال 11 .
(30) الكهف 13 و 14 .
(31) الشعراء 89 .
(32) الصافات 33 و 34 .
(33) الحج 46 .
(34) الاعراف 179 .
(35) النحل 108 .
(36) التوبة 93 .
(37) محمد 16 .
(38) البقرة ، 6 و 7 .
(39) الانعام 46 .
(40) الانعام 25
(41) الكهف 57 .
(42) فصلت 5 .
(43) الانعام 125
(44) آل عمران 154 .

« الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب» وقياسا على قوله عليه السلام يمكن القول : الا ان في المجتمع عضو اذا صلح صلح المجتمع كله واذا فسد فسد المجتمع كله ، الا وهو الشباب. فاذا كان القلب هو مصدر الطاقة ومنظمها وموزعها ومدبرها ارضاء للعقل ، أو مبذرها ارضاء للشهوات فكذلك الشباب هو مصدر الطاقة الدافعة للمجتمع والمتحكمة في سيره وتوجيهه . واذا كان القلب صلة وصل بين الغرائز العمياء والعقل المنير ، فكذلك الشباب صلة وصل بين الجمهور والقيادة . فهو مركز القـوة ، وعليه يتوقف مصير المجتمع، يقوى بقوته واستقامته، ويضعف ويضمحل بضعفه وزيغه وانحرافه . هو نفس المجتمع المطمئنة الراضية المرضية التي تشيع الامن والاطمئنان اينما حلت وارتحلت ، وهو نفسه الخائفة الوجلة التي تبذر بذور الفزع والرعب والشك والارتياب . هو الحبل والرباط الذي يربط المجتمع ويكتله ويوحده ويؤلف بين قلوبه وهو أداة التمزيق والتفكيك والتشتيت . هو القوة الجامعة لكل الاضداد والمتناقضات ، تصطرع داخله فينفعل ويتأثر . فاما ان يتحمل مسؤولياته ويؤدي رسالته ويرجح كفة الخير على الشر والايجاب على السلب ، واما ان يتخلى عن رسالته ويترك نفسه كقارب بدون ربان تلعب به العواصف وتدفعه ذات اليمين وذات اليسار . وعلى نتيجة هذه المعركة النفسية يتقرر مصير المعركة الاجتماعية التي تنتظره . فاذا كانت مسؤوليته تجاه نفسه هي ترجيح كفة الخير والايجاب على الشر والسلب ، فان مسؤوليته تجاه المجتمع هي ترجيح كفة الرقي والازدهار والتقدم والاستقرار ، على الانحطاط والتخلف والفوضى والاضطراب . وذلك بالمشاركة في تحريك الطاقة الاجتماعية وتحريرها من سلبيات الجهل والخمول والتواكل ، ودفع المجتمع في الطريق الذي ترسمه القيادة وتنيره ، والطريق امامه لتولي المناصب العليا مفتوح ومرهون بهمته وطموحه ، وايمانه بقيم شعبه واصالته .

ونظرا لهذا المستقبل القيادي للشباب تعمل الدول القوية المتقدمة الطامعة في خيرات البلدان المتخلفة، على استغلال شباب الدول النامية وتوجيه طاقته الفتية في سبيل تحويل المجتمع عن اهدافه ، واتخاذه بيدقا في قطعة الشطرنج العالمية ، وتابعا ذليلا . ووسيلتهم الى ذلك اصطياد الشباب في مرحلة الدراسة ـ وخاصة الجامعية ـ واتخاذه اداة لنشر الفوضى والاضطراب وتمزيق لجهاز النفسي للمجتمع وتخريب الكيان الاجتماعي ، وذلك ان تكتل المجتمع وتماسكه وترابطه وسيادة القانون والنظام ، واشاعة روح المحبة ولوئام والانسجام بين أجزاء الجهاز الاجتماعي ، هو الصخرة التي تتحطم عليها اطماع الدول الاجنبية الجشعة . ولذلك كان من اهدافها الاساسية احداث شرخ وتصدع وخلل في بنيان المجتمع ، وضرب اجزائه بعضها ببعض ، واحلال الحقد والكراهية والتنافر والتناحر محل المحبة والتعاطف والتناصر ، وهذا لن يتم الا بوضع حاجز نفسي بين الجمهور وعامة الشباب خاصة ، وبين القيادة الدينية والسياسية والفكرية . وبذلك يصبح الجمهور والشباب كاعمى والقيادة كراعي فقد عصاه . (وتلك امنية الذئاب المفترسة) ووسيلتهم لوضع الحاجز النفسي هي وصف القيادة السياسية بالديكتاتورية والاستبداد ، والدينية بالرجعية والجمود والتزمت ، والفكرية بالعمالة والتواطؤ (اما الخاضعون لهم فاحرار توريون تقدميون) ! وبفضل ترديد هذه الاسطوانة وتنويع أساليبها كالكتب والمجلات والمناشير ومحاضرات « التوعية » السرية ترسخ كحقيقة في نفوس بعض الشبان المخدوعين ببريق الشعارات الزائفة ، ويربطون لا شعوريا بين القيادة الوطنية وكوابحهم النفسية ، وتتولد لديهم الرغبة في التخلص منها وازالتها عمليا وفكريا ، وهذا ما يسمى بالرفض (واذا صفي الثور الابيض فمن السهل جدا افتراس الاحمر ـ الشباب ـ والاسود ـ الجمهور ، كما تعلمنا قصة الاسد والثيران الثلاثة) والرفض اذا بدا تسلسل وامتد ، من رفض القيادة، الى رفض المجتمع باعتباره سلطة ، الى رفض القيم والمبادىء والتقاليد باعتبارها حواجز مانعة من ارضاء الرغبات والنزوات ، الى رفض الخالق عز وجل باعتباره رمز السلطة المتحكمة في الاقدار والمصائر. وهذا الانسحاب التدريجي يبعث في نفس الشباب الشعور بالوحدة والغربة والتقزم امام المجتمع الذي يبدو له كوحش مفترس فيخافه ويحقد عليه، ويضن عليه بفكره وطاقته . وذلك ما يرجوه ويتمناه المتربصون.

ومن هنا عظمت وثقلت مسؤولية حماية الشباب ووقايته من الانحراف والزيغ والوقوع في مكائد ومصائد الحرب الفكرية والنفسية ، وتوعيته باهداف المجتمع وقيمه ومثله . وتوجيه الشباب والاستفادة من طاقته لا يكون بكبته وكبحه ، وانما بفهمه ومعرفة

تطلعاته واحلامــه وآمالــه ، ومساعدته على تحويل الاحلام الى واقع معاش ، واذ كان الشبــاب قــوة واندفاعا وطموحا لا حد له فان ما يكرهه ويضيق بــه ولا يطيقه هو الجمود والتزمت والتخلــف . ومــا يرغب فيه ويشغف به ويلائم طبيعته وقوته الدافقة الفياضة هو التحول والانتقال من طور الى طور آخر افضل واسمى ، فالرغبة الجامحة فى التغير والتغيير هي مزية الشباب وزينته ، وفضلــه على المجتمع وفضيلته . اذ لولاها لما كان هناك تقدم ولا حضارة ولا عمران ، غير ان ما يخطىء فيه بعــض الشبـــاب هو معرفة النقطة التى تنطلق منها عملية التغييــر ، واختيار الوسائل والاساليــب المناسبــة والملائمــة لطبيعة المجتمع واصالته .

وقد رأينــا من استعــراض مثــل المجموعــة الشمسية والاشارة الى مبدأ الثبات والتغير ، ان التغير لا يلحق قانون التماسك والتجاذب العام ، وهو بالنسبة للمجتمع دينه وقيمه ومثله واصالته ، وان البداية ليست من الظاهر والسطح ـ البناء الاقتصادي والاجتماعي ـ وانما من الباطن ، من الفكر والبنــاء النفسي ، واستنتجنا من استعراض احوال النفس والقلب ان هناك عضويــن يتوقــف على صلاحهمــا وفسادهما صلاح الجسد والمجتمع وفسادهما ، وانه لكي يستطيع الشباب ان يتحمل مسؤولياته ويؤدي مهمته والدور المناسب لطبيعته وهو تغيير المجتمع وترجيح كفة التقدم على التأخر عليه اولا ان يربح المعركة النفسية ، وذلك بتطهير نفســه وتحريرهـــا من السلبيات ، وطرق الحرب الفكريــة النفسيــة التي تحاول ان تكف فعاليتها او تصرفها فى سبيــل تخريب المجتمع . على الشبــاب ان يغــوص فــى اعماق نفســه ويحل محتوياتها ، وفى اعماق مجتمعه ويحلل مشاكله وعوائقــه ، ويقــارن بين الاهــداف والامكانيات والوســائــل ، وعليه ان يتأكــد من انــه اذا كانت المصانع والسدود تبنى في سنــوات فــان بناء المجتمع يتطلب عقــودا وربمــا قرونــا ، وان يتحلى بميزة الشيوخ وفضيلتهم التى هــي الصبــر والتؤدة والاقتصاد والسمت الحسن ، والتى جعلها الرسول عليه السلام جزءا من اربعة وعشرين مــن اجــزاء النبـــوة .

— × —

للقلــب قلـــب او بصيـــرة

كان الحديث عن الشباب قلب المجتمع جملــة اعتراضية ، والآن اتابع الكلام عن القلب البشري . . فى الحديث السابق تأكد ان القلب ميدان يلتحم فيه الخصمان ، ويصطدم الضدان ، ويصطرع النقيضان ، وانه النقطة الاستراتيجية الهامة على خريطة النفس الانسانية ، فيه يتقرر مصير المعركة النفسية ، ومن ثم الاجتماعية . والآن يمكن التساؤل : هل القلــب مجرد وعاء ومكان وموضوع لمعارك نفسيــة ، ام ان له قوة مستقلة ذاتية تتدخل فتخذل هــذا وتنصـــر ذاك ؟ وما هو نوع هذه القوة التى تستطيع ان تغير سير المعارك الدائرة فى اعماق النفس فترجــح هــذه الكفة ، وتشيل تلك ؟ ولماذا تمتلك بعض القلوب هذه القوة فتقدم وتتدخل ، وتفقدهــا اخرى فتحجــم وتستسلم لسلبياتها ، مترقبة سير المعركة جاريــة خلف عجلاتها ؟ او قل بماذا تقوى القلــوب فتقــود محتوياتها وتضعف فتنقاد لها ؟ يمكــن ان نشبــه القلب ـ بمعناه الروحي ـ بالنواة الذرية ، فالافكار السابحة داخله هي بمثابة الالكترونات السابحة داخل النواة ، والعواطف والاهواء تشبه التيار المنظم لحركة الالكترونات (دفعا وجذبا نحو مركز النواة) اما النواة المركزية ـ الموجودة بقلب النواة ـ فهي بمثابة قلب القلب . ويمكن ان نشبه القلب بسفينــة تحتــوي ركابا وربانا ، وينزل بها اسرة يقودهـــا اب . وكمـــا تصطرع الافكار والآراء والاهواء داخل القلب كذلك يقع داخل الاســرة ، وخاصة اذا كانت كثيرة العــدد وتنوعت سبل تعليم بنائها بين اصلــي وعصــري ، وادبي وعلمــي ونظــري وتطبيقــي ، والمنــاقشات والمحاورات الدائرة بين أفراد الاسرة هي بمثابة مقابلة بين الآراء والافكار ، والميول والهوايــات . فهـــذا يتحمس للاشتراكية والاشتراكيين ، وهذا يقــدس ليبرالية الليبراليين ، وتلك تؤيد اختلاط الجنسين ، وذلك يهاجم النظرية ويكشف ما بها من عيب وشين ، وهذا يرى فى اطالة الشعر جمالا ما بعده جمــال ، وذاك يراه تجسيدا للبشاعــة والشناعــة والميوعــة والانحلال . وهذا يرى ، وتلك ترى ، ولكل منظاره الخاص ، وكل حزب بمنظارهم فرحون ! وهنا لابد من قوة تتدخل فتفصل بين المتخاصميــن ، وتقارب بين المتباعدين والا . . والقوة الواجب تدخلهــا هنا هو الاب باعتباره رب الاســرة وقائــد سفينتهــا ، والمسؤول عن امنها وسلامتها واطمئنانها . وتدخــل الاب هنا واجب لعدة اعتبارات ، اولا لمنع الكلمات من ان تتحول الى لكمات ، وثانيا للحيلولــة دون ان تتحول الافكار الهدامة الرائجة في الاذهان الى اعمال

تتحمل الاسرة نتائجها ، وثالثا لوقاية الصغار الذين يتتبعون سير المعركة الكلامية من التأثر بالآراء الضارة واعتناقها . ولكن ليس كل الآباء يتحملون رسالاتهم الابوية التربوية فيوجهون ويرشدون ، فالآباء كقلوب القلوب انواع . فهناك الاب الضعيف المستسلم لابنائه ، الملقى حبلهم على غاربهم ، الخاضع للاقوى منهم سواء اكان صالحا ام طالحا . والعامل الذى يفصل بين النوعين من الآباء هو الثقافة والوعي . فالاب المثقف الواعي يعرف قيمة الافكار ويدرك ان ما يروج الآن بالاذهان من افكار مجردة سيصبح غدا عملا وواقعا معاشا تتحمل الاسرة كلها نتائجها ، وبالتالي المجتمع كله ، ولذلك يبادر الى استئصال الافكار المخربة قبل ان تتمكن من القلوب فتخضعها لسيطرتها . والاب الجاهل لا يستيقظ من غفلته الا اذا فوجيء بسجن ابنه لانه انخرط فى عصابة للسرقة والسطو والاخلال بالامن ، او باختفاء ابنته « المتحررة » او ..

وعندما اقول الثقافة فانني لا اعني الشواهد المدرسية ، والدبلومات المهنية ، فالثقافة استقامة . والمثقف هو المستقيم ولو كان اميا ، والجاهل هو المنحرف ولو كان يحمل جملة من الاجازات الجامعية. (فالمعارف الذهنية المجردة اذا لم تتحول الى ثقافة قلبية وعمل صالح كانت وبالا على صاحبها) . والمستقيم هو الذى يتحمل مسؤولياته كاملة ، والمنحرف هو الذى يتملص من اعبائها وتكاليفها (وان كان لا يستطيع التخلص من تبعاتها ونتائجها) فالاستقامة والوعي هي القوة التى يتسلح بها الاب ، ويتدخل لتغيير وجهة الحوار والصراع بين ابنائه . واذا كانت الاستقامة ليس مصدرها التعليم المدرسي ، ولا نابعة بالضرورة من الاجازات والشواهد ، فما هو مصدر تلك القوة الخفية التى تتدخل فتجعل هذا القلب — وبالتالي الانسان — قويا مستقيما ، وذلك ضعيفا منحرفا ؟

الايمان بالله قوة مطلقة

لحكمة ارادها الخالق عز وجل لكل قوة قوة مضادة ، الداء يقابله الدواء ، والجهل يقابله العلم ، والضياء يقابله الظلام ، والمادة تقابلها الروح . وصنع البعض صواريخ ، فاخترع الآخر صواريخ مضادة وهم الآن يصنعون صواريخ مضادة للصواريخ المضادة، ويبحثون عن سلاح مطلق لا يقابله اي سلاح . اقول لكل قوة قوة مضادة تكمن فى صلبها — كما يتولد الانتصار من الهزيمة — او تكون موازية لها اجنبية عنها . الا قوة الايمان بالله فانها قوة مطلقة وسلاح مطلق . قد يتبادر الى الذهن هنا سؤال يقول : الالحاد والكفر والشك والارتياب اليست قوى مضادة للايمان ؟ والجواب نعم ولا فى الوقت نفسه ! نعم لانها بالفعل قوة مضادة للايمان ، ولا لانها ضعيفة امامه وليست له كفؤا ولا ندا . فاشعاعة خاطفة من لمع الايمان تضيء قلب الانسان لحظة صغيرة جدا تستطيع ان تحطم الالحاد والشك والارتياب الذى عاش داخله سنوات بينما العكس ليس صحيحا . فلا تتمكن لحظة من لحظات الشك العابرة ان تحطم قوة الايمان التى تمكنت من القلب وعاشت فيه سنوات . كل ما يحدث هنا هو خدش تلك اللوحة البيضاء بوضع نقطة سوداء داخلها ، ولا يستحيل قلبه كله ظلاما الا بعد ان تمر عليه سنوات طويلة كلها كفر والحاد. وهنا يمكن ان ياتي هذا السؤال : ما هو سر فى قوة الايمان بالله ؟ ولماذا تقوى القلوب وتستقيم بقوته داخلها، وتضعف وتنحرف بضعفه فيها ؟ الجواب على ذلك ما ياتي :

أ — الايمان فطرة :

قرر الباحثون والدارسون لتاريخ المجتمعات والشعوب ، انه لا يوجد شعب او قبيلة يخلو من الايمان بوجود الله ، لا فرق بين الشعوب الموحدة المنزهة ، او المشركة المجسمة التى عبدت المادة كالشمس والقمر والنجوم ، او نوعا من الحيوانات والنباتات والاشجار ، كما لافرق بين الشعوب المتحضرة او التي وصلتها دعوة الرسل ، وبين الشعوب الهمجية او التى لم تسمع بنبي ولا رسول، فالاختلافات هنا شكلية ومظهرية ، اما اللب والجوهر فانهم يؤمنون جميعا بوجود اله ، واذا اتفقت كل الشعوب سواء التى وصلتها رسل ام التى لم تصلها على وجود اله فمعنى ذلك ان هذا الايمان غريزي وفطري فى النفس (لا يحتاج الى قوة خارجية تبذره فيها وكل ما تفعله هذه القوة هو ازالة العوائق التى تحول دون بروزها ، وتكفها عن العمل ، وتضعف تاثيرها على القلوب والانفس) . وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة — كون الايمان بالله فطرة — فقال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر

الناس لا يعلمون » (45) وتتحرك هذه الغريزة فى اوقات الشدة عندما تحيق الاهوال بالانسان وتحاصره الكوارث ، ويشعر بضعفه وهوانه ، اذ ذاك تتحرك قوة الايمان لتذكره بوجود قوة غيبية يمكنها ان تتدخل لانقاذه : « هو الذي يسيركم فى البر والبحر ، حتى اذا كنتم فى الفلك وجرينا بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » 46) . « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (47) . « واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ، ثم اذا اذقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون » (48) . « واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله » (49) . « فاذا مس الانسان ضر دعانا ، ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم» (50) ((.. واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » (51) .

لقد تحدث علماء النفس عن الغرائز وقسموها تقسيمات ، فمن ذاهب الى انها تفوق المائة ، الى حاصر لها فى اربعة عشر ، الى « فرويد » الذى جمعها فى قوة واحدة سماها « الليبدو » وزعم ان قوة « الليبدو » تعبر عن نفسها بأسلوبين اخترع لها اسمي غريزة الحياة والبناء والتركيب ، وغريزة الموت والهدم والتخريب . ورغم اختلاف هؤلاء العلماء فى الاسماء والتقسيمات فانهم يجمعون على شيء واحد ، هو ان مهمة الغرائز هي المحافظة على وجود وسلامة الفرد والنوع . ولكنهم يجهلون او يتجاهلون الحديث عن غريزة مهمتها المحافظة على سلامة القلب او النفس او الروح . ولهذا نرى انه من اللازم اعادة النظر فى الغرائز ، فتقسم على اعتبارين رئيسيين : غرائز مادية اساسها المحافظة على الفرد والنوع ، وتدخل تحتها كل الاسماء الاخرى كغرائز الجوع والجنس والاجتماع بالآخرين ، وغرائز روحية اساسها الايمان بالله ، ويدخل تحتها اسماء اخرى كغريزة الجوع الروحي ، والايمان بالملائكة والكتب والرسل ، والغيب والبعث والثواب والعقاب والجنة والنار ، هذه الغرائز موجودة بالفعل فى اعماقنا نحسها ونلمسها فى تشوفنا ورغبتنا فى استكشاف واختراق حجب العالم المجهول الذي يسمونه غيبا . نحس بوجود هذه الغرائز فى اعماقنا ونحن نستعرض بعض الآيات الكريمة وهي تتحدث عن الله جل جلاله ، وعن صفاته وعلاقاته بعباده ، او هي تصف ذلك اليوم المشهود عندما تحشد الخلائق وتحشر وتعرض على ربها ، يوم يجلس الخالق للقضاء ويتقدم المتهمون والمجرمون ، والابرياء والسالمون ، والذين خلطوا عملا صالحا وآخر شيئا . نحس بغريزة الايمان بالغيب تتحرك فى اعماقنا حية قوية ونحن نتصفح وجوه الآيات الكريمة وهي تصف مشاهد العرض والحساب ، فالملفات ــ سجلات الاعمال الدنوية ــ تقدم ، فتفحص وتمحص ، والاعمال الصالحة ترجح هذه الكفة ، والسيئة تشيل تلك ، وطائفة الخاسرين تقذف فى نار تكاد تميز من الغيظ ، وكلما استغاثوا او نادوا « يا مالك ليقض علينا ربك » اجابهم « انكم ماكثون » وطائفة ثالثة تسمى الاعراف لا لها ولا عليها ، تحتل منطقة وسطى بين الطرفين ، لا تسعد بنفحات الجنة ولا تشقى بلفحات الجحيم . عندما نستعرض هذه الآيات الكريمة نحس ان هذا العالم الغيبي ليس غريبا عنا ، بل هو موجود بطريقة ما فى نفوسنا ، وان مهمة الآيات الكريمة انما هي تذكيرنا به ، وازالة الصدا الذ ىران على قلوبنا فأعماها عن رؤيته ، وبلد احساسنا فلا نحس به ، والتفسير المقبول لوجود غريزة الايمان بالغيب ، هو ان الروح اطلعت على هذا العالم فى الاول قبل ان ينفخها الله

---

(45) الروم 20 .
(46) يونس 22 .
(47) العنكبوت 65 .
(48) الروم 33 .
(49) الزمر 8 .
(50) الزمر 49 .
(51) لقمان 22 .

جل جلاله في جسد آدم عليه السلام ، فتعميها المادة وتنسيها اصلها . وحنين الروح الدائم الى التطهر والعودة الى الاصل والاصالة ليس له الا تفسير واحد، وهو ان هذا الحنين الى العالم الغيبي و لايمان بوجود ه، فطرة وغريزة ركبت في صلب الروح او النفس او القلب . وما يحس به الانسان من توبيخ الضمير وتأنيبه ولوم النفس اللوامة عندما يأتي عملا شريرا ، ليس الا نفحة من نفحات هذا العالم واشراقة روحية تضيء قلب الانسان فيلمح او يتذكر مشاهد العرض والثواب والعقاب ، ويرعوي وينجزر ، ويستمد القوة لمقاومة نوازغ الشيطان ونوازغ الشر في المرة القادمة ، وقد تدفعه الاشراقة الروحية الى القيام بعمل صالح يمحو سيئته ويرجح كفة حسناته أمام خالقه .

فالايمان بالله اذن قوة وفطرة وغريزة روحية .

ب ـ الايمان نور وحياة

اذا كان العلم المادي يضيء عقل الانسان ويرسم له طريقا يمكنه من الكشف عن اسرار الطبيعة ومعرفة قوانينها ونواميسها ، وبالتالي يزيد من مقدرته على السيطرة على المادة وتسخيرها في سبيل تقدمه الحضاري وصعوده في سلم الحياة الراقية ماديا ، فان الايمان بالله والعلم به يضيء عقله وقلبه ويرسم له الطريق الذي يمكنه من التغلب والسيطرة على قوى الطبيعة ونفسه ايضا . فيسعد دنويا وأخرويا ، وظاهرا وباطنا . لقد ربط القرءان الكريم في الكثير من آياته بين الايمان بالله والرؤيا الواضحة والعيش السعيد والحياة الروحية من جهة ، وبين الكفر والظلام والعمى والشقاء والموت الروحي من جهة ثانية . يقرر القرءان الكريم ان الباري عز وجل نور : « الله نور السموات و لارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور .. » (52) .وان الهداية، هداية الى النور والاهتداء به : « .. يهدي الله لنوره من يشاء.. » 53) . وان الايمان نور : « افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » (54). والمؤمنون بالله يخرجهم من الظلمات الى النور : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » (55) . كما تقوم الرسل بهذه المهمة : ((الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .. » (56) . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » 57) . « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا » (58) . والجاحد لوجوده تعالى غير المؤمن بما جاءت به الرسل وبالتالي غير المتصل بنور الله اعمى دنويا واخرويا : « افمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى)) (59) « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا » . واعمى القلب والبصيرة يحيا حياة شقية ويعيش معيشة ضنكا : « فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذكري فانله معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)) . اما المؤمن فعلى العكس من ذلك يحيا حياة طيبة : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)) والحياة الحقيقية ـ الروحية ـ انما تكون بالاتصال بهذا النور ، اما الابتعاد عنه فموت : « أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ولذلك حث الله تعالى عباده على الاستجابة لدعوة الرسل لانها دعوة الى الحياة : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء

---

(52) النور 35 .
(53) النور 35 .
(54) الزمر 21 .
(55) الاحزاب43 .
(56) ابراهيم 1 .
(57) المائدة 15 .
(58) المائدة 174 .
(59) الرعد 19 .

وقلبه ، وانه اليه تحشرون » واذا كان الايمان نورا وحياة فان الكفر والالحاد ظلام : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات» .

هذا هو راي القرآن الكريم في الانسان ، فلكي يبصر القلب ، ويرى الطريق السوي بوضوح فيستقيم ولا ينحرف ويزيغ ، ولكي يحول سلبياته ايجابيات وفزعه ورعبه امنا واطمئنانا ومرضه سلامة وضلاله هداية وضعفه قوة ، ويحيا صاحبه حياة سعيدة وخالدة ، لا بد من الاعتصام بالله والاهتداء بنوره . فالايمان قوة ونور وحياة : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » .

— × —

دور البعث الاسلامي في التغيير :

لكي يتمكن قوم او مجتمع او جماعة من تغيير ما بهم من واقع مريض متخلف ، عليهم اولا ان يغيروا ما بانفسهم من افكار متخلفة مريضة ، سلبية ومنحرفة ، تربطهم الى الارض والحضيض وتشدهم الى الوراء . ولكي يتمكن قطار مجتمع ما من الانطلاق في رحلة حضارية ، لابد اولا من اطلاق تلك الطاقة الهائلة الكامنة في الشباب ، قلب المجتمع ولبه ولبابه . ولن يتمكن الشباب من تحمل مسؤولياته كاملة واداء رسالته الاجتماعية على الوجه الاحسن الا اذا غمر قلبه نور الايمان بالله ، فاهتدى به واتخذه مصباحا يساعده على انقاذ نفسه من غوائل ومكائد ومصائد المسالك الملتوية المظلمة ، وارشادها الى المحجة البيضاء والصراط السوي السليم . وقد ادرك صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله وسدد خطاه ، هذا بفكره الثاقب النير السديد — والمؤمن يرى بنور الله — فأبى جلالته الا ان يعلن عن بداية انطلاق الدعوة الى البعث الاسلامي في مناسبة خاصة ، هي مناسبة عيد الشباب ، اشارة من جلالته الى ان الشباب هو الهدف الاساسي من عملية البعث والانبعاث ، وانه نقطة البداية في تغيير الواقع المغربي الحالي بآخر افضل وارقى . ولكي يعطي جلالته لفكرة البعث ابعادها الاجتماعية والمادية ، ولكي تزال من الاذهان تلك الفكرة الخاطئة عن الاسلام والتي تصوره انه مجرد علاقة بين الله وعباده ، وانه انقطاع الى المساجد وزهد وانصراف عن الدنيا ، ولكي يتأكد عمليا ان الاسلام شعبتان روحية ومادية ، وانه ايضا عمل وانتاج وبحث عن مصادر الثروة وتوزيعها بعدل ، اصدر جلالته في السنة التالية اوامره السامية بالبداية في تطبيق الاشتراكية الاسلامية . وهكذا صدرت المراسيم باشراك العمال في أرباح معملين اثنين كتجربة ستعمم في المستقبل، كما صدرت المراسيم باسترجاع الاراضي المغتصبة وتوزيعها على الفلاحين ، واشراكهم في مداخيلها وعائداتها ، كما مددت حدود المياه الاقليمية حتى تصان ثروتنا السمكية التي كانت تذهب نهبا للشباك والمراكب الاجنبية ، كما دشن جلالته سدين كنقطة انطلاق لتغيير واقع عدد كبير من الفلاحين والعمال ، كما صدرت الاوامر السامية باعادة النظر في السلم الاداري ومرتبات الموظفين والعمال . كل هذا وعملية البعث الاسلامي تشق بحدها الروحي طريقها الى القلوب والنفوس ، فالمساجد الانيقة تشيد ، والمنارات ترتفع ، وصوت حي على الصلاة يتشعب في احياء المدن والقرى ، فيذكر القلوب والنفوس بمواثيقها الازلية ، ويزيل غشاوتها ويعيد اليها طهرها وصفاءها . اخلص من هذه المقدمات الى القول ان القطار المغربي استقام على خطين متوازيين: تربية اعتقادية ، وتنمية اقتصادية ، تغيير النفس لتستقبل الاوضاع الجديدة ، وتغيير الاوضاع المريضة لينسجم الجديد مع ما حدث في النفس من تغيير . وهذا هو الطريق الذي رسمه الباري عز وجل للمجتمع الاسلامي في بداية نشوئه ، فقد كانت البداية هي تغيير ما بالنفس من كفر وضلال ومفاهيم جاهلية ، حيث ركز القرآن المكي على الدعوة الى الايمان بالله وتوحيده وتنزيهه ، وما يتفرع عن ذلك كالايمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث ، حتى اذا قويت العقيدة وتمكنت من النفوس امرهم سبحانه بالهجرة الى المدينة كبداية لنشوء المجتمع الاسلامي وتغيير الواقع الاجتماعي للمسلمين . وهناك نزلت معظم الآيات المنظمة للحياة المادية ، ولعلاقات الافراد فيما بينهم ، وعلاقات المجتمع الاسلامي بغيره . وبعد ان قوي الجانب المادي للمسلمين امرهم سبحانه بمواجهة المجتمع الجاهلي ، وكانت نتيجة المواجهة مجتمعا واحدا وامة واحدة توحدت حول عقيدة التوحيد ، واندفعت الى العالم تنشر نور القرآن وحضارته الراقية ، حتى اذا انعدمت في نفوسنا او ضعفت قوة الدفع القرآني سلمنا المشعل الى غيرنا، وتربصنا ننتظر بعثا وانبعاثا جديدا تحقيقا لوعده سبحانه ، وهو الذي لا يخلف الميعاد .

وماذا ننتظر لتحقيق الوعد الالهي ؟ فلا رسول بعد محمد ، ولا هجرة بعد الفتح . هناك ما ان تمسكنا به قادنا ودفعنا الى تحقيق وعد الخلافة والتمكين وتبديل الخوف امنا . كتاب الله وسنة رسوله ، وهناك العلماء ورثته عليه السلام ، الذين يحاربون الآن في مضيق « الماراتون » (60) بعد ان انهزمت جموع كثيرة امام التيارات الاجنبية، والغزو الفكري والاجتماعي الغربي بشقيه ، فالهجرة الآن انما هي هجرة الى الله ورسوله . الى كتاب الله والاعتصام بحبله المتين . وبعد هذه الهجرة الروحية يتحقق قوله تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا .. » (61) وهذه هي الفكرة ـ الايمان والروح اولا ، ثم المادة والرقي الحضاري ثانيا ـ التي يضطلع بها قادة البعث الاسلامي بشرحها وتوضيحها وترسيخها في النفوس . نحن الآن في البداية ، والبداية دائما اصعب مرحلة ، تتطلب اليقظة والحذر ، فلا تخلو اية فكرة عظيمة من اعداء ومعوقات . واهم ما يجب ان يتصف به حامل الفكرة الداعي الى نشرها واشاعتها ابتغاء وجه ربه هو سعة الصدر والافق والحيلة ، عليه ان يخاطب الشباب باللغة التي يفهمونها ويتقنونها جيدا ، وهي لغة المنطق والحجج والبراهين العقلية ، فلا يكتفي بالاستدلال بالآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة . بل لابد له من الاستعانة بالعلوم التي لها صلة بنفس الانسان ، وخاصة علم النفس والاجتماع والتاريخ ، ولابد من ان يكون على بينة من النظريات الحقوقية المعاصرة ، ومن التيارات الادبية والفلسفية الحديثة . ومما يقر الاعين ويثلج الصدور ان دار الحديث الحسنية التي هي مبرة من مبرات الملك الشاب المؤمن الغيور ، ومكرمة من مكارمه التي لا تعد ولا تحصى ـ بدات تسير في هذا الطريق السليم ، فقد بدات في تغيير مقرراتها وتنويع مناهجها حتى تتمكن من اخراج دعاة مسلمين بثقافة عصرية متينة قادرة على الاقناع والتاثير الفعال .

والشيء الذى يجب ان يؤمن به الداعية ايمانا يقينيا جازما هو ان ما يعتري الشباب حاليا من حالات الالحاد والشك والارتياب ، ليس الا حالة عابرة طارئة ستزول حتما بزوال اسبابها ، لقد قال احد المفكرين « لكل عصر اهواء جنونية ، وانا اعتبر الالحاد من اهواء هذا العصر » فجنون الالحاد ليس

(60) الماراتون قرية باليونان عندها هزم القائد اليوناني ميلسياد جيوش الفرس سنة 490 ق م واصبحت كلمة الماراتون رمزا للفئة القليلة المؤمنة بقضيتها ، تصبر وتناضل فتنتصر في النهاية . والاصل في ذلك ان جيوش اليونان انهزمت امام جحافل الفرس ولم يثبت الا القائد ميلسياد في جماعة صغيرة من جنوده ، وظل يحارب ويستميت في مضيق الماراتون حتى اثار حماس شعبه وحرك قواه الكامنة فعاد للحرب مرة ثانية وانتصر . وفي مضيق « الماراتون » صمدت المقاومة الفلسطينية وحدها بعد ان انهزمت الجيوش العربية النظامية سنة 67 ، وها هي القوة الكامنة تتحرك من جديد ، وفي مضيق « الماراتون » صمد علماء المغرب مرتين ، الاولى في عهد الحماية عندما تصدوا للمحاولات الاستعمار الرامية الى سلخ المغرب عن لغته وعروبته ، فاتخذوا من جامعة القرويين وغيرها من المعاهد الدينية قلاعا وحصونا حصينة للمحافظة على اللغة العربية ونشرها . ومن جامعة القرويين تخرج المجاهدون الذين اسسوا المدارس الحرة التي كان لها الفضل الكبير في زعزعة اركان الكيان الاستعماري ، فقد تحولت المعاهد الدينية والمدارس الحرة الى مراكز للثورة يتلقى مديروها ورؤساؤها الاوامر من المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، وينفذونها ، وظل علماء المغرب صامدين الى ان جاء الحق وزهق الباطل . اما الثانية فهي صمودهم الحالي في وجه الغزو الفكري والنفسي والاجتماعي . لقد انهزم قطاع هام من الشعب المغربي وخاصة الشباب امام التيارات الاجنبية الهادفة الى سلخ المغرب عن دينه وقيمه واصالته . وتصدى العلماء مرة ثانية لهذا الغزو الخفي الخبيث ، وناضلوا في مضيق « الماراتون » الاسلامي بدعمهم ورعاهم صاحب الجلالة الحسن الثاني المؤيد بالله .
وها نحن اليوم نرى آثار هذا الصمود وذلك الدعم تبدو ، فقد بدا نور الحق يلمع ، وستنقشع ظلمات الباطل ، وما يبدىء الباطل وما يعيد .

(61) النـور 55 .

وقفا على شبابنا بل هو ظاهرة عالمية عملت عوامل عديدة على نشرها واشاعتها تنفيذا لمخطط مدروس. (سأعالج موضوع الشباب والالحاد في كلمة مستقلة ان شاء الله) فالشك والريب طاريء ودخيل ، والايمان غريزة وفطرة متمكنة من النفوس والقلوب كامنة في أعماقها ، لا تتطلب الا من يكشف عنها ويزيل ما يغطيها ويحجبها ، ويعوق حركتها ، كالنبع المردوم بصخرة عظيمة لا يتطلب الا ازالة هذا الحاجز ليتدفق فيروي الارض ويخصبها . وهناك حقائق عملية تؤكد هذا ، فقد بدأت حملة البعث الاسلامي تؤتي بواكر ثمارها ، ورأينا جانبا كبيرا من الشباب المثقف الواعي ينصت الى الدعاة ويناقشهم . كنت احضر حلقات الوعظ والارشاد التي تنظمها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة حلول شهر رمضان الكريم ، وما كنت ارى بجانبي جلوسا على الحصائر منصتين في خشوع الا الكهول والشيوخ والعجزة ، وقد تغير هذا المشهد في رمضان الماضي، ولله الحمد والشكر على هدايته وتوفيقه . قال لي السيد الواعظ بعد ان القى درسا ناجحا اثر فيه على الشبان الحاضرين تأثيرا بليغا ، قال والدموع تكاد تلمع في عينيه ، لقد اكتشفت ان الانسان مؤمن بالفطرة ، طيب خير اصلا وطبعا ، وما دورنا الا توعية وتعرية للنفوس وازالة اوهامها وأكدارها حتى يعود اليها صفاؤها والى القلوب طهرها .

وما يمكن ان يستعين به الداعية هو ان يخاطب الشباب هكذا : انك تقرأ الكثير من الكتب الادبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية والنفسية والعلمية ، فكم مرة قرأت القرآن ؟ لماذا لا تقرأه على انه مجرد كتاب ككل الكتب التي تحتفظ بها ؟ عد اليه متجردا من افكارك المسبقة وحاول ان تقرأه وتفهمه مستعينا بثقافتك العصرية . لي كامل اليقين ان الشاب المثقف لو فعل ذلك لخرج من قراءته وقد تخلص من الكثير من أوهامه وشكوكه ، ولو عاود القراءة المتأنية الواعية مرات لخرج من جولته القرآنية مؤمنا عن اقتناع ويقين جازم وحجج عقلية لا تدحض، واقتناعه هنا يرجع الى عنصرين ، اولهما انه عندما يقارن بين ما في القرآن الكريم ، وبين بعض نظريات علم النفس والاجتماع ، والعوامل المؤثرة في نشوء المجتمعات وتطورها وانهيارها ، وبعض النظريات العلمية الحديثة كأصل الكون ووحدة مادته وتمدده واتساعه ، سيتأكد حتما ان القرآن كلام الله وليس كلام البشر ، لان العقل لا يقبل ولا يصدق اطلاقا ان رجلا مهما كان مفكرا عبقريا يمكنه ان يخترق حجب زمنه عشر قرنا كاملة . ويكتشف ما يقرره علمنا الحالي ، خاصة وان هذا الرجل كان أميا ، وعاش في بيئة صحراوية قاحلة ماديا وروحيا ، وثانيهما انه عندما يقارن بين الفلسفة القرآنية والفلسفات المعاصرة سيقتنع بان النهج القرآني هو الاقوم والاسلم ، لانه يرسم طريقا سهلا واضحا لسعادة الانسان ورقيه روحيا وماديا ، ويجيب على اهم الاسئلة التي تشغل ذهن الانسان اجابات مبسطة يفهمها المثقف ، ويقتنع بها الامي ويطمئن اليها قلبه . وفي هذه الحالة فانه سيفضل النهج القرآني حتى ولو لم يؤمن بانه وحي من الله . وقد سمعنا وقرأنا عن كثير من المفكرين اعجبوا بالنهج القرآني وسحروا ببساطة الاسلام فاعتنقوه عن يقين بعد دراسة وبحث وتمحيص ، وآخر مثل على هذا تلك الاميرة الانجليزية التي اثار انتباهها حياة المسلمين الورعة في « سروك » فاقبلت على القرآن تدرسه ، واذا بها تخرج من رحلتها الدراسية مؤمنة عن اقتناع عقلي . فليقتد الشاب الشاك بهذه الاميرة، وامثالها كثيرون ، ويقبل على دراسة القرآن متجردا من دراسته وأفكاره المسبقة ، ثم يحكم عقله ، ويستفتي نفسه ، وينصت الى نداء قلبه وضميره .

لي كامل الايمان واليقين ان ما يعتري شبابنا من حالات الشك والالحاد ليس الا لحدا يغطي ويحجب غريزة الايمان بالله الكامنة في الاعماق ، وتحجرا روحيا لا بد أن ينحل ويتفتت ويتحلل الشباب من حجره — بكسر الحاء — واصره واسره ، ويطلق طاقته الخلاقة من طوقه وقيوده واغلاله .

ان اليوم الذي يعود فيه الشباب الى ربه ، ويتحمل مسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه آت . وكل آت قريب . « والله غالب على امره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

مكناس — ابو عدنان عبد القادر البوشيخي



حب وطاعة

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

عرش وشعب ، في الوفاء تبادلا حبا وطاعه ،
من ثدي فطرتنا ، توثق عهدنا ، عند الرضاعه ،
كل يضاعف جهده ، ونراه يبذل مستطاعه !
فانظر لتلفزة ، وهيا الصحافة والاذاعه ،
فيها اماط المغرب الاقصى على الدنيا قناعه .
لله ، والوطن العزيز ، وعرشه جعل انقطاعه ،
اذ تلك فيه عقيدة مثلى ، بها طبع اقتناعه
فالعرش في موج الحياة ، دليله ، يهدي شراعه :
في ثورة (الحسن) العظيم ، تبلورت « روح الجماعه »!
وتحفزت عزماتنا ، نحو الكفاية والضلاعه .

* * *

يا سيد الاسياد ، يا اسمى مثال في الشجاعه ،
صور البطولة ادهشت منك الورى في كل ساعه ،
من يعرف المقصود في المسعى ، فليس له قناعه :
والارض ذاك الكنز فينا تعلن استرجاعه ،
حاربت الاستعمار ، لا ترضى هنا اقطاعه ،
والشعب جبار ، طموح ، قد ابى اخضاعه ،
مهما يطل ليل ، فان الصبح قد بعث انقشاعه
ما دام ظلم ، فالعدالة اتقنت منا اقتلاعه .

* * *

يا ثائرا ومصمما ، يوحي الى الشعب اندلاعه ،
في كل شيء حقنا ، الهمتنا ارجاعه ،
فمياهنا مددتها ، من دون حيف او اضاعه ،
للصيد غصنا في المحيط ، وفلكنا مهر اندفاعه ،
لا بد من خوض المشقة للذي رام انتفاعه
والحق منتصر ، فلم يخذله افك او اشاعه ،
والحق يؤخذ بالتحدي للذي قصد اقتطاعه .
من نام عن حق ، ولم يفرض على الخصم ارتداعه ،
غالته غائلة من الظلم الذي ينوي ابتلاعه !

* * *

يا سيد الاوطان ، من يهدي لها اشعاعه ،
منك استمد الشعب طاقته التي هزت ذراعه ،

وعلى الحقيقة انت دوما متقن اطلاعه ،
فى كل ناد منه ذكرك عاطر ، فى كل قاعه .
هذي دروسك كوثر ، عودتنا اتراعه ،
تحيي الضمير مواليا رواءه ، اشباعه ،
فالمغرب الاقصى من الفردوس مقتبس ضياعه ،
(مازيغ) آخى (يعربا) ، فى ذمتي ليست مضاعه
هذا كتاب الله هدي دائم نهوى استماعه ،
يحميه عرش فى العناية يشهد استمتاعه !
وارى السعيد اذا نجا ، ينجي هنا اتباعه !
ندعو (القوي) ، وفى الاجابة نرتجي اسراعه ،
فاذا (العزيز) يعز عرشا منقذا اشياعه ،
ليكون فى الوطن المجيد صباحه يغشى رباعه
ويؤمن الاسلام فى الاكوان مما قد اراعه !
تاريخنا فينا اعاد بعرشنا اقناعه ،
وعلى الاصول وحفظها ، ابدى لنا ازماعه ،
فالجوهر المكنون فيه نقدر استيداعه :
قد شيد (الحسن) العظيم حصونه ، وبنى قلاعه !

* * *

مولاي ، كل الخير منك عيونه النباعه ،
والسر سر الله ، فيك مسخر ابداعه ،
فى الحرث اعطيت المثال ، مكملا ابداعه ،
(مليون هكتار) سبيل واضح نهوى اتباعه :
والثورة البناءة ازدهرت بها غرر الصناعه ،
هذي سدودك بشرت بالخصب فى دنيا الزراعه ،
والمغرب الاقصى جنى الارباح من تلك البضاعه ،
هذي اطارات له دلت على اوج البرعه ،
تزداد صفحته بفضلك يا مجدده نصاعه !
ولصوتك الداوي تراه مفتحا اسماعه ،
تلك اشتراكية بها هذبت فى صدق طباعه
اغنيت محروما ، ولم تنقص لميسور متاعه ،
هذي المآثر خير امجاد تدبجها اليراعه !

* * *

وجنودك الابطال فى (الجولان) عنوان المناعه ،
تجريدتان توالتا ، فاذا العدى مرتاعه (1)
لله تلك اسودنا ، لنفوسها بياعه ،
لبت نداء الحق حين غدت له سماعه ،
تعطي الدم الغالي ، بنفس للعلى نزاعه ،
ومثالها الاعلى سخاؤك فى يقين ، فى شجاعة (2)
ومواطنونا فى احتساب قدموا ثمن الاطاعه :
هذي زكاة الفطر منها يملأ الايمان صاعه ،

---

(1) اشارة الى التجردة المغربية الاولى فى جبهة الجولان بالجمهورية العربية السورية الشقيقة ، تحت قيادة الجنرال عبد السلام الصفريوي ، والى التجردة المغربية الثانية فى سيناء تحت قيادة الكولونيل ماجور حسن حاتمي .

(2) من المعلوم ان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ، كان قد تبرع بجزء من دمه لفائدة جنودنا الاشاوس ، والقوات العربية التى تناضل جنبا الى جنب من اجل اعلاء كلمة الحق والعدالة فى الجبهتين السورية والمصرية ، وبذلك اعطى جلالته المثل من نفسه فى الحملة الواسعة النطاق ، حملة التضامن والدعم التي يقدمها الشعب المغربي ، من اجل قضية الحق العربي ، ونصرة العدالة ، ومقاومة العدوان الاسرائيلي البغيض ، وحملة التبرع بالدم التى جرت على نطاق واسع فى جميع انحاء المملكة ، قد توجها جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ، اذ قدم جزءا من دمه الغالي ، ليمتزج بالدم العربي فى ساحة المعركة من اجل الحق والعدالة ، والشرف والكرامة .

للبذل في ساح الفداء تهب في اقصى استطاعه ! (3)
و(الصفريوي) بطولة ممتازة طبعت دفاعه ،
في سوريا) علامنا ، رمز الشهادة في الجماعه ! (4)
طوبى لارواح غدت لخلاصنا ميتاعه ،
فالفوز احدى الحسنيين بهمة مناعه !
(القدس) ناداك : (واحساه ! ، اذ يشكو ضياعه .
و (المسجد الاقصى) على نار لقد ندب انتزاعه .
مسرى الرسول تناوشته عقارب لساعه ،

وجميعه أمسى عيوننا في الاسى وماعه !
ذكرى) صلاح الدين) فينا قررت ارجاعه !
فله قلوب المؤمنين توجهت في كل ساعه !!

❋ ❋ ❋

(صهيون) شيطان الوقاحة ، والتلون ، والخلاعه :
منه التحدي والتعدي منذر بقيام ساعه !
لم تلق جنسا مثله في خسة او في وضاعه ،
(روح الرباط) حقيقة ، قد زلزلت اضلاعه ! (5)

---

(3) تلبية للنداء الملكي السامي ، صرفت زكاة الفطر لفائدة أسر الشهداء والمعطوبين في معركة المصير . وعلاوة على ذلك ، فقد بلغت التبرعات المجموعة لمساندة اخواننا المكافحين في شتى اقاليم المملكة مئات ملايين الدراهم . وهذا يدل دلالة واضحة على التضامن الفعال لنصرة القوات العربية المناضلة بالنفوس والنفائس .

(4) صدر في دمشق يوم السبت 14 شوال الابرك عام 1393 هـ ، الموافق 9 نوفمبر 1973 م ، مرسوم رئاسي يمنح لقب بطل الجمهورية العربية السورية ، الى كل من الجنرال عبد السلام الصفريوي قائد التجريدة المغربية ، في جبهة الجولان ، والشهيد الكولونيل عبد القادر العلام ، وبمقتضى هذا المرسوم السوري ، فان الجنرال الصفريوي ، والمرحوم الكولونيل العلام ، هما من اول الضباط غير السوريين ، اللذين تم منحهما هذا التشريف العسكري ، تقديرا لدورهما الحيوي في معركة الشرف .
هذا ، وقد وشح جلالة الملك القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية علم التجريدة المغربية الاولى في سوريا بالوسام العسكري ، وعلم التجريدة الثانية التى رابطت في مصر ، بالنجم الحربي بتنويه من الجيش .
كما وشح الجنرال عبد السلام الصفريوي ، قائد التجريدة الاولى بالنجم الحربي بتنويه من الجيش ، والكولونيل ماجور حاتمي حسن ، قائد التجريدة المغربية الثانية بالنجم الحربي ، بتنويه من اللواء ، والشهيد الكولونيل عبد القادر العلام ، بالنجم الحربي ، بتنويه من اللواء ، والشهيد الكولونيل عبد القادر العلام ، بالنجم الحربي بتنويه من الجيش .
كما وشح القائد الاكبر ـ حفظه الله ـ باقي الأبطال والشهداء الابرار .. والنصر لراية الاسلام والعروبة ، التى رفعها عالية ابناء الحسن العظيم في معارك الجولان الظافرة ، وفي سيناء ، مثلما رفعتها اجيال واجيال من شعبنا في كل الامصار ، وفي كل المعارك من اجل الحق والعدالة .

(5) من المعلوم ان صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله ، كان قد انتخب بالاجماع رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية ، في دورتها التاسعة المنعقدة بفندق هيلتون بالرباط . وكان المؤتمرون قد شجبوا العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية ، فأصبح من نتائج اليقظة الافريقية الكبرى ، ان قطعت كل الدول الافريقية الحرة علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل ، احتجاجا على تحديها وبهتانها ، واحتلالها للاراضي العربية بالقوة . وضرورة انسحابها اصبح لا مناص منه ، لاحلال السلام في الشرق الاوسط .
ونحن لا ننسى انه في بداية حرب عاش رمضان 1393 هـ ، الموافق 6 اكتوبر 1973 م ، كان صاحب الجلالة الحسن الثاني ايد الله ملكه ، قبل الشروع في احد الدروس الحسنية آنذاك ، قد دعا الحاضرين الى تلاوة الاسمين الجليلين (القوي العزيز) مائة مرة . فكان ذلك فال خير ، وفوز ، وفلاح . ولقد صدق الله وعده ، وايد عبده ، ونصر جنده ، وهزم الاعداء الصهاينة وحده ، =

(افريقيا) فضحته فى الاكوان ، لم تقبل خداعه ،
امـم البسيطـة كلهـا ، مـن مكـره ملتاعـه !
(صهيون) ممن ودعوا (طايوان) ، مرتقب وداعه، (6)
فهل الدخيل قد ارتوى من علقم عاني اجتـراعه ؟
كالناقة العشواء فى الصحـراء، لا يدري انتجاعـه ؟!
فى (يوم كيبـور) تعـرت للورى تلـك الشناعه ،
وتضاءلت احلام من زرعـوا التحايـل والفظاعـه !
وتفوق الخصم العنيـد خرافـة كانـت مذاعـه !
شمس الحقيقة اشرقـت ، رغم الاكاذيب المشاعـه !
والغرب واع ، لا يرى بسياسة الافك انخداعـه !
بترولنا المقطوع ، عطـل من صناعتـه اختراعـه !
رمضـان شهـر الله ، كـان مفتحـا مصراعـه :
فى (خط بارليف) نعى صهيـون للدنيـا رعاعـه !
(سيناء) فيها (الحاتمـي) ، سهامـه اللذاعـه !
تردي العـدى ، فـزول اطمـاع لهـم خداعـه !
والله حين رمى اصاب ، فحقـق البشرى المذاعه !
لا شيء يطوي الصبح او يخفي عن الدنيا شعاعـه !
فالحرب ايقظت الوجود ، ونبهـت حتى ضباعـه !

ومن المحيط الى الخليج صـدى لوحدتنا المطاعـه ،
وتجـددت ثقـة لنـا بنفوسنـا ، يـا للبراعـه !!
ومضى (حزيران) ، وفي ميلادنا حصن المناعه: (7)
(اكتوبر) شهر خالد ، قد بث فى الشرق انطباعه (8)
ما خاب شعب كان قد قوى على الحـق اجتماعـه !
و (المترب العربي) فى تشييـده يابـى انصداعـه ،
ما ضرنا من لم يرد فى وحـدة الصف انصياعـه !
صحراؤنا اوطانتـا ، من بينهـا رحـب مشاعـه ،
فى الطهر تحكي طبعنـا ، فى عـزة او فى شجاعـه !
خسيء الدخيل ، فلم ينل فى حضنهـا أطماعـه !

* * *

يا عاهلـي ، يـا عبقريـا تقـدر الدنيـا اطلاعـه ،
يا جنة الفـن الرفيـع ، وموحيـا ايقاعـه ،
القـت منـه روائعـا ، مستقطبـا انـواعـه
والكـون اجمعـه بـودك مخلـص ايلاعـه ،
اصداء مجـدك اطربـت بجمالهـا اصقاعـه .
كم من كتاب عنـك قد باهـت بـه دور الطباعـه !

= لدرجة ان الدول التسع فى السوق الاوربيـة المشتركة ، قد اصدرت بيانا تؤيده فيه بالاجماع ، الحق العربي ، وتدين العدوان الاسرائيلـي بمنتهى الصرامة .. كمـا كان البتـرول سلاحـا ذا فاعلية قصوى ، وجدوى عظيمة ، فى معركة الشرف والكرامة ، بحيث اتخذت معظم الـدول الاوربية تدابير دقيقة جدا فى تقنين استعمال النفط ، وجميع مشتقاته من الوقـود الضروري فى تحريك عجلات اقتصادها ، وصناعاتها الكبرى ، ومعاملها الضخمة من شتى الاصناف . ولو ان القارة الافريقية قطعت تصدير موادها الاولية الى اوروبا ، لتم القضاء على الاستعمار البرتغالي، وعلى دهاقنة روديسيا وجنوب افريقيا .

(6) اشارة الى تخلي الولايات المتحدة عن الصين الوطنية ، بعد ما كانت من الدول الدائمة فى مجلس الامن التى لها حق (الفيتو) ، واعترافها بكون (طايوان) جزء لا يتجزا من التراب الوطني للصين الشعبية .. فقد تتخلى كذلك امريكـا عـن اسرائيل ، كما تخلت عن جزيرة (طايوان) . لان البقاء للحق والعدالة ، وللاصلح فى الصادرات والواردات . اما الزيف فهو زائل لا محالـة ، طـال الزمان ام قصر . وفي ذلك عبرة لاولي الالباب .

(7) اشارة الى حرب الستة ايام ، والى نكسة العرب فى 5 يونيه 1967 م .

(8) اشارة الى حرب 10 رمضان 1313 هـ ، الموافق 6 اكتوبر 1973 م ، تلك الحرب المشهورة عند المسلمين بحرب رمضان ، وعند الصهاينة ، بحرب يوم كيبور .

يكفيك عزا ان ترى الاسلام قد امن ارتياعه ! (9)
وصدى«الجزائر»في«انبعاث»تشتهي الدنيا سماعه (10)!
(افريقيا) صف توحده ، فلم يخسر صراعه ،
ان العرين مجند في كل ميدان سباعه ،
وارى التضامن منقذا من شر مسغبة جياعه (11)،
مذ جئت بالاكسير ، ودع قلبنا اوجاعه ،
فالكوثر الفياض يروي ، وهو لا يبقي المجاعه !
صرح السلام على الحياد ، تروم في الدنيا ارتفاعه ،
مرحى ! فتلك سياسة مرموقة نفاعه !
يا باعث الاسلام ، اذ مارست في وعي دفاعه ،
في بيعة الرضوان شعبك معلن اجماعه !
فتراه صوتا واحدا للعرش قد محض اقتراعه .
وهنا تعبيء نخبة لشبابنا ، فيهز باعه (12)
فترى النماء بكل ميدان لقد احيا قطاعه .
تخطيطنا اتقنته ، وجلوت للحسنى ابتداعه !
آفاقنا فتحتها ، ومنحت للفكر اتساعه ،
همم الرعايا للعلا ، سباقة مطواعه !

* * *

بركات جدك من له فضل عظيم في الشفاعه ،
قد انقذت وطنا حبيبا ، منك يقتبس انطباعه ،
فبقاؤه وامانه من روحك اللماعه ! (13)
والشعب بالعرش المجيد مصحح اوضاعه ،
اذ انت فيه حمامة بيضاء تطفح بالوداعه !
يدعو لشخصك بالسلامة باسطا ايدي الضراعه ،
حتى يديم الله منك بفضله امتاعه !
اذ انت حقا ذلك الغيث الذى يحيي بقاعه !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

---

(9) تلميح الى مؤتمر القمة الاسلامي ، ومجلس رؤساء دول الجامعة العربية ، المنعقدين بفندق هيلتون بالرباط سنة 1969 ، وكذا مؤتمر جدة ، ثم مؤتمر القمة المنعقد اخيرا بالجزائر ، والذى سماه جلالة الملك « مؤتمر الانبعاث » وسوى ذلك من الندوات الكبرى ، حيث كانت مجهودات سيدنا الامام ، الحسن الثاني ـ اعز الله امره ـ موفقة مشكورة في نصرة العروبة والاسلام .

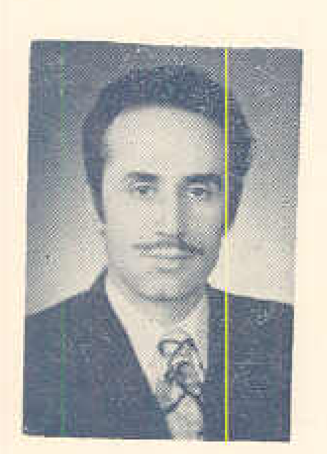
(10) لقد قال صاحب الجلالة الحسن الثاني ـ ايده الله ـ في الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر :
ـ مؤتمر الجزائر ... مؤتمر الانبعاث العربي .
ـ سنصلي في القدس ، ونحيي علم فلسطين،ونحضر استعراضات النصر ، في كل من دمشق ، والقاهرة .
ـ يكفي المغرب فخرا أن يسافر ابناؤه للمشرق للترحم على شهدائهم .

(11) اشارة الى حملة التضامن الفعال ، مع الدول الافريقية التى كانت قد اصيبت خلال الصيف الماضي، بالقحط والجفاف .

(12) تنويه بالخدمة المدنية الاجبارية للاطر العليا من الشباب المغربي الواعي .

(13) بشرى بنجاة سيدنا المنصور بالله ، من مؤامرتي 10 يوليوز سنة 1971 م بالصخيرات ، و 16 غشت 1972 م بالاجواء المغربية ، ومطارالرباط سلا ، بلطف الله ورعايته وعنايته .





قبل سبعة قرون، وسبع سنوات، كانت قافلة من اكبر ما عرفته مسالك الجنوب تغذ السير باتجاه الغرب.

وكانت قيافة الرجال، وما تحمله اغلب الدواب من صناديق واخباء، وما يحيط بالقافلة من فتيان وخدم، تدل على هوية المسافرين؛ فهم من وجوه سجلماسة واصفى صفوة شيوخها، من اولاد البشير واولاد المنزاري، وابن عاقلة والمعتصم.

والتوى الركب، ذلك الصباح، مع الوديان الجافة حيث التوت، ودار حول الكثبان التي تحفل بها الهضاب والقيعان.. واخيرا اناخ حيث ادركته الهاجرة والح عليه القيظ.

وسعى الوجهاء بين يدي ضيفهم الكبير، المولى الحسن بن قاسم، يلتمسون ما عودهم من دعوات ونصح، كلما حطت بقافلتهم الرحال، وحنوا عليه كما عودوه ايضا.. ولكن الشريف لم يفض مما وهبه الله من جميل القول ورطب الثناء الا بجهد لم يقو على الاستمرار فيه.

كان عميق النظرات دون ان يدقق في شيء بعينيه

مستسلما لافكاره دون ان يفكر في شيء بعينيه.

يحدث هؤلاء، المحتفلين به، وجماع مشاعره مشدودة الى المكان الذي انطلق منه الركب:

دشرة اولاد ابراهيم من ينبع النخل بارض الحجاز.

والى المكان الذي يقصده الركب سجلماسة بأرض المغرب.

ففي تلك الدشرة الهادئة التي الفت بزمام امرتها اوالده السيد قاسم تداعي للشريف الضيف ما زوده به ذلك الاب الغيور من وافر النصح، وما اكد عليه من وجوب الاخذ بيد هؤلاء الافاضل، الذين ابوا الا ان يصحبوه معهم الى بلادهم تبركا به، وطمعا في علمه الغزير ورباعه وتجاربه.

وفي هذه الواحة الوارفة من ارض تافيلالت تراكضت امامه الصور التي كانت تنطبع في مخيلته كلما كان يحدثه شيخ الركب ابراهيم السجلماسي عن احوال المدينة وما يجاوز المدينة، وعن حاضر الجناح الغربي من بلاد المسلمين، وعما يتجاذب ذلك الجناح في داخله ومن وراء حدوده المتناهية.

وادرك الرفقاء بان للشريف شأنا انتزعه منهم زوال يومهم ذلك.

فبعد ان ادوا صلاة الظهر ورفعوا اياديهم بالدعاء انصرفوا لمضاربهم آملين ان يلقوا امامهم في احسن احواله، بعد ان يصيب من اغفاء القيلولة وينال بعضا من الراحة.

وكانت المسافة الى سجلماسة قد ضاقت كثيرا بعديوم او يومين، وفجاة اقبلتعلى القافلة اولى طلائع المستقبلين بطبولها ومزاميرها واختلط الفرسان بالراجلين والجمالة بحاملي اكاليل السعف .

وداهمت الشريف عواطف التأثر والحب والامل ، واصبح همه بعد ذلك ان يخفف من ذلك الاندفاع نحو راحلته وثيابه تواضعا واشفاقا . لان كل كبير وصغير بالمدينة انكب على اطرافه يقبل ويتبرك ، التماسا للدعاء .

ويتحين الولي الحسن فرصة بين ذهاب وفد ومجيء وفد آخر ، فيسر الى صديقه الشيخ ابراهيم برغبة طالما الحت عليه أثناء السفر . . .

ويبتسم الشيخ ابتسامة شابها الفخر والتواضع معا ، ثم يختفي لبعض الوقت ويعود بعرجون من التمر وآنية من لبن النوق .

وتمر السنون تباعا بعد هذا اليوم الحافل . وتحمل لهذه الناحية القاصية ما شاء الله ان يفيض عليها من الرزق ، ويفيء على بنيها من الخيرات .

ولا يغمض الولي الحسن الداخل عينيه ، الا وقد ارتوى الناس وارتوت الارض واصبحت المدينة قبلة لتجارة الصحراء كلها ، وانتجت من ذوي الفضل والعلم والمال ، وفي الزرع والضرع ما اصبح حديث الاجيال .

وبهذا الصقع السجلماسي في رعاية ذرية المولى الحسن ، وتتقاطر الوفود من كل حدب وصوب منتفعة او طالبة، او شاكرة، او ضارعة الى ذلك الابن او هذا الحفيد ، ان يصحبها الى بلادها طمعا في ان يمن الله على وطنها بمثل ما من به على سجلماسة .

ثم لا يلبث أمر هذه الاسرة ان يجتاز البحار ، واهل الاندلس فيما هم فيه من تضييق ، القشتاليين ومداهماتهم ، فيقدم وفد من اهل تلك البلاد على المولى علي ويندبه للقيام فيهم بفريضة الجهاد .

ولا يتردد الشباب في تلبية نداء الواجب ، فيجمع ما يقيم منه الاود ، ويستجيب لمن رغب من اصحابه في الذهاب ، ويمم شطر المدينة « صفرو » حيث يستقر بعض الوقت ، صارفا بياض يومه في تعليم الناس أمور دينهم ، ومتصدقا ومحبسا على المساجد ودور العلم ، وسواد ليله في التهجد والدعاء

ومن صفرو يتجه المولى علي الى فاس التي كانت تعج بمدارس العلم ، واهل الصلاح وينهض هناك ينتدب ذوي العزائم الصادقة والغيرة ، فتتجمع حوله ثلة من المجاهدين واكداس من أموال الصدقات المرصودة للجهاد وتتحول دراه (بجزاء ابن عامر) الى ما يشبه المعسكر فيحزم أمره ، ويعد العدة لاجتياز المضيق . .

وفي الرقعة التي بقيت للمسلمين ببلاد الاندلس كان المولى علي هو اول قادم من الغرب ليقوم بعمل حربي على مستوى القيادة منذ عهد بعيد ، فقد انضوت جيوش الاندلس وخيرة فرسانها تحت لوائه المنصور ، وهو الامر الذي لا يحدث الا في النادر ، وقدر لهذا الشباب الصحراوي ان يحقق الكثير في ايقاف المد القشتالي بالاندلس .

وعندما أطلت شهور الشتاء وتحول اديم الارض الى البياض ، جمع المولى رجاله واعد نفسه للاياب ، ولكن أمراء الاندلس ووزراءها وقادات جيوشها اجتمعوا في الجزيرة الخضراء وقراوا امام الضيف المجاهد صيغة بيعة تؤمره عليهم في امور الدنيا وشؤون الجهاد .

وما كان من السهل ان يقتنع الجماعة بصدوف الشريف ، وعزوفه ولكنهم نزلوا بعد جدل طال الى الليل عند الحاحه ، فودعوه أجمل وداع وخفروا سفينته الى ان وصلت القصر الصغير .

ورجع الامير الى سجلماسة فاستقبله سكان الصقع عن بكرة ابيهم وهم غير مصدقين رجوعه اليهم ، ولم يجد المولى علي ما يقابل به هذا الصنيع سوى مضيه بكل عزم وتفان في مواصلة رسالة ابيه واجداده المنعمين .

وانصرم شتاء ذلك العام ، واستفاق اهل الاندلس لعمق الفراغ الذي خلفه فيهم غياب الشريف وعادت الفرقة الى سالف استحكامها مع عودة تضييق الاسبان وغلوائهم .

وكتب قادة تلك البلاد رسائل عديدة لشريف سجلماسة وبعثوا وفودهم الواحد تلو الاخر وتشفعوا بعلماء فاس وقضاة الحواضر .

وكان المولى علي يهيىء نفسه لتادية فريضـــة الحج وزيارة بني اعمامـــه امــراء ينبــع النخل بارض الحجاز . فتجاذبته النوازع واشكل عليه القرار ، وانتهى الى الاستجابة للنداء المنبعث مما وراء البحر وبذلك كتب هذا المولى وهو لا يملك ســـوى ســـلاح الايمان والغيرة، ولا يطمع من الدنيا الا في نيل الرحيل عنها بحسنى الشهادة مأثرة اخرى من مآثر اسرته .

ومع اقتراب نصف القرن الحادي عشر الهجري اصبحت مدينة سجلماسة من اكبر الحواضر المغربية تجارةوعلما ورفاهية، وبالنظرلحالاتالتمزق التيكانت تسود البلاد كلها باتت تلك الحاضرة قبلة لذوي النيات الحسنة ولذوي النيات السيئة على السواء .

ففيما بين الجديدة وطنجة كان المجاهد ابو عبد الله العياشي باسطوله القوي، ومقاتليه الاعداءالاشداء، يرنو الى حكام « ابلغ » والى الاسرة الشريفة العلوية بسجلماسة ، ويجتهد في ان يخلق من التلاحم فيمــا بينهما وبينه المغرب الواحد ، وان يكون الجميع يــدا قوية في طرد الاجانب من الثغور العربية .

وفي فاس وما يجاورها نحو الشرق والجنوب كان « الدلائيون » وهم اصحاب رئاسة علمية قــد تحولوا من طلبة علم الى طلاب سلطان .. ومع ازدياد يقينهم بأن اصحاب سجلماسة الذين يتطلــع اليهــم المغاربة والاندلسيون احق منهم في الرئاستينالدينية والدنيوية ، اصبح كل همهم ان يقضوا على الازدهــار العمراني والفلاحي الذي مضت فيه عاصمة الصحراء وان يضعوا حدا لحياة المجاهد الذي كان مصمما على مبايعة الشرفاء والتحالف مع حكام القطر السوسي .

وفجاة اندلعت الشرارة من حصن صغير معزول في الصحراء هو حصن « تابوعصامت » وتبين للمولى الشريف ان اصحاب زاوية الدلاء هــم المحركــون والممونون .. ولكنه جنح كعادته الى النصيحة واخذ الفرسان المهاجمين باللين محاولا حقن دماء المسلمين، وتجنيب الجيران بما ليس في صالحهم من الخــراب والفوضى ؛ ولم يكن ابنه المولى محمد على رايه في ذلك ومع استمرار تحريض زاوية الدلاء نزل المولى الشريف عند راي ابنه وفجاة وبواسطة مائتين من المقاتليــن ، احاط سيدي محمد بحصن تابوعصامت ، ثم دخلــه ليلا بمساعدة سكانه .

وفي جو يائس ، ومع تصور الدلائيين بأن امور مثل هذه لا تضمن لهم الوصول الى اغراضهم البعيدة ، اقنعوا حكام سوس بأن دولة جديـــدة ستطـــل مـــن سجلماسة وستقوم على انقاض حكمهم وان لا بد مـــن التصرف حتى لا يفلت الزمام من الجميع .

ولشد ما كانت خيبة المولى الشريف عظيمة ، وهو يخبر بتلك الايحاءات ولشد ما كانت رغبة وطيدة في ان يبتعد بسجلماسة عن مصير محموم .. وكعادته في تناول الامور بالروية وحسن النصيحة ورغم معارضة اولاده وتلاميذه ركب دابته وقصد ابليغ .

ولكن ابا حسون حاكم سوس صم اذنيه عنسماع اي شيء وانكر على الشريف ان يكون بعيدا عن التفكير في السلطة والحكم فاعتقلــه واجتهـد بعـد ذلك في تضييق الخناق على تجارة سجلماسة .

واتت المبادرة من اهالي الصحراء الذين وفدوا بجموعهم على المولى محمد الشريف وخاطبوه في شأن الامارة فرفض ، والحوا عليه وقدموا بين يديه فتاوي العلماء واصحاب الراي واظهر اكثرهم التصميم على ان يتحركوا حتى بدون رضاه .

واخيرا نزل الامير عند راي الجماعة فانعقدت له البيعة العامة كأمير للمسلمين وكان ذلك في الخمسين بعد الالف للهجرة العام الاربعين والستمائة والالــف للميـــلاد .

لقد كان اجتماع سجلماسة في تلك الايام اعلانـــا للتحـــدي .

اعلانا من الارض التي حاق بها الدمار وحفتهـــا الفـــرقـــة .

واعلانا من ضمير الامة الذي لحقتـــه الحيـــرة والضيـــاع .

واعلانا من عمق التاريخ الطويل لهذه البلاد .

كانت تلك نقطة للا رجوع .

وعادت للمغرب وحدته التي عصفت بها الاهواء والضعف والتقهقر .

واصبحت العدالة سلطة من القانون لا سلطة من الرجـــال .

وعم الرخاء والقوة عندما اطلت وجوه هي من طبيعة هذا الشعب الحر وطينته : **المولى اسماعيل** الذي حرر ثغور المغرب وبنى العواصم والقلاع واعمر البوادي وخاطب ملوك الارض ثم اصبح اسمه مقترنا بالعظمة والخلود .

سيدي محمد بن عبد الله باعث النهضة العمرانية والفكرية وصاحب القوة البحرية والصوت الذي ظل يجلجل طويلا في جميع اصقاع المعمور .

المولى الحسن الاول مجدد المغرب والصخرة التي تحطمت عليها كل اطماع اوربا وهي في أوجه قوتها وعظمتها .

محمد الخامس الملك الذي اعلن ان شعب الهزيمة لم يوجد قط في هذه البلاد، والملك الذي كان مظهرا من مظاهر الرفض ، ونبضة من نبضات التاريخ.

والآن وبعد سبعة قرون وسبع سنوات لا زالت الفكرة هي الفكرة والهدف هو الهدف والاسرة في مكانها الطبيعي الخالد .

الاختيارات هي التي يفرضها عطاء الماضي والحاح الحاضر واشراقة المستقبل .

والعقيدة اهم سلاح وفي مستوى كل المعارك ما دامت تنبعث من اعماق المسؤولية .

واخيرا الاعلان باستمرار عن الهوية المغربية وهي تضع قدراتنا وتدفعها للامام .

الرباط : محمد أحمد الغربي



للأستاذ الشاعر الحاج احمد بن شقرون

ابارك العيد : عيد العاهل الحسن … متوجا عرشه بالنصر من زمن
مؤيدا بسداد الرأي مزدهرا … بالمكرمات ، وبالاسمى من السنن
مضمخا بعبير المجد ، متشحا … بهيبة من ملوك ، سادة ، قنن
اذا تربع فيه عاهل بطل … رايت متزنا ، يسمو بمتزن

— ◆ —

شعارنا ثابت الاركان متصل … بالله ، والملك المحبوب ، والوطن
الراسخ العزم فى خط الدفاع الى … نيل المقاصد بالغالي من الثمن
الباذل العمر فى ذات الاله بما … حباه من همم مثلى ومن فطن
الناشر العدل فى كل الربوع بما … يجيش فى صدره بالوازع الحسني
والمغدق العلم للنشء الذى عمرت … به المدارس ازهارا على فنن
والباعث الروح الاسلام من كل … كادت اواذيه تطفى على السفن
والمرسل الجيش للجولان يحرسه … من هاجم بضباب الشؤم مفتتن
معززا فيه اخوانا لنا عربا … تميزوا بثبات الجاش فى الفتن
والمشرق القصد فى تحرير منطقنا … وفكرنا من ذيول البائد العفن
والمجتني من حقول العلم يانعها … يفيضه كالنمير الهاطل الهتن
والعالم الفذ تنويرا ، ومقدرة … تزري – بيانا – بفكر الحاذق اللقن
والغارس الارض بالاشجار مثمرة … وفى الحواضر بالمليون من سكن
والرافع البيت : بيت الله يقصده … من الاماثل من يمضي على السنن

وحارس الدين من افك ومنحرف ... بالجهل متصف ، بالحقد مضطغن
وشامل المغرب الاقصى بهيبته ... ذات المقام الذى اربى على القنن
والذائع الصيت فى الدنيا لموقفه ... مشرفا ـ ضد شذاذ ، ذوي احن
والظافر الغالب المنصور تحرسه ... عناية الله فى سر ، وفى علن
والقائل الفقر بالجود الذي طبعت ... عليه ـ يا قوم فينا ـ شيمة الحسن
والمانح الخير متبوعا ببحر ندى ... مطوقا عنق المتبوع بالمنن

— ◆ —

ادامه الله للعلياء مولها ... والمعظائم ، تلقى خير محتضن
والغد المشرق البسام من عمل ... متابع بالبوادي الفيح والمدن
تدعو له بدوام العز ما صدحت ... ورق الحمام بايك ، غب ذي وسن
وللامير ولي العهد ، عن ثقة ... محمد ، شبل متبوع لنا حسن

فاس ـ الحاج احمد ابن شقرون





السلطان المولى سليمان

مفخرة من مفاخر الدولة العلوية

للاستاذ الحاج احمد معنينو

الكل يعرف ان وجود هذه الدولة جاء فى وقت الحاجة الملحة ، حيث بلغ الحال بالبلاد المغربية والدولة المغربية ان تفرقت وتشتتت واصبحت شبه ملوك الطوائف ، يكاد التلف ان يطويها طيا ، كما طويت عدة دول واندثرت عدة أمم !

جاءت الدولة العلوية فشرعت اول ما شرعت فى ضم الصفوف والقضاء على التفرقة وتطهير البلاد شرقها وغربها جنوبها وشمالها من نفوذ وسيطرة المتطاولين على حقوق هذه الدولة ، التى عرفت فى مختلف العصور بالامجاد والوحدة والعظمة ، ليست هذه المهمة سهلة المنال ، بل انها من الصعوبة بمكان ، تحتاج الى جهد وقوة ارادة ومقاومة وسياسة ومغامرة و ، و .. ولقد بذل الاواون من رجالات هذه الدولة جهودا مضنية ومشكورة ، حتى العهد الاسماعيلى الزاهر حيث تحققت وحدة المغرب الكبرى وهيبة السلطان العظمى .

جاءت الدولة العلوية لتطهير جوانب البلاد المغربية برا وبحرا من الدخلاء الاجانب الذين تسللوا تارة خفية ، وتارة جهارا ، فى عهد الانحلال والتفرقة ؟ فاحتلوا عدة جوانب وشواطيء ، من المغرب العزيز ، فاستعمروها واستوطنوها ، واصبحت كلمتهم نافذة المفعول ، ورغم مقاومة عدة رجالات من **المرابطين المكافحين المجاهدين** الذين بذلوا انفسهم واموالهم وكل عزيز وغال عليهم فى سبيل نصرة الاسلام ، وتطهير بلاده من الكفر وعبدة التثليث ، فقاوموا الكفر وجاهدوا الاحتلال ، ورابطوا ما شاء الله ، فضيقوا على المحتلين الخناق ، وبذلك تخففت الوطاة فى الجملة ، ولكن الحمل الثقيل ، والعبء العظيم ، من هذا الجهاد ، وهذا الكفاح ، وهذا الرباط ، قضى عليه القضاء المبرم ، الملوك العلويون بمجهوداتهم الجبارة ، وحميتهم وغيرتهم على دين الله ، وشريعة رسوله فى بلاد المغرب المسلمة .

جاءت الدولة العلوية فوجدت الثغور والمراسي والابراج « والسقالات » بدون حمية ، بدون دفاع ، بدون جند ، بدون سلاح ! فشرع ملوك الدولة العلوية فى مختلف عصور توليتهم ، وعقب توحيد الدولة والقضاء على الخوارج والمتسلطين . شرعوا فى اقامة الابراج وبناء القلاع ، وانشاء الثكنات بكل انحاء المغرب ، جهزوا الكل بما يحتاج من قوة وعدة وعدد حفظا للكرامة ، ودفعا لشرور المحتل الغاصب ، والقضاء على المتسلط الغاصب .

جاءت الدولة العلوية فوجدت البلاد فى حاجة ماسة الى نشر التعليم والفضيلة ، والقضاء على الجهل والرذيلة ، الى تكوين اطر ادارية لسيره ، وجهادية للدفاع عن كرامته ، ودبلوماسية للتعريف بوجوده وكيانه، فانشأت الجيوش، وهيأت الجماعات تلو الجماعات بالداخل والخارج . وفى مختلف

المستويات ، حيث نظمت البلاد تنظيما اداريا ، يسير شؤون الدولة فى اتزان واعتدال . وعملت على حفظ الثغور ، فرممت وانشأت القلاع والابراج هنا وهناك وسلحتها بالمدفعية وما اليها . وملأتها بانواع الجيش « طبجيه وبحرية » وجيش منظم مجهز برا وبحرا : وما الى ذلك ، كما فتحت للطلبة المدارس المختلفة وجلبت اليها الاساتذة والعلماء ، من كل الجهات للعمل على احياء ما اندثر من مآثر الدولة المغربية — مع نشر الدعوة المحمدية واحكام الشرع المطاع بسائر الاوساط . والعمل على القضاء على الاعراف المبتذلة « يزرف » الذي يتخذه الجهالة ورؤوس الفتن فى بعض القبائل ابان الانحلال والاحتلال . فعمت الاحكام الشرعية سائر اطراف البلاد ، وعمت احكام الدولة سائر الارجاء ، و طمأنت السابلة ، وتنفس الشعب الصعداء .

جاءت الدولة العلوية والمغرب يعيش فى دوامة، قتل ونهب ، سلب وفتك قطاع طريق . اختطاف اموال هتك اعراض بحيث كان المغربي يعيش تحت رحمة لقدر ، لا من يحميه ، ولا من ينصره ، ولا من ياخذ حقه . ولا من يكف عنه يد الاثم والعدوان . فقام سلاطين الدولة العلوية بتعيين العمال والقواد والقضاء ورؤساء الجيوش موزعين على انحاء البلاد للوقوف فى وجه المعتدين ، ونشر الوية العدل والطمانينة بين طبقات السكان ، فيامنون على انفسهم واموالهم واعراضهم ، وبذلك استبدلت الامة المغربية الخوف والفزع بالامن والطمانينة ، والاستقرار والعيش الهانيء الهاديء ، فى ظل الدولة العلوية المجيدة .

جاءت الدولة العلوية فوجدت معالم الحضارة تخربت وتهدمت واهملت، المساجد والمعاهد و لمدارس فى ضياع وتلف ، الحصون والابراج والثكنات خبرا بعد عين ، فجددت المآثر واضفت على الكل يد التجديد والتطور واضافت اليها فى عهود مختلفة ما يؤازرها ويساندها ، ويحيي مجدها ، شيدت القصور والمنتزهات هنا وهناك ، جلبت لصنعها الفنانين واضفاء فن العمران والتجديد فيها ، واستخدمت فى هذا الميدان المهرة من الاسرى الاوربيين الذين كانوا فى حوزتها وتحت حكمها وقهرها حتى اصبح المغرب ، المدن ، والقرى ، فى حلة قشيبة ، عمرانا وحضارة ، ورقيا وحفاوة ، وامجادا خالدة ، تشهد لاصحابها بالذوق السليم ، والمدنية المركزة على اسس العدل والرفق والحضارة .

جاءت الدولة العلوية فوجدت الجهل يعشش ويفرخ بشتى النواحي ، والمحتالون المدلسون يستغلون الجماهير العامية للوصول الى مآربهم ومصالحهم ومنافعهم ، فقضوا على اصحاب الدعاوة المغرضة ، وتمكنوا من الضرب على يد المتلاعبين بالعقول الجوفاء كل هذا كان نتيجة حتمية لوجود هذه الدولة بالمغرب ، انه امر واقع ومحسوس ليس فيه ضرب من التغالي او التزلف ، او التستر ، نعم اخترت من بين هذه المجموعة من الملوك العلويين منذ نشأتهم الاولى ، حتى اليوم بمناسبة **ذكرى العرش المغربي الخالد الذى يرفع بنيانه ويجدد محاسنه الحسن الثاني دام له التوفيق والنصر .**

اخترت من بين سلاطين هذه الدولة **السلطان المسلم السلفي المولى سليمان للمزايا التى امتاز بها وشهر .**

نقلا عن صاحب الاستقصا المؤرخ الشهير **احمد بنخالد الناصري** فى الجزء الثامن من مؤلفه صفحة 169 طبع البيضاء .

قال ما نصه :

لما بويع امير المؤمنين المولى سليمان رحمه الله، رد الفروع الى اصولها ، واجرى الخلافة على قوانينها ، باقامة العدل والرفق بالرعية وبالضعفاء والمساكين . ومن وفور عقله وعدله « اسقاط المكوس » التى كانت موظفة على حواضر المغرب فى الابواب والاسواق ، وعلى السلع والغلل ، وعلى الجلد ، وعشبة الدخان ، فقد كان يقبض فى ايام ولده رحمه الله : **خمسمائة الف مثقال معلومة** مثبتة فى الدفاتر مبيعة فى زمم عمال البلدان ، وقواد القبائل كل مدينة وما عليها ، ومن ذلك المكس كان صيار العسكر ، فى الكسوة والسروج والسلاح والعدة والاقامة والخياطة والتنافيذ لوفود القبائل والعفاة والمؤونة للعسكر ولدور السلطان وسائر تعلقاته .

فكان ذلك المكس كافيا لصوائر الدولة كلها ، ولا يدخل بيت المال الا مال المراسي واعشار القبائل، فزهد فيه هذا السلطان العادل « لما فيه من مخالفة لنصوص الشرع » فعوضه الله اكثر منه فى الحلال المحض الذى هو الزكوات والاعشار ، من القبائل وزكوات اموال التجار ، والعشر الماخوذ من بحار النصارى واهل الذمة بالمراسي ، واما المسلمون فقد

منعهم من التجارة بأرض العدو لئلا يؤدي ذلك الى تعشير ما بايديهم او المشاجرة مع الاجناس ، هكذا بلغنا والله اعلم ، وكانت القبائل فى دولته قد تمولت ونمت مواشيها وكثرت الخيرات لديها من عدله وحسن سيرته ، فصارت القبيلة التى كانت تعطي عشرة آلاف مثقال مضاربة ايام والده ، يستخرج منها على النصاب الشرعي عشرون أو ثلاثون الف مثقال ، وذلك من توفيق الله له وتمسكه بالعدل والحلم والجود والحياء وجميل الصبر ، وحسن السياسة ، والتأني فى الامور ، واجتنابه لما هو بصدد ذلك .

اما الحلم فذاك دأبه وطبعه ، وقد اتفق اهل عصره على انه كان احلم الناس فى زمانه واملك لنفسه عند الغضب من ان يقع فى الخطأ ، ومذهبه درأ الحدود بالشبهات ، والتماس التأويل وقبول العذر ، حتى حكي عنه انه رحمه الله ما اعتمد البطش بأحد ، وتصدى لنكبته لغرض نفساني أو لحظ دنيوي ، وحسبك من حلمه ما قابل به الخارجين عليه ؟ .

ثم يقول : اما الدين والتقوى فذلك شعاره الذى يمتاز به ، ومذهبه الذي يدين الله به ، يعظم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ، ويرفع مناصبهم حتى لقد تنافس الناس فى اقتناء العلوم وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم واهله فى دولته وسعة ارزاقهم .

واما صبره على الشدائد واحتمال العظائم وتجلده عند حلول الخطب ونزول المقدور فحدث عن البحر ولا حرج وعن الجبل سكونا ، ورسوخ قدم .

قال صاحب البستان : لو حدثنا بما شاهدناه منه لكان عجبا ، اما العدل فكان ما رىء في ملوك عصره اعدل منه ، ومن عجيب سيرته انه كان يلزم العمال برد ما يقبضونه من الرعايا على وجه الظلم ، من غير اقامة بينة عليهم على ما جرى به عمل الفقراء من قلب الحكم على الظلمة واهل الجور حسب ما ذكره الونشريسي وغيره ، ومن عدله ما حكاه لنا الفقيه ابو العباس احمد بن المكي الزواوي المؤقت بالمسجد الاعظم بسلا قال : مر السلطان مولاي سليمان بسلا سنة ست وثلاثين ومائتين والف ، فنزل برأس الماء، واستدعاني للقيام بوظيفة التوقيت عنده ، قال : فدخلت عليه فاذا هو رجل طويل ابيض جميل الصورة ، ففاوضني فى مسائل من التوقيت ، وكان يحسنه ، فاجبته عنها ، فاعجبه ذلك ، ثم وصلني بضبلونين واخرج مجانته من جيبه ليحققا فرأيت مجدولها من صوف ، ثم حضرت صلاة العصر ، فتقدم وصلى بنا فرأيت سراويله مرقعة ! وعقب الصلاة رجعنا لمنازلنا فجيء بالطعام ، وهو قصعة من الكسكس عليها شيء من اللحم والخضرة ، وليس معها غيرها . وكانت عادته فى السفر الا يتخذ « كشينة » اي مطبخا انما هو طعام يسير يصنع له ، ولبعض الخواص مما يكفي من غير اسراف . حتى ان الكتاب كانوا يقبضون شبت « موزونات » ويعولون انفسهم .

اما سياسته فى جبر الخواطر ، وجلب القلوب وائتلاف الشارد ، وتسكين المرتاب وارضاء الولي ومجاراة العدو ، والدفاع بالتي هي احسن عند اشتباه الامور ، ومعاناة الرجال بوجوه المكائد والحيل فى الامور التى لا ينفع فيها الحرب ولا القوة ، فشيء لا يبلغ فيه شأوه ، ولا يشق غباره .

اما عادته فى الحروب فقد اخذ فيها بسيرة العجم ، بحيث لا يباشر الحروب بنفسه ، ويعمل بعمل اهل الصدر الاول ، فيقف فى قلب الجيش كالجبل الراسي ، وامراؤه يباشرون الحروب ميمنة وميسرة ، وهو ردىء لهم كلما رأى فرجة سدها او خللا اصلحه ، وهو كالصقر مطل على حومة الوغى فاذا امكنته فرصة انتهزها .

اما جمعه لاشتات العلوم فلقد كان وارثا من ورثة الانبياء ، حاملا للواء الشريعة جامعا مانعا اذا بوحث فى الاخبار كان كجامع سفيان ، او فى الاشعار فكنابغة ذبيان ، أو فى الفتة والفراسة ، فكاياس ، او في النجدة والراي فكالمهلب ، واذا خاض فى السنة والكتاب ابدى ملكة مالك وابن شهاب ، واو تصدى فى الفقه للفتوى والتدريس لم يشك سامعه انه ابن القاسم او ابن ادريس ، واذا تكلم فى علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمآن .

قال صاحب البستان : ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا من تغرب عن الاوطان ، وحمل عصا التسيار ، ورمت به فى الاقطار الاسفار ، وشاهد سيرة الملوك فى العباد ، وما عمت به البلوى فى سائر البلاد ، ولا يتحقق اهل المغرب فى عدله الا بعد مغيبه وفقده !

المرء ما دام حيا يستهان به
ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

اما مآثره العمرانية فأكثر من ان تذكر فتشكر، وجلها باقية خالدة ، يرفع فضل العمل بها لصحيفته النقيــة .

ثم يقول صاحب الكتاب :

وختم ديوانه بالحسنة العظمى والمنقبة الفخمى، وهي عهده بالخلافة لابن اخيه الشهم المولى عبد الرحمن بن هشام ، على كثرة اولاده ووجود بعض اخوته ، ولعمري ان هذا العهد لمنقبة جليلة للعاهد والمعهود ، اما العاهد فانا لم نسمع بعد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأحد من خلفاء الاسلام وملوكه عدل بولاية العهد عن ولده المستحق لها الى غيره ، حتى كان هذا الامام الجليل الذى احيى سيرة العمرين ، نعم قد عهد سليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمهم الله .

واما المعهود اليه فان فى العهد اليه دون الابناء والاخوة شاهدا على كمال فضله واحرازه لخلال الخير وتبريزه فيها على من عداه من بني ابيه وعشيرته ، ولعمري ان ذلك لكذلك ، فان المولى عبد الرحمن بن هشام قد اشتهرت ديانته وامانته عند القاصي والداني ، حتى صار لا يختلف فيه اثنان .

ويقال من برور جلالته بهذا الخلف الصالح انه طيب الله ثراه ، وجهه ضمن قافلة اولاده البررة لاداء فريضة الحج ، وزوده ببضاعة ينفق منها فى سفره ، ولكنه لما آب منه اتاه بتلك البضاعة على حالها ! معلنا انه كان يتزود لهذا الفرض الشريف منذ امد حتى تجمع له ما انفقه فى هذا السبيل ، وقد حصلت الكفاية شاكرا لجلالته بروره ورعايته . فعجب من امره وحزمه ، وازداد له حبا وتقديرا واعتبارا ، كما اسند اليه مسؤولية الولاية ، اولا بالصويرة ثم بفاس ، فكان فى الجميع مثال الحزم والنزاهة والاقتدار .

ثم اعود فانقل لقراء المترجم له صاحب الجلالة المولى سليمان قدس الله سره ، ما قاله الاستاذ بلقاسم ابن احمد الزياني فى « البستان الظريف فى دولة اولاد مولاي الشريف » « للمشرفي » .

تربى تقيا والشبيبة فتنة
فلم ير الا فى اجتهاد المذاهب

سليمان ذو علم وعدل وحكمة
وهدي ورشد للظلوم المحارب

يقول : فكان وحيد عصره فى الاعتناء باقتناء العلوم بالمغرب وسعي فى تقريب كل ماهر ومطلب ، وجمع ائمة الحديث ، ولا زال منصور الراية ، قامعا لاهل الطغيان والغواية ، محسنا للرعية ، باثا عدله فيما بينهم بالسوية ، وعندما كثرت الفتن وتعددت الخوارج ، قال : ما وجدت معينا على الحق ، وكم مرة تحدثني نفسي ان اترك هذا الامر ، واتجرد للعبادة حتى اموت مستريحا من المسؤوليات :

ويقول المؤرخون : انه رحمه الله عندما سئم الحياة ، ومل العيش ، واراد ان يترك امر الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمن ابن هشام ، ويتخلى هو لعبادة الله حتى يأتيه اليقين ، قال ذلك غير ما مرة ، وتعددت فى هذا رسائله ومكاتبه فمما كتبه فى ذلك وصيته التى يقول فيها :

الحمد لله ، لما رأيت ما وقع من الالحاد فى الدين ، واستيلاء الفسقة والجهلة على امر المسلمين، وقد قال عمر : ان تابعناهم على ما لا يرضى والا وقع الخلاف . واولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق ، وقال عمر فبايعنا ابا بكر فكان والله خيرا .

الى ان قال : ولن تزال هذه الامة بخير ما اخذوا بالكتاب والسنة وقد عهدت لابن اخي مولاي عبد الرحمن ابن هشام ورجوت الله ان يكون لي فى هذا الامر مثل ما لسليمان بن عبد الملك فى عهده لعمر بن عبد العزيز ، ويقول : وقد اديت لامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما علي من النصيحة ، وارجو الله ان يثيبني بهذه النية الصحيحة وهو المطلع على ما فى الضمائر ، والعالم بالاسرار ، والسلام » ربيع 1 عام 1238 هـ .

وتمادى السلطان مولاي سليمان فى مرضه الى ان توفى يوم ثالث عشر ربيع 1 من نفس السنة، ومات وهو ثابت الجنان صحيح الذهن على غاية من اليقين والفرح بلقاء الله ، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف بباب ايلال من مراكش هـ .

ويقول في كتاب «التاج والاكليل» :

واما تنزيله وتواضعه في رسائله لاهل مودته فشيء يسلب الوقار ، ويفعل في العقول ما يفعله العقار ، فألقت العلوم اليه زمامها ، واصبح لأئمة الانام حجتها وامامها ، فقد احيى الله به من سلف ، من سيرة التابعين والسلف ، وشيد به ركن الدين ، وثل به عرش المفسدين والملحدين ، واضحك به الاسلام حتى بدت نواجده ، واحزن به ابا مرة ، فهو بناحيته آخذه ، وقد اقامه الله بين ابناء هذا الزمان .. الكثير الاشقياء الاغبياء ، القليل النصحاء والاولياء ، حاملا لواء الشريعة ، قامعا لاهل الباطل والخديعة ، ولولاه لاكل القوي الضعيف ، ودعا داعي التبديل والتحريف ، يتقلب بين سهل وجبل ، ويظعن في حروقه ووحل ، من الشروق الى الغروب . ومن الشمال الى الجنوب ، لاقامة حق الغني والفقير ، ولا معين له ولا مشير ، يحرس غنما في وهاد وشعاب ، وجبال شامخات صعاب ، رعاتها اسد ، ونمر وذئاب ، لا ينام ولا يستريح ، طول يومه في تعب ونصب وتبريح ، لا وزير ناصح يعتمد ويعينه ، ولا امير صادق يدمغ المبطل ويهينه ، ولا قاضي عادل لا تأخذه في الله ولا في الحق لومة لائم ، ولا يحوم حوله بالدينار والدرهم حائم ، ولا مفتي يعمل لله بفتواه ، بل لا يكتب حتى يحصل ما يرضاه . ولا محتسب يكف عن اكل اللحم السمين والعسل ، ويقنع باكل الخبز بالزيت والخل والملح والبصل ، كما كان عليه من سلف ، خلفا عن سلف ، ولا امين عفيف يتحاشى عن الغش والتدليس والخيانة والتفرنيس ! ، ولا يتبع القواعد التى قررها عبد النبي بنيس ، فبقي أعانه الله بين القوم فردا فريدا ، واماما وحيدا ، في زمن علماؤه لصوص ، وتجاره عن الصدق نكوص ، وسفهاؤه كالبنيان المرصوص ، وقد اخرنا الدهر حتى شاهدنا منهم ما لم يكن لنا في حساب ، ورمونا بالافك وسهام الاباطل التى انكرها ذوو الالباب ، فمن تمسك بالحق رفضوه ، ومن امر بالمعروف ونهى عن المنكر زندقوه ، ومن خالف مذهبهم فسقوه ، وشتتوا شمله وعرضه ..

ويقول صاحب كتاب « الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية » :

تولى ملك المغرب الملك التقي الورع المولى سليمان في عام 1206 هـ وانتقل للدار الآخرة في 13 ربيع الاول عام 1238 هـ فتكون مدة ولايته 32 سنة ،

ويقول مؤلف كتاب « ثلاثة قرون وعشر سنوات عن تاريخ الدولة العلوية)) ما نصه :

همة الدولة العلوية منذ نشأتها هو الشروع في الوقفة الحاسمة والقضاء على كل عناصر التفرقة ، وهي مرتبة حاسمة في تاريخ المغرب ، فعند دخول القرن الحادي عشر اصبح المغرب يجني بعض ثمار الوحدة المغربية ، حيث قضى على كل الامارات الطائفية ، التى كانت تمزق وحدة المغرب ، وقضى أيضا على المستعمرين بابعادهم وطردهم عن أطراف البلاد ، وهم من شتى الدول الاوربية ، فالمولى الرشيد قضى على المدوين اللذوذين الفوضى والانحلال والخراب الاقتصادي ، والعدو الاجنبي المحتل الثغور ، اما المولى اسماعيل العظيم ، فهو منظم الدولة ، ورافع شأنها ، وناشر الامن والطمأنينة بسائر ربوعها ، ومنشيء الجيوش والقلاع والحصون لاعزاز كرامتها ، وحفظ كيانها ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل برز بالدعوة الاسلامية يدعو بها ملوك اوربا وقساوستها للدخول في الاسلام ، دين الحق والهدى . اما محمد ابن عبد الله فلم يقف جهده عند تنظيم الجيوش برا وبحرا ، بل تجاوزه الى فك اسر المسلمين من بلاد الكفر ، الامر الذي رفع به قيمة المسلمين ثم اضاف لذلك المكارم والمفاخر فزود ملوك بني عثمان خلفاء المسلمين بالمال والعدة لمساندتهم في الوقوف ضد المغيرين على بلادهم ، اما المولى سليمان صاحب الترجمة ، فقد طهر جوانب البلاد من العدو والشعوذة ، ورجع للامة المغربية نظارتها وبهجتها . ففي حوالي خمس سنوات مضت على ملكه استطاع استرجاع وجدة وقبائلها وسهولها من يد مغتصبها ، ولقد كان هذا الملك الورع والامام العدل والسلفي الصريح متمسكا شديد التمسك بالاحكام الاسلامية لا يبتغي بها بديلا .

كتعليق على المقال : انقل ما حرره الاستاذ محمد الاخضر منشورا بمجلة دعوة الحق ، العدد 2 من سنة 16 الجارية قال باللفظ :

حول المولى سليمان ـ منجزاته في الميدان الثقافي

كان مولاي سليمان عالما ، قبل ان يكون ملكا ، فانه عمل بالخصوص في الميدان الثقافي : زار مرات

عديدة « جامعة القرويين » وحضر مجلس اعلامها وناقشهم فى اعوص المسائل ، محاولا ايجاد الحلول المناسبة لها ، وكان يزور الفقهاء بنفسه فى تواضع كامل متقصيا اخبارهم المادية ، واحوالهم الشخصية، وهكذا ذهب لزيارة المحدث ابي زكرياء يحيى ابن المهدي الشفشاوني امام ضريح المولى ادريس ، وشيخ الجماعة بفاس التاودي بن سوده ، وعاد عبد القادر بن شقرون الفاسي ، وهو على فراش الموت ، ثم حضر تشييع جنازته ، وساعد على وضعه فى قبره ، ولم ينصرف الا بعد ان تمت عملية الدفن وسوى التراب على القبر .

كما كان يحضر الحفلات التى تقام بمناسبة ختم الدروس العلمية . ويختلط بجمهور الطلبة ، دون اية امتيازات رسمية ، فنجده يوم 24 شعبان 1211 هـ يحضر ختم شيخه الطيب بن كيران تفسير القرآن الكريم فى زاوية ابن رحمون ، وعندما اتم محمد الجريري شرحه على قافية ابن الونان المعروفة باسم « الشمقمقية » واهداه الى مولاي سليمان اعطاه مبلغا من المال مهما مكافاة له على عمله الادبي ، وقد اوقف هذا الملك العالم عددا من المخطوطات المهمة ، وخص مكتبة آسفي منها بعشرين كتابا .

ومن السمات المميزة لمولاي سليمان تصوفه وتعلقه المتين بالمبادىء الصحيحة للاسلام ، كذلك حارب بشدة جميع البدع المخالفة للسنة النبوية ، وكان اول من رحب بظهور الوهابية فى الجزيرة العربية وطبق بالمغرب بعض تعاليمها الصارمة اهـ .

وفى عهده رحمه الله صارت تتصاعد الدول النصرانية ، وتتطلع للاستعمار ، فعهده واكب الحركة الاستعمارية خصوصا فى افريقيا السوداء، كما ظهرت فى عهده الثورة الفرنسية وبرز نابليون بونبارت، كما واكبت ظهور الدعوة الوهابية بالحجاز، لم يكد يستقر ملك سليمان على عرشه حتى سعى فى القضاء على الانحراف . ولم يقف مكتوف اليدين ، امام الدعوة الوهابية ، وما راج حولها اذ ذاك ، لانها تهم بلاد الله الحرام وشعائر الله المقدسة التى يجب حمايتها والدفاع عنها والبحث فيما يجري فى شأنها، فهيا وفدا من علماء الاسلام بالمغرب لجانب ولده المفدى المولى ابراهيم ومن اليه من الاخوة والقرابة وفى هذا يقول : مؤلف كتاب الاعلام القاضي عباس بن ابراهيم التعارجي المراكشي فى الجزء الخامس صفحة 167 ويقص ما حصل لجلالة السلطان فى مشكل وجود الوهابية فى الحجاز :

فلقد اوفد رحمه الله وفدا من علماء الاسلام بالمغرب براسه محمد بن ابراهيم الزداغي قاضي مراكش ، وعضوية الفقيه العلامة القاضي عباس بن كيران الفاسي ، والفقيه الشريف لبركة سيدي الامين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه المؤقت الصادق الامين لسيد عبد الخالق الاودي ، لجانب ولده البار الامير المولى ابراهيم لاداء فريضة الحج ، والاتصال بالسادات الوهابيين ، والتعرف على مذهبهم ونحلتهم . ليصبح على علم وبصيرة من واقع الامر يقول المؤلف : حدث كل واحد منهم انهم ما راوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوه ، من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي على المناكر المحرمة وتنقية الحرمين من القاذورات والآثام ، التى كانت تفعل بها جهارا وبلا انكار ! وذكروا ان حاله كحال احد من الناس ، لا تميزه من غيره بزي ولا مركب ولا لباس ، وانه لما اجتمع بالشريف الخليفة مولانا ابراهيم ، اظهر له من التعظيم الواجب لاهل البيت الشريف ، وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم من خاصة مولانا ابراهيم ، وكان الذى تولى الكلام معه القاضي ابن ابراهيم الزداغي وكان من جملة ما قال لهم ، يعني الملك سعود : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية فاي شيء رايتمونا خالفناه فى السنة واي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا ؟ فقال له القاضي المذكور : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى ، فقال لهم : معاذ الله ، انما نقول كما قال الامام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، فهل فى هذا مخالفة ؟! قالوا لا وبمثل هذا نقول نحن ايضا، ثم قال القاضي وبلغنا عنكم انكم تقولون بعدم حياة النبي (ص) واخوانه من الانبياء عليهم السلام فى قبورهم ! فلما سمع ذكر النبي (ص) ارتعد ورفع صوته بالصلاة والسلام على رسول الله وقال : معاذ الله بل نقول انه (ص) وكذلك غيره من الانبياء احياء فى قبرهم حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته (ص) وزيارة الاموات قاطبة مع ثبوتها فى الصحاح ، التى لا يمكن انكارها ، فقال له : معاذ الله أن ننكر ما ثبت

فى شرعنا ، وهل منعناكم انتم لما عرفناكم انكم تعرفون كيفيتها وآدابها . وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالربوبية . ويطلبون من الاموات ان تقضي لهم اغراضهم التى لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى ، وتذكار مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة . ويستشفع به الى الله ، ويسال الله تعالى المتفرد بالاعطاء ، والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به ، هذا قول امامنا احمد رضي الله عنه ، ولما كان العوام فى غاية البعد عن ادراك هذا المعنى ، منعناهم سدا للذريعة ، فاي مخالفة للسنة فى هذا القدر ، هذا ما حدث به اولئك المذكورون باجماع ، وامام هذه المذاكرة الصريحة لم يبق لاي مخوض ان يلغب ، فالمذهب مذهب اهل السنة والجماعة .

اجل لم تقف همة المولى سليمان عند هذا الحد، بل بادر بتوجيه النصيحة السليمانية للشعب المغربي وهي منشورة بنصها فى مؤلف الشيخ ابن زيدان : « اتحاف اعلام الناس » الجزء الخامس صفحة 465 فليرجع اليها من يتطلب معرفة محتواها ومغزاها ومرماها .

ان الدولة العلوية لا تزال حتى يوم الناس تسلك سبيل الرشد والرشاد ، ، وتقتفي اثر اسلافها الميامين ، وما توفقوا اليه من خدمات جلى للدين الاسلامي وامتزاجه بالعرش المغربي الخالد .

فهذا الامام المصلح والمجاهد فى سبيل العزة والكرامة محمد الخامس طيب الله ضريحه ، ضحى بعرشه فى سبيل الذود عن كيان المغرب وشرفه ، وتطهيره من رجس العبودية والاحتلال ، وكافاه الله بالنصر والتأييد ، فرجع الى المغرب منصورا ومعززا ومكرما ، وخلد للاجيال مواقف البطولة والصمود فى سبيل الكرامة والشرف ، **وهي نفحة نبوية ، وعزة هاشمية سلكها ويسلكها ملوك هذه الدولة ابا عن جد ، وما هي باول بركات آل محمد .**

ولا نبعد كثيرا فموقف جلالة الملك المفدى « الحسن الثاني » صاحب ذكرى الجلوس على هذا العرش الكريم ، اجل من ان تذكر ، ان مواقفه الخالدة ، ولا اذكر منها النهضة الفكرية والاقتصادية داخل البلاد . ولكنني اخص منها بالذكر ، موقف جلالته من قضية العروبة والاسلام بالشرق الاوسط ، وتكالب اصهاينة ومن على شاكلتهم وفى ركابهم يعملون ، فانه اعزه الله اهتم كل الاهتمام ، واستعد كل الاستعداد منذ النكسة التى حلت بالامة العربية 1967 .

فالجنرال الشاذلي رئيس جيوش التحرير بالقناة سابقا،قد عرفنا بما سمعه عند لقائه لجلالته ابان الاستعداد المعركة ، فقد قال عنه : ان جلالته بعد المصيبة التي حلت بالعرب والمسلمين ، حلت بنا نحن . وان اسعد ايامه هو يوم اللقاء التحرير ، ويبارك خطواته ، وما كاد ان يصل فى رحلته الثانية لمسقط راسه ، حتى بادر صاحب الجلالة بارسال اول تجريدة من خيرة افراد القوة الملكية للرباط بالجولان، وما انفجرت المعركة الشرقية الخالدة حتى بادر اعزه الله بارسال التجريدة الثانية للقناة ، دارت رحى الحرب ، وامتزجت دماء الجنود العربية المسلمة فنادى اعزه الله بالتطوع بالدم ، وكان اول من بادر بهذا السخاء ، فاقتدى به الشعب فى سخائه ، ثم عقب ذلك بفتح باب الاكتتاب للدعم والعون لابناء الشهداء الميامين . فكانت الدعوة مستجابة ، وها رئيس جمهورية مصر العربية يزوره ، وما بالعهد من قدم ، فيجد فى جلالته كل الاستعداد ، للتضحية والبذل فى سبيل الكرامة العربية والاسلامية، فليبارك الله دولة العلويين ، ومن الله نطلب للجالس على اريكته العون والتوفيق للمزيد فى العمل من اجل رفعة كلمة الاسلام ، والذود عن كيانه ، ونشر تعاليمه ، قياما بما تعهد به سلفه ، فيكون احسن خلف لاحسن سلف .

سلا ـ ج احمد معنينو



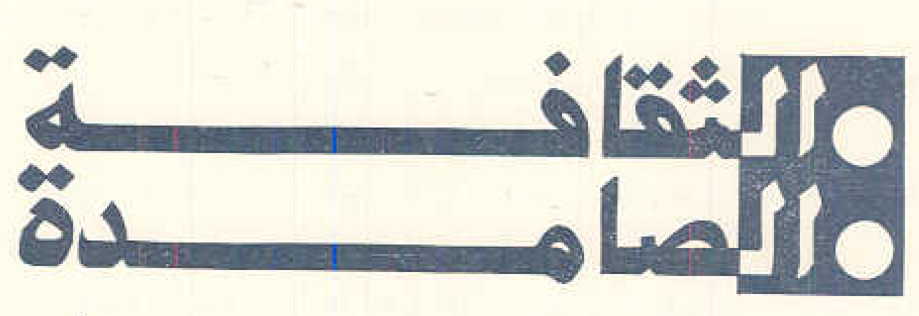
يا عروس الالهام جئت اغني ... اطلس الشعر بالقصيد المنغم
قد تعشقت روحه فركبت ... الريح اعدو الى الجمال الملثم
عربي يستنفر العز فى النفس ... ويأبى على المراة ويحطم
اتخطى المكان اجلد خيل ... الزمن الجهم صوبه فيحمحم
يا عروس الالهام تلك قوافي ... جراح مصلوبة تترنم
كم تغذيت باحمرار شفاهي ... وفمي يلثم الجراح ويبسم
عله يستعيد بالقبل الحرى ... رباطا احنى علي وارحم
من دمشق الشام استنشق ... الربا واهفو والشوق فى تحوم
اطلسا يوضع الاخوة والحب ... ويندى على السراة ويرحم
قد فشخت القارات نحو اياديه ... فاعطى شهما واغنى والهم
ايها الاطلس المتوج بالشعر ... كفاني عن المحيطات زمزم
وكفاني حلا الدنى فى ذراه ... نخلة اشبعت مجاعة مريم
آه قبلت صخرة بشفاه ... سكبت فوقه الحلال المحرم
قيل سحر وقيل رنة قلب ... خمر الحب نبضه فتنغم
ايها الاسمران يا ملك الشعر ... ويا اطلس الاباء تنسم
فاتح الحب بيننا هزج حلو ... ونسغ من العروبة مفعم
يجعل الكلمة السخية كنزا ... فى زمان جبينه يتجهم
خل ثغر الوعود ينقط معسولا ... مصفى آنا وآنا بعلقم

حبك الحب قد تسور روحي
لا تلمني فى الحب يا ابن زياد
ان فتح الهوى لدى القلب احرى
هذه هزة المحبة فى المهجة
آه اقفز الى جزيرة روحي
خلنا نفتتح ممالك للحب
خلنا نفتح الرموز ونكسو
ايها النخوة التى تخلق الشعر
خل ليل المنصور يطلع فجرا
راية الله والرسول بكف
آن للضوء طلعة واغتراب
ايها المغرب الصغير تأخر
من ذرى قاسيون تحمل روحي
سمه العشق سمه الشعر هذي
يعصر الشعر مهجتي وكياني
خلف هذا اللثام يا ابن زياد
وتركنا حروفه شعلة الفجر
نحرق السفن مرة نمتطي الخيل
ايها المغرب الحبيب نسينا
وضياء للعالمين وحرف
فاحرق السفن مبحرا برجال
علم البحر حرفة الحب واربط
خل هذا اللثام عن جبهة
خل هذا اللثام يا ابن زياد

مثلما يأخذ السوار بمعصم
واحرق السفن مبحرا وتقحم
ان يصفى على العيون ويكرم
نقر فؤادها يتكلم
وتلقح بحرها وتلثم
ونحيي الرباط قلبا ومبسم
قلبها كسوة الصباح ونفنم
تعالي نكسو العظام بعندم
بلد الفتح فى الربوع ويقحم
والمروءات حكموها فتحكم
آن للضوء سطوة لا تترجم
ايها المغرب الكبير تقدم
سمة الصخر فى فؤاد ملهم
وردة الدم فى خطيئة آدم
اطلس اسمر الرؤى ومقطم
قد كتبنا التاريخ والدهر أبكم
رباطا للحب أقوى وأحكم
فتعلو عواصم وتهدم
أن تاريخنا احتراق متيم
وانبثاق من الرماد محتم
يقف البحر حدها يتلعثم
وثبه بانسجام روحك واقحم
المنصور ، خل الظلام يلمع كالدم
يتهاوى عن الضياء الاعظم

الرباط ـ نذير العظمة





الثقافة الصامدة

للاستاذ عبد الله أكديرة

ان اهم ما يجب ان يتنبه اليه المسلم هو ما تعمد اليه الايديولوجيات الهدامة فى معالجة الاخلاق كشيء مجرد ، ومعالجة الانسان منفصلا عن الاخلاق ، فهذا (الانشطار) هو ما يجب ان تتصدى له بكل قوانا ، لان الديانة هي العمود الفقري لكيان الانسان ، والامر اكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع ، فلا مجتمع بدون قانون خلقي وشريعة روحانية .

واذا كان التقدم المادي قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم ، أي على حساب القيم الانسانية فانه يسير ، ولعله قد وصل الآن الى متاهات الضياع ، فاصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نصفها الضائع ، وهذا البحث يشكل احدى معضلات العصر الكبرى ، وأبرز اسباب القلق فيه .

« من الحديث الاسلامي القيم الذى خص به امير المؤمنين الحسن الثاني مجلة (دعوة الحق) بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المجيد فى ظل البعث الاسلامي ، العدد 8 السنة 15 » .

1 ـ لو حاولنا ان نصوغ تعريفا دقيقا للثقافة بمعنى العصر (التكنولوجي) الذى نحياه ، لسهل علينا ان نقول : « الثقافة هي الخبرة المركزة التى يكتسبها الفرد حتى يمكنه ان يؤدي عمله الموكل اليه من طرف مجتمعه باتقان كامل فى دائرة اختصاصاته » .

ولكن ما هو المصير الذى ينتظر انسانا يدخل نفسه ضمن اطار هذا التعريف الضيق ؟ الن يكون اشبه بدولاب يدور ضمن (آلة) ضخمة رهيبة ..؟ فان وقع به عطب حمل الى حيث يصلح آليا ، حتى اذا لم يعد يرجى نفعه القي به فى مخزن بين المهملات .. هذا ـ فى رايي ـ هو المصير الذى ينتظر المثقف من هذا النوع فى عصر الآلة ومجتمعاتها .

ليس معنى هذا اننا ننكر على المثقف ان يكتسب خبرات فى اطار اختصاصه ، ينميها باستمرار ويعمل على تحسينها بداب ، ليرفع مستواه المادي والاجتماعي ، وليساهم مع غيره من افراد مجتمعه فى تطوير هذا المجتمع واعلاء شانه ، ان هذا واجب المثقفين جميعا ، ولكن مانخشاه هو التمادي المريب

فى هذا الاتجاه الى الحد الذي ينقلب الى رغبة شاذة فى التحول الى (آلات بشرية) كما يبدو على الكثير منهم اليوم .

ومما يضاعف ريبتنا انهم يسعون الى فرض آرائهم على غيرهم ، ولا اظن الا ان تطور الآلة المرعب سيكون وبالا عليهم قبل غيرهم ، فها نحن نشاهد ان الآلة كلما تقدم بها الزمن زاد استغناؤها عن العامل الانساني اليدوي والعقلي ، ولعلي لست مبالغا اذا قلت : انه يمكن ان تنشأ فى المستقبل مصانع بدون عمال ولا مديرين ، تقوم بادارة شؤونها وصنع منتجاتها بنفسها ، بواسطة عقول الكترونية جبارية اشد دقة واكثر تحاشيا للخطأ الطارىء من العقل الانساني .

قد يتساءل متسائل : لم كل هذا الارتياب فى آراء شفافة ، لا يبدو من ورائها اي ظل لخلفيات مريبة ؟ اليس هذا دليل سوء ظن منهي عنه ، وهو ليس من الحزم المرغوب فيه ؟.. ان اغلب المنادين بالثقافة (التكنولوجية) علماء مختصون او فنيون متخصصون تشهد اهتماماتهم واعمالهم العلمية المحضة بحسن نياتهم وبعدهم عن كل ما يمت الى الريبة بصلة ..؟

الحقيقة اننا لو ابعدنا سوء الظن — وهو ما ينبغي — فى الافكار والآراء الداعية الى التثقيف (التكنولوجي) ، وهي دعوة بدات تردد اصداءها الاوساط الثقافية العربية بعد حرب رمضان الاخيرة، فاننا لا ينبغي ان ننسى ان من الواجب الاكيد علينا ان نجعل هذا النوع من الثقافة مصحوبا بوعي ثقافي اسلامي اصيل ، والا فلن تكون هذه الدعوة الا كبديل تطرحه خيبة الامل المريرة فى الثقافة الايديولوجية) التى ذقنا بسبب الزيف الكامن فيها ، والذى جاء من كونها ثقافة (وافدة مريبة حقا) ، الهزائم المتتالية والنكبات الفاجعة ، ولولا الثقافة الاسلامية التى لا زالت صامدة كامنة فى اعماق نفس كل فرد من ابناء هذه الامة العريقة ، لامحى اثرها من الوجود ، ولاصبحت من الامم البائدة، ذكرى يقصها التاريخ للعبرة والعظة ، فالحمد لله الذي جعل من حرب رمضان الاخيرة شفاء للكثير من الادمغة من ذلك الوهم الفكري الوبيل .

اننا اذن لا تنكر الدعوة السائدة الآن الى الثقافة (التكنولوجية) الا اذا كانت غير مواكبة او مسبوقة بالدعوة الى العودة للثقافة الاسلامية القويمة، فان لم تكن كذلك حق لنا ان نرتاب فيها وفي اصحابها ، لانهم لن يخرجونا حينئذ من نكسة الا ليردونا فى نكبة ، وستكون هذه الثقافة (التكنولوجية) كسابقتها — او معاصرتها — (الايديولوجية) دخيلة زائفة ، ينبغي الحذر منها لكل مؤمن لا يحب ان يلدغ من جحر مرتين .

2 — ولو حاولنا ان نصوغ تعريفا دقيقا آخر للثقافة بمعنى عصرنا (الايديولوجي) الذى تتناطح فيه النظريات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المختلفة ، لامكننا ان نقول : « الثقافة هي القيم النظرية التى يعم الاعتقاد بها سائر افراد طبقة ما من طبقات المجتمع، وهي تتالف من النتاج الفكري والفني لهذه الطبقة ، الخاضع للاساليب الانتاجية المادية والعلاقات الاجتماعية الخاصة التى يخضع لها ابناء هذه الطبقة ضمن اطار المجتمع الكلي » .

وفى هذا ما فيه من تصنيف لافراد المجتمع حسب فئات طبقية متنازعة متنافرة ، تتباين مصالحها ، وتتباعد غاياتها واهدافها ، وتتضارب ثقافاتها واخلاقها ، فان وقع الائتلاف ، فما هو الا لقاء على درب (النضال) تفرضه الظروف ، وتحتمه الملابسات، وتدعمه المصالح ، فان امحت الظروف التى تحتمه ، وتلاشت المصالح التي تسنده ، تداعى وتهالك ، وتحول الى النقيض ، صراع وعداوة ، لنفس الاسباب والظروف والملابسات والمصالح ..

ولنا ان نتساءل الآن : ما مصير مجتمع كل مثقفيه مجرد مرايا مشوهة تعكس الاوضاع التى تعانيها طبقتهم ؟ انهم اما ابواق هتاف وتصفيق ودعاية لزعماء الطبقة التى ينتمي اليها كل منهم ، واما (وصوليون) دفعتهم انتهازيتهم وتطلعاتهم الطبقية الى ان يتخلوا عن (النضال) فى اطار وعيهم بمطالب طبقتهم ، فى محاولة ان يكونوا دخلاء على طبقات اخرى هم ابعد ما يكونون عن وعيها الخاص ، ومناخها (النضالي) والثقافي المميز .

ولو امعنا النظر فى التعريف الوجيز الذى اوردناه عن مفهوم الثقافة عند الذين يهتمون بجانبها (التكنولوجي) المحض ، لوجدنا ان هؤلاء متأثرون بالحضارة المادية التى لا ترى الحياة الحقة الا فى الرخاء المادي والعيش السهل الرغيد ، وسبيلهم الى هذا ، السيطرة على المادة عن طريق استكشاف اسرار الطبيعة .

ولو دققنا النظر فى التعريف الثاني عن مفهوم الثقافة عند من يرون فيها انعكاسا صادقا لصورة العلاقات القائمة بين قوى الانتاج المادي فى المجتمع، لوجدنا ان نظرتهم ـ زيادة على انها كالاولى متأثرة بحضارة المادة ـ قائمة على مغالطة مدسوسة فى قالب جميل من المنطق المنسق الذى يبدو قويا سليما . فالثقافة رغم انها تبدو فى غالب الاحيان هي البنية الفوقية للعلاقات المادية الطبقية ، فهي ايضا ليست جامدة تكتفي بدور المتأثر ، بل هي تلعب دور المتأثر ايضا فى الاوضاع التى تنتجها ، اذ سرعان ما يسري مفعولها سريانا خفيا ـ او ظاهرا ـ فى البناء الاجتماعي ليخلق وعيا جديدا يؤدي بدوره الى علاقات اجتماعية جديدة .. وهكذا دواليك .

لهذا فان الذين يكتفون برؤية الجانب السلبي المتأثر من الثقافة ، ويتجاهلون الجانب المؤثر الفعال ، او تعشو ابصارهم لعلة ما عن رؤيته ، يبدون متأثرين هم ايضا بالحضارة المادية التى تسود عصرهم ومصرهم ، فيرون ـ عن وعي او عن غير وعي ـ ان تحقيق العيش الرغيد هو فى تكريس الصراع الطبقي حتى يبلغ مداه ، عند انتصار طبقتهم وتوليها زمام الامر .

3 ـ آن لي الان ان ألقي سؤالا يلح فى طرح نفسه علي منذ ان شرعت فى كتابة هذا الكلام : ما وضع مثقفي البلاد الاسلامية بين هؤلاء المثقفين (التكنولوجيين) واولئك المثقفين (الايديولوجيين)؟

الحقيقة المرة ان غالبيتهم اخلاط من هؤلاء واولئك ، منهم من يتبنى احد الاتجاهين ومنهم من يتبناهما معا ، يميل حيث تميل به المصلحة ، وقد اصبحت الاتجاهات والتيارات الثقافية الواردة تتقاذفهم وتتجاذبهم ، فكلما ظهر جديد افتتنوا به وتبنوه ، كما تفتتن نساؤنا بمستحدثات الموضة وبدعها التى لا تكف دور الازياء فى الغرب عن امطارنا بكل ما جد فيها من اشكال والوان ..

وهؤلاء ـ فى رأيي ـ لا غرض لهم من وراء تبديل (جلودهم) بين الحين والآخر الا الكسب المادي السريع الذى يضفي على صاحبه وضعا اجتماعيا مريحا مرموقا ، فان لم تمكنهم مواهبهم من الوصول الى ما يؤملونه او ما يرون انفسهم اهلا له ، اطلقوا السنتهم او اقلامهم بالانتقادات المرة ، والامثلة كثيرة واضحة فى مجتمعاتنا الاسلامية عن هؤلاء الذين يطالبون بعقاب المخطئين وينسون انهم خطاة ، ويقذفون الناس بالحجارة وبيوتهم من زجاج ... ما مصير مجتمع يمثل هؤلاء اغلب مثقفيه ..!

والادهى والامر ان اكثرهم افلحوا فى التسرب الى مراكز حساسة فى كل بلد اسلامي .. واكتسبوا مهارات فى ركوب كل موجة طارئة ، بل ان منهم من باع ضميره ـ عن سبق اصرار ـ للشيطان فى سبيل ان تتاح له الفرصة لتحقيق مآربه .

والهدف الوحيد الذي يسعون اليه جميعا رغم اختلاف اوضاعهم واخلاقهم ومبادئهم هو القضاء المبرم على الثقافة الاسلامية فى آخر معاقلها الحصينة، وهي (ضمير) هذه الامة المجيدة .. لا انكر ان منهم من يهاجم الثقافة الاسلامية والاخلاق وانماط السلوك التى يعتقد ـ مخطئا ـ انها ناجمة عنها ، بحسن نية وسلامة طوية ، وبعض هؤلاء فاءوا الى الصواب بعد ان تبين لهم ان الثقافة الاسلامية بريئة كل البراءة مما يصدر عن بعض المسلمين من انماط سلوكية لا تليق .. والحقيقة انها ناجمة عن عزل هذه الثقافة عن التحكم فى ضمائر ابنائها ، وتقليص دائرة نفوذها الى حيث تصبح محصورة فى نطاق ضيق محدود لا يسمح بالتأثير الفعال على نفوس الناس ، مما يؤدي الى ضياع المسلمين الذى نراه اليوم ، ولانهم فقدوا حصانتهم المنيعة اصبحوا فى متاهات مهولة يتخبطون ، ولن يخلصوا منها الا بالعودة الى (الاصل) فهي سبيلهم الوحيدة للخلاص ، وهي المعيار السليم الذي يكتشفون بواسطته زيف كل دعوة مريبة ، ويفضحون اصحابها والدعاة اليها الذين يزيدون فى حدة الادواء الوبيلة التى تنخر كيان هذه الامة ، فى حين انهم يدعون ان الشفاء والخلاص بأيديهم دون غيرهم ، والحقيقة انهم اخطر اعداء هذه الامة عليها، فينبغي الحذر منهم قبل سواهم لانهم الطلائع المشؤومة للغزو الفكري الذى يستهدف مسخ اصالة هذه الامة بتشويه الوجه الناصع لثقافتها الاسلامية تمهيدا لمحوها نهائيا .

4 ـ يقول الله تعالى : « ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ، ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ، فاستعذ بالله انه هو السميع البصير » .

يفسر الشهيد (سيد قطب) هذه الآية الكريمة : « .. انه ليجادل فى آيات الله ويكابر ،

وهي صاهرة ناطقة معبرة للفطرة بلسان الفطرة ، وهو يزعم لنفسه وللناس انه انما يناقش لانه لم يقتنع ويجادل لانه غير مستيقن . والله العليم بعباده ، السميع البصير المطلع على السرائر ، يقرر انه الكبر ، والكبر وحده ، هو الذي يحيك في الصدر، وهو الذي يدعو صاحبه الى الجدال فيما لا جدال فيه ، الكبر و تتطاول الى ما هو اكبر من حقيقته ، ومحاولة اخذ مكان ليس له ، ولا تؤهله له حقيقته، وليست به حجة يجادل بها ، ولا برهان يصدع به . انما هو ذلك الكبر وحده .. » وهم اليوم في عنفوان مكابرتهم وعنادهم ، لاسيما وقد ظنوا انهم وضعوا ايديهم على الحجة الدامغة والبرهان الصادع القاطع في (العلم الحديث) ، ولو ادركوا حقيقة انفسهم وحقيقة هذا الوجود ، وعرف كل منهم دوره « فاتقنه ولم يحاول ان يتجاوزه ، ولو اطمأن الى انه كائن مما لا يحصى عدده من كائنات مسخرة بامر خالق الوجود ، وفق تقديره الذي لا يعلمه الا هو ، وان دوره مقدر بحسب حقيقته في كيان هذا الوجود .. لو ادرك هذا كله لاطمأن واستراح ، وتطامن وتواضع، وعاش في سلام مع نفسه ومع الكون حوله ، وفي استسلام لله واسلام » (صفحة 84 من الجزء 24 من ظلال القرآن)

لكن هذا (الكبر) المقيت ما نما في قلوب اصحابه وترعرع وبدات ثماره الخبيثة تؤتي اكلها الا في غياب (جند الله ثقافة واخلاقا) ، وليس هنا مجال البحث عن الاسباب والعوامل التي ادت الى هذه الغيبة ، فهي كثيرة متشعبة ، وقد اتفرغ لذلك بحول الله في وقت لاحق ، ولكنني يمكن ان اقول والله تعالى اعلم : ان غيبة المثقف المسلم ، وتضييق الخناق على الثقافة الاسلامية الصحيحة في بعض البلدان (الاسلامية) ناشيء عن عدم الوعي بدور الثقافة والمثقفين ، وفي البلدان التي بدات تظهر فيها بوادر هذا الوعي نرى ان هناك شوائب من الغبش والضباب تشوبه ، فتمس الكثير من نصاعته، وقد تقضي على جزء كبير من فعاليته في مواجهة التيارات الثقافية الدخيلة الوافدة التي تحمل السموم وتبثها في اوساط شبابنا فيفقد اصالته وتماسكه ، وبذلك يضيع رصيد كبير كان يمكن ان تنتفع به هذه الامة لو احسنت استغلاله .

ان اغلب الذين يتصدون للدفاع عن المقومات الحضارية والثقافية لهذه الامة يكتفون بموقف الدفاع السلبي ، ظانين ان هذا هو واجبهم الاول ، قابعين خلف حصون متهافتة من افكار ممقة يلقيها اليهم الاعداء انفسهم ، فيسارعون اليها بانجذاب غريب لا اجد له ما يبرره لا السذاجة او سوء القصد المبيت .

وكمثال على هذا اورد هذا النص انقله من المقدمة التي كتبها الاستاذ (نزيه الحكيم) على هامش ترجمته لكتاب (ماركسية القرن العشرين) لروجيه غارودي :

« ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع ان يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات اخرى غير سبل هيجل اوريكادو اوسان سيمون ، فلقد كانت له هو الآخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة ، وكان له ميراثه العقلاني والجدلي ممثلا في ابن رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في شخص ابن خلدون ، وهو على هذا التراث يستطيع ان يقيم اشتراكيته العلمية ».

هذا النص اقتطفه المترجم من الكتاب وعلق عليه تعليقا ضافيا ، اكتفي بان اورد منه ما يلي : « هذا النص المقتطف من الكتاب الذي بين يديك ليس تلخيصا لفكرته ولا هو اهم ما فيه ، ولكنه في نظري يستحق هذا الابراز لاكثر من سبب .

واول هذه الاسباب ان المؤلف ـ باختياره من بين شعوب العالم الثالث هذا المثال العربي ، واعلانه انه بتراثه الثقافي الخاص مؤهل للوصول الى (اشتراكية علمية) عربية ، فلا اتهم بالهرطقة وان لم تكن « ماركسية لينينية » ـ يأتي بالجواب الحاسم حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا المتقدميين ، (ولاغراض سياسية في الواقع لا عقائدية ولا علمية) حول الاشتراكية التي تاخذ بها بعض اقطارنا ، وهل تكون « اشتراكية عربية » ام « طريقا عربيا الى الاشتراكية » ص 15 من الكتاب المذكور .

لا اريد ان اناقش ما ورد في النص المترجم من مغالطات مقصودة او غير مقصودة ، ولا ارى ضرورة كذلك لمناقشة تعليق المترجم ، كل ما اريد التنبيه اليه هو الفرحة الطفولية العارمة التي تنم عنها ثنايا السطور التي كتبها المترجم ، فكانه عثر اخيرا على لعبة طالما اشتاق اليها، والحقيقة ان الاستاذ بهذا ان كان نزيها فهو ليس حكيما .

ومن بعد النظر في المقطع الذي اقتبسته للاستاذ المترجم يجد هذه العبارة : « .. حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا التقدميين ، (ولاغراض سياسية في الواقع لا عقائدية ولا علمية) حول الاشتراكية ..» ، فكون هذا (الجدل المحتدم) ليس لاغراض علمية، فهذا لا يتمارى فيه اثنان، واما عن كونه ليس لاغراض عقائدية فهم ادرى بهذا من غيرهم ، واما عن كونه مجرد مهاترات لفظية لاغراض سياسية خالية من اخلاص العقيدة وصدقها، وتجرد العلم ونزاهته ، فهو تعبير مهذب من الاستاذ يريد به التنبيه الى نوع الاخلاق التي يتصف بها مثيرو هذه الانواع من المجادلات .

لقد اقحم الاستاذ نفسه ضمنهم مبرئا لها من الاغراض (السياسية) ، ولكننا نقول له : ضللت السبيل واضلك الدليل ، بدل ان تبحث عن الاصالة عند من يخدعك عنها ، اما كان اولى بك ان تلتمسها في مظانها الحقيقية ؟ والطريق امامك واضحة ، والذين يدلونك كثر مخلصون .. ولكننا — رغم كل شيء — نقدر فيك هذا الحس العميق — رغم افتقاره لعنصر الوعي — بحاجة مثقفي هذه الامة الى العودة للاغتراف من منبعهم الاصيل .

5 — ان نسمة طيبة بدات تفوح زكية شذية حاملة الى القلوب اليائسة الامل الندي في بعث وعي اسلامي يعيد لهذه الامة دورها الذي من اجله وجدت وكانت ..

واولى بشائر هذا الامل الحلو ما نراه من اهتمام بالعودة الى الاغتراف من المنبع الثر الاصيل : الثقافة الاسلامية .

فما هي الثقافة اذن كما ينبغي ان يفهمها المسلم ؟

انها ليست افكار تجول في رؤوس المثقفين ، او تنضح بها افواههم واقلامهم ، فلا خير فيها ان لم تترجم الى افعال حية تغير الواقع السيء الانسان ، وتسمو به الى ما يصبو اليه من فضيلة في نفسه وجمال في ارضه ؛ تعد له اللقمة والسكن ، وتهيىء له الجو الملائم للسمو بروحه الى اقصى درجات السمو التي يمكن ان يبلغها الانسان ، وباختصار يمكن ان نقول : « ان الثقافة الاسلامية هي مساهمة العقل البشري — مرتكزا على قواعد وضوابط وحدود مستمدة من كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين — اسهاما فعالا في انماء الحضارة الانسانية الحقة والمحافظة عليها عبر العصور » .

لو نظرنا الى الثقافة الاسلامية بهذا المنظار ، لوجدنا انها ذات طابع شمولي يؤهلها لان تكون الثقافة الانسانية الخالدة الصامدة ، فقد صمدت في وجه الزحف الهمجي التتري المغولي القادم من الشرق ، وصمدت في وجه الهجوم الصليبي الحاقد القادم من الغرب ، واستطاعت ان تهضم الدس الشعوبي الذي كان يهدف الى نخر كيانها من الداخل ، واستطاعت ايضا ان تقاوم الثقافات الدخيلة الوثنية او الكتابية المحرفة ، من يونانية وفارسية وهندية ويهودية ومسيحية .. الخ . وان تتمثل خير ما فيها فيصبح جزءا من تراثها .. وها هي اليوم تواجه زحفا مسموما مركزا يستهدف مسخها ومحو طابعها الشمولي تمهيدا للقضاء المبرم عليها ، وفي مقدمة الحاملين لهذا اللواء الخبيث المستشرقون المغرضون الذين يتسترون وراء البحث العلمي النزيه ، وكذلك البعثات التبشيرية ، كل هؤلاء وجوه مقنعة تخفي خلف اقنعتها الناعمة حقدا مريرا وعداوة مستعرة يكنها الغرب الاستعماري بشقيه القديم والجديد لهذه الثقافة الواردة .

ولا ننسى العدو الالد منذ اقدم العصور : اليهودية » منذ عبد الله بن سبأ في الصدر الاسلامي الى « مكسيم رودنسون » اليوم ، فقد تسلل الاول الى صفوف المسلمين في احرج اوقاتهم واصعبها ، فكان راس مدبري الفتنة التي قضت على نظام الشورى الاسلامي وحولته الى عصبية قبلية استبدادية ، وها هو الثاني —وقد اعفته حال المسلمين اليوم من محاولة التسلل المقنع — يحاول — بمكر — ان ينسينا ان الكفر ملة واحدة ، وان يقنعنا ان اليهودية والصهيونية ليستا صفحتين متقابلتين لعملة واحدة ..

ان الثقافة الاسلامية اثبتت على مر الزمن انها الثقافة الخالدة الصامدة رغم كل التحديات التي واجهتها في عصور ازدهارها ، وتواجهها اليوم في عصر تقهقرها .

فما هي اسباب هذا الصمود التي هي ايضا الدعامات والاسس التي يمكن ان تجدد عليها بناء الهيكل العام لثقافتنا ونوسع نطاقها ؟

لا ادعي انني ساحصرها كلها ، ولكنني ارجو الله تعالى ان يوفقني الى ذكر بعضها :

1) انها قائمة على الايمان بالله وبرسله ، وعلى ان السمو والعلو لن يكونا لهذه الثقافة ولا لاهلها الا اذا انطلقوا من هذا المنطلق : « وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون » ، والايمان بالله فطرة ثابتة في الانسان ، تشهد بها الانحرافات الحادة التي تعرفها الانسانية ، والتدهور المؤسف المحزن الذى تشهده اخلاقها ، والسقوط البطيء الفاجع الذى تشهده حضارتها ، حين تخلت عن ايمانها القويم ونهجها السليم ، وامة الاسلام تخلت عن روابط كثيرة تربطها بربها ، ونسيه سبحانه الكثير من ابنائها، (فأنساهم انفسهم، اولئك هم الفاسقون) ،ولولا قلة قليلة ادركتها رحمته تعالى ، فعضت على ايمانها باسلامها بالنواجذ، وحافظت على ثقافته المؤمنة الصافية ببذل المهج والارواح ، لكان شأنها اليوم شأن الكثير من ثقافات الامم البائدة التى اصبحت ذكرى باهتة فى ذاكرة التاريخ ، وقد لاقوا فى سبيل ذلك ما لقوا صابرين صامدين ، رغم تكالب قوى الشر والبهتان، فاستحقوا ان نعدهم من الذين قال فيهم ربهم تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو الفضل العظيم » .

2) قيام المناخ الصحي لهذه الثقافة على العدل ولو مع الاعداء والمحاربين : « ولا يجرمنكم شنآن قوم الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

والعدل شامل لكل نواحي الحياة الانسانية ، يقول صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا » . وهو الوسيلة الوحيدة التى يتمكن بواسطتها ولاة امور المسلمين ان يصلوا بينهم وبين الذين ولاهم الله امورهم بصلات المحبة والثقة ، قالعليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه عوف بن مالك رضي الله عنه : « خيار المتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون اليهم ويصلون عليكم ، وشرار المتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قال: قلنا : يا رسول الله افلا ننابذهم ؟ قال : لا ما اقاموا فيكم الصلاة ، لا ما اقاموا فيكم الصلاة » .

فاذا كان هذا هو المفهوم الصحيح للعدل كما اوحى به الله ، وفسره وطبقه رسول الله ، فكيف تذوى ثقافة تؤمن به وتتبناه ، وما ضاع العدل فينا الا يوم اتبعنا اهواءنا فتفرقت بنا السبل .

3) قيامها على مبدأ الجهاد فى سبيل الله بالسنان واللسان والجنان ، ولم تتقهقر الثقافة الاسلامية الا حين تخلى غالب اهلها عن هذا المبدأ ، ورغم هذا فقد ظلت شعلته متوهجة لا تخبو فى خبايا نفس كل مسلم غيور ، وكلما حزب هذه الامة امر ، او لج عدو فى ظلمها ، لجات اليه . ومن اقرب الامثلة على ذلك الجهاد المظفر لشعب الجزائر ، ومع ذلك فقد وجد اخيرا من بين (متقفيهم) من يتنكر لمفهوم الجهاد ، ويدعي ضيقه وعدم شموله ، ويفضل عليه مفهوم (الثورة) وهو حقا مفهوم فضفاض ينضوي تحت لوائه كل من هب ودب ، حتى الذين يريدون تشويه الوجه الناصع لجهاد الشعب الجزائري المسلم .

واول ما يبدا به المؤمن هو مجاهدته لنفسه ومقاومة اهوائها ونزواتها ، فهذا يكتسب المناعة والقوة اللتين تؤهلانه للتأثير على غيره بدون ان تصيبه بالعدوى امراضهم النفسية والاجتماعية .

قال تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » . فالمثقف المسلم بمنجاة من الامراض النفسية لانه يقاومها بمجاهدة النفس ، والزامها سبيل القصد والاعتدال فيما تحب وتكره ، والمجتمع المسلم ايضا بينه وبين الامراض الاجتماعية حاجز منيع من المثقفين الاسلاميين الذين نذروا انفسهم ليصلحوا كل فساد او خلل يطرا على مجتمعهم ، ولا يتقون الا الله ، ولا يخشون فى الحق لومة لائم ، يفضحون كل زيف ، ويساهمون فى درء كل خطر ، وفي كل ملمة يكونون هم السباقين الاولين ، وهم قلة فى العصور الاخيرة للثقافة الاسلامية ، وهم فى عصرنا هذا اقل ، وحين قلت النسور استانسدت بغاث الطير ، والحمد لله على أن قلتهم لا تعني انعدامهم .

وقد ظل مبدا الجهاد حيا متوهجا رغم ما تراكم عليه من انحرافات وطرا عليه من تشويهات اولها ما

يروج له البعض من ان الجهاد معناه الاكتفاء بالدفاع السلبي ضد من يروم بالاسلام والمسلمين شرا ، فكيف ان لم تنفع الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة غير المؤمنين الى الله ؟ وظلوا على عنادهم يقفون حجر عثرة في سبيل دعوة الاسلام ان تصل الى الناس ؟ ماذا يبقى لنا الا ان نحاربهم ؟ « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا ان الله مع المتقين » ، ان الجهاد في سبيل الله لا يعني ان نبقى دائما في وضع المدافعين ، فما طمع فينا اعداؤنا الا حين سرى فينا هذا الاعتقاد السلبي ، ويوم يعود للجهاد مفهومه الصافي في الثقافة الاسلامية ، سيعود لها مجدها ورونقها وقوتها .

4) قيامها على مبدأ النظر والبحث والتجريب، واستخدام العقل في التفكر في خلق السماوات والارض للتوصل الى المعرفة الصحيحة القويمة ، والسعي في طلب العلم .

قال الله تعالى : ((قل انما اعظكم بواحدة ، ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

فالعبادة الخالصة ، لابد ان يليها عمل آخر هو التفكر ، فالمؤمن حين يفتح كتاب ربه ويقرأ ، يرى ان العبادة الحقة مقرونة بأمر رباني وجيز حكيم هو (التفكر) ، فيدعوه ايمانه ان كان يملك الوسائل المعينة من فكر ثاقب وقلب منيب وعلم غزير الى اعمال فكره في آيات الله الكونية ، فيزداد يقينا بعظمة الباريء العظيم ، ويزداد ايمانه رسوخا بالرسالة المحمدية وقرآنها المجيد الذي اتاح له هذه الفرصة ووفر لديه وسائلها ، ويحمد الله على حسن عنايته بهذه الانسانية رغم كفرها وجحودها ، ومن فضل الله على امة الاسلام ان جميع عصورها لم تخل من رجال استجابوا للامر الحكيم فحفظوا لثقافتها دوامها واستمرارها وتوهجها ، فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء ، وقد استحقوا منا ان نعدهم من اولي الالباب الذين قال فيهم الله جل شانه : « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك، فقنا عذاب النار» .

ولا شك ان مساواة الخروج في طلب العلم بالجهاد في سبيل الله اكبر دليل على المنزلة التي يتبوأها العلم في الاسلام ، ولا يجادل في ذلك الا من طمس الله على قلبه ، قال عليه الصلاة والسلام : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

ولا خير في علم او حكمة لا تتحول الى عمل : « لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » . والمثقف الذي لا يتحمل مسؤوليته كاملة نحو دينه وامته لا يستحق الانتساب الى هذه الفئة الهادية المهدية : « .. فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ، « من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار » وما دوام اتصالنا بالمنبع العذب الا بفضل خوف سلف هذه الامة الصالح من ان يلجموا بلجام النار ، وحساسيتهم المفرطة بعبء المسؤولية الملقاة على عاتقهم بتعلم العلم وتعليمه ، لا لغرض دنيوي رخيص بل ابتغاء رضوان الله وحده ، امتثالا للنهي النبوي الكريم : « من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » ان خشيتهم لله سبحانه تدفعهم الى التضحية بالغالي والنفيس من اعراض هذه الدنيا الفانية في سبيل ان يتلقوا الامانة ثم يؤدوها لاهلها دون تبديل او تحريف ، وكيف لا يكونون كذلك وهم ورثة الانبياء اتقى عباد الله واخشاهم له . قال سبحانه : « انما يخشى الله من عباده العلماء »

5) قيامها على مبدأ الاجتهاد ، وهو مبدأ شرعي تستخلص بواسطته من كتاب الله وسنة رسوله احكام تقارن الى احداث طارئة لم يوجدلهاحكم شرعي مسبق ، فان وجد شبه اصدر المجتهد حكمه مستندا الى كتاب ربه سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، مستنيرا بعقله وعلمه وحسن درايته ، وقد وضع السلف الصالح لهذا المبدأ قواعد وضوابط وحدودا ، تحول بين المجتهد وبين التخبط ، وتنقذه من الضلال والتضليل ، وتمنع غير المتاهل علما وعملا من التصدي لما لا دراية له به ولا قدرة له عليه ، وتحفظ للمخطيء حقه في اجر المجتهد مع تبيين وجوه الخطا في الحكم او الاحكام الصادرة عنه ، وتحمي للمصيب حقه في اجر المجتهد وفي ثواب المصيب مع تعداد وجوه الصواب في الحكم او الاحكام الصادرة عنه ، وتفضح المزيف المزور وتجلله بالخزي والعار .

ويمكننا ان نقول ـ والله تعالى اعلم ـ ان قواعد هذا المبدأ يمكن ان ننتفع بها في ميادين الثقافة

الاخرى غير الفقه ، في محاولة منا لتجديد شباب هذه الثقافة وتوسيع نطاقها .

6) قيامها على مبدأ (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) وبهذا حلت الثقافة الاسلامية مشكلة غريزة الاثرة في نفس من يتصدون لتولي شؤون المسلمين الثقافية وقيادتهم الفكرية ، فلم تعرف طيلة قرون عمرها الطويل المشاكل التي تعرفها غيرها من الثقافات ، من خلاعة ومجون ونفعية ووصولية ، ولم تعرف ابدا فكرة (الفن للفن) او (العلم للعلم)، ولم تشهد وان تشهد علماء يخترعون آلات الفتك والدمار في حين ان الناس من حولهم تهدهم الامراض ويعشش فيهم الجهل وينخرهم الفقر .

7) قيامها على مبدأ السند في الرواية ، وهذا من اروع المبادىء التي اخترعها العقل الاسلامي المبدع ، نوه به المنصفون والمغرضون من الاعداء ، وارى ان نفعه يعم سائر ميادين الثقافة ، وخصوصا التاريخ والاعلام ، ولمن اراد ان يعرف الجهد المضني المبذول في هذا الميدان ، فليرجع الى كتب السنة والحديث المشهورة ، ففيها ما يقدم الدليل ويشفي الغليل ، ولن يستطيع ممار مكابر ان يقدح في دقة قواعد هذا العلم القائم بذاته ، وساكتفي بذكر صورة عن تقسيم السلف الصالح للحديث ، اقتبسها من كتاب (جند الله ثقافة واخلاقا) مع شيء من الاختصار :

« هذا الصحيح : هو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه ، ولا يكون شاذا ولا معللا ، ويخرج من ذلك المرسل وهو ما لم يذكر فيه الصحابي ، والمنقطع وهو ما سقط من سنده واحد في موضع او مواضع، والمعضل ما سقط منه اثنان فأكثر في موضع او مواضع ، والشاذ وهو ما خالف فيه الثقة لمن هو اوثق منه ، وما كان فيه علة قادحة هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع ان الظاهر سلامته منها ، وعلة الحديث تعرف بجمع طرقه والنظر في اختلاف رواته وفي ضبطهم واتقانهم ، فيقع في نفس العالم العارف بهذا الشأن ان الحديث معلول ، واما ما في راويه نوع جرح فهم الكذابون والوضاعون والمشتبه بكذبهم ، ومن كان ضعيف الحفظ ، او غير ثقة ، ومن لم يرو عنه الا واحد ولم يوثق فكان بذلك مجهولا ، ومن لم يوجد في توثيقه معتبر او جاء فيه تضعيف ما ، ومن كان مستور الحال او مجهوله ، ومن ليس له من الحديث الا القليل ، ومن كان سيء الحفظ ، او يهم او يخطيء، او خرف وان كان صادقا ، ومن كان ذا بدعة تجعله يستبيح الكذب » .

« وقد عرف علماء الحديث (الثقة الضابط) بقولهم : هو المسلم العاقل البالغ سالما من اسباب الفسق وخوارم المروءة ، وان يكون مع ذلك متيقظا غير مغفل حافظا فاهما »

« ب ـ الحديث الحسن: نوعان: اولا : الحديث الذي لا يخلو رجال اسناده من مستور غير انه ليس مغفلا كثير الخطا ولا متهما بالكذب ، ويكون متن الحديث قد روي مثله ، او نحوه ، من وجه آخر، فيخرج بذلك من كونه شاذا او منكرا » .

« ثانيا : ان يكون راويه من المشهورين بالامانة والصدق ولم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والاتقان ، ولا يعد ما ينفرد به منكرا ، ولا يكون المتن شاذا ولا معللا » .

« ـ الضعيف : وهو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح ، ولا صفات الحسن المذكورة ، فيدخل فيه المقلوب والشاذ والمعلل والمضطرب والمنقطع والمعضل .. الخ » .

« د ـ الموضوع : وهو المختلق المصنوع وهو الذي نسبه الكذابون المفترون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شر انواع الرواية » صفحة 144 من الكتاب المذكور تأليف (سعيد حوى) .

8) قيامها على مبدأ اثبات القيم الاخلاقية حتى في المعاملات اليومية ، لان مصدرها من الله سبحانه ، فالمؤمن المتأثر بهذه الثقافة يعلم يقينا انه حين يتمسك بقيمها الخالدة الثابتة فانما يحرص على دوام رضا الله عنه ، لا تدفعه لذلك مصلحة شخصية خاصة ولا أعراف اجتماعية موقتة سرعان ما تدعو الضرورة الى نبذها واستبدالها بأخرى ، فتهتز بذلك قدسيتها في نفسه ، ويفقد حرصه عليها واهتمامه بها ، اذ لا جذور لها في نفسه ولا في مجتمعه ، فينحرف تبعا لذلك سلوكه ويتلون بلون مصلحته الخاصة ويميل حيث مالت ، وكنماذج مضيئة على القيم الخلقية الاسلامية الثابتة اورد بعض الآيات الحكيمة والاحاديث الشريفة محيلا من اراد التوسع في معرفة دلالاتها المشعة وايحاءاتها العميقة على (الجزء الثاني من كتاب (ظلال القرآن) للشهيد سيد قطب)

« انما المؤمنون اخوة » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

والحمى » ، « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها » ، « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور »، « ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم » ، « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بيس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » ، « ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تو ب رحيم » ، « يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا »، « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها)) ، ((كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » ، « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لا تعلمون » ..

ولنستطيع ان نعرف قوة الوازع الخلقي وثباته عند الفرد والمجتمع المسلمين ، لابد من تعريف موجز القيم الخلقية بالمفهوم الجاهلي عند اهل الجاهلية ومن ينهج نهجهم : « الاخلاق مجموع ما تواضع عليه الناس من افكار عن الخير والشر والحسن القبيح في عصر من العصور » فهي بهذا ليست ثابتة ، ولا قدسية المصدر ، مما لا يمنحها قوةفي نفوس الناس ولا سيطرة علىضمائرهم تمنعهم من الاخلال بها ، وقد وكل امر معاقبة المخلين بها الى ضمائرهم ، والى المجتمع الذي قد ينبذهم ويزدريهم وهذا ما لا يحدث الا لماما ، وقد يتولى عقاب المخطيء خاطيء .

وعدم ثبات القيم الخلقية ولا قدسية مصدرها يحرمانها كذلك عنصري الوضوح والصفاء ، فيكتنفها الغموض ويحيطها الابهام لان تبدل المصالح التي لا تستقر ولا يعرف موعد تغيرها يؤدي الى بلبلة اذهان الناس وتذبذبهم ، فلا يستقرون على مبدا ولا يثبتون على خلق ، فتضيع القيم الانسانية الاصيلة في زحام القيم الزائفة ، فيفقد الناس ايمانهم بهما معا .

9) قيامها على مبدا ان المعرفة الانسانية ضئيلة جدا رغم الغرور الذي ينفخ اردان بعض الناس اليوم ، يقول الله تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد جاء في تفسير (ظلال القرآن) في سياق حديثه عن الآية الكريمة من سورة البقرة: « الله لا اله الا هو الحي القيوم .. الآية » عندما وصل الى قوله سبحانه : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » ما يلي : انهسبحانه هو الذي يعلم وحده كل شيء علما مطلقا شاملا كاملا . وهو سبحانه يتاذن فيكشف للعباد بقدر عن شيء من علمه ، تصديقا لوعده الحق : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .. ولكنهم ينسون هذه الحقيقة ويفتنهم ما يأذن الله لهم فيه من علمه . سواء كان هذا الذي اذن لهم فيه علم شيء من نواميس الكون وقوانينه او رؤية شيء من غيبه في لحظة عابرة والى حد معين .. يفتنهم هذا كما يفتنهم ذاك ، فينسون الاذن الاول الذي منحهم الاحاطة بهذا العلم ، فلا يذكرون ولا يشكرون ، بل يتبجحون وقد يكفرون ، ان الله سبحانه وهب الانسان المعرفة منذ اراد اسناد الخلافة في الارضاليه، ووعده ان يريه آياته في الآفاق وفي الانفس ، ووعده الحق، وصدقه وعده فكشف له يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل ، في خط يكاد يكون صاعدا ابدا ، عن بعض القوى والطاقات والقوانين الكونية التي تلزم له في خلافة الارض ، ليصل بها الى اقصى الكمال المقدر له في هذه الرحلة المرسومة ، وبقدر ما اذن الله للانسان في علم هذا الجانب وكشف له عنه ، بقدر ما زوى عنه اسرارا اخرى لا حاجة له بها في الخلافة .. زوى عنه سر الحياة وما يزال هذا السر خافيا ، وما يزال عصيا ، وما يزال البحث فيه خبطا في التيه بلا دليل ، زوى عنه سر اللحظة القادمة ، فهي غيب لا سبيل اليه ، والستر المسدل دونها كثيف لا تجدي محاولة الانسان في رفعه .. واحيانا تومض من وراء الستر ومضة لقلب مفرد باذن من الله خاص ـ ثم يسدل الستر ويسودالسكون ـ ويقف الانسان عند حده لا يتعداه. وزوى عنه اسرارا كثيرة .. زوى عنه كل ما لا يتعلق بالخلافة في الارض .. والارض هي تلك الذرة الصغيرة السابحة في الفضاء كالهباءة .. ومع ذلك يفتن الانسان بذلك الطرف من العلم الذي احاط به بعد الاذن ، يفتن فيحسب نفسه في الارض الها ! ويكفر فينكر ان لهذا الكون الها ! وان يكن هذا القرن العشرون قد بدا يرد العلماء حقا الى التواضع والتطامن ، فقد

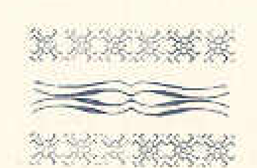
بداوا يعلمون انهم لم يؤتوا من العلم الا قليلا ! وبقي الجهال المتعالمون الذين يحسبون انهم قد علموا شيئا كثيرا ! »

وها هو التصور الميكانيكي للعالم من حولنا الذى كان العلماء يتوهمون انه قائم على التجانس المادي الناتج عن فعل قوى الجذب والدفع الثابتة قد تداعى وانهار ، بعد ان ثبت للعلماء ثبوتا قطعيا ان حركة المادة ليست صفة خارجية او تحولا محسوسا فقط فى شكل الاجسام ، بل هي تغيير جوهري فى كنه المادة ، وعلى هذا فعلم الانسان لا زال قاصرا يدرج فى مهده ، رغم غرور المغرورين وادعاء المختالين الفرحين .. ولمن شاء زيادة الوضوح فى معرفة هذه الفكرة ، فانني احيله على مقال قيم للدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا فى مجلة المعرفة السورية عدد 30 لسنة 1964 تحت عنوان : (المعرفة الانسانية لا تزال تحبو) .

6 ـ واخيرا ، اتمنى ان اكون قد وفقت الى ذكر بعض الاسس التى تدلنا على سر خلود هذه الثقافة وصمودها وبقائها على مر العصور شمعة وهاجة تضيء للانسان دربه الطويل نحو النور والخير والحق والجمال والكمال .. نحو السعادة الدنيوية والاخروية .

والمسلمون ما تأخروا اليوم واصبحوا فى آخر القافلة الحضارية الا لانهم تخلوا عن المعين الثر لثقافتهم الاسلامية لاهثين وراء السراب الكاذب لثقافات ملحدة كافرة ، تهوي بهم وباهلها الى الخراب والدمار ، ولن تعود لهم القيادة والريادة الا اذا عادوا الى ثقافتهم الحقة ، وبذلك يسعدون ويسعدون .

الرباط ـ عبد الله اكديرة





للأستاذ عبد الحق المريني

ربي الشبل الملكي « سميت سيدي » تربية ملكية سامية وثقف تثقيفا حديثا عاليا ونشيء تنشئة عسكرية رفيعة فى جو يتسم بسمو المدارك، ونضج الرجولة ، وعلو الهمة . لا ينفك يسمع فى ثناياه أصوات اجداده الامجاد يصولون ويجولون ، يأمرون وينهون ، يرسمون ويخططون ، يقودون الجحافل وينتصرون . فارتسم على صفحة ذهنه الثاقب صورة من كل ذلك ، فنشأ سموه قوي الادراك ، واسع الاحاطة ، شامل الثقافتين : ثقافة الفكر وثقافة الجسم .

ولما كان يعلم سموه منذ حداثة سنه انه يهيأ لوراثة عرش راع للشعب ، ومرشد للامة ، وقائد لجيوشها ، أبدى رغبته فى الالتحاق باحدى قطع الاسطول الفرنسي ليتروض فوقها على الصبر والاناة، والشدة والمعاناة ، ويتمرن على مختلف الفنون الحربية ، ويركب المخاطر والاهوال ، حتى ينمي عبقريته الفنية ، وعقليته العلمية ، ورجولته العملية. فالتحق سموه بالسفينة المدرسية (جان دارك) واثناء التدريب عاش سمو الامير – يقول مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور – عيشة الجندي البسيطة الخالية من الراحة والترف ، وتحمل متاعبها ومشاقها بمنتهى الصبر والجلد ، وخضع لقواعد الضبط والامتثال ، وشارك فى عمليات الضرب والابحار والنزول والغارات التدريبية .. وشاهد من المغامرات ، وجرى قربه من الحوادث ، ما لا يشاهده عادة الا من تمرس بالجندية وعاش بين الجنود فى المعسكرات » .

وقد استطاع سمو الامير الطالب البحري ان ينتزع من الضباط والطلبة المتدربين « الاعجاب لسعة ثقافته وسحر بيانه ، وسرعة فهمه للشؤون البحرية ، وحذقه فى امد قصير للاشياء التى لا تحذق الا فى شهور طويلة من الدراسة النظرية ، والممارسة الفعلية ، حتى كتب فى حقه احد ضباط السفينة هذه العبارات : ما ان توضح له اداة معينة فى آلة او عملا محدودا حتى يدرك فى الحال اهمية تلك الاداة او ذلك العمل ويظل متذكرا اياه . واشهد انني لم اصادف فى حياتي انسانا يملك قوة ادراك وفحص مثل التى يمتلكها الامير مولاي الحسن ، ومن المؤسف انه انقطع عن الدراسة البحرية ولو واظب عليها لصار بحارا ممتازا . »

ولما عاد سمو الامير من تدريبه العسكري الى ارض الوطن توالت الاحداث وجاءت المحنة فكان سمو الامير رفيق والده المقدس فى جهاده وانيسه فى غربته ووحدته يساعده بكل حنكة ومهارة فى معالجة القضية المغربية .

وعندما انفرجت الكربة واذهب الله الحزن عن المغرب وحررت البلاد من قيود الحجر والوصاية كان من بين البرامج التى نص عليها بيان ثاني مارس 1956 انشاء جيش مغربي تحت قيادة مغربية اصيلة .

فأسس محمد الخامس قدس الله روحه النواة الاولى للقوات المسلحة الملكية واسند لولي عهده العسكري المحنك رئاسة اركان الحرب العامة لطول ما خبر من مسائل الشعب ولكثرة ما عالج من الامور ولوفرة ما عرف من الوسائل ولكفاية ما تزود به للقيادة والتسيير والتدبير .

فاستدعى سموه على الاثر الضباط المغاربة وخاطبهم قائلا : « ابتداء من اليوم قد اصبحتم تحت قيادتي وسيكون قائدكم الاعلى عادلا ورحيما لكنه لا يقبل اي اخلال بواجبات الامتثال والانقياد والادب، فانتم امل جلالة السلطان وامل الشعب وامل الامة المغربية ويقضي عليكم الواجب ان تكونوا اهلا لهذه الآمال » .

وبعد عشرين يوما من اعلان الاستقلال قدم سموه وحدات القوات المسلحة الملكية الى جلالة الملك بصفته القائد الاعلى . وبعد ان اقسم الجيش امام القائد الهمام بالاخلاص لله والوطن والملك سلم صاحب الجلالة والمهابة علم القوات المسلحة الملكية لسمو ولي عهده ورئيس اركان الحرب . فكان هذا اليوم التاريخي غرة في تاريخ كفاح الشعب والعرش من اجل الحرية والكرامة حيث انهما اقتطفا فيه ثمار جهادهما المبارك . فقال اول رئيس اركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية بالمناسبة : « ان انشاء هذه النواة من الجيش تقيم لك — ايها الشعب المغربي — والفيرك البرهان على ان التاريخ لا يخون اولائك الذين ظلوا اوفياء لمثلهم الوطنية السامية ، ووجوده ايضا يعينك على المحافظة على امنك وامن عائلتك ورفاهية احفادك .. وان التاثر الذى يخالج نفوسنا حينما تمر امام اعيننا الراية المغربية وبنود الوحدات العسكرية ليبرهنان لنا جميعا على ان المغرب لم يفقد قط خلال تاريخه المجيد قيمته كامة عظيمة » .

واصبحت القوات المسلحة الملكية الشغل الشاغل لرئيس اركان حربها العامة فكون في امد قصير اطرها البرية والجوية والبحرية ، وانشأ مدارس تكوين ضباطها ومراكز تدريب جنودها على مختلف الاسلحة والعتاد واوفد البعثات العسكرية الى المدارس الحربية الاوربية والامريكية لتتم تكوينها وتنمي معلوماتها العسكرية في مختلف الفنون الحربية ، وزود وحداتها بمختلف الاسلحة العصرية الخفيفة منها والثقيلة .

وقد وقف الجيش الملكي بقيادة سمو ولي العهد ورئيس اركان حربه مرابطا بتخوم البلاد وحدودها يحرسها — بعد حداثة استقلالها — بيقظة وانتباه ويحميها من عبث العابثين ، وفعلا فقد اخمد بكل اباء وعزة جميع التحرشات وصد بكل شهامة وقوة الاعتداءات المتكررة على وحدة تراب مملكته وحدودها المشروعة واحبط جميع المناورات الداخلية التى قام بها المتمردون بجنوب البلاد وشمالها وقضى على الاستفزازات والتحديات التى قام بها اعداء الامة والوطن .

وفي كل هذه العمليات الحربية التى قامت بها القوات المسلحة الملكية للرد على ضربات خصومها بضربات اشد كان النصر حليفها لما كانت تتمتع به من تبصر وحنكة ودراية ولما امتازت به قيادتها المتجسمة في شخص « سمو ولي العهد » — العسكري الملهم والقائد المظفر — من حزم ورشد وحكمة واقتدار .

واعظم صورة لهذه العمليات دخول الجيش المغربي لاقليم طرفاية بالقيادة الحكيمة « لسمو ولي العهد » . ذلك انه لما وضع الاسبان العراقيل امام القوات المغربية الزاحفة الى اقليم طرفاية قرر رئيس اركان الحرب العامة والقائد البطل المغوار ان يتوجه ليلا من اكادير على رأس طابور عسكري لتحرير طرفاية مارا من كلميم ووادي درعة وطنطان وسط كثبان من الرمال . ولما وصل القائد الهمام الى طرفاية بعد ايام قليلة وجد ان الاسبانيين قد اخلوها بعد ما خربوها تخريبا .

وبعد ان خمدت نار الاحداث واطمأن المغرب على وحدته وسيادته اخذت القوات المسلحة الملكية — بقيادة قائدها وباعث مجدها — مكانتها بجانب الجيوش العصرية فتتكاثر معداتها وتتحسن تدريبها وتنمو طاقتها الدفاعية . فوشح محمد الخامس قدس الله روحه صدر ولي عهده ورئيس اركان حرب جيشه العتيد بكلمة ذهبية رائعة قال فيها جلالته : « لقد برهن الامير برهانا قاطعا على انه اهل لما وضعنا فيه من ثقة واختيار ، وبفضل حنكته يتقدم جيشنا في جميع ميادين حياته ونشاطه ، وبفضله ايضا يبقى هذا الجيش على اتصال دائم بقيادته . ولقد كان النجاح دائما حليف ولي العهد في المأموريات التى كلفناه بها سواء في الميدان العسكري أو في الميدان الديبلوماسي خارج المغرب ، واننا لفخورون به

ونأبى الا ان تنوه به امام ضباطه وانه لجدير بحمل ثقتنا وثقة هؤلاء الضباط » .

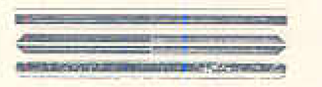
وعندما اختار الله مؤسس القوات المسلحة الملكية المقدس لجواره ورث « سمو ولي العهد » التاج المتألق طيلة الاجيال والاحقاب والمجد المحفوف بالسؤدد والجلال وتبوأ عرشا من اعرق العروش ليرعى كل امر من امور الدولة ويسهر على كل شأن من شؤون الامة وليأمر متشبثا بعقيدته السليمة فيطيع شعب وليقول متخلقا بنفسيته الكريمة فيسمع عصر وليعمل حسب خطته الحكيمة فيسجل تاريخ . فأقام ملكه على الديمقراطية وعرشه على الدستور وحكمه على العدل والمساواة وجعل من قواته المسلحة الملكية صورة حية لجيش طارق بن زياد في بأسه ونجدته وجيش يعقوب المنصور الموحدي في ايمانه وشدته وجيش المولى اسماعيل العلوي في بسالته وجراته ، ورعاها حق الرعاية لتكون عمود دفاع البلاد تحمي دمارها وتذود عن حياضها وتحمي حضارتها وتصون مقدساتها واداة في نفس الوقت للازدهار الاقتصادي والاجتماعي والعمراني .

واخيرا وليس اخيرا لقد اضافت قواتنا المسلحة الملكية في عهد جلالة الملك الحسن الثاني قائدها الاعلى ورئيس أركان الحرب العامة صحيفة جديدة الى تاريخها الدولي اللامع حيث وقفت بجانب احفاد الامويين وابناء ارض الكنانة تساعدهم على استرداد الحق السليب واسترجاع البقاع المقدسة .

وبذلك يشهد التاريخ ان القوات المسلحة الملكية خلقها الحسن الثاني ورباها وسار معها خطوة بخطوة، وقد كاد بها الكائدون ، الا انها بقيت ثابتة راسخة واستمرت في وفائها لبلادها ولدينها ولملكها . وها هي اليوم تجني ويجني معها المغرب عرشا وشعبا ثمار ذلك الوفاء وثمار تلك الاستقامة وثمار ذلك الاخلاص لقسمها « الذي تأسس وقام وشب وترعرع على قاعدة صلبة استغرق بناؤها أزيد من الف سنة » .

بارك الله في قواتنا المسلحة الملكية وثبت ملك قائدها الاعلى بالسلام ونضر عهده بالرقي والوئام .

الرباط ـ عبد الحق المريني





وحي الذكرى .. مفاخر ومآثر ...

للأستاذ محمد العربي الشاوش

مدخل وتوطئـــة :

لست من كتاب المناسبات ، ولا من شعراء المناسبات ، فللمناسبات كتابها وشعراؤها الذين يحسنون القول فيها والتعبير عنها ، ولكن ، عندما تستدعيك ((دعوة الحق)) لمشاركتها في مناسبة وطنية لامعة محبوبة الى كل وطني مخلص أصيل ، لا تملك الا ان تستجيب لدعوة الحق ، وان كانت تحملنا بهذه الدعوة الكريمة مشقة نفسية من جهة ، ومسؤولية دينية من جهة اخرى .

فمن الناحية النفسية تجدنا في صراع مع الايام واحداثها ، ومع الحياة وتقلباتها ، والمرء اشبه بزمانه كما قال الاستاذ ابن العميد ، فلا راحة في البال ولا استقرار في النفس ، وراحة البال واستقرار النفس من اقوى الدعائم التي يقوم عليها الانتاج الادبي الرفيع ، وبدونها قد يكون الانتاج سقيما او عقيما ، وهذا ما يأباه كل كاتب يحترم نفسه ، ويحترم قراءه ، فيلوذ بالصمت ، والصمت حكمة ، وقديما شبهوا الكلام بالفضة والسكوت بالذهب ، ومعلوم انه لا يوجد بين العقلاء من يفضل الفضة على الذهب ، وان كانت للفضة مكانتها ووزنها وقيمتها ، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الذهب الذي هو دائما في المرتبة الاولى ، وقد قال تعالى : ((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...)) فأعطت الآية الكريمة المقام الاول للذهب بين المعادن النفيسة اذ قدمت ذكره على الفضة !

وكما انك اذا اردت ان تقدم هدية ثمينة لا تفكر اول ما تفكر الا في الذهب ، أو ما كان في مستوى الذهب ، فهناك من المواقف والمناسبات ما لا تصلح فيها الا الكلمة الذهبية او السكوت الذهبي ، فالكلمة الذهبية غنم ، والسكوت الذهبي سلم ، وقد ورد في الحديث الشريف : ((رحم الله امرا تكلم فغنم ، او سكت فسلم)) وفي رواية اخرى ((رحم الله عبدا قال فغنم ، او سكت فسلم .)) ولله در من قال :

((تكلم وسدد ما استطعت قائلا
كلامك حي والسكوت جماد))

((فان لم تجد قولا سديدا تقوله
فصمتك عن غير السديد سداد » (1)

واما المسؤولية الدينية ، فهي اجابة الدعوة ، فمن حق المسلم على أخيه ان يجيب دعوته ، لا للوليمة فحسب ، بل ولكل امر ذي بال يعود على الامة الاسلامية بخير او فائدة . كما ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((حق المسلم

(1) البيتان لابي الفتح البستي .

على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصحه ... الى آخر الحديث الشريف» . وفي الصحيحين ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((خمس من حق المسلم ـ أي خمس من الخصال من حق المسلم على أخيه المسلم ـ رد التحية ، واجابة الدعوة ...)) الى آخر الحديث الشريف .

دعوة الحق وعيد العرش :

وكم اكون سعيدا اذا استطعت ان اتغلب على المشقات ، وان البي دعوة مجلتنا الغراء « دعوة الحق)) مرآة ((وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة)) التي نشطت لاحياء مجد المغرب الثقافي والحضاري ، وابراز معالم الاصالة المغربية العربية الاسلامية ، ودابت على احياء الذكريات الاسلامية والوطنية الخالدة ، خصوصا في عهد وزيرها الحازم النشيط ، احد رواد الحركة الوطنية والنهضة الثقافية بالبلاد ، استاذنا الشيخ محمد المكي الناصري خادم العرش العلوي العتيد ، وخادم الشعب المغربي الوفي لملوكه ورواده الابرار .

وفي طليعة الذكريات الوطنية التي دابت ((دعوة الحق)) على احيائها ، الذكرى الميمونة السعيدة الحبيبة الى كل مواطن شريف مخلص لله والوطن والملك ، ذكرى اعتلاء صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وايده عرش اسلافه المنعمين، من عهد المولى اسماعيل الملك العظيم ، الى عهد محمد الخامس بطل الاستقلال وباعث أمجاد الدولة العلوية الشريفة حرسها الله وابقاها حصنا حصينا للامة والبلاد .

((هم العلويون الذين وجوههم
بدور اذا ما احلولكت شهب ازمان))

((وهم اهل بيت شيد الله ملكه
على هضبة العلياء ثابت اركان)) (2)

العرش والشعب :

هذا العرش العلوي المجيد الذي تحتفل الامة المغربية بعيده ، قام على أسس اسلامية راسخة ، من اجل المحافظة على استقلال المغرب ووحدة ترابه ، ومن أجل المحافظة على عروبة المغرب واسلامه ، ومن اجل سعادة الشعب وتقدمه وسيادته ، ولذا كانت الامة تؤازر هذا العرش وتناصره وتلتف حوله في السراء والضراء ، فكانت مكانته مقدسة عند الشعب ، وكانت اريكته الحقيقية في قلب الشعب ، فكان العرش بالشعب والشعب بالعرش ، منذ عهد مولاي اسماعيل الذي انتقل الى جوار ربه تاركا للشعب حرية اختيار ما يوافقه من انظمة ومن يوافقه من رجال ، فاختار هذا الشعب الوفي نظام مولاي اسماعيل ، وابناء ثم احفاد مولاي اسماعيل (3) ، حتى آل العرش الى المغفور له محمد الخامس ، ثم الى وارث سره ومفخرة اسرته ، جلالة الحسن الثاني قطب الدولة ومعزها ، الذي تربع على هذا العرش عن جدارة واستحقاق ، شهد بها جلاله والده رحمه الله في خطاب تنصيبه وليا للعهد يوم 9 يوليه سنة 1957 باجماع الامة على لسان علمائها وزعمائها وممثليها ، فقال : ((... فازاء هذه الرغبات الملحة والملتمسات القوية ، قررنا تنصيب ابننا الامير مولاي الحسن فيما رشحناه له صغيرا، تنصيبا رسميا شرعيا قانونيا ، فهو ولي عهدنا ، ووارث عرشنا ، والقائم بأمر الملك والمضطلع برئاسة الدولة من بعدنا ، ولم تكن شهد الله لنقدم على توليته و سناد تبعة العهد اليه ومسؤوليته ، لو علمنا انه غير اهل له ، ولا كفء للنهوض باعبائه ... رشحناه لولاية عهدنا منذ الصغر لما لاح لنا فيه يومئذ من مخايل الصلاح وبوادر الاستقامة ، ثم التقت اليوم رغبة الامة مع رغبتنا فيه ، بعد ما لمسنا جميعا فيه من حزم وآنسنا من عزم ، وعلمنا ما له من غيرة ، وعرفنا ما له من حنكة ورأينا من اقتدار ، لقد رايت منه ما يثلج الصدر ويقر الناظر من غيرة على الوطن ، واخلاص للشعب،ودفاع عن الحقوق، وذياد عن الكرامة ، وكفاح من اجل السيادة ...)) .

هذه فقرات ذهبية من الخطاب الملكي التاريخي يوم تنصيب امير المؤمنين حفظه الله وليا للعهد ، احببنا أن نحلي بها صدر مقالنا هذا للمعاني السامية والاحساسات الصادقة التي تضمنها ، وايضا للتجاوب التاريخي الدائم بين العرش والشعب الذي عبر عنه محمد الخامس في خطابه المذكور ابلغ تعبير .

(2) البيتان من قصيدة لعبد العزيز الفشتالي .
(3) راجع ما كتبناه عن مولاي اسماعيل في دعوة الحق عدد شهر مارس 1972 بعنوان ((دفاع عن المولى اسماعيل)) .

افـــــراح وولاء :

واحتفل المغرب قاطبة يومئذ بتنصيب سيـــد البلاد وليا للعهد ، واتخذ من يوم تنصيبه الذي يوافق ذكرى ولايته ، اتخـذه عيـدا قوميـا هـو « عيـد الشباب)) الذي دابت الامة على الاحتفال به كل سنـــة كاحتفالها بيوم جلوسه على العرش فى ثالث مارس وهو ((عيد العرش)) . ففى هذين العيدين الوطنيين يهب الشعب نساء ورجالا شبابا وشيوخا للتعبير عن أفراحه وولائه واخلاصه لجلالة الحسن الثاني ملك البـــلاد . ويحق لهذا الشعب الواعي ان يحتفل بهاتين المناسبتين التاريخيتين الخالدتين ، فقد ادرك ان جلالة الحسن الثاني من الملوك الذين قل ان يجود الدهر بمثلهـم . وحسبك ان جلالته كان زعيما وطنيا قبل ان يكـون رئيـــا للدولة .

وقد برهن جلالته بالقول والفعل عن جدارتـــه بقيادة الامة واستحقاقه لرئاسة الدولة ، وتأكد مـــا توسم فيه جلالة والده والشعب المغربي من خيـــر وصلاح وحزم وعزم ، ودلت الايام على انه حفظه الله يتحلى بصفات قل ان تجدها فى غيره من ملوك ورؤساء العصر ، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيـــم .

((سبحان من يجمع الفضل افراده
ومن حباه السجايا الغر والشيما))

((ومن تخيره للملك خالقـــــه
اعطاه نورا وعقلا نابغا فهما)) (4)

ايمـــــان وعمـــــل :

ومن ابرز صفات جلالته ايمانه القـــوي بالله ، واعتماده الكبير على الله ، وعمله المتواصل لاعلاء راية الاسلام وارساء قواعد الدين واحياء مظاهر الحضارة الاسلامية ، وتمتين عرى الاخوة والمودة مع الشعوب العربية والاسلامية التي يعد المغرب جزء لا يتجزا منها، زيادة على جهوده الموصولة من اجل رفاهية الشعــب وسعادته وازدهاره ، يتجلى ما ذكرناه فى سياستـــه الرشيدة ، ومواقفه الشريفة ، وتوجيهاته الحكيمة .

بعـــث اسـلامـــي :

واذكر من بين ما اذكر ، ان جلالته فى عيد ميلاده السعيد لسنة 1972 (عيد الشباب) تحدث عن الاسس الثقافية والدينية والتربوية والاجتماعية لتجديد المجتمع المغربي ، وتكوين اجيال فاضلة اصيلة متمسكة بدينها ولغتها ، ودعا الى العمل على بعث اسلامي صحيح .

وشفع جلالته هذا النداء التاريخي الى البعـث الاسلامي بخطاب هام يوم 11 ـ 1 ـ 1973 بحضـــود وزرائه وشخصيات بارزة فى حقل التربية والتعليـم والثقافة فى جلسة عمل بالديوان الملكـــي لدراســـة شؤون التعليم الاصيل الذي هو التعليم الاساسي الذي يزود البلاد بنخبة العلماء ورجال الثقافة والفكر ، فقال حفظه الله : ((قررنا ان يكون التعليم الاصيل هو التعليم الاساسي لكل مغربي ... ولكن هذا اساسا يتطلب ان يكون التعليم الابتدائي موجها توجيها عربيا مسلما ... فنحن مصممون العزم على ان نفتح باب الانجـــاز فى اقرب وقت ممكن ... هذه الحركة نود ان تكون حركة مباركة حيث انها مبنية على لغة الضاد ولغة القرءان ، وحيث ان اساسها هو اشعاع الاسلام واعطاء الحضارة الاسلامية مكانها المرموق ... ولي اليقين اننا سنعلن كلمة الاسلام والحضارة الاسلامية اذا نحن جعلنا تلك الحضارة وتلك التعاليم فى متناول الجميع... » .

هذه التوجيهات الذهبية العظيمة ستكون باذن الله منارة يهتدي بها كل العاملين المخلصين فى محيـــط التربية والتعليم والثقافة . ولا حاجة الى القول بأنها من المفاخر والمآثر التي امتاز بها العهد الحسنـــي السعيـــد .

((ان المليك ادام الله دولتـــــه
قد مكن الدين والدنيا لامتـــه))

((العلم فى عهده يزهو بروضتـــه
والخير ملتمس من بطن راحته))

اشتراكيـــة اسلاميـــة :

وفى عيد الشباب لسنة 1973 اعلن جلالته عن انطلاقة المغرب نحو اشتراكية اسلامية مغربية اصيلة، ودعا الشباب الى تحمل مسؤولياتـه الوطنيـة بروح اسلامية ثورية ، لان ((الثورة ـ يقول جلالتـــه ـ لا تنحصر فى انسان ولا فى جيل ، ولا فى كتاب ، ولكن هي قبل كل شيء عقيدة ، لانها عمل مستمر للتجديد للتلقيح الانتاج» . وهكذا فتح جلالته المجال امـام المجتمع المغربي لتجديد اساليـب حياته ونشاطـه فى

(4) فهما : سريع الفهم . والابيات لمالك بن المرحل بتصرف فى البيت الثاني اقتضاه المقام .

ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة فى ظل التعاليم الاسلامية ووفقا للاصالة المغربية ، وانسجاما مع التطورات الفكرية المتزنة .

((بعث الامة من مرقدها
ودعاها للعلا ان تدابا))

((فسمت للمجد تبغي شأوه
وقضت من كل شيء ماربا)) (5)

تضامن اسلامي :

اذكر من بين ما اذكر ايضا مواقف جلالته الخالدة من قضية فلسطين المغتصبة ، واهتمام جلالته بهذه القضية كمسلم عربي مسؤول يجل عن الوصف ، وموقفه المثالي فى حرب اكتوبر 1973 (رمضان 1393) من اجل سيادة فلسطين وتحرير الاراضي العربية الاسلامية من قبضة الصهيونية الاثيمة ، اعطى مثالا حيا للتضامن العربي الاسلامي ، واعطى برهانا صادقا على ما يكنه من اخلاص ووفاء للقضية العربية الاسلامية العادلة .

وكان موقف جلالته هذا كمواقفه جميعا معززا بتأييد الشعب الذي هب للمشاركة فى المعركة المصيرية بماله ودمائه ورجاله ، مقتديا بملكه البطل الحسن الثاني ، وقد عبر جلالته عن ذلك فى كلمته الذهبية بمناسبة عيد الفطر فقال : ((أن شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان كان شهرا حافلا بالنسبة للامة العربية وبالنسبة لتاريخ العالم ... وكان مهما بالنسبة اليك شعبي العزيز ذلك انك حققت ماكنا ننتظره جميعا)).

واذكر كذلك خطابه القيم فى مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر اواخر نونبر 1973 القاه نيابة عن الملوك والرؤساء الذين تشرفوا بانابته عنهم اعترافا بمقامه وفضله ، وتقديرا لجهاده وتضحياته ، فكان مما قال جلالته : ((.. انني وانا اقوم بهذه النيابة لاشعر بالقلب مملوءا سرورا والعواطف سابحة فى بحر مملوء حبورا ... يمكننا ان نسمي هذا المؤتمر ((مؤتمر الانبعاث)) وفعلا انه مؤتمر الانبعاث ، انبعاث امة ، انبعاث حضارة ، انبعاث تاريخ ... فسوف نصلي فى القدس ، وسوف نحيي علم فلسطين ... فالحمد لله ، والله اكبر ...)) .

هذه فقرات ذهبية من خطاب جلالته فى جلسة اختتام مؤتمر الانبعاث ، عبر فيها جلالته أبلغ تعبير عن عواطف المغرب الصادقة ملكا وشعبا ، ورفع بها راس المغرب عاليا فى التاريخ .

وكلمة جلالته الذهبية للمهنئين بعيد الاضحى (5 ـ 1 ـ 74) من ديبلوماسيين وسياسيين ومسؤولين ، لهي خير دليل ايضا على ما يكنه ذلك القلب الكبير من عواطف المحبة والتعاطف والتآزر والتضامن مع الامة العربية والاسلامية ، وقد عبر عن ذلك بقوله : ((لا يمكننا بأي حال من الاحوال ان نفكر فى أسرتنا الصغيرة ، دون أن نفكر فى أسرتنا الكبيرة، الا وهي العالم العربي والاسلامي ... ولا يمكننا أن نحتفل بعيد ، أو يطمئن لنا بال ، ما لم نكن مطمئنين على أخواننا الفلسطينيين ...))

اخلاص ووفاء :

وما ذكرناه انما هو نقطة من بحر ، وانطباعات احيتها الذكرى المباركة الميمونة ، والذكريات عادة تتيح الفرص لاستعراض المآثر والمفاخر ، وحياة جلالة الملك الحسن الثاني ومواقفه كلها مفاخر ومآثر، فهي اكثر من ان تحصى ، واكبر من أن تجمع فى كلمة تذكارية اراد بها كاتبها أن يزيد جوهرة لامعة فى العقد الملكي الفريد ، وان يعبر بها عن عواطف المحبة والاخلاص والولاء والوفاء لامير المومنين مولاي الحسن الثاني فى عيد جلوسه السعيد على العرش المغربي العتيد . فهنيئا لجلالته بهذا اليوم الكبير الاغر ، وهنيئا للشعب المغربي بهذا الملك العظيم الذي أعاد للاسلام عزته ، وللوطن مجده وصولته ، وللشعب اعتباره وحرمته ، وليحفظه الله ، هو وولي عهده الامير الجليل المحبوب سيدي محمد وجميع الامراء والاميرات زهور البيت الملكي الكريم . ورحمة الله وبراكته عليكم اهل البيت .

تطوان : محمد العربي الشاوش

---

(5) البيتان من قصيدة لحافظ ابراهيم .

جهود عرشك يامولاي مشرقة

للشاعر محمد بن علي العلوي

عنت بعهدك فى الآفاق ركبـــان وزغردت بك أوتـار وعيــدان
واختال من حسن ما أوليته زمـن بالعرش مفتخر بالتاج فرحـان
والمغرب العربي الحـر اطربـه وراقه منك تشييـد واتقـان
قد زان ملكك دنيـا ونورهـا كما تضاء بنور الشمس اركـان
وطاب ذكرك والاوطان راق لهـا فى ظل عرشك يامولاي عمـران
والله شاءك للاوطـان تسعدهـا يا نعم ما شاء للاوطان رحمـان
كم هامة زانها تـاج جواهـره در وماس وياقـوت ومرجـان
وللمكارم تـاج زانـه حسـن واشرقت منه اقطـار وبلـدان
وللمفاخر عرش صان وحدتنـا وكلنا فى ظلال العرش اخـوان
عرش تألق منه النور ء لؤلـؤه حب البلاد واخـلاص وايمـان
عرش دعائمه التقـوى ومملكـة يحمي بواسلها الاحـرار يقظـان
ماذا تصور من افـراح امتنـا يراعة يصطفيها اليـوم ولهـان
انى توجه يوم العيـد تدهشـه بروعة الفن اقـواس وتيجـان
والكهرباء عناقيـد منسقـة كأنها فى رقاب الغيد مرجـان

وكم ترى العين اعلاما مرفرفة ... كانما أطلع الازهار بستان
انى تلفت فالانوار مشرقة ... والكل مبتهج والكل فرحان
وفى الميادين كم تبدي مهارتها ... لدى ركوب عتاق الخيل فرسان
والفن اشرق والاقمار تحملها ... الى المراقص اشواق واغصان
يهتز من فرح بالعيد مائسها ... وينثر الدر عند الشدو قحوان
كم تبصر العين فى ــ احواش ــ منتزها ... تهتز فيه على الانغام افنان
وتبدع الشدو فى ــ جيدوس ــ غانية ... نشوى ينافسها فى الرقص نشوان
عواطف الحب يبديها ويضمرها ... لخير هذا الحمى شعب وسلطان
وللمواهب اعياد تحركها ... كما تحرك اوتار وعيدان
يارب مبدعة تشدو مغردة ... بالمجد ترفل فى نعماه أوطان
تزهو الاطالس والصحراء وابتهجت ... فى عيد عرشك يا مولاي شطآن
تختال ــ فاس ــ كما ــ البيضاء ــ من طرب ... وترقص اليوم كـ ــ الحمراء ــ تطوان
وتنتشي كـ ــ رباط الفتح ــ صادحة ... من المسرة ــ مكناس ــ وايفران
وزغردت ــ وجدة ــ الفيحاء من جذل ... وصفت اليوم كـ ــ الناضور ــ وزان
واشرقت ــ درة البحرين ــ فانتشرت ... على ــ المضيق ــ من الانوار الوان
وبالصويرة ــ ما بالريف من فرح ... وبالعرائش ما ابدته ــ سلوان
واستقبلت ــ اغدير ــ العيد شادية ... وسرها بعد حسن البعث عمران
قواعد كلها تزهو ومملكة ... يبني مفاخرها للشعب سلطان
كم شاد فيها ديار العلم شامخة ... يغشى نواحيها الفيحاء شبان
يارب مدرسة امت منابعها ... عطشى يسابقها للورد عطشان
تسقي المشوق الى الآداب معرفة ... ويرتوي بلذيذ الشهد ظمآن
اقامها الحسن الثاني فكان بها ... علم وفن وآداب وقرءان
تجني بها فتيات القطر معرفة ... ويرتوي برحيق العلم فتيان
كم شاد فيها سدود الخير يصحبها ... ري ونور وتشجير وغنيان
لكل قفر بنى سدا يحوله ... الى جنان بها البلدان تزدان
فاعشوشب القفر واخضرت مزارعه ... وافتر زهر ونال الري صديان
وكم معامل فى الانحاء شيدها ... تعطي من الخير ما يهواه سكان
كم شاد فيها بيوت الله تقصدها ... الى العبادة أرواح وابدان

تلقى بها النفس ما تهوى ويدفعها   الى الوقوف امام الله ايمان

— * —

مولاي عهدك عهد الخير يصحبه   علم وعدل وتجديد وبنيان
واسترجعت ارضنا المغصوب من ضيع   ومن حقول بها نخل ورمان
واعطيت للذي يسعى لخدمتها   وليس يحظى بها فى الناس كسلان
ترعى بتربتها المعطاء ماشية   وتحسن اللهو فوق العشب غزلان
والبحر أوليته ما كان يأمله   وللامور مواقيت وابان
مددت فيه مياه القطر فاتسعت   أمامه فى مجال الصيد أركان
واصبحت لمياه القطر حرمتها   ولم يعد يستطيع النهب قرصان
ارجعت للوطن المحبوب ثروته   فلم تضع منه بعد اليوم حيتان
والشرق من حسن ما أوليته فرح   جذلان بالعمل البناء نشوان
قد سره أن يرى الجولان تحرسه   من موطن الحسن المحبوب شجعان
وحقق الله ما كان يقصده   من المعارك فى الجولان اخوان
قد أقسموا بعلى الاوطان انهم   لن يرجعوا او ترد القدس عربان
وان هوى بطل فى الحرب كان له   من المهيمن فى اخراه غفران
ومن قضى فى سبيل الله عانقه   بجنة الخلد عند الله رضوان

— * —

يا ويل – تل ابيب – من مغاربة   مناهم النصر او قبر واكفان
يا ويل – تل أبيب – من جرائمها   كم قادها فى طريق الشر عميان
يقودها نصف أعمى والعجوز وما   فى الخلق مثلهما افعى وثعبان
ومن غرائب دنيانا وعالمنا   ان يمنح العون للاشرار اعوان
وان تنال من الفانطوم ما طلبت   شمطاء عادتها غدر وطغيان
وان يشرد شعب عن مواطنه   وان يقال عن الاحرار بهتان
يا من يريد من الامجاد مكتسبا   ان المكان لما تهواه جولان
والمجد فى القدس فى سيناء ترجعه   من الصهاينة الانذال عربان
النصر لاحت على الدنيا بشائره   ووحد الصف عدنان وقحطان
وارشد الله عربا كان يفصلهم   عن التضامن خذلان واضغان
وبارك الله ما ابدى واظهره   من الشجاعة فى الميدان فرسان
قساور من عرين المجد أرسلهم   لنصرة الحق والتحرير سلطان
جهود عرشك يا مولاي مشرقة   تشدو بها فى فسيح الكون ركبان

لله درك مـن ملـك مفاخـره ... جلت فليس يطيق العصر حسبـان
قدمت تضحية للشرق غاليـة ... دم وراي وامـوال وشجعـان
وجدت بالاحمر القاني تعين بـه ... من ضاع منه لدى الهيجاء نعمـان
فشمر الشعب للانفاق من دمـه ... وقلد الملك المعـوان سكـان
سيبذل المغرب المقدام طاقتـه ... حتى يتوج هام الشرق فرقـان
مولاي عش لبلاد المجد تسعدهـا ... يرعاك للوطن المحبوب رحمـان
واسلم لمملكة ضاءت مفاخرهـا ... وعمها بك اشـراق وعمـران
وعاش للخير والاوثار ينشرهـا ... ولـي عهدك بالامجـاد يـزدان

فاس : محمد بن علي العلوي











لقد كرم الله المسلم ـ كرمه بان وضع بين يديه دستور القرآن الخالد ليقوم ، وباستمرار كحجة على الزيف والفساد والتحريف .

ـ كرمه بربط قيمته بتقواه ، بصرف النظر عن لونه وسلالته .

ـ كرمه اذ ابعده عن التقليد الاعمى ، الذى يسيء الى الاصالة ، ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة .

❋ ◆ ❋

« من الحديث القيم الذى كتبه امير المؤمنين حفظه الله لدعوة الحق بمناسبة الاحتفال بعيد العرش فى ظل البعث الاسلامي سنة 1973 » .

ما هو الكاتب الحركي ..؟

الكاتب امة فى ذاته .. هكذا يجب ان نعرف الكاتب الحركي .. وهكذا يجب ان تميزه عن سائر الكتاب الحرفيين .. ذلك ان الكاتب الحركي ، يكتسب هذا الوصف من خاصية « الحركة » ، التى تعتبر احدى الدعائم الاساسية لمميزاته الخاصة .. اذ ان هذه « الحركة » هي التى تعمل على تحريك ذاتيته .. وتوعية ذاكرته .. وتقوية ارادته ، بشكل تجعله « كطاقة محركة » لا يعرف الا الثورة على كل قيد ، من شانه ان يعطل سير العدالة الاجتماعية ، او يمتهن عزة الكرامة الانسانية على وجه هذه الارض .

ان الكاتب الحركي .. هو ذلك الكاتب المبدع ، الذى يتسم بفكر ناضج .. وتفكير عميق .. وذاكرة مستنيرة .. وذكاء جيد .. وارادة قوية .. ووعي ثاقب .. وادراك سليم .. وفهم واسع .. ونقد نزيه .. واحساس دقيق .. وشاعرية مرهفة ، فى مجال تحليلاته لاي نظرية علمية ، او فكرية ، او قانونية ، او فلسفية .

ومن هذه الصفات السيكلوجية ، تتجلى لنا قيمة الكاتب الحركي كمبدع .. انه ذلك الكاتب الواعي ، المدرك لحقائق الاشياء وطبائعها .. والذى لا يصدر آراءه ، الا عن تجربة دقيقة حساسة .. لا تتأثر بأي تأثر عاطفي .. ولا تنحيز لاي نزعة حزبية .. ولا تتعصب لا يفكرة عنصرية .. وبذلك يأتي انتاجه نظيفا سليما .. خاليا من اي شائبة تدنسه ، او اي فلتة تميعه ! .

وكيف ذلك ؟!..

ان الكاتب الحركي .. هو الكاتب المفكر ، الذى ينطلق من الواقع ليخاطب هذا الواقع .. انه الكاتب الواعي ، الذى يعيش الاوضاع السائدة فى مختلف انحاء العالم (1) .. ويصدر آراءه من وحي هذه الاوضاع .. انه الكاتب الملتزم الذى يعايش طبقات الشعب بمختلف مستوياتها ، لا ليعاديها ، او يكن لها بغضا .. ولكن ليقاسمها افراحها واتراحها ..احزانها وآلامها .. يعيش معها كرائد .. ومفكر .. ومناضل .. ومجاهد .. يمثل «اللسان الناطق» باسمها .. و « المحامي الصادق » عن مصالحها .. و « المناضل الملتزم » عن مطالبها .. لان تلك هي مهمة الكاتب الحركي فى هذه الحياة ..

دور الكاتب الحركي

وهكذا يبرز دور الكاتب فى خضم معترك هذه الحياة .. متجردا عن انانيته .. وانتهازيته .. واحقاده .. واضغانه .. وتشدقه .. وتملصه .. وتزمته .. يبرز على مسرح الحياة ، نظيفا ، حركيا، ثوريا ، ملتزما شجاعا ،، قوالا للحق ولو كان مرا ، لا يخشى فى الله لومة لائم .. وهذا يعني انه يهب نفسه — وما يملكه من نفس ونفيس — لخدمة امته الاسلامية ، بل لخدمة البشرية كلها .

ان العطاء ، والابتكار ، والابداع ، والجدية ، والنزاهة ، والحركة .. تعتبر جميعها خصائص لاصقة بالكاتب الحركي .. وهي خصائص حيوية ، تبني اركانها على اسس منطقية ، موضوعية .. يقومها فكر ناضج .. وتفكير سليم ، يغوص الى عمق الاشياء ، حسب منظومة فكرية ، مدركة لحقائق هذه الاشياء وطبائعها .

وهذه الخصائص الحركية .. هي التي تضفي على الكاتب صبغة ثورية حازمة ،، وشخصية قوية واعية .. فتمنحه وزنا اجتماعيا ثقيلا فى عالم الفكر ، والسياسة ، والقانون ، والاقتصاد ، والتوجيه العام .. وهي التى تجعل منه فى نفس الوقت « امة فى ذاته » .. اي انه يعيش لفكرة من اجل هذه الامة .

ويعطي الشهيد الاستاذ سيد قطب ، توضيحا صافيا عن مفعول هذه الخصائص الحركية فى شخصية الكاتب الحركي ، فيقول : ((عندما نعيش لذواتنا فحسب ، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة .. تبدا من حيث بدانا نعي ، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود .. اما عندما نعيش لغيرنا ، اي عندما نعيش لفكرة، فان الحياة تبدو طويلة عميقة ، تبدا من حيث بدات الانسانية ، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الارض .. اننا نعيش لانفسنا حياة مضاعفة ، حينما نعيش للآخرين .. وبقدر ما نضاعف احساسنا بالآخرين ، نضاعف هذه الحياة ذاتها فى النهاية » (2) .

الكاتب .. والتحدي الاستعماري

ان هذا المقال ، أعرضه على القراء الكرام « كورقة تعريف » بالنسبة لهوية الكاتب الحركي ، ونشاطه فى عالم الكتابة ، مشيرا — بذلك — الى الدور الخطير الهام الذي يضطلع به هذا الكاتب فى مجال التوعية .. والتوجيه .. والتغيير .

واني ، اذ اكتب هذا المقال ، فى ظروف عصيبة خانقة ومؤلمة .. وبقلب مكلوم يقطر دما .. وبمقلة فائضة لاتفارقها العبرات .. وبنفس معذبة لا تبارحها الزفرات والتنهدات .. وبجسم نحيل يتقطع حسرة وكمدا على غياب عدالة الاسلام ، من الهيمنة على السياسة الدولية .. نعم اكتب هذا المقال ، فى ظروف نجد فيها انفسنا — نحن احرار العالم — مطوقين من جميع الجهات بشتى اشكال القوى الاستعمارية، والصهيونية ، التى تعمل — منذ هجمات

(1) راجع بتوسع كتاب ((معركة الاسلام والرأسمالية » للعبقري الخالد سيد قطب ..
(2) راجع ((أفراح الروح)) وهي رسالة بعث بها الاستاذ الشهيد ، من السجن الى شقيقته الاستاذة الاديبة امينة قطب سنة 1957

التتار ، والحروب الصليبية الى عصرنا هذا — على اجهاض ما نعتز به من كرامة .. وسيادة .. وحرية .. وشهامة .. وغيرها من مقومات انسانية هذا الانسان .

ان القوى الاستعمارية الظالمة — التي استطاعت ان تخلق بتأثيراتها القوية ، تلامذة لها في جل انحاء العالم الاسلامي — تقف الآن ، بجميع هياكلها الفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وكذلك العسكرية ، كسد منيع جدا ، ضد تقدمنا والنهوض بامتنا .. ان هذه القوى المعتدية الفاشستية ، لا تريد لنا — باي وجه من الوجوه — ان نعيش احرارا كما يريد لنا ان نعيش .. لا تريد لنا الخير .. ولا تريد لنا العدالة .. ولا تريد لنا الحرية .. انها تريد لنا فقط ، ان نعيش في تأخر ، وتزمت ، وجمود ، واضطراب ، وفوضى .. بلا كرامة .. وبلا حرية .. وبلا سيادة .. (ولعل المحنة المؤلمة التي يعيشها اخواننا الفلسطينيون خارج وطنهم فلسطين ، خير دليل عما المح اليه الآن).

ان هذه القوى الغاشمة ، تعمل — بكل ما تملكه من امكانات ووسائل ضخمة — على ان تبيدنا نهائيا من هذا الوجود ، لا لشيء ، الا لكوننا نحمل مشعل الحرية .. والكرامة الانسانية .. والعدالة الاجتماعية (3) .. ولاننا في ذات الوقت ، نرفض رفضا قاطعا ، ان نتعامل معها كخونة ، او كعبيد مسخرين لمصالحها التخريبية (4) .. انها تحاربنا بشتى وسائلها الجهنمية المتعددة .. تحاربنا بالكيد والخداع مرة ، وبالنار والحرب المباشرة تارة اخرى .. وذنبنا في ذلك كله ، اننا نريد ان نعيش اسيادا تحت ظلال عدالة الاسلام .. وهو الشيء الذي يخالف منهجها السياسي .

ان الذي يجب تأكيده في هذا النطاق ، اننا لن نتمكن من ان نعيش احرارا واسيادا ، الا في ظلال هذه الحرية التي يمنحها الاسلام ايانا .. ذلك ان عوامل الظلم ، والاستغلال ، والاستبداد ، والاحتكار ، والانتهازية ، والعبودية ، والعنصرية ، والانانية — التي يدعو اليها الاستعمار عن طريق ايديولوجياته ، والتي تبغضها — اصلا — عدالتنا الاسلامية — لا يمكنها (أي هذه العوامل) ان تحيا الا في كنف مجتمع يقيم منهجا استعماريا ، بعيدا عن منهج الله في الحياة ..

وذلك هو سر نتيجة الحرب الضروس ، القائمة الآن بيننا — نحن احرار العالم — وبين الاستعمار ، وتلامذته في كل مكان .. والجدير بالملاحظة ، ان هذه المعارك المصيرية ، اندلعت — اصلا — أثناء غزوة بدر الكبرى ، ثم اشتدت وقويت — بعد ذلك — فاخذت صبغة سياسية ، قومية .. أثناء الحروب الصليبية المهولة ، التي شهدها الشرق الاسلامي ، والتي استمرت منذ ذلك الحين الى يومنا هذا ، دون انقطاع .. تأخذ شكل العصبية الدينية مرة .. وتارة اخرى تأخذ شكل النزعات العنصرية ..

ولعل هذا ، هو السبب الذي أراد الاوربيون — مؤخرا — الاشارة اليه ، حين علقوا على حرب رمضان الاخيرة ، بين الاسلام والصهيونية (او بين العرب واسرائيل) فقالوا : «ان هذه الحرب ما هي الا امتداد للحروب الصليبية)) على حد تعبير اذاعة لندن (5) !!

لقد كان الاستعمار وتلامذته ، يعملون جادين — وبذكاء ماكر — على تصعيد معنوية هذه المعارك ، لصالح الصهيونية العالمية ، كي لا يتمكن الاسلام من السيطرة على مقاليد الحكم .. الا ان الله سبحانه ، لم يخيب آمال المسلمين في التضرع اليه .. حين اوجد لهم في هذا القرن ، اعظم ما يمكن ان تفتخر به الامة الاسلامية حاليا ، وهو هذا الرصيد الضخم من الانتاج الهائل ، والابتكار الجيد ، الذي قدمه — باسم الاسلام — الى هذه البشرية المعذبة ، والمغلوبة على امرها : الزعيم الاسلامي الثائر الاستاذ

---

(3) راجع فصل « الواقع التاريخي الاسلامي » من كتاب « العدالة الاجتماعية في الاسلام » للاستاذ سيد قطب .

(4) راجع الكتاب القيم ((الحلول المستوردة ، وكيف جنت على امتنا » للمفكر الاسلامي المعروف الدكتور يوسف القرضاوي .

(5) من المؤكد ان اكثر من 25.000 من مرتزقة اوربا وامريكا ، قد اشتركوا مشاركة فعالة بجانب اسرائيل في المعارك التي خاضتها ضد العرب، خلال الحرب الرابعة (رمضان) الاخيرة !

سيد قطب رضي الله عنه (6) .. والذي بلغ ذروة من النضج والعبقرية ، ما قد اهله ذكاؤه لمستنير ، الى ان يهزم – بالفعل – كل التيارات الفكرية المائرة، والايديولوجيات الاوربية المتعفنة .. والتي لم تعد – على اثر هذه الهزائم – تستطيع ان تدخل المعركة « كنظرية » لها وجود في معترك الحياة !!.

ولعل هذه الهزائم المتوالية ، التي انتصر فيها الفكر الاسلامي انتصارا باهظا ، على الفكر الاوربي في ساحات الصراع الايديولوجي ، خلال الخمسينات، والستينات، والسبعينات، هي التي حدت بالاستعمار الى التفكير جديا في الموضوع .. حيث قرر – كما هو معلوم – استبدال اساليبه التقليدية ، باسلوب صهيوني جديد ، يستهدف منه القيام بعملية « التصفية الجسدية » لكل مفكر يمثل الاتجاه الاسلامي الحركي (7) .. وكذلك كان ..

مهمة الكاتب الحركي

لقد اردت بهذه الاشارة الهادفة ، ان اؤكد امام القراء الكرام ، أن مشكلتنا الكبرى تنحصر اساسا في اصابتنا بهذا الوباء الفتاك (الاستعمار أفيون الشعوب ،) الذي لا زالت سمومه تسري في شرايين امتنا ، وبالتالي لا زالت تفتك بمقوماتنا ، وخصائصنا في كل لحظة .

لقد كانت امتنا ، رائدة العالم في مجالي التقدم العلمي والحضاري .. ابان العهود المتحجرة باوربا في القرون الوسطى .. وهو منطق حي ، نابض ، يجب ان نأخذ منه العبر ، ولا نمر عليه مر الكرام .. ومن غرائب الصدف ان يكون الاوربيون – الذين يتولون حاليا قيادة العالم – هم الذين نبهونا الى ذلك في اول الامر .. الا اننا – وللاسف – لا زلنا لم نأخذ هذا التنبيه بعين الاعتبار ، فكان ذلك سببا في ارتكاسنا في واقع غريب عن خصائصنا ، ومقوماتنا ، وتصوراتنا الفطرية .. حيث رمانا بالخيبة في نهاية المطاف ، واوقعنا بالتالي على وجوهنا وسط هذا الركام النكد .. من غير ان نستشعر بحقيقته كواقع فاسد .

وهكذا وجدنا انفسنا – نحن شعوب العالم الاسلامي – وجها لوجه أمام الامر الواقع .

(الانسان اصبح عبدا مسخرا لمصالح اخيه الانسان) ، – (والاسلام اصبح يطارد من لدن تلامذة الاستعمار) ، – (وتيارات فكرية هدامة تجتاح بلداننا) ، – (وايديولوجيات سياسية تقوض كرامتنا وتمتهن سيادتنا)، – (واياد صهيونية تدير دواليب هذا العالم) ، – (وشعوب باكملها تعيش تحت رحمة الظلم ، والاستغلال) – (والمآت الآلاف من سكان الارض لا يجدون ما يقتاتون به) !!

كل ذلك .. جاء نتيجة غفلة شعوبنا .. فحق علينا – حينئذ – ان نؤدي ثمن هذه الغفلة .. وثمن هذه النتيجة المؤلمة .. التي كانت السبب في تكييف واقعنا الذي نعيشه .. هذا الواقع الذي اصبحنا نخجل منه ، بما تشبث به من تقاليد وثنية جاهلية ، واعراف بالية عتيقة ، غير مواكبة لمتطلبات هذا العصر ، وبالتالي لا تمت بصلة الى تعاليم الاسلام (دين الحرية) .

لهذا كله .. فاني – باسم الشباب المثقف المسلم – اذ ، اهيب بجميع الكتاب الحركيين الثوريين ، ان يأخذوا دورهم الطلائعي ، للمشاركة في محاربة تعاليم الاستعمار افيون الشعوب .. وان يتكتلوا جميعا كالرجل الواحد ، قصد شن حرب شاملة لا هوادة فيها، ضد هذه الايديولوجيات الاوربية ، التي تهيمن على نظام الحكم والحياة – قهرا – ومن غير ارادتنا .

لا بد اذن ، من فضح دسائسها ، ومكائدها ، ومتناقضاتها ، ومدى اصطدامها بفطرة الانسان في عالم الواقع ، مع تبيان علاقتها الوطيدة ، بتعاليم الصهيونية العالمية ، التي تعتبر بحق «الاب الروحي» بالنسبة لهذه الايديولوجيات .

فلنجند اقلامنا اذن ، لهذه المعركة .. ولنجهز انفسنا بزاد وافر من الايمان القوي .. ولننطلق بروح ثورية شجاعة ، لخوض غمار معركة المصير .. معركة الحياة او الموت من اجل المبدأ .

(6) ارجو ان يتحقق املي – مستقبلا – في كتابة بحث عن شهيد الفكر الاسلامي سيد قطب .

(7) راجع « لماذا قتل سيد قطب واخوانه الابرار » من اعداد الشباب المسلم ، وكتاب « شهداء الاخوان المسلمين امام حبل المشنقة » من اعداد الشباب المسلم .

وعلى الكاتب الحركي في هذه الظروف العصيبة، التي تجتازها امتنا الاسلامية، الا يتقاعس او يتهاون عن اداء مهمته في الكتابة لحظة واحدة، وان يظل مجاهدا بقلمه الى ان يودع هذه الحياة. اي انه مطالب - شرعيا - بأن يواصل جهاده التحرري ضد الجاهلية، مهما كلفه ذلك من تضحيات .. انني اعرف ان كثيرا من الاشواك .. والعقبات .. والعراقيل .. ستعترض الكاتب الملتزم في طريقه، ولكنه مع ذلك، عليه الا يركن الى الدعة، والتقاعس، بل عليه ان يظل يقظا واعيا، اذا اراد حقا ان يكون مجاهدا ثائرا .. يكتب في كل لحظة تتاح له فيها فرصة الكتابة .. وذلك كي يشارك - عمليا - اخوانه الكتاب في دحض تعاليم جاهلية القرن العشرين، وبالتالي كي يبين امام العالم اجمع، ان الاسلام هو الذي يحركه اصلا، من اجل ان يفرض وجوده كانسان حر في هذه الحياة، يتمتع بالكرامة، والعزة والسيادة.

ان مهمة الكاتب الحركي، مهمة عظيمة، وشاقة في نفس الوقت، تقوم على تنفيذ ثلاث مراحل متتابعة، وهي :

اولا : مرحلة التوعية.

ثانيا : مرحلة التوجيه.

ثالثا : مرحلة التغيير.

فاما المرحلة الاولى والثانية، فتختص بالفرد وحده، اي بتوعيته واعداده ..

واما المرحلة الاخيرة، فتختص بالمجتمع كله، اي بتغييره تغييرا جذريا ..

دور الكتاب المغاربة في محاربة الايديولوجيات الهدامة

هناك خبران مهمان خطيران، يجب ان نقف عندهما قليلا، لنستجلي منهما سر هذه الخطورة، كي نتخذ التدابير المستعجلة لمواجهة الموقف :

- ولاهما، يتجلى في ان جماعة من تلامذة الاستعمار، اطلقت على نفسها اسم « اللجنة الموحدة للماركسيين الثوريين بالمغرب » ووزعت مناشير مسعورة تستهدف بها على الخصوص، خدمة مصالح الاستعمار والصهيونية العالمية، وقد جاء في هذه المناشير الصهيونية، ما نصه بالحرف الواحد (8) :

« ايها الرفاق : -

ان الرجعية الاسلامية العميلة، بدات ترفع راسها، وتستخدم اسلوبها الذي أكل عليه الدهر وشرب، في محاربة الشيوعية الحرة، وتنويم الشعب الذي رفض « الاستغلال » الاسلامي !! وها هي الرجعية جندت مبشريها الجدد، لتروج خرافاتها وعقائدها البالية التي لم تعد تصلح لهذا العصر، ان هؤلاء « المشعوذين » ! تجندوا لتنشر الاسلام افيون المغرب !!! الذي ترك هذا المغرب مستعمرا من طرف القراة المسلمين الرجعيين، واخذو يستغلون المنابر والمساجد التشهير بافكار « التحرر والاشتراكية » (9) ومحاربة المد الشيوعي المظفر في مغربنا ((الماركسي)) !! ؛ واننا لن نتهاون في محاربة، وهدم صوامعهم، واحرق مساجدهم وزواياهم، وان اللجنة المركزية للماركسيين، تخبر كافة المناضلين بانها قررت تنفيذ « الاعدام » ! في كل من تسول له نفسه، ان يدعو الى الاسلام (افيون المغرب!!!) ويعرقل مسيرة الشيوعية الظافرة في المغرب الماركسي اللينيني » !

التوقيع :

اللجنة الموحدة للماركسيين الثوريين بالمغرب

- اما الخبر الثاني فيتجلى في ان جريدة « البيان » الشيوعية التي تصدر بالبيضاء، نشرت في أحد اعدادها في السنة الماضية، مقالة غير ممضاة ! بعنوان « من يحرك هؤلاء ؟ » وذلك على اثر اصطدام عنيف وقع بين الطلبة الاسلاميين، والطلبة الشيوعيين في ثانوية من ثانويات الدار البيضاء،

(8) مع الشكر للاستاذ المفكر مفدي زكريا - راجع مقالته القيمة « دور الاعلام » العدد، دجنبر 1973 بمجلة دعوة الحق.

(9) هذا الاسم، يوحي لنا ان الذين كتبوا هذا « الهراء » المبيت، هم مرتزقة من حزب « التحرر والاشتراكية » الممنوع، والذي يصدر جريدة « البيان » الشيوعية.

وكانت الجريدة قد هاجمت بعنف الاسلام والمسلمين، فتصدى لها الكاتب الاسلامي الشاب الاخ محمد العربي الناصر بمقالة يرد فيها على سؤالها المطروح، فيجيبها بقوله : « يحرك هؤلاء الاسلام » ! ..

اذن ، فما موقف الدولة - اولا - من هذين الخبرين ؟ سؤال لا نملك - نحن الكتاب - الاجابة عنه ..

ثانيا ، ما دور الكتاب المغاربة من مثل هذه المواقف الاستعمارية ، الصهيونية السافرة ؟ ..

ان هذه المواقف الاستعمارية الرجعية ، التي يقفها - بلا خجل ولا حياء - تلامذة الاستعمار ، وعبيد الصهيونية العالمية في المغرب ، تجسد لنا دعامتين اساسيتين هما :

اولا : وجود شيوعية ، راسخة الاركان ، في اذهان تلامذة الاستعمار .

ثانيا : ثقة هؤلاء التلاميذ بانفسهم كاصحاب عقيدة، يرون ان « لهم الحق » ! في مجابهة ومحاربة الاسلام ، ولو في قعر بيته !! ..

.. والشيوعية التي حطت رحيلها في المغرب منذ سنة 1928 - حين جلبها من اوربا يهوديان فرنسيان في غيبة عن الشعب ، وفي وقت كان فيه هذا الشعب لا زال يكافح الاستعمار الاسباني والفرنسي - اقول ، هذه الشيوعية ، تعرف نفسها جيدا ، انها ايديولوجية استنفذت اغراضها ، وانها لم تعد صالحة للهيمنة على الانظمة الحاكمة .. الا انها لا زالت في حاجة الى ضربات قاضية ، كي لا يكون لها اثر يذكر ، بعد هذا القرن ..

لذلك يبقى دور الكاتب المغربي معلقا على عتقه ازاء اخطار هذه الايديولوجية اليهودية (10) ..

فما موقفه منها ؟.. وماذا عسى ان يقدمه من تضحية في القضاء عليها ؟.. ام هل يا ترى ، سيقف منها موقف المتفرج .. مكتوفي الايدي حيالها ؟.. أم انه سيعقد معها اتفاقية « التحالف الودي » ؟!!.

كل هذه الاسئلة .. يجب على الكاتب المغربي، ان يقف امامها موقفا صريحا .. اننا لا نريد المجاملة السخيفة ..! ولا نريد ان نعيش حياة متناقضة !.. كما اننا لا نريد انصاف الحلول !.. ولكننا نريد الموقف الصارم ، الحازم من اي اتجاه .. هناك بعض الكتاب ، يحلو لهم ان يداهنوا الناس بأفكارهم الانتهازية .. فمرة تلقاهم يكتبون عن عدالة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، ويمجدونها ، ويتمنون لو كانت - في عصرنا - عدالة تشابهها .. وفي الغد تلقاهم يكتبون موضوعا مخالفا للموضوع السابق .. يكتبون عن « ديمقراطية » ماوتسي تونغ ، ويمجدونها ، مثلما مجدوا عدالة ابن عبد العزيز ، ويتمنون لو طبقت في كل بلدان العالم !! .. وكأن هؤلاء الكتاب ليس لهم من شغل شاغل ، الا ان يقفوا هذا الموقف المزري المتناقض .. متأرجحين تأرجح « حمار بوردان » !! .. لا هم فضلوا عدالة عمر بن عبد العزيز باقتناع .. ولا هم فضلوا « ديمقراطية » ماوتسي تونغ باقتناع .. وتلك احدى دعائم « الكلمة الانتهازية » التي تخدم المصالح الاستعمارية في بلادنا ..

ان هذه الخاصية المقيتة .. لا نرتضيها ابدا، كسلوك تلتصق بفكر الكاتب الحركي .. اننا نريد من كتابنا ، ان يكونوا دائما ، ذا اتجاه واضح المعالم .. بحيث اذا ما كتبوا عن شيء ، فانما يكتبون عن اقتناع ، صادر من الاعماق .. واذا ما ثاروا على شيء ، فانما يثورون عن اقتناع صادر كذلك من الاعماق .

اما اولئك الذين يتربعون اليوم - بغير حق - على كراسي التوجيه الفكري من تلامذة الاستعمار ، والذين يحتكرون الآراء لانفسهم على اعمدة جرائدهم ومجلاتهم ، ثم يكتبون - بدهاء ماكر - كي يغالطوا الجماهير ، ويصرفوها بالتالي عن حقائق اوضاعها..

---

(10) استطيع ان انسب الشيوعية الى اليهودية ؛ لا لان ماركس يهودي - فهذه مسالة ثانوية - ولكن لكون الفكرة الشيوعية ذاتها صهيونية المنهج .. راجع كتاب « بروتكولات حكماء صهيون» كما يحسن بالقاريء ايضا ان يراجع المقالات السياسية القيمة ، التي كان المفكر الاسلامي الشاب الاخ محمد مصطفى رمضان ، ينشرها في جريدة « الشهاب » اللبنانية تحت عنوان : ((جولة في الصحافة اليهودية)) .

فعليهم ان يدركوا جيدا ، انه سيأتي يوم تنكشف فيه عن اسرارهم ، ونعمل على تدمير احلامهم .. وان الحرب المنتظرة ، ستكون ضدهم اولا ، قبل سواهم من اعداء الاسلام من صهاينة واستعماريين .

هل لنا فكر حركي فى المغرب ؟

لم يكن المغرب – فى اي فترة من فترات تاريخه – متأخرا من حيث التفكير الحركي ، عن سواه من اقطار العالم الاسلامي .. وسوف لن اطيل كلامي عنهذا الموضوع .. فلي معه موعد آخر ان شاء الله فى مقال جديد .. انما اريد هنا فقط ان المح الى ان « الفكر الحركي » كان موجودا – بالفعل – فى المغرب ، وادى دوره خير اداء .. وهكذا عرف المغاربة فى القرن الماضي ، الداعية الاسلامي الكبير عبد الله السنوسي ، والمفكر الاسلامي المعروف محمد كنون المساري (11) ، الذي كتب كثيرا من المؤلفات العلمية القيمة ، والتي لا زالت – وللاسف – مخطوطة حتى وقتنا هذا ، على الرغم من مرور اكثر من ثمانين عاما على وفاة هذا الكاتب العظيم ..

اما فى مطلع هذا القرن ، فقد شهد المغرب حركة سلفية ، انشط من سابقتها ، بزعامة شيخ الاسلام الشيخ ابي شعيب الدكالي ومحمد ابن العربي العلوي ، الذي كان يشغل استاذا بجامعة القرويين، والعلامة محمد المدني بن الحسني ، والعلامة محمد غازي .. وغيرهم (12) .

وقد نتج عن وجود هؤلاء الاقطاب ، بعث وعي اسلامي بين الطبقة الشعبية ، والذى ادى الى اندلاع صوت الجهاد ، ضد الاحتلال الاجنبي فى جبال الريف ، وجبال الاطلس .

الكتاب الحركيون فى المغرب

وكم احب هنا ، ان اجمع تشكيلة من الاسماء ، لبعض الكتاب الحركيين فى المغرب ، من الذين اشتهروا بحركية كتاباتهم ، سواء منها التى نشرت على صفحات مؤلفاتهم ، او تلك التى تظهر بين الفينة والاخرى ، على صفحات الجرائد ، والمجلات المغربية (3) :

الاستاذ العميد الرحالي الفاروق– الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري – الاستاذ علال الفاسي – الاستاذ عبد الله كنون – الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله – الدكتور محمد تقي الدين الهلالي – الدكتور المهدي ابن عبود – الدكتور عبد الهادي التازي – الاستاذ ابو بكر القادري – الاستاذ محمد الطنجي – الاستاذ عبد الله الجراري – الدكتور الراجي التهامي الهاشمي – الدكتور عبد الله العمراني – الدكتور جعفر الكتاني – الدكتور عبد السلام الهراس – الاستاذ عبد الكريم التواتي – الاستاذ عبد الكريم بن جلون المحامي – الدكتور عبد الرحمان القادري – الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري – الدكتور طه عبد الرحمان – الاستاذ ادريس الكتاني – الاستاذ مفدي زكرياء – الاستاذ محمد بنعبد الله – الاستاذ محمد الحمداوي – الاستاذ محمد بلبشير – الاستاذ عبد القادر القادري – الاستاذ قدور الورطاسي – الاستاذ محمد محمد الخطابي – الاستاذ محمد العربي الخطابي – الاستاذ ادريس عبد الكريم الخطابي – الاستاذ محمد المنتصر الريسوني – الاستاذ اسماعيل الخطيب – الاستاذ فيصل الخطيب المحامي – الاستاذ محمد الخطيب – الاستاذ عبد الواحد الناصر – الاستاذ محمد العربي الناصر – الاستاذ عبد الرحمان بنعبد الله – الاستاذ عبد الله اكديرة – الاستاذ محمد محمد التطواني – الاستاذ ابو عدنان عبد القادر البوشيخي – الاستاذ عبد المجيد السملالي المحامي – الاستاذ محمد السوسي – الاستاذ

(11) ينتسب المفكر محمد المساري الى قبيلة بنيمستارة ، لكنه عاش فى فاس ، حيث كان يعمل استاذا بجامعة القرويين ، ومن مؤلفاته القيمة « الرسائل » وهي مواضيع سياسية ودينية ، راجع ترجمته فى كتاب ((الفكر السامي)) للاستاذ الحجوي .

(12) ارجو ، لو تطوع احد الاساتذة الكرام ، بكتابة موضوع حول « تاريخ الفكر الاسلامي فى مطلع هذا القرن بالمغرب)) اذ اننا – نحن الشباب – لا نعرف عن تاريخ تلك الحقبة الا النزر القليل – (وشكرا) .

(13) اني هنا ، لم اقصد بهذه الاسماء ، الا تقديم مثال حي ، عن وجود كتاب حركيين فى المغرب ، على ان يعذرني بعض الاخوة الكتاب من الذين نسيت اسماءهم ، او الذين لا اعرفهم .

محمد بخات ـ الاستاذ محمد امشيشن العلمي ـ الاستاذة حبيبة البورقادي ـ الاستاذة زهرة المنظري ـ الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة ـ الاستاذ محمد حمزه ـ الاستاذ عبد القادر الادريسي ـ الشاعر عبد الكريم الطبال ـ الشاعر محمد بن علي الرباوي ـ الشاعر بعروب علي ـ ... الخ ...

هذا ، وقد استطاع المفكر الاسلامي الشاب ، الاخ الاستاذ محمد بنعبد الله ، مدير رئيس تحرير مجلة ((دعوة الحق)) المجاهدة ، ان يكتشف مواهب يانعة في عالم الكتابة من الشباب المسلم .. ومن الذين يجمعون بين عمق الدراسات الاسلامية ، وعمق الدراسات المعاصرة ..

ومما يلفت النظر ، بالنسبة لهوية هؤلاء الكتاب لشباب الحركيين ، انهم استطاعوا ان يخصصوا انفسهم بدافع المطالعة الحرة فقط ، وان يلجوا ميدان الكتابة في مرحلة مبكرة من اعمارهم .. وهكذا استطاعوا ان يوطدوا مركزهم ككتاب مغاربة ، لهم وزنهم في عالم الفكر والتوجيه العام .. ومن هؤلاء الكتاب ، الذين اكتشفهم المفكر المغربي المعروف الاستاذ محمد بنعبد الله ، نذكر من بينهم الاخوة الزملاء :

ـ الاستاذ عبد القادر الادريسي (27 سنة) ، متخصص في الدراسات الصحافية، والايديولوجيات المعاصرة .

ـ الاستاذ محمد ابراهيم بخات (27 سنة) ، متخصص في الدراسات الفقهية ، والتاريخية ، وهو الكاتب الشاب المعروف ، الذي بدا يكتب في المجلات المصرية ، منذ كان تلميذا في الطور الاول من الثانوي (14) .

ـ الاستاذ محمد العربي الناصر (26 سنة)، متخصص في الدراسات الفلسفية ، والايديولوجيات المعاصرة ، يمتاز بعمق التحليل ، وبعد النظر .

ـ الاستاذ عبد الواحد الناصر (25 سنة) ، متخصص في الدراسات القانونية ، والاقتصادية .

ـ الاستاذ عبد الله الكديرة (29 سنة) ، متخصص في الدراسات الفلسفية ، والايديولوجيات المعاصرة .

ـ الاستاذ الشاعر محمد علي الرباوي (23 سنة) ، شاعر الثورة الاسلامية الظافرة ، وهو معروف في بعض الدول العربية كالجزائر ، وتونس ومصر ، ولبنان ، وله ديوان غير مطبوع ، يحتوي على عشرين كراسة .. وكله يتناول قضايا الساعة ، الاسلامية منها ، والوطنية ، والفلسطينية ، بشكل مركز وهادف .. وهو صاحب القصيدة المشهورة « سنعود اليك يا فلسطين » التى نشرتها جريدة « الشهاب » اللبنانية بكامل الافتخار والاعتزاز .. والاخ الشاعر الرباوي ، يعتبر نفسه تلميذا للشاعر الاسلامي الكبير مفدي زكرياء واني اذ اتوقع له بهذا الصدد ، ان يحتل ـ مستقبلا ـ مكانة استاذه العظيمة في الميدان الشعري .

والذي يجب ان المح اليه في هذا المجال ، هو ان جميع هؤلاء الاخوان الشباب ، قد تتلمذوا ـ اصلا ـ على كتب الاستاذ سيد قطب ، وتشبعوا جدا بآرائه الحركية ، بعد ان كادت الشيوعية تجرفهم معها الى مزابلها (15) .. لذلك جاءت كتاباتهم ـ وكما يشهد عليها الاخوة القراء ـ صورة حية واعية ، لما ينبغي ان يكون عليه الكاتب الحركي .. فآراؤهم تعتمد على المنطق النزيه .. وتفكيرهم يستنبط العبر من الواقع ، ليربطها بالمد الفكري الثوري .. واجتهاداتهم تعكس بعمق افكارا حركية ، كلها عطاء، وابتكار، وابداع .. الشيء الذى ادى الى ازعاج عملاء الكرملين في المغرب .. بعد ان زلزل هذا الزحف المقدس « شيوعيتهم » التى جلبوها من مزابل اليهود في اوربا ..

وهناك ايضا ، اقلام شابة اخرى تم اكتشافها بفضل المجهودات المشكورة ، التى يقوم بها استاذنا

---

(14) من مؤلفاته « محمد رسول الله » وهو كتيب نشره مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

(15) بالفعل كان بعض الاخوة الكتاب ماركسيي النزعة ، يدافعون عن « الاشتراكية العلمية » بحرارة وحماسة ، وينكبون على قراءة كتب ماركس ، وانجلز ، ولينين ، بشوق ولهف .. وذلك في فترة من فترات الضياع الفكري .

المجاهد المفكر محمد بنعبد الله ، قصد ابراز هذه المواهب في ساحة الصراع الايديولوجي .. وحتى يترك لها فرصا سانحة ، لتتمكن بدورها من الادلاء بآرائها تجاه قضايانا المصيرية المشتركة ..

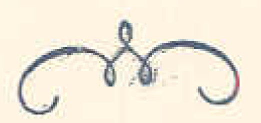
ولهذا السبب ، اشار الاخ الاستاذ المحترم الى هذه المواهب المتفتقة عن اكمامها في افتتاحية ، كتبها في عدد يونيو سنة 1973 بمجلة ((دعوة الحق » اذ قال : « وسعيا لاكتساب المواهب العربية الاسلامية الدفينة ، وابرازها ، لكي تاخذ مكانها الصحيح في مسيرة الحركة الفكرية في بلادنا ، فقد فتحت هذه المجلة صدرها امام الشباب المسلم ، الطالع الذي يخدم الكلمة بتجرد واخلاص ، وشجعته فيما يقدمه من انتاج ناضج بقدر ما يؤهله استعداده الادبي ، والعلمي ، وفطرته ، وقدرته للاسهام في عالم الفكر ، دون تمايز بينهم بسبب من اسم براق ، او جاه عريض ، او ثراء مستفيض، او قرابة واشجة بطبقة معينة في الاوساط ، او انتماءاتهم لهيئة من الهيئات .. »

ونحن ـ بدورنا ـ لا يسعنا الا ان نقدر هذا الموقف النبيل حق قدره ، وان ننوه من اعماق اعماقنا بهذه الاريحية الطيبة ، التي يتمتع بها استاذنا المحترم والمفكر الشاب الاخ محمد بنعبد الله ، اجاز الله صنيعه .

لقد جاء تشجيع الاخ الاستاذ ، لهؤلاء الشباب في الوقت المناسب .. وفي اللحظات الحاسمة ، حيث اعطى بذلك تفسيرا واقعيا ، لما ينبغي ان يكون عليه سلوك المثقف المسلم ، تجاه الشباب المتطلع الى حياة افضل ، تسودها السيادة ، والكرامة الانسانية.

فشكرا .. والف شكر للاستاذ ثانية .. وليحذ حذوه باقي رؤساء تحرير الجرائد والمجلات الاسلامية في دول العالم الاسلامي .

الرباط ـ محمد محمد النوري



مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله

قائد النهضة ورائد البعث الإسلامي في القرن العشرين

للأستاذ عبد الفتاح إمام

جرت عادة الامم ، والشعوب الناهضة ، ان تجعل من بعض ايامها اعيادا ومواسم ، تكون لها صلة بمشروعات ومنجزات ـ اسهمت في بناء حضارة الامة وازدهارها ، ومهدت السبيل الى نهوضها ، فتعبر عن شعورها وفرحها في هذه الايام ، بالخطوات التقدمية التى خطتها نحو حياة طيبة ، وعيشة هنيئة راضية ..

واحتفال الامم بهذه الايام ، وتقديرهم للمنجزات والمشروعات ، وتمجيدهم للاعمال ، واهتمامهم بعرض ثمرات جهود ملوكهم ، وابتهاجهم بما افادوه ، وما حققوه لاممهم من اسباب المجد والفخار ، لدليل على وعي الامة ونضجها ، وهو من باب مقابلة الاحسان بالشكر ، والاعتراف بالجميل ، وهذا من خلق الاسلام ـ قال تعالى : « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » فيكون ذلك درسا للناشئين، والتماسا للقدوة الصالحة في جلائل الاعمال .

واذا ذكرنا الملوك ورؤساء الدول ـ الذين حققوا لاممهم خدمات ، وامجادا يشهد بها التاريخ على مر الازمنة والعصور ـ الفينا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني « أطال الله عمره ، وخلد في التابهين ذكره » في طليعة الملوك العاملين ، الذين بنوا لاممهم الامجاد والمفاخر ، ووثبوا بها وثبات تقدمية ، لفتت انظار الدول ، وجعلتهم يفدون الى المغرب افرادا وجماعات، ليشاهدوا آثار هذه النهضة الحسنية المباركة ، التى ما زالت تقذف بالمنشآت والمشروعات ..

فلقد نفخ (حفظه الله) في هذا الشعب من روحه العلوية ، وحيويته القوية ، وافكاره التقدمية، ما جعله كالخلية ، دائب العمل ، بعيد الامل ، ففي كل حقل انتاج ، وفي كل ميدان من ميادين الحياة حركة ، تتبعها ثمرة ، وسيكتب التاريخ هذه الوثبات على صفحات خالدات ، تكون منهجا مشرقا ، ونماذج واضحة ـ للاجيال القادمة ..

والشعب المغربي ـ شعب نبيل الخلق ، مرهف الاحساس ، يقدر الجميل ، ويعترف لصاحبه بالفضل ، فهو يحتفل في شهر مارس من كل عام بعيد جلوس امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اجداده الغر الميامين ، فيظهر المواطنون شعورهم ، ويقيمون افراحهم ، إبتهاجا بما نالوه من اسعاد ، وما حققوه من امجاد .

ولهذه الاحتفالات آثارها في تزكية الشعور بالواجب ، وتاثيرها في نفوس ناشئة الجيل الجديد. من ابناء المغرب والعالم الاسلامي ، ليعرفوا فضل هذا الملك العظيم في اسعاد شعبه ، وما أسداه لامته من خير عميم ، اينعت ثمراته ، فاصبحت دانية القطوف ، وانجابت ظلمات الركود ، وانقشعت سحائب الجمود ، لتحيا الامة في ظلال آرائه الرشيدة ، وفي رحاب وثباته المظفرة ، عزيزة

الجانب ، مرفوعة الراس ، يشدو بذكرها القاصي والداني ..

ومن ثمرات جهوده الموفقة ، ومساعيه المشكورة ، هذا البعث الجديد ، الذى عم شؤون الدولة ، وقفز بها الى مراقي العزة والفلاح في جميع ميادين الحياة ..

فالتعليم : وهو القاعدة الاساسية ــ التي هي عماد تقدم الامم ورقيها ، وتطويرها ونموها ، واعلاء شانها ــ يسير وفق مناهج مدروسة ، وخطط مرسومة، أجاد الفنيون والمختصون بحثها واختبارها، ليقبل عليها الشباب بثقة واعية ، وايمان رشيد ، فلا يضيعون فى غمار التيارات الفكرية ، والفلسفات المذهبية ــ التى تسعى اليوم لجذب الانظار اليها بمختلف الوسائل . وليتكون جيل تغذى بالثقافات التي تؤهله لصد تلك التيارات ، ودفع الشبهات ، ودحض الاباطيل ــ والافكار الزائفة ، وتستفيد الامة من هذا الجيل فى مستقبل ايامها .

وفى ميادين الزراعة والصناعة . قل ما شئت من فخر وتمجيد ، فقد خطت الامة فى هذا المجال خطوات بلغت الذروة فى النمو والازدهار ..

وتلك السدود التى انشئت فى عهد امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني ، تعتبر قفزة طويلة الى الامام ، نحو ارساء دعائم مستقبل مشرق باسم للامة المغربية فى هذا العصر السعيد ، وللاجيال القادمة . تظللهم فيه الرفاهية ، والكرامة . وهكذا يكون التخطيط لبرامج التنمية الاقتصادية لمضاعفة الدخل القومي ، وتشغيل الايدي المتعطلة .

ويترتب على هذه السدود :

1 ــ توسيع الرقعة الزراعية .

2 ــ تحويل عشرات الآلاف من الهكتارات الى نظام الري الدائم ، مما سيضاعف غلة هذه الاراضي .

3 ــ وتضمن هذه السدود وجود المياه اللازمة لري الاراضي المزروعة حاليا والتى ستصلح مستقبلا .

4 ــ وقاية المحصولات والبلاد من خطر الفيضانات التى كانت تهلك الزرع والحرث ، وتضيع جهد آلاف المزارعين الكادحين .

وهكذا صارت هذه السدود بمثابة انطلاقة كبرى ، اضاءت امامنا طريق المستقبل الباسم العظيم الذى سيمنح الرخاء والرفاهية لجماهير الشعب الكادحة ..

وستلعب هذه السدود دورا كبيرا فى عمليات استصلاح الاراضي الجديدة ، وتتيح فرصة تملك الاراضي لجموع غفيرة من الفلاحين ، لم تسنح لهم هذه الفرصة عبر قرون طويلة ، فهي تمثل ركيزة هامة فى بناء الاقتصاد الوطني ، وتقريب الطبقات.

كما ان هذه السدود تساعد مساعدة فعالة على تقدم الصناعة وازدهارها بواسطة طاقة الكهرباء التى تتولد من تلك المياه المتدفقة ..

والصناعة هي التى تقدر على الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادي والاجتماعي ، وبهذا سيخطو المغرب خطوات الى الامام تبشر بمستقبل زاه وزاهر عن طريق الصناعة والتصنيع .

وجلالة الملك حفظه الله بحر المكارم والفضائل، واسع التفكير ، محكم التدبير ، فلم يقتصر على نفع الشعب المغربي فحسب ، بل كانت له اليد الطولى ، والفضل الاوفر ، فى جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، حيث زود القوات العربية فى الشرق بكتائب من الجيش المغربي ..

وهذا عمل مجيد ، له آثاره فى دعم الصف العربي ، وتوحيد كلمة المسلمين ، وجمع شتاتهم حول لواء الاسلام ..

ولا ريب ان الجيش فى كل عصر هو القوة التى تعدها الدولة لصيانتها من اي اعتداء ، فكل دولة تحرص على ان يكون لها قوات مسلحة تذود عنها ، وتدافع عن كيانها ، وقد اوصى الله تعالى بذلك فى كتابه المبين . قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » والمقصود باعداد القوة ــ ضمان الحفاظ على حريات الامم ، وعلى ثرواتها واستقلالها ، وحماية المباديء والمثل التى تدين بها ..

ولقد قامت هذه القوات المغربية بدورها فى النضال، بجانب اخوانهم فى الشرق : فى مصر ، وفى

سوريا ، وابلت بلاء حسنا . وبفضل مؤازرة تلك القوات لاخوانهم فى العروبة والاسلام ، اندحرت القوات الصهيونية ، وذاقت شر هزيمة لم تكن فى حسبانهم ، ولم تخطر لهم على بال ، مما ادهش الفنيين العسكريين فى العصر الحاضر ، فضلا عن ان هذه الهزائم التى لحقت بالصهاينة ، جعلت اسرائيل تضع انفها فى الرغام وتنحني اجلالا واكبارا لما شاهدوه ولمسوه من المسلمين المحاربين .. وكذبت هذه المشاهد اوهامهم وامانيهم ، واخمدت انفاسهم ..

فالجيش المغربي الباسل حقق آمال المسلمين فى الشرق والغرب ، وهو فى الحقيقة جيش الشعب المغربي ، وجيش الاسلام للدفاع عن الاسلام ..

هذه هي السياسة الرشيدة، والخطط المحكمة، التى انتهجها جلالة الملك المفدى ـ الحسن الثاني ـ وانه لينظر بنور الله حين ارسل « وهو الملهم الموفق » وحدات من الجيش المغربي الى منطقة الجولان قبل ان تبدأ المعركة باربعة اشهر ، فهو يرسم خطة رشيدة محكمة ، سبق تفكير العرب اليها ، وليس ذلك بعجيب : فانه من بيت النبوة ، وفيه قبس من جده الاعظم صلى الله عليه وسلم ..

ولقد اشرق علينا من ضياء نوره ما عمنا عموم الصباح ، ووصل الى المسلمين من عظيم بره وخيره ما اتصل بانفسهم اتصال الانفاس بالارواح ، فاصبح وقد جمع الله به شمل الامة الاسلامية بعد افتراقها، والف بين القلوب بعد تباغضها ، واذهب عنها الاحن والعداوات بعد توقد نيرانها ، بفضله الذى لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت ..

ولا بدع فان الاصول عليها ينبت الشجر : فهو غصن نما على عرقه فى السلف ، بل هو جوهرة من جواهر الشرف ، رباه والده العظيم ـ الملك الراحل الذى تعطر التاريخ بذكراه ـ محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ رباه فاغرب ، وادب وهذب ، وولد فانجب ، فهو من سلالة ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت ، وترقت حيث شاءت وحلت ، ادبتهم الحكمة ، واحكمتهم التجارب ، فنشأ عربي اللسان ، فصيح البيان ، شديدا على الاعداء ، لينا على الاصدقاء ، رحيب الدولة ، وسليل النبوة ، وفرع السياسة والرياسة ، وكل مديح دون قدره :

ماذا عسى مادح يثنى عليه وقد
ناداه فى الوحي تقديس وتطهير

فات المدائح الا ان السنتنا
مستنطقات بما تخفى الضماير

نسال الله سبحانه وتعالى ان يمتعنا بحياة هذا الملك العظيم ، وان يبارك له فى ملكه ، ويزيد فى نعمته ، ويشكره ويجزيه عن رعيته ، فلقد تقدم من قبله ، واتعب من بعده ، وان يقر عينه بولي عهده ، الامير المحبوب سيدي محمد ، وشقيقه الامير الرشيد ، وان يحفظ الاسرة العلوية الشريفة من كل مكروه ـ كما نساله سبحانه ان يجعل عصره عصر ازدهار واسعاد للشعب المغربي ، وللشعوب الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، ان ربي لسميع الدعاء .

الرباط : عبد الفتاح امام



الدعوة الناجحة



اهدي مقالي هذا لمجلتنا الراقية فى عددها الخاص بعيد العرش المغربي فى غمرة التبشير والتغيير بالبعث الاسلامي الذي تعيشه بلادنا منذ عامين بأمر من أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني رعاه الله و حقق دوام الخير على يديه ، والذي يعتبر اضواء كاشفة لحقائق هذا الدين فى سبيل دعوة شاملة اليه قصد عودة حقيقية له ، وحياة به وريادة باسمه ، وحضارة على اسسه .

مقدمة :

ما هي الدعوة الناجحة ؟ انها الدعوة الاسلامية : وما هي دعوة الاسلام ؟ او ما هي دعوة رسول الله ؟ وكيف نفهم هذه الدعوة وندعو اليها ؟ وهل هي دعوة عالمية شمولية ؟ .

قال تعالى : (ادع الى سبيل ربك ...) .

قال ناصر الدين البيضاوي فى تفسيره لهذه الآية ما يلي : «(ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام ... » .

اما عن عالمية وشمولية هذه الدعوة فالآيات الكريمة التالية تجيب وتبين :

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .

(وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) .

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

(واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) .

قال الشيخ حسنين مخلوف عن هذه الآية : أي وانذر به من بلغه فى كل عصر ومكان ، من سائر الامم الى يوم الدين . فهو الحجة القائمة والشاهد المصدق على من لم يؤمن به ممن بلغه .

قال سبحانه : (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) .

من الآيتين هاتين نفهم حقيقة دور سيدنا محمد كرسول للاسلام بحق كما اراد الله له ، فهو المبشر بالاسلام والداعي اليه عن صدق ، وهذا ما لمسناه فى الاحسان منه والاخلاص فى التبليغ ، لان مسئولية الدعوة كانت عليه عظيمة فكان منه ان قدرها حق قدرها واحسن القيام بها صلى الله عليه وسلم ؛ قال اصدق القائلين : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته) .

(فلذلك فادع واستقم كما امرت) .

وبموجب هذه الحقيقة التي أبانتها هذه الآيات ؛ يكون رسول الله قد بلغ هذا الدين على أكمل وجـــه وتحتم على المؤمن به أن يبلغ على ضوء قوله صلى الله عليـــه وسلـــم :

(بلغـــوا عنـــي)

ولكن كيف يبلغ هذا المؤمن او يدعو هذا المسلم ؟

فى القرآن الكريم آية واحدة قعدت الدعوة وبينت الكيفية التي ينتهجها الداعية او المربي او المرشـــد او المعلم ، والحقيقة التي يجب الاقتناع بها أننا نغفل عن هذه الآية ولا نفهمها لانها هي الوحيدة التي تلقي الاضواء على دعوة الاسلام وكيفية التبشير به ، قال عز وجل :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) .

جاء فى تفسير ابن القيم لهذه الآية الكريمة : « جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتـــب الخلق . فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعانـــد الحق ولا يأباه : يدعى بطريق الحكمة . والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر : يدعى بالموعظة الحسنة . وهي الامر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب . والمعاند الجاحد : يجادل بالتي هي أحسن . هذا هو الصحيح فى معنى هذه الآية لا كما يزعم أسير منطق اليونان : ان الحكمة قياس البرهان ، وهي دعـــوة الخـــواص ، والموعظة الحسنة : قياس الخطابة، وهي دعوة العوام، وبالمجادلة بالتي هي أحسن : القياس الجدلي ، وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلم المقدمـــات . وهذا باطل . وهو مبني على أصول الفلسفة . وهـــو مناف لاصول المسلمين . وقواعد الدين .. » (1)

وجاء فى تفسير سيد قطب لهذه الآية الكريمة : « على هذه الاسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهـــج للرسول الكريم (عليه السلام) وللدعاة من بعده بدينه القويـــم . أن الدعـــوة دعـــوة الـــى سبيـــل الله لا لشخـــص الداعـــي ولا لقومـــه ، فليـــس للداعـــي مـــن دعـــوة الا ان يـــؤدي واجبـــه للـــه ، لا فضـــل له يتحـــدث بـــه ، لا علـــى الـــدعـــوة ولا علـــى مـــن يهتدون به ، واجره بعد ذلك على الله ، والدعوة بالحكمة والنظر فى احوال المخاطبين وظروفهم ... والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه » (2) .

هكذا يجب ان تكون الدعوة الى الله فى كل عصر ومصر ، وما يمكن ان تتخذ من اساليب ووسائل تبليغية عصرية لا بد ان تعتمد من قريب او بعيد على : الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احســن ، لانها قواعد قرآنية على ضوئها ندعو الى الله او ننصـــح او نوجه او نرشد بمعنى ان اسلوب الحكمة يستعمل مع من يناسبه ، والاسلوب الوعظي مع مـــن يناسبـــه ، والاسلوب الجدلي مع من يناسبه ، على ضوء قـــول رسول الله : (امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم) .

اننا ونحن فى ميدان الدعوة تقديرا لمسئوليتها وخدمة لها ، يجب أن نعي ونفقه ان الاسلام يؤخذ ككل ويطبق ككل ، فهو لا تجزئة ولا تفرقة فيه ، فاما اسلام كامل او لا اسلام ، انه الاسلام الذي لا وجود لمساومات وتنازلات على حسابه .

والاسلام الكامل هو اسلام متفرد متميـــز فى مفهومه العقيدي ، ومفهومه التشريعي ، ومفهومـــه السياسي ، ومفهومه الاقتصادي ، ومفهومه التربوي ، ومفهومه الفكري ، ومفهومه الاخلاقي .

ان الداعية يتحتم عليه ــ وهذا من اصول الدعوة الاسلامية ومن أسباب نجاحها ماضيـــا وحاضـــرا ومستقبلا ــ ان يدعو الى الاسلام على انه دين ودولة ، دنيا واخرى ، مادية وروحية : صحيحة ومعتدلـــة ، فتفهيم الاسلام وتبليغه على هذا الاساس من فقه الدعوة

ومن فقه الدعوة أن يلم الداعية بحقيقة بـــل ان يعرفها حق المعرفة وهي أن دعوتنا لهذا الدين هي دعوة للايمان به والعمل به ولالتزام به كدين كامل ، فهكذا دعا رسول الله صلوات الله عليه ، وبذلك نجح وبذلك ساد المؤمنون به .

ومن فقه الدعوة أن يعلم الداعية بأن من حكمة الله ومن رحمته ومن خصيصة دينه أن كان التـــدرج فى

(1) (التفسير القيم لابن القيم) جمع محمد اويس الندوي وتحقيق محمد حامد الفقي ، صفحة : 344 .
(2) (فى ظلال القرءان) ، جزء 14 ، صفحة : 109 ــ 110 .

الاسلام ميزة له وفرصة لا مثيل لها . اتاحها ويتيحها لتحقيق الانسان الصالح ، انسان الاسلام الذي يعبد ربه ويتقيه ويعيش وهو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

والتدريج في الاسلام هو اساس التغيير الجذري به ، والاصلاح الصحيح به ، وهذا ما نستنتجه من الوجود النبوي بمكة كمرحلة أولية للدعوة للتوحيد ، كانت ضرورية واساسية ، وما نستنتجه من الوجود النبوي بالمدينة كمرحلة ثانية واخيرة من تحقيق الهدف من دعوة الاسلام ، وهي دولة الاسلام ، فالاسلام وهو دين ودولة يحتوي على عقيدة متميزة ، وشريعة متميزة ، وطريقة متميزة ، وفكرة متميزة ووجهة متميزة ، لا فصل ولا انفصام بين اركانه واحكامه ، ومبادئه وتعاليمه .

كيف نجحت دعوة الاسلام ؟

مما لا ريب فيه أن من العوامل الاساسية في نجاح الدعوة الاسلامية ظهورها في الابان المناسب ، وفي الوسط المناسب ، وبالعنصر المناسب ، وعلى يد الرسول المناسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) .

ومما حقق نجاح هذه الدعوة الخالدة وزاد في انجاحها وضمن هذا النجاح صمود هذا الرسول في سبيل الله واخلاصه وتفانيه وتحديه من اجل الحق الذي يجسمه لنا قوله الصادق هذا صلى الله عليه وسلم : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته) .

انها مجابهة ومجاهدة منه صلى الله عليه وسلم للاعداء ، لم تنفع معها مساوماتهم ولا مناهضاتهم ، وكيف يتراجع أو يتقهقر وهو رسول الله بدين الحق وصاحب الصراط المستقيم ، قال تعالى : (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وقال تعالى : (انك لتهدي الى صراط مستقيم)

وقال تعالى : (وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) .

ولقد كانت صفاته واخلاقه وتصرفاته واعماله تجسم جمال الاسلام وتبرهن على خير الدعوة الاسلامية مما يحبب هذا الدين للناس فينجذبون اليه عن طواعية ويدخلون فيه افواجا لانه عليه الصلاة والسلام كان كما شهدت له هذه الآية :

(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) .

اما حلمه وصفحه وعطفه وحنانه فاسباب مباشرة جعلت المكابرين والمحاولين القضاء عليه يبادرون للايمان به ، فهو لا ينتقم ولا يدعو على عدوه بل يدعو له ، شعاره دائما صلى الله عليه وسلم :

(اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) .

علاوة على انه منذ بعث وهو يعمل بقول الله :

(ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) .

اما اساليب توجيهه وارشاده فكانت في غاية التوفيق والدقة ، وان صح التعبير قلنا بلغة العصر بانه صلى الله عليه وسلم كانت الدعوة عنده فنا ، فهو الرسول الوحيد الذي تفنن في الدعوة بمعنى انه كان يدعو على بصيرة وتبصر ، يستعمل اللين متى لزم ، والشدة متى لزمت ، يرغب ويرهب في الوقت المناسب ، ويخاطب بما يناسب شتى النفسيات والمستويات على ضوء الآية الكريمة :

(قل : هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ...) .

وبما انه صلى الله عليه وسلم كان الاسوة الحسنة فقد كان حقيقة المثل الحي للاسلام الذي يبرهن للناس على واقعية هذا الدين وصلاحيته للبشرية وايجابيته في الانقاذ واحقيته في الايمان به والعمل والعيش تحت لوائه .

وقد كانت شخصية الرسول كمثل حي كافية للتأثير على الغير الذي بادر وكان يبادر للايمان بدعوة الحق ، بل ان واقعية الاسلام الممثلة في شخص رسول الله جعلت المؤمنين به يخلصون في الايمان والعمل ، واهلتهم ليكونوا خير تلاميذ لخير معلم كما قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم : (... وانما بعثت معلما) وكما قال عنه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: (ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما منه) ، فكانوا وهم الصحابة الاجلاء ورثة النبوة ، ودعاة الحق

واساتذة الحياة ، أينما حلوا وارتحلوا دعوا وانقذوا ، وافادوا وخلصوا .

وبيت القصيد فى موضوع الدعوة الاسلامية ، وكيف نجحت وكيف تنجح : هو فى ان يمثل الداعية المسلم بل يشخص حقائق الاسلام ، لان فى تجسيمه الصحيح تدليلا على انه دين الحق والخير ، هذا التجسيم الصادق الذي يرى فيه الناس جمال وفضائل الاسلام مما يحتم ضرورة الحياة به وفي ظلاله ، وقد كان هذا النوع الفريد من التجسيم من الاسباب الرئيسية فى ايمان سكان معظم البلدان التي لم تصلها جيوش الفتح الاسلامي كجزر المالديف والفلبين واندونيسيا وغيرها من البقاع .

وبعد ما نجح صلى الله عليه وسلم فى تكوين وتربية وتخريج الثلة المؤمنة بمكة وصمد فى الدعوة الصادقة على ضوء : (قولوا لا اله الا الله تفلحوا) رأى بأن يبعث من يدعو فى مناطق عدة وبالاخص فى يثرب (المدينة) على اثر التجربة الناجحة فى العقبة الاولى والثانية التي كانت منها صفوة المؤمنين من اهل طيبة .

هذه التجربة التي اوحت اليه بتوفيق من ربه بأن النجاح الكامل والمباشر لدعوة الاسلام على اوسع نطاق ، وعلى المدى البعيد والى يوم القيامة لا بد أن تنطلق من المدينة المنورة من أجل اقامة دولة الاسلام ولتأمين حرية الدعوة له ، ولتحقيق القوة الاسلامية الفعالة المؤثرة الرائدة الشاهدة .

لتحقيق هذه الانطلاقة العظيمة الربانية كان التخطيط الموفق الفريد من نوعه ، تخطيط الرسول للهجرة من مكة للمدينة ، هذا التخطيط الذي نلمس منه عن كثب كيف يكون التدبير والحركة فى الاسلام .

على ضوء هذه الحقيقة يكون لزاما على كل من يتعرض للحديث عن نجاح الدعوة الاسلامية أن يتعرف على حادث الهجرة لانه سبب مباشر فعال فى انجاحها ، فما معنى الهجرة ؟ ولماذا الهجرة هذه ؟

انها هجرة للتعليم والتنظيم والتوجيه : تعلم كيف نخطط للعمل الاسلامي بذكاء ، وتعودنا التنظيم بدقة لنكون مؤمنين حركيين ايجابيين ، بعيدين عن التهور والارتجال وبريئين من العشوائية والفوضى ، وتوجه كل مسلم بأن يكون خالص النية فى كل ما يصدر عنه ، نقيا راقيا بدين الله فى ميادين الحياة ، وتوجيه بتدقيق الى توفيق ونجاح الدعاة فى ميدان الدعوة بشرط ان يكونوا امثلة حية تمثل حقائق هذا الدين ، وقدوة صالحة تستقطب وتدل عليه ، وتدعو بلسان الواقع الحي الصحيح للايمان والالتزام به .

وهذه الهجرة توحي الينا بأن الانسان الصالح بعد التكوين والاعداد لا بد له من وسط مناسب يفرض فيه وجوده لكي يسود بالخير وللخير وينقذ الغير ويسعده بهذا الدين ، لذلك كانت الهجرة وكان مجتمع المدينة الذي أعلن عن وجود انسان الاسلام وحتم حمايته وقوته وحضارته ودعوته ، فهو نموذج حي للمجتمع الفاضل تحقق لاول مرة فى التاريخ .

وهذه الهجرة تفهمنا ان بعد الكد والعمل والصمود والمجابهة فى سبيل الله يفلح حزب الله الذي يمثل الحق ودعوته ويدعو له لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ، وحزب الشيطان هو الخاسر فى الجولة الاخيرة رغم ما يستعمل من تضليل واضلال ، وما يتفنن فيه من ايذاء واضرار لرجال الحق وعرقلة وحيلولة فى ميدان الدعوة والدعاة .

لان الله وعد بنصر من ينصره (ان تنصروا الله ينصركم ...) وعد المتقين من عباده المجاهدين فى اي ميدان ، والعاملين والمخلصين والمضحين فى سبيله بتفريج الكروب وتيسير الصعاب : (ان مع العسر يسرا) .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ...)

ونفهم من هذه الهجرة بأن الاسلام لين كامل لا يرضى بالترقيع والتضبيع ، ولا يقرر الانسلاخ عن المبدا ، ولا يقبل بالانصهار فى بوتقة الغير ، لانه دين فريد فيما اتى به ودعا اليه ، ويتميز عن هذا الغير بربانية المبادىء والاحكام والانظمة والمناهج : (قل : يا ايها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين) .

ونتعلم من هذه الهجرة ومن مبدا التاريخ بالهجرة بأن الاسلام متفرد والمؤمن به اما ان يؤمن به ككل او لا يؤمن ، فهو اسلام حقيقي لا صوري ، ولا شرقي ولا غربي ، وللتوضيح والتدليل لا امريكي ولا روسي ، فهو

لربانيته لا يسمح بالغزو الفكري والاستعمار المقنع ، ولا يعترف بالتزييف في التوفيق بينه وبين المذاهب او الحلول المستوردة الوافدة التي تدل على غفلة عن جهل او خيانة عن سبق اضرار .

بعد هذه الاضواء من الهجرة نواصل القول عن الدعوة الناجحة فنقول : بعد ما تحققت الهجرة بنجاح، صارت الدعوة الاسلامية في طور جديد اساسه عمل عظيم قام به الرسول وهو بناء المسجد ، بيت الله ، المستقى الروحي ، مدرسة النبوة ، منبع النور ، منهل المعرفة ، محكمة العدل ، مجمع الدعاة ، مقر القيادة العسكرية ، مجلس الشورى ، وباختصار فكل انواع الخير تنبثق منه ، وكل ادوار الخير يجب ان تظهر من معتاديه .

وتجد المسجد في الاسلام من اجل حرية العبادة فيه ، واسس لاستمرار الدعوة منه ، والاعلام الحق لصيانة الحق والتعاون على البر والتقوى ، كان في البداية منه ، فهو كان ويجب ان يكون منارة هدي ، ومعلم ايمان ، ومؤسسة اجتماعية ، ومنتدى تربوي في المجتمع الاسلامي .

وان غابت وضاعت اهدافه وادواره تلك فالخطا فينا وليس فيه ، والتقصير منا وليس منه ، والمسئولية علينا عظمى نحن بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه .

ان اهمية المسجد في الاسلام تبرهن عليها وتدل عليها آية من القرءان وقولة من السنة : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ...) .

(اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان) .

ثم اتبع الرسول بناء بيت الله بعمل عظيم آخر ، يتحقق لاول مرة في تاريخ الدعوات وهو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، مؤاخاة فريدة دلت على أن الاخوة في الدين هي من ركائز دولة الاسلام شهد لها القرءان اعظم شهادة : (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم) .

ونتيجة لهذه المؤاخاة صار سكان المدينة من المسلمين يمثلون معسكر الايمان باضافة معسكر اليهود وغيرهم ، وللحفاظ على هذا الكيان الجديد لعهد الاسلام بالمدينة ارتأى رسول الله كتابة معاهدة بين المسلمين واليهود تضمن وحدة اهل الاسلام وقوتهم وتنبيء عن صدق رغبتهم في التعاون والتحالف مع غيرهم لمصلحة الكل من المتساكنين بالمدينة تحقيقا للعدالة والامن ، وهذه بنود أو مبادىء المعاهدة كما اوردها مفصلة المغفور له مصطفى السباعي في كتابه (السيرة النبوية) :

1) وحدة الامة المسلمة من غير تفرقة بينها .

2) تساوي ابناء الامة في الحقوق والكرامة .

3) تكاتف الامة دون الظلم والاثم والعدوان .

4) اشتراك الامة في تقرير العلاقات مع أعدائها لا يسالم مؤمن دون مؤمن .

5) تاسيس المجتمع علىاسس النظم واهدافها واقومها .

6) مكافحة الخارجي على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع من نصرتهم .

7) حماية من اراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا ، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم .

8) لغير المسلمين دينهم واموالهم ، لا يجبرون على دين المسلمين ، ولا تؤخذ منهم اموالهم .

9) على غير المسلمين ان يسهموا في نفقات الدولة كما يسهم المسلمون .

10) على غير المسلمين ان يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

11) وعليهم ان يشتركوا في نفقات القتال ما دامت الدولة في حالة حرب .

12) على الدولة ان تنصر من يظلم منهم ، كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

13) على المسلمين وغيرهم ان يمتنعوا عن حماية اعداء الدولة ومن يناصرهم .

14) اذا كانت مصلحة الامة في الصلح ، وجب على جميع ابنائها مسلمين وغير مسلمين ان يقبلوا بالصلح .

15) لا يؤاخذ انسان بذنب غيره ، ولا يجني جان الا على نفسه واهله .

16) حرية الانتقال في داخل الدولة والى خارجها مصونة بحماية الدولة .

17) لا حماية لآثم ولا لظالم .

18) المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان .

19) هذه المبادىء تحميها قوتان : قوة معنوية، وهي : ايمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن بر ووفى . وقوة مادية ، وهي رئاسة الدولة التي يمثلها محمد صلى الله عليه وسلم (3) .

ولكن اليهود وهم الذين مردوا على النفاق والخيانة والتكذيب والاساءة والعدوان ، لم يخلصوا لرسول الله ولم يحسنوا مجاورة المسلمين ، ولم ترضهم قوة المسلمين ، ولم يرحهم تكاثرهم فصاروا يكيدون ويمكرون ويأتمون وينافقون ويساعدون أعداء الاسلام من كفار ومشركين ومنافقين ، وقد ظهرت مساعدتهم وخيانتهم في توجه احد زعمائهم وهو كعب ابن الاشرف الى مكة يواسي مهزومي قريش في غزوة (بدر) ويحثهم على اخذ الثار والانتقام من رسول الله والمسلمين ، فهو الذي سأله أبو سفيان : اناشدك الله ادينننا أحب الى الله أو دين محمد واصحابه ؟ واينا اهدى في رأيك واقرب الى الحق ... ؟ فقال له كعب: انتم اهدى سبيلا ، فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا) .

وقد زاد ايذاء وغدر يهود عند محاولتهم اغتيال رسول الله على ايدي بني النضير ، ولما لم يفلحوا وافتضح امرهم طردهم رسول الله واجلاهم ، قال تعالى : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الابصار) .

وزيادة من الغدر والخيانة قرر بقية اليهود جمع العرب الكفرة في مجابهة مسلحة قوية تقضي في نظرهم على الاسلام ، فكان لهم العمل لحشد الاحزاب من قريش وكنانة وتهامة وغطفان ، فخيموا قرب المدينة ينتظرون الوقت المناسب للانقضاض عليها ، وهنا في هذه اللحظات الحرجة العصيبة يوفق رسول الله لقبول خطة حربية مهمة من الصحابي سلمان الفارسي وهي أن يخندقوا في الجهة الشمالية خارج المدينة منها يأتي الخطر عليها ، بسببه يتوقفون عن اية زحف وهجوم عليها .

ولكي تتأكد لدينا اهمية معركة الاحزاب او الخندق كمعركة حاسمة في تاريخ الاسلام ودعوة الاسلام ، كفى الله بسببها المؤمنين القتال ، ونصرهم نصرا مؤزرا ، فاندحر الاعداء كلية ولم تقم لهم قائمة تذكر يتحتم علينا الاطلاع على خارطة هذه المعركة لنلمس بموجبها حكمة وحنكة وفنية رسول الله الحربية (4) ، كما يتحتم علينا الاشارة الى الدور الفذ الذي قام به نعيم بن مسعود الغطفاني في تخذيل وتفريق قوة الاحزاب مما يدل على اهمية الحرب النفسية في أي صراع مسلح على ضوء استعمال الحيل والخدع الحربية ، وهذا الدور الذي قام به نعيم الذي كان كافرا ثم اسلم في الليلة قبل الاخيرة لهذه المعركة كان بموافقة من رسول الله وتشجيع ، فكان ان قال له يدعوه الى هذه المبادرة الفنية الحربية : (انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة (5)) .

(3) عن (السيرة النبوية : دروس وعبر) ، ط. اولى، صفحة 78 _ 79 _ 80 .
(4) انظر (الرسول العربي وفن الحرب) اللواء الركن مصطفى طلاس ، الفصل الثالث عن غزوة الخندق ، صفحة : 177 .
(5) نفس الفصل من نفس المصدر، صفحة : 202.

كما يتوجب علينا الالمام بخطط العملية الدفاعية عن المدينة وساكنيها على الاسس التالية ، وكما أوردها صاحب كتاب (الرسول العربي وفن الحرب) :

1) ان يبقى المسلمون فى المدينة للدفاع عنها ولا يخرجوا للقاء الاحزاب .

2) ان تكون خطط الدفاع الرئيسية من الطرف الشمالي من المدينة ، والواقع امام جبل (سلع) على ان يكون هذا الجبل على يسار القطاع الدفاعي عن المدينة .

3) ان يقوم المسلمون بحفر خندق عميق (وهو الذي المحت اليه) يجعلونه حاجزا يمنع جيوش الاحزاب من التقدم نحو المدينة .

4) ان يقوم المسلمون باخلاء المدينة من النساء والاطفال والشيوخ ، وتجميعهم فى الحصون والمواقع المنيعة ، بعيدا عن تأثير العدو ، ولتسهيل حمايتهم من غدر يهود بني قريظة الذين تقع منازلهم فى المدينة نفسها .

5) ان تتولى دوريات الجيش الاسلامي المتحركة اعمال الحراسة القتالية عن المدينة من الغسق الى الفجر (6) .

وانتهت معركة الاحزاب بانتصار المسلمين وانهزام الكفرة بعد عشرة ايام من شن الغارة والمحاصرة من طرف الاعداء بحيث ارسل الله عليهم ريحا عاصفة باردة ، اطفات نيرانهم ، واقتلعت خيامهم ، وارجفت اجسامهم ، وادخلت الرعب فى قلوبهم ، قال تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا) .

وعن صمود المسلمين وقوة ايمانهم ، وصدقهم لدينهم ، واعتقادهم فى وعد الله لهم بالتأييد والنصر والسيادة ، قال تعالى : (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) .

ونظرا لمحاولات واستفزازات يهود بني قريظة التي قصدوا منها ارهاب وارعاب اهل المدينة ابان معركة الخندق فقد امر الوحي رسول الله بالسير الى اخوان القردة هؤلاء للقضاء عليهم ، فسار اليهم بطائفة من جيشه ، ونفذ فيهم حكم سعد بن معاذ الذي اختاروه حكما وتقبلوا ما يحكم به عليهم ، وقد كان سعد حليفا لهم وصديقا فى الجاهلية ، والعجيب فى امر هذا الحكم الذي وفق اليه والذي رضيه الله ورسوله انه منصوص عليه فى التوراة ، وهذا منتهى العدل وقمة الحكم بالحق ، فكان ان قبلوا به مرغمين راضخين .

وينص الحكم على قتل المقاتلة منهم ، وسبي الذرية والنساء وتقسيم الاموال ، وورث المسلمون كل ممتلكاتهم من أرض وديار وأموال ، وبذلك طهرت المدينة المنورة وضواحيها من نجس ووجود يهود .

ومن باب الحيطة والحذر ، ولتأمين الدعوة من شر وخطر يهود فى أطراف الجزيرة من الناحية الشمالية ، امر الرسول بالمسير اليهم ، فلما علموا بمجيئهم اظهروا رغبتهم فى الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، وقبلوا اداء الجزية ، وخضعوا .

وبتأمين الدعوة من ناحية الشمال ، امنها من ناحية الجنوب بابرام صلح الحديبية ، هذا الصلح الذي دل على ديبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ارهاصا بفتح المكرمة فى القريب من مستقبل الشهور .

وفى السنة الثامنة للهجرة من عمر الدعوة الاسلامية ، بالمدينة كان فتح مكة ايذانا بانتشار وانتصار دعوة الاسلام ، وتحقيقا لدولة القرآن وقيادة لانسان الاسلام ، وكانت معاملة الرسول السمحة ، الرفيقة لمشركي مكة تدعو للاسلام وتحبب الناس اليه وخير مثال على هذه المعاملة قوله صلى الله عليه وسلم للوفود منهم : (... (اذهبوا فانتم الطلقاء) وهكذا طهرت ام القرى من (360) صنما من معالم الوثنية وظهر الحق وزهق الباطل ، فاندحرت الجاهلية بفتح مكة ، وفرض الاسلام وجوده بحرية الدعوة اليه ، وقوة المؤمنين به ، وكانت سرايا وغزوات الرسول تجسيما لقوة المسلمين وتأكيدا على ضرورة الدعوة لهذا الدين .

---

(6) نفس الفصل من نفس المصدر ، صفحة : 193 .

وكانت غزوة تبوك (7) العسيرة الشاقة امتحانا للمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وردعـا للرومان وعملائهم وانصارهم من القبائل الذين ندبهم هرقل للقيام بحرب قاضية على الدين الجديد ولكن وهو يتهيأ لهذه الحرب الظالمة سبقه الرسول وباغته في تبوك بجيش عظيم من 30 الف مقاتل وعشرة آلاف من الخيل ، فتناقلت الناس خبر هذا الجيش فأدخل الله الرعب في قلوب الاعداء والعملاء ، فلم يدخلوا ميدان حرب المسلمين ، وبذلك عاد رسول الله بدون حرب عسكرية .

ويحق لنا ان نقول في هذا الصدد بأن غزوة تبوك كانت بمثابة حرب نفسية قاسية أرهبت الاعداء واوقفتهم عند حدهم .

وخير ما نختتم به هذه الكلمة المتواضعة عن الدعوة الناجحة من بدء بعثة المصطفى وحتى وفاته صلى الله عليه وسلم خطبته في حجة الوداع ، هذه الخطبة الشهيرة التي كانت وثيقة خالدة للمبادىء العامة في الاسلام :

((أيها الناس : اسمعوا قولي ، فاني لا أدري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف ابدا ، ايها الناس ، ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كرحمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، الا وان كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع ، واول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب ، فانه موضوع كله .

ايها الناس ، ان الشيطان قد يئس من ان يعبد بأرضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

ايها الناس ، ان النسيء زيادة من الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله . وان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السماوات والارض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

اتقوا الله في النساء ، فانكم انما اخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . ان لكم عليهن حقا ولهن عليكم حقا : لكم عليهن حقا ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه (8). فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاعقلوا ايها الناس قولي فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان تضلوا بعده ان اعتصمتم به : كتاب الله وسنة رسوله .

يا ايها الناس ، اسمعوا واطيعوا وان امر عليكم عبد حبشي مجدع أقام فيكم كتاب الله تعالى ، ارقاءكم ارقاءكم .. اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون وان جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه ، فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم .

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، الا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ، وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟

قالوا : نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة ، يرفعها الى السماء ، وينكتها الى الناس : اللهم اشهد (ثلاث مرات) » (9) .

محمد ابراهيم بخات

---

(7) لم أتعرض بالذكر لكل غزوات الرسول ، وقد فعلت ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، فكل غزاوته صلى الله عليه وسلم وافقه فيها التوفيق الرباني وحالفه التدبير الحكيم ، ولقد كان هدفي من الوقوف طويلا عند غزوة الخندق اشارة مني الى فن الحرب عند الرسول القائد عليه الصلاة والسلام .

(8) المقصود بذلك ان لا يأذن لاحد ممن يكرهون دخوله عليهن ، وليس وطء الفراش كناية عن الزنا كما قد يتوهم (عن كتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي) ، صفحة : 514 ، ط ثانية.

(9) انظر كتاب (فقه السيرة) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، صفحة : 513 ـ 514 ـ 515 .





مراكش الحمراء تسبح فى الدماء
الارض منها والسماء ،
وجنود الاستعمار تاخذها بالاثم الكبرياء ..

الذعر .. والارهاب يطغيه العناد ،
والحكم بالاعدام والثورات تجتاح البلاد ،
ومحارق الاموات تقذف بالشظايا والرماد ..

والشعب يهتف جهده :
« عاش ابن يوسف وحده !
وليلق بالملك المزيف فى الجحيم ! »

وبكى الفدائي المقبل امه قبل الوداع ،
لا خشية الموت المحقق ، بل حنينا للصراع ،
« سر فى امان الله يا ولدي الشجاع .. »

ومواكب الأسرى تساق بلا نظام ،
وعلى مشانقها ازدحام ،
واليم يبتلع الضحايا فى الظلام ..

والضابط العاتي الحقود ،
يعطي الاوامر للجنود :
« النار ! هل اتممتمو حفر اللحود ؟ »

وشوارع البيضاء تحرسها الكلاب ،
مشحوذة الانياب مرهفة الاهاب ،
تتحسس الدرب المغلف بالضباب ..

والمدفع الرشاش مرتعد الفرائص بالوصيد ..
كالحية الرقطاء ترسف في الحديد ..
نظراته عن كل سار لا تحيد ..

ومسدسات ترقب الوغد الاثيم وتنتظر ،
وانين مطعون طريح يحتضر ،
وصراخ مقبوض عليه يود ان لو ينتحر ..

في كل يوم مقتلة ،
ووراء كل جدار باغ قنبلة ،
والناس تسأل : « اين تنفجر الجحيم المقبلة ؟ »

والأطلس المثلوج يزخر بالزحوف من الجنود ،
ومهربوا الالغام بين شعابه سود الجلود ،
والريح تصفع خيل حراس الحدود ..

والزمهرير ،
والثلج الفافا يطير ،
وعويل ذئب جاع مصدور ضرير ..

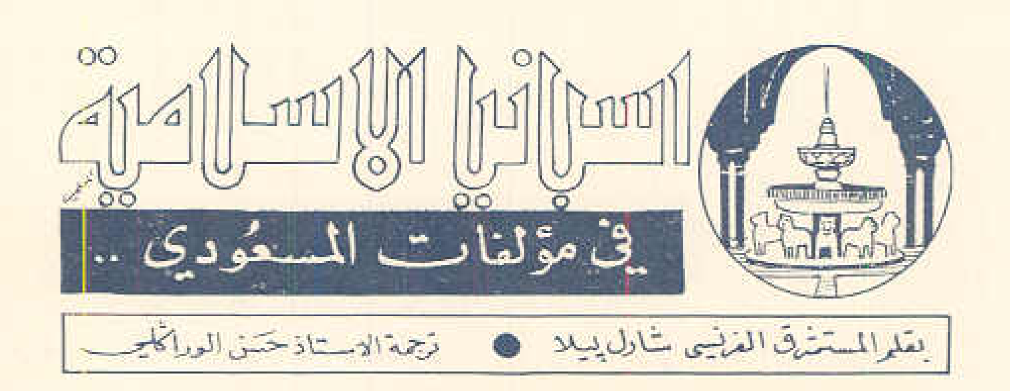
والفارس العربي يركض كالشهاب ،
بين المفاور والشعاب ،
وبنادق الاوغاد ترصده ويحجبه الضباب ..

ومعاقل الصحراء منتنة تفوح ،
وجلود اسراها تقيح بالقروح ،
والسل يزهق كل يوم الف روح ..

والشوق للاحباب نار في شبوب ،
والحقد يعصف بالقلوب ،
والسوط يصفر، والمعذب لا يتوب ..

يا حكمة الله اعدلي !   يا نقمة الله انزلي !
بالظالمين وعجلي !   وتخطفي أبصارهم ،
وبكل وحش نكلي ..!

احمد عبد السلام البقالي



بقلم المستشرق الفرنسي شارل بيلا ● ترجمة الاستاذ حسن الوراكلي

من المعلوم ان المسعودي (ابا الحسن عليا بن الحسين بن علي المتوفى عام 346 هـ) الذى ليس يعرف اليوم الا بكتابيه : « مروج الذهب ومعادن الجوهر» و «التنبيه والاشراف » كان قد اغنى المكتبة العربية بمؤلفات شتى يتجاوز عددها الثلاثين ، عالج فيها الوانا من المعارف مما يدل على سعة اطلاعه وعمق علمه . ولكن اكبر قسم من هذا النتاج ، للاسف ، كان من ضخامة الحجم بحيث عسر نقله واستعماله ، فلم يحتفظ به ، على انه الى جانب الكتابين المذكورين نملك من مؤلفاته كتابا آخر هو « اثبات الوصية » وهو فى مدح علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) والاشادة بشخصيته ، ولعل هذا هو السر فى عدم ضياعه .

وليس من المحتمل الآن العثور على مخطوطات جديدة تتضمن اجزاء صغيرة او كبيرة من مؤلفات المسعودي الضائعة ، وعلينا ان نكتفي بما فى متناولنا على ان نضع فى اعتبارنا ما ضاع مما يمس اسبانيا الاسلامية من كتاب « اخبار الزمان » الذى كان موسوعة حقيقية لمعارف العرب فى مطالع القرن الرابع الهجري ، وكذلك ما ضاع مما يتعلق بنفس الموضوع من كتابيه « المسعوديات » و « وصل المجالس » لان فى كليهما (جملا من اخبار ممن سمينا من ولاة الاندلس وسياستهم وحروبهم مع من يجاورهم من الجلالقة والجاسقس والوشكنش وقرمانيش وغوطس وغيرهم من الافرنجية برا وبحرا وما كان من الاندلس من الحروب والفتن مذ افتتحها طارق مولى موسى بن نصير سنة 92 فى ايام الوليد بن عبد الملك الى وقتنا هذا، وعبور طارق مولى موسى اليها ، وقتله لذريق ملك الاسبان الذين كانوا بالاندلس ، وعبور موسى بن نصير بعده وما لقي من الامم ، وشاهد من العجائب وخبر المائدة الذهب والبيت الذى كان فيه تيجان ملوكهم السالفة) (1).

ولنبدأ بملاحظة انه على الرغم من ان المسعودي يضمن كتابه « التنبيه والاشراف » فصلا بعنوان «ذكر ما جرت عليه احوال بني امية بعد قتل مروان» يدرج فيه قائمة باسماء الامراء الامويين فى اسبانيا من عبد الرحمن الاول الى عبد الرحمن الثالث الذى كان على كرسي الخلافة سنة 345 هـ ، أي فى الفترة التى كان فيها المؤلف يصنف كتابه « التنبيه والاشراف » ، تقول : انه على الرغم من ذلك فان المسعودي فى « مروج الذهب » يقصر حديثه عن اسبانيا فى الجزء الاول من الكتاب ، وهو المخصص للتاريخ العام وجغرافية البلدان الاجنبية، وانطلاقا من الفصل الذى يعالج فيه تاريخ الاسلام لا يطالعنا ذكر لاسبانيا الا فى اشارات عابرة خاطفة ، وهو امر يستلفت النظر ، وما من شك فى انه ليس يكفي لتعليله ان يقال بان المسعودي كان من انصار التشيع ، ولذلك لم يكن

(1) اكتفى الكاتب بالاحالة على هذه الفقرة فى كتاب « التنبيه والاشراف » طبعة القاهرة (1327 - 1938) ص 288 فآثرت نقلها بين المعقوفين تسهيلا على القاريء - المترجم .

يعير اهتماما للامويين ، ذلك ان تاريخ الاسلام عند المسعودي يمتزج بتاريخ الخلافة ، واننا لنجده مع اهتمامه بكل ما يحدث فى اجزاء العالم الاسلامي يستأثر باهتمامه بالدرجة الاولى مركز الخلافة او « قلب الامبراطورية » . وقد يلوح ان المسعودي كان يسلك فى عداد الاقطار الاجنبية تلك المناطق الواقعة على مبعده من عاصمة الخلافة والتى كانت على عهده تتطلع للظفر باستقلالها وهو موقف هام بما فيه الكفاية .

نضيف الى ذلك ان المسعودي ، وقد ثبت انه لم يتجاوز فى اسفاره نحو الغرب مدينة الفسطاس بمصر ، لم يعرف اسبانيا الا من خلال قراءته فيما كتبه عنها الذين تقدموه من المؤرخين ، وكتابات هؤلاء عن اسبانيا ليس مما يحتل الصدارة في الموضوع .

اما فيما يتعلق بالجغرافية فالملاحظ ان الذي يهمه اولا وقبل كل شيء هو عالم البحار والمحيطات وكيف يتصل بعضها ببعض ، فهو يعرف ان مبدا البحر الابيض المتوسط من خليج يعرف من بحر اقيانوس (المحيط الاطلسي) ، وبما ان مصادره التى يستقي منها فيما يكتب ، كانت ولا شك تحتوي على حظ غير يسير من ذكر العجائب والغرائب فانه يقف وقفة غير قصيرة عند ذكر التماثيل الهرقلية (2) ، وهو من نحو آخر يعرف الاسطورة التى تؤكد ان الابحار فى المحيط مستحيل ، لكنه ، مع ذلك ، لا يمضي دون ان يلم بذكر مغامرة خشخاش الذى (كان من فتيا قرطبة واحداثها فجمع جماعة من احداثها وركب بهم فى مراكب استعدها فى هذا البحر المحيط ، فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة ، وخبره مشهور عند اهل الاندلس (3)) .

ويذهب الاستاذ ليفي بروفنصال الى الاعتقاد بأن هذا المغامر هو القرطبي المسمى خشخاش بن سعيد بن اسود الذى كان على قيد الحياة خلال حكم الامير عبد الله ، وقد الم بذكره البكري . وبصدد الغرائب والعجائب لا يتردد المسعودي فى نقل ما كان يحكيه رجل (باعالي مصر من أرض الصعيد له ثلاثمائة وثلاثون سنة من الاقباط) من انه (كان بين الاندلس وبين الموضع الذى يسمى الخضراء — وهو قريب من فاس المغرب وطنجة — قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الابل والدولب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب) (4) .

فاذا تركنا ذلك جانبا وجدنا المسعودي يتساءل عن المسالك التى انتهى منها المجوس فى غاراتهم حسب مصادره ، على سواحل اسبانيا المطلة على المحيط :

(وقد كان قبل الثلاثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها الوف من الناس اغارت على سواحلهم ، زعم اهل الاندلس انهم ناس من المجوس تطرا اليهم فى هذ البحر فى كل مائتين من السنين وان وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر اوقيانوس، وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس، وارى والله اعلم ان هذا الخليج يتصل ببحر مايطيس ونيطيس وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ، اذ كان لا يقطع هذه البحار المتثلة ببحر اوقيانوس غيرهم (5)) .

وليس فى مؤلفات المسعودي ما يشفي الغليل لمن يبحث عن معلومات حول جغرافية الاندلس ، فهو في « المروج » يكتفي بان يقول : (وبلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحوا من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو اربعين مدينة (6)) .

والمدينة الاندلسية الوحيدة التى يخصها المسعودي دون غيرها بحديث اطول هي طليطلة ، لكنه يقع فى خطأ فظيع حين يتحدث عن نهر تاجه : (ودخل طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس الى مدينة طليطلة دار مملكتهم ، ويشقها نهر عظيم يدعى تاجه ، يخرج من بلاد الجلالقة والوشكنة ، وهي امة عظيمة لهم ملوك ، وهم حرب

---

(2) فى التنبيه والاشراف ص 60 — 61 يورد المسعودي راي ارسطو والاسكندر الافروديسي حول الموضوع .

(3) مروج الذهب ج 1 ص 119 .

(4) نفسه 2 ص 375 .

(5) نفسه 1 ص 163 .

(6) نفسه ص 162 .

لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ، ويصب هـذا النهر فى البحر الرومي ، وهو موصـوف بانه مـن انهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة مدينة طلبيرة ثم قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور الموصوف .. ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها اسوار منيعة (7)) .

ثم بعد ذلك يقول المسعودي : (ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو ثلاثة أيام ، ولهم على يوم من ساحل البحر مدينة يقال لها اشبيلية .

وفى كتاب « التنبيه والاشراف » يتحدث عن نهر قرطبة الذى يصب فى المحيط وينبع من جبل بدمى (لينشكة) على نحو ستة ايام من قرطبة : (ويجري فى هذا النهر مراكب كثيرة الى قرطبة فاذا فصل عنها صار الى مدينة اشبيلية وهي على يومين من قرطبة ، ومن اشبيلية الى مصبه فى هذا البحر المحيط يومان ، وعلى هذا البحر مما يلي الاندلس جزيرة تعرف بقادس مقابلة لمدينة شذونة من مدن الاندلس، بينها وبين شذونة نحو اثني عشر ميلا) (8) ثم يعقب على ذلك بالحديث عن منارة هرقل .

وحين يعرض المسعودي لتاريخ الامم نجـده يعني عناية خاصة بالعصور القديمة من ذلك التاريخ، وهكذا يذكر فى معرض حديثه عن الشواهيـن ملكـا قوطيا اسمـه (أزرق) كان اول من تصيد بهـا . (وقد ذكر ابن ففير عن ابي زيد الفهري انه كان من رتبة ملوك الاندلس اللذارقة ، انه ركب الملك منهم صارت الشواهين فى الهواء مظلة لعسكره ، مخيمة على موكبه ، تنحدر عليه مرة وترتفع اخرى معلمة لذلك ، فلا تزال على ما وصفنا فى حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله الى ان ركب يومـا منهم يقـال له (أزرق) وصارت الشواهيـن معـه على ما وصفنـا فاستثارت طائرا فانقض عليه شاهيـن فأخـذه ، فاعجب الملك بذلك وضراها على الصيد ، فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلـس (9) ، ومـن المناسب ان نورد هنا فقـرة من كلام المسعـودي فى المروج يتحدث فيها عن اصل الامبراطور تدوسيس الاكبر : (... وانما كان اصله من الاشبان ، وهم بعض الامم السالفة ، وقد كانت ممن ملك الشـام ومصر والمغرب والاندلس ، وقد تنازع الناس فيهم . فذكر الواقدي فى كتابه « فتوح الامصار » ان بداهم من اهل اصبهان ، وانهم ناقلة من هنالك ، وهـذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى ، وذكر عبيد الله بن خرذابه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاخبار ، والاشهر من امرهم انهم من ولد يافث بن نوح ، وهم ملـوك الاندلـس مـن اللذارقة ، واحدهم لذريق ، وقد تنوزع فى دياناتهم ، فمنهم من راى انهم كانوا على دين المجوس ، ومنهم من راى انهم كانوا على مذهب النصانيه وغيرهم من عبدة الاصنام (10) .

وكلما تحدث المسعـودي عن وطـن اجنبي الا واشـار الى اللقب الذى عرف به ملك ذلك الوطـن ، وغالبا ما يقع اختيار المسعودي على الاسم الذى يكثر استعماله فى الاسرة الحاكمـة ، فملـك صقلية او افريقية هو جرجير وملك اسبانيا هو لذريق ، وتلك ظاهرة نلمسها بشكل متواتر عند المؤرخين العرب ، وحين يذكر لذريق يقول بأن آخـر اللذارقـة عـن مسلمي اسبانيا وهو الذى لقي حتفه على يد طارق حين استولى على طليطلة ، كان جليقيا ، ويعقـب على ذلك بأن اهل طليطلة (بعد ان فتحت وصـارت لبني امية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين اليها فلما كانت بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبد الرحمن (11) .

واذا تركنا جانبا قائمة اسماء الامراء والخلفاء الامويين فى اسبانيا المدرجة فى «التنبيه والاشراف» لاحظنا ان المسعودي قلما يعنى بتفصيل الحديث عن تاريخ الاندلس ، لكنه مع ذلك لا يغفل الاشارة بعد ابن خرداذبه الذى ينقل عنه ، الى ان حكام اسبانيا من بني امية يدعون (ببني الخلائـف ولا يخاطبـون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كـان

(7) نفسه 1 ص 161 .
(8) التنبيه والاشراف ، 1 ، ص، 60 .
(9) المروج ، 1 ، ص، 191 .
(10) نفسه ، 1 ، 23 – 324 .
(11) نفسه ، 1، 161 .

مالكا للحرمين (12) بيد ان المسعودي لا يجهل ان عبد الرحمن الثالث تسمى بالخليفة وقد اثبت ذلك في « التنبيه » .

كل هذه المعلومات ضئيلة وليست تكشف عن جوانب جديدة في تاريخ الاندلس ، غير اننا مدعوون بصرف النظر عما نجده من تفصيل عن المغامر القرطبي خشخاش الى الاعتراف بما كان للمسعودي من حضور ويقظة يغتنم بهما ما يجد من أخبار ، ففي عام 336 هـ حين كان في الفسطاس يعيد كتابة « مروج الذهب » وقع في يده كتاب صغير الحجم ، الفه سنة 328 عرماز الاسقف بمدينة جريدة واهداه الى الحكم بن عبد الرحمن ، وكان الكتاب يحتوي على قائمة باسماء ملوك فرنسا من كلوفيس الى لويس الرابع ملك ما وراء البحار والذى كان يزاول النفوذ والسلطان في عام 336 هـ — 947 م ، فما كان من المسعودي الا ان سارع فادرج هذه القائمة في النسخة الجديدة من المروج ، لكن الذى حدث هو ان اسماء الملوك صحفت على يد نساخ الكتاب بشكل أصبح معه من العسير اقامة النص واصلاحه برغم ما بذله كثير من المستشرقين في سبيل ذلك ، وكان آخرهم صديقي برنا ر دو لويس الذي اثبت انه باستثناء كتاب عن تاريخ فرنسا ترجم الى اللغة التركية في عام 980 هـ — 1572 م ، لا نجد من بين المؤرخين المسلمين من عنى بتاريخ هذا القطر غير رشيد الدين ومن قبله المسعودي ، ففي اعمالهما يطالعنا تاريخ وجيز لفرنسا . وهكذا يمكننا ان نقرأ في تاريخ المسعودي هذه الاسماء :
Carlos, Carlomagno, Pepino, Dagoberto, Clotilda, Clovis اكثر من مرة ، و Lúdhariq اكثر من مرة ايضا ، وهذا تنبغي قراءته : Lúdhawiq اي Luis .

وبالاضافة الى هذا اعتقد انني قد استطعت ان أحل اشكالا صغيرا يتعلق بذكر المسعودي للكونت Conde Eudis مسميا اياه بـ Núsah فيما يبدو لي، وذلك بأن نقرا qúmis ؛ كما هو ثابت في بعض مخطوطات الكتاب أي : « Conde » « Comes » ، وبهذا يصبح من الممكن اقامة النص وادراك الحقيقة التاريخية .

ولعلنا نستنتج من هذا التلخيص الذى قدمت عن عناية المسعودي بالاندلس فيما كتب والف انه لم يكن ليخطر ببال مؤرخ من الذين ارخوا لاسبانيا الاسلامية الرجوع الى المسعودي للبحث عنده عن بيانات هامة في الموضوع ، ومع ذلك فان في « مروج الذهب » نصين يتحدث فيهما المسعودي سنة 332هـ عن واقعة كانت حدثت قبل ذلك بخمس سنوات (327 هـ) بين المسلمين والمسيحيين ، لم يسبقه الى الحديث عنها مؤرخ على الاطلاق ، نرجح انه سبق قلم (Lapsus Calami) منه ، ولكن المؤرخين الاندلسيين الذين ينقلون عنه لم ينتبهوا الى الخطا فواظبوا على نقله .

يذكر المسعودي ان مسلما يدعى امية بن اسحق (13) من اهل شنترين كان قد ثار على عبد الرحمن الثالث ووضع نفسه في خدمة ملك اشتورياش وليون راميرو الثاني ، على ان عبد الرحمن سارع الى رد الفعل وخرج في سنة 327 هـ ليحارب المتمردين (وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في ازيد من مائة الف فارس (14) من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالقة ، وهي مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد احكمتها الملوك السالفة ، بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان اهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم — ممن ادرك الاحصاء وممن عرف — اربعين الفا ، وقيل : خمسين الفا ، وكانت للجلالقة والوشكند على المسلمين ، وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الاندلس وثغورها ممايلي الافرنج مدينة اربونة ، خرجت من ايدي المسلمين سنة ثلاثين وثلاثمائة مع غيرها مما كان في ايديهم من المدن والحصون) .

وموضع الخطا هو في تحديد ضياع اربونة من يد المسلمين سنة 330 هـ والصحيح ان Pepino El Breve حسب ما ورد في المصادر المسيحية، كان هو الذي استعاد هذه المدينة سنة 142 هـ — 759 م ، وربما كان السر في هذا الخطا هو وجود رقم ثلاثة مكررا في (330 هـ) ، وينبغي ان نقرأ

(12) نفسه ، 1 . 161 .
(13) نفسه ، 3 ، 72 .
(14) نفسه ، 1 . 363 .

هكذا : 133 هـ وهي السنة التي كان Carlos Martel يهاجم فيها اربونه (15) على ما ينص مؤرخون آخرون .

ويعقب المسعودي على ذلك بأن الثائر امية عاد بعد ذلك فاستأمن عبدالرحمن فأمنه وأن عبد الرحمن استطاع ان يهزم راميرو Ramiro .

ان كل ما تبقى لنا من اعمال المسعودي لا يطلعنا على جدة غزارة علم بالموضوعات التي يتناولها والتي كان يعرفها على نحو يقرب من الاتقان . اما منهجية المسعودي فهي تقوم ـ كما يعكسها كتاب المروج وبصورة افضل كتاب « التنبيه » ـ على تلخيص واختصار ما كتبه في كتابيه « اخبار الزمان » والكتاب الاوسط ، ومن شأن هذا أن يحملنا على الاعتقاد دونما دليل بسعة معلومات المؤلف في حين انه باستطاعتنا من خلال جرد الفقرات التي لها صلة باسبانيا والمغرب ان نستخرج الطريقة التي كان المسعودي يدرك بها تاريخ العالم الاسلامي .

وعندي ان المسعودي ليس مؤرخا ، ولكنه اديب ، وقد حاولت ان اجلو ذلك في مقال نشر لي حديثا في كراتشي (16) .

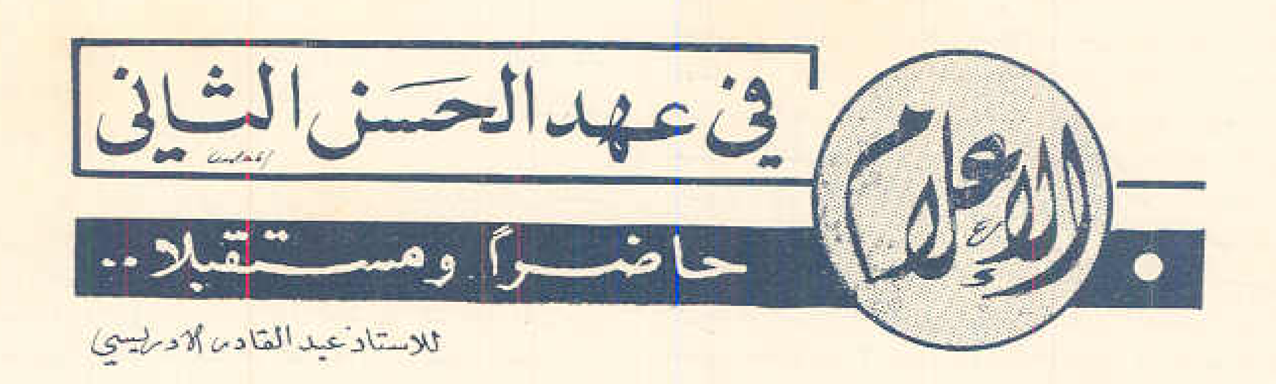
هذا وقد حذا المسعودي حذو اليعقوبي ، فصنف كتابه « مروج الذهب » في جزاين رئيسيين : اولهما ، وهو الذي ظهر في الطبعة الجديدة في كتابين ، يتضمن تاريخ الشعوب التي لم ينته اليها الاسلام ، كما يتضمن التاريخ القديم لتلك الشعوب التي اعتنقت الاسلام واصبحت تشكل فيما بينها ما نسميه بالعالم الاسلامي. اما الجزء الثاني، وهو الذي يحتوي على ثلاثة كتب ، فيرسم الخطوط العريضة لحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يعرض للخلفاء الراشدين وبني امية ثم بني العباس حتى تاريخ تأليف الكتاب ، ومع ذلك فان المسعودي لا يخفي خطته في الاستناد على الجماميع أو اللمع دون أن يمدنا بتفصيلات عن تاريخ الخلافة الذي هو تاريخ العراق ، وفي هذا القسم من الكتاب لا يورد المسعودي ذكرا للمغرب والاندلس كما لو كان قطرين اجنبيين وكما لو انه لم تكن ثمة اية رابطة تصلهما بخلافة بغداد ، واذا تذكرنا أن المسعودي (الاديب) يقول مرات عديدة بأن سكان المغرب القدامى كانوا افرنجا (بدلا من افارقة) استطعنا ان نظفر بنتائج مخالفة جدا لنتائج الادب الكلاسيكي .

تطوان ـ حسن الوراكلي

---

(15) ليفي بروفنصال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، 1 . 8 ، 30 ـ 31 ، 54 .

(16) Cuas al Mascùdi a historian or an adib ? en journal of the Pakistan historical society, IX/4, 1961, 231-4.



للاستاذ عبد القادر الادريسي

مدخل :

تتطور الاوضاع في المغرب صعودا وعلوا باطراد يلفت الانتباه . وثمة عدة ميادين ، يتضح فيها هذا التطور بصورة جلية ، لا نملك امامها الا الوقوف طويلا : دارسين ، ومتأملين ، ومسجلين ظاهرة النمو المطرد ، الذي يبلور ارادة التغيير ، وسلامة الخط ، والعمل الدؤوب ، الذي لا يعرف الفتور بحال .

والاعلام ، احد هذه الميادين . وهو الموضوع الذي اخترت ان اكتب فيه بهذه المناسبة الوطنية السعيدة .

وسوف لن اركز في هذا الموضوع على المنجزات والمشاريع المحققة ، بقدر ما ساحصر الحديث حول انعكاسات هذه الاعمال على « الراي العام » في المغرب ، وتاثير هذه الانعكاسات على الانسان المسلم بصفة خاصة ، ومدى مساهمة هذا التاثير في بناء المجتمع الاسلامي ، الذي هو قمة التطور والرقي ، وذلك ربطا للحاضر بالماضي ، وسيرا على نهج السلف الصالح ، الذي ندين له بكل شيء .

ولست أرى قاعدة يصح الانطلاق منها غير النقط الاساسية التالية :

1 ـ قانون الصحافة في مغرب الحسن الثاني، وهو الاطار العام الذي يضبط علاقات الاعلام بالمجتمع ، ويقيس حدود هذه العلاقات ، ويوضح بصورة محددة وظيفة الاعلام والصحافة في مغرب مستقل ، مسلم ، وعربي ، رضي شعبه بملكية دستورية ، وبالمشروعية متمثلة في جلالة الملك، أمير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين .

2 ـ **مقارنة هذا القانون بقوانين الدول العربية** والاسلامية على حد سواء . ومدى انعكاس هذا الامتياز الذي يمتاز به قانوننا للصحافة على اوضاعنا الفكرية والسياسية بوجه مخصوص .

3 ـ **الاجهزة والوسائل** ، بما في ذلك اعداد وتكوين الاطر الصحفية الواعية المدركة لرسالتها السامية ، على أسس ثابتة دونما ارتجال .

— * —

قانون مستمد من روح شريعتنا :

يقول جلالة الملك المغفور له محمد الخامس (1) بشأن حرية الصحافة والفكر :

« ان حرية الفكر والتعبير هي من بين الاهداف التي كافحنا من اجلها ، ولذلك اتخذنا جميع

(1) كتيب « عشر سنوات من الاستقلال » ، منجزات وزارة الانباء في عهد الاستقلال » من منشورات وزارة الانباء . الصفحة 8 .

التدابير الضرورية حتى تكون حرية الصحافة محاطة بما يليق بها من احترام في ظل المغرب المستقل » .

ويقول رحمه الله رحمة واسعة في موضع آخر (2) :

« اننا واثقون من ان الحرية هي وليدة التبادل الحر المخلص للافكار ، وان القضاء على الحرية ينطوي على القلاقل وعدم الاستقرار » .

وعلى وحي هذه التوجيهات السديدة يسير عاهلنا المفدى منذ توليه الحكم خلفا لوالده المنعم برحمة الله . وهذا الالتزام من جلالته انما هو في الوقت نفسه التزام بمباديء ديننا الحنيف في مجال الحريات العامة . ولنقرأ ما ورد في قانون الصحافة بالمغرب :

جاء في ظهير شريف رقم 378 . 58 . 1 بشأن قانون الصحافة بالمغرب (3) في الباب الاول، الفصل الاول :

« ان الطباعة وترويج الكتب حران » . هذه الجملة على قصرها واقتضابها تنطوي على عدة معان سامية لا يدركها الا من يتأمل مليا اوضاع النشر والطبع في بلدان العالم .. ولتكن بلداننا شقيقة ، عربية واسلامية . فحرية الطباعة هي بالتأكيد حرية الفكر ، وحرية التعبير ، وحرية الكتابة والنشر .. ونقرأ بعد ذلك في الباب الثاني ، الفصل الرابع ما يلي بالحرف الواحد (4) :

« .. ويجب على مدير النشر ان يكون رشيدا وقاطنا بالمغرب ومتمتعا بحقوقه المدنية وغير محكوم عليه بأية عقوبة تجرده من حقوقه الوطنية » .
فالشروط محددة ـ اذن ـ وليس هناك حجر على الفكر ، وليس هناك استبداد براي واحد ، واتجاه واحد ، وتيار فكري وسياسي واحد ، وانما امام الجميع فرص الظهور والصدع بالافكار والتبشير بها في نطاق القانون وفي اطاره العام . وكل من توفرت فيه هذه الشروط القانونية امكنه ان يقول كلمته .. يقولها في جريدة او مجلة او كتاب .. وعلى مرأى ومسمع من الجميع مع مراعاة روح القانون التي هي قطعا وبكل تأكيد روح شريعتنا الاسلامية .. فهل بعد هذا مجال للطعن في قانون الصحافة بالمغرب واختلاق الشبهات حوله ؟! .

قطعا لا ..

والقانون، انما يقيم الضوابط ، حتى لا يؤدي الامر الى الفوضى والتخبط . ولذلك نجد قانون الصحافة بالمغرب صريحا في هذا الصدد ، يضع النقط فوق الحروف ، ويبين لكل ناشر ، صحفيا كان ام مفكرا ينشر الكتب ، اختصاصاته في عبارات واضحة . ومن هنا اكتسب قانون الصحافة في المغرب قيمته العظمى وميزته التي لا تضاهي بحال ، وكان عونا للمفكرين ، وبخاصة رجال الاعلام والصحافة على الانتاج والتعبير وانعاش الحياة الفكرية والثقافية وبالتالي المساهمة في تطوير الراي العام في المغرب .

وثمة نقطة اخرى في قانون الصحافة بالمغرب تثير الانتباه بشدة وخاصة في ظروفنا الراهنة . فقد جاء في الظهير الشريف رقم 437 . 59 . 1 الذي يغير بموجبه الظهير الشريف رقم 1.58.378 الصادر في 3 جمادى الاولى 1378 موافق 15 نوفمبر 1958 بشأن قانون الصحافة مايلي : (5)

« يجوز لوزير الداخلية ان يأمر بالحجز الاداري لكل عدد من جريدة او مكتوب دوري من شأنه ان يخل بالامن العام .

واذا كان نشر جريدة او مكتوب دوري يمس باسس الاوضاع الدينية او السياسية في مملكتنا الشريفة جاز لوزير الداخلية ان يأمر بايقاف الجريدة او المكتوب الدوري ...» . القسم الثالث ـ في الحجز والايقاف والمنع ، الفصل 77 .

وهذا الفصل ، الذي نقلت جزءا منه ، يدخل في اطار « الضوابط » التي تقوم دون طغيان او

---

(2) نفس المصدر .
(3) انظر الجريدة الرسمية عدد 2404 مكرر ـ 16 جمادى الاولى 1378 (27 نوفمبر 1958) ص : 2856 .
(4) نفس المصدر .
(5) انظر الجريدة الرسمية عدد 2497 ـ 10 ربيع الاول 1380 (2 شتنبر 1960 ص : 2642) .

شطط . وهذه المقتضيات ضرورية للغاية لوضع حد لاي تحامل على العقيدة الدينية او مس بالنظام السياسي الذى هو الاطار القانوني لكل مبادرة اعلامية او فكرية او سياسية او نقابية على حد سواء .

بيد ان الواقع ، هنا فى مغرب الحسن الثاني ، يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن قانون الصحافة المغربي من المرونة وسعة الافق بحيث يجعل ممارسة العمل الاعلامي حقا مشاعا بين كل المواطنين ، لا يستثنى منهم الا الخارجون عن القانون المستمد — كما قلت — من روح الشريعة الاسلامية .

وهذه ، وايم الحق ، احدى مميزات مغرب الحسن الثاني ، وهي ظاهرة بارزة ، بشكل ملفت للنظر ، للاعلام فى عهد هذا الملك الصالح المؤمن .

— × —

المغـــرب القـــدوة :

وعلى هذا الاساس ، يكون المغرب ، هذا البلد الاسلامي العربي ، قدوة سامية فى مجال الاعلام والصحافة ، من حيث توفر المناخ القانوني — ان صح التعبير — واتاحة فرصة التعبير والقول والكتابة .

لقد زار المغرب فى صيف السنة الماضية كاتب واستاذ جامعي من الجزائر الشقيقة هو الدكتور ابو القاسم سعد الله ، وكان من اهم ما استلفت نظره فى مغربنا العزيز هو (6) « **حرية المبادرة من جانب الهيئات والافراد فى ميدان النشر والتاليف** » . ولا يمكننا ان ناخذ هذا الكلام على محمل المجاملة الرخيصة ، فالكاتب بادر منذ الاول الى القول انه يكتب يومياته بحرية مطلقة ، فلا الجزائر اوفدته حتى يشعر بالدين لها ، ولا المغرب استدعاه حتى يتقيد بدعوته (7) . ويطول بنا المقام او ذهبنا نستقصي شهادات كبار الكتاب والصحفيين ورجال الاعلام الذين يؤكدون على حرية المبادرة فى مجال النشر والاعلام فى مغربنا الحديث .

ولا شك ان هذه الظاهرة ، ظاهرة حرية الصحافة التى لا تضاهى ولا مثيل لها فى البلاد العربية الا فى بلد عربي واحد ، انما تؤكد من جهة اخرى سلامة الاتجاه الذى يسلكه المغرب بقيادة امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني ، ذلك لان الاستبداد وخنق الحريات والحجر على الافكار ، انما يكون وليد وضع سياسي مفلس . وبالعكس من ذلك يكون فتح المجال امام الجميع ، ليقول كلمته ويدلي برايه ، تعبيرا مؤكدا عن نضج الفكر السياسي الذى يقود البلاد ، وبالتالي ، يكون ترجمة امينة للنظام العام فى البلاد .

واذا كانت هذه الحقائق قد تغري بالاسترسال فى الكتابة فاننا سنتغلب على نزوة الاسترسال والاطناب لنعرج على نقطة ثالثة من الموضوع المتعلقة باعداد الاطر الاعلامية والاجهزة والوسائل فى ميدان الاعلام ، فى عهد الحسن الثاني .

— * —

الوسائل الجادة للاهداف الجادة :

ثمة وسائل اعلامية مختلفة للاعلام فى المغرب. وثمة جهود هامة تبذل فى اخلاص لتطوير الاعلام تقنيا (8) . ولا يطلب مني القارىء الدخول فى سرد المنجزات التي قامت بها وزارة الانباء المغربية فى هذا الصدد . فبطبيعة الحال لا اكتب تحقيقا صحفيا .

غير انني اقدر بالغ التقدير الجهود المبذولة فى هذا المجال . وبدافع هذا التقدير أطرح هنا بحسن نية وبرغبة اكيدة فى تطوير الاعلام ، جملة اقتراحات قد تكون مفيدة :

1 — مراعاة الجانب العقائدي فى الاطر المسيرة لاجهزة الاعلام . وتكوين هذه الاطر التكوين المتين ، مع التعبئة الروحية والثقافة الاسلامية المعاصرة لتكون حصانة ووقاية .

---

(6) « رحلتى الى المغرب » . مجلة « الثقافة » الجزائرية العدد 18 ذو القعدة — ذو الحجة 1393 . ص 123 .

(7) نفس المصدر السابق . ص. 98 .

(8) براجع فى هذا الخصوص كتيب « عشر سنوات من الاستقلال : منجزات وزارة الانباء فى عهد الاستقلال » . منشورات وزارة الانباء .

2 ـ تطوير الصحافة الناطقة والمكتوبة والمتلفزة على نحو يفي بالغرض المطلوب . ولست ارى سبيلا الى هذا التطوير غير اتخاذ الخطوات التالية :

ا ـ انشاء معهد عال للصحافة . وجلب الاساتذة والخبراء من البلاد العربية بالدرجة الاولى التي فاقتنا علما وتقنية في مجال الاعلام .

ب ـ احداث تغيير ملموس على المعهد الوطني لتكوين الصحفيين الموجود في الرباط على اساس ان يكون مرحلة تمهيدية للالتحاق بالمعهد العالي للصحافة المقترح .

ح ـ الاهتمام بالطباعة الفنية الحديثة . وبلادنا تعاني افتقارا في هذا الميدان ، ويلمس هذا بوضوح الممارسون للصحافة سواء منها اليومية والاسبوعية او الشهرية والدورية .

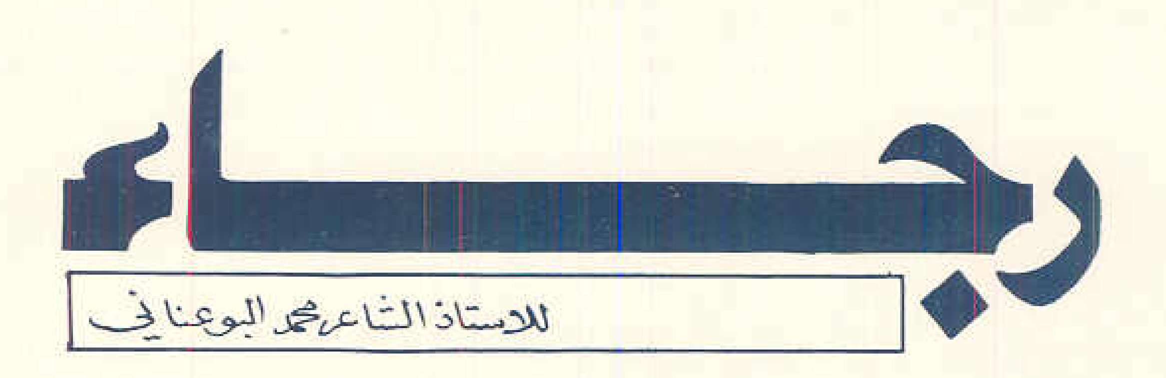
د ـ اسناد المناصب القيادية التوجيهية في الاعلام والصحافة لذوي العقيدة الموثوق منها ، وذوي الاختصاص ، بحيث يكون الصحفي هو وحده الممارس لمهنة الصحافة .

— * —

وبعد : هذا هو واقع الاعلام في مغرب الحسن الثاني ، باختصار وتركيز شديدين ، اردت بعرضه ان الفت النظر ـ مجرد لفت نظر ـ الى المميزات الخاصة بالاعلام والصحافة في عهد جلالة الحسن الثاني نصره الله ، كما المحت باختصار ايضا الى آفاق المستقبل .

الرباط ـ عبد القادر الادريسي





بلعت النار فى بلدي
فذابت فى فمي ثلجا
ظلال الحي تلفظني
فلا القى به نهجا
وفوق الربوة الدنيا
كلاب تحرس المرجا

وتحصد خطوتي العمياء
درجا يعتلى درجا
لانطح افعى العاجي
لعل وراءه برجا ؟..
يضيع الليل في صمتي
وكل نجومه عرجا !

فأطلق صوتي المبحوح
مرا !... نيئا !.. فجا !!
« الهي !.. أنت لي امل
وليس سواك من يرجى
ولست الوذ ، او ادعو
بمن صلى ، ومن حجا ...
فأرشدني الى نفسي
وهيىء لي بها ملجا ! »

الرباط ـ م. البوعناني





للأستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

سواد الامة فى هذه البلاد شباب يفجر طاقاته وامكانياته الثرة ليشيد صروح الحياة الكريمة على ارض عزيزة معطاء تخوض معركة البناء والعزة والشهامة . ورائد هذه الامة الاكبر شاب فى شرخ شبابه ، جمع جلالته بين فورة الشباب العارمة وسداد النظر الثاقب وحكمة السياسي الذى تمرس بشؤون هذه الامة فنفذ الى اعماقها واستكنه مطاويها فتأهل لحمل العبء والاضطلاع عن كفاية وحسن تدبير بالامانة التي قيضه الله لحملها بوصفه امير المؤمنين ورائد الانطلاقة الكبرى صوب التحرر السياسي والاقتصادي والنهضة الاجتماعية المباركة .

وعيد العرش ملحمة تجسد وشائج الوفاء والتفاني وتربط شعبه اليه بصلات الاخلاص المتين والاخلاص التى تشد جلالته الى شعبه برباط المحبة لتحقيق امانينا الكبرى فى توفير حياة الرغد والهناء للانسان المغربي .

وعيد العرش ايضا من المناسبات التى لها وزنها فى تجديد العهود والمواثيق بين العرش والشعب ، بين العرش الذى يسخو فى بذل العطاء ولا يرجو جزاء على كرم النوال وبين الشعب الذى اقترن مصيره فى كل الاذهان بصورة الملك الهمام الذى تزعم حركة التطور والانعتاق فجعل منها مبررا لوجوده ووهب من اجلها كل جهوده ومساعيه .

شخصية الحسن العظيم :

لقد كتب الكثير عن شخصية الحسن الثاني دراسة وتحليلا بيد اننا نعتقد من الافيد ايراد شواهد الاجانب وهم المعروفون بشدة التحرر والموضوعية والصرامة خاصة اذا كانوا يناصرون انظمة سياسية اخرى او يشايعونها .. يقول روم لاندو : لم تنصرم على مبايعة جلالة الحسن الثاني الا بضعة شهور حتى صدرت عن الجنرال ديجول وهو المعروف بقسوته ودقته فى تقييم الرجال كلمات فى غاية الاقتضاب اثناء حديثه مع ممثل جلالة الملك الخاص تنم كلها عن وعي الجنرال بمناقب الحسن الثاني فى وقت جد قصير من ايام حكمه : ((لقد راقبت باهتمام كبير خطوات ملككم فلاحظت بارتياح بالغ صفات ملك عظيم . لقد تصرف بوقار وسرعة ونبل .. وتراهن الاستاذ بيير لازاريف صاحب مجلة ماتش وفرانس سوار المسائية السيارة مع اصدقائه حول نجاح جلالته فى تحمل مسؤولية الملك فربح الصحفي رهانه عندما اقرت المحافل الدولية والاوساط السياسية قدرته ونجاحه فى تسيير دفة الحكم بما عهد فى جلالته من التروي والحنكة وحسن تصريف شؤون رعيته ، ونظرة عابرة الى سجله الدراسي تجعل القارىء العادي ينبهر للمواهب الفياضة التى منحته الطبيعة اياها فكانت سنده فى مباشرة شؤون السياسة الداخلية

والخارجية ، وشجونها . واذا كان الابن صورة ابيه .. فان شخصية الملك المقدس محمد الخامس طيب الله ثراه قد خلفت اعمق الآثار على سلوك جلالته ايا كانت المناسبات او الظروف والشخصيات، حتى جاذبية ابيه وذاك طبع لصيق بعطفه وانسانيته فلقد ابدى غير ما مرة من رحابة الصدر وطول الاناة والصبر على المكروه ما يحفل به تاريخ جلالته منذ ان طوقته العناية الالهية بمسؤولية شعبه المتفاني في حبه ، الذي يزداد شغفا به وتعلقا باهدابه على مر الايام .

وقال عنه الاجانب ايضا : ان سلوكه يجمع بين الوداد وقوة الشكيمة فهو بالنسبة للبعض عنصر يبعث على الهياج والتهافت وهو بالنسبة للبعض الآخر يملك على محاوره كل مشاعره ويأخذ بمجامع قلبه لمافطر عليه من قوة الذكاء وحضور البديهة ولانه فوق هذا وذاك شاب اخذ بناصية القلم في مختلف مرافق الثقافة العصرية فهو عصري دون ان يكون في ذلك ما يخل بروح الايمان التي تهيمن على اعماق جلالته .. وهو امير المؤمنين الذي سار على نهج والده المقدس .. فاقتبس منه حميد شمائله في مرونة واعتدال . فهو يؤدي صلواته اليومية في خشوع المؤمن القانت ويخاطب شعبه بنفس الجدية والثبات والثقة بالنفس .

على صعيد السياسة الداخلية :

اذا كان من اليسير على المواطن المغربي ان يقف بنفسه على نضال جلالته الدائب في حقل السياسة الداخلية عن طريق الاذاعة والشاشة الصغيرة والصحف والوثائق التي تنشر بالمصالح المختلفة في الجهاز الحكومي فانه ليكفينا شرفا ـ وذلك اضعف الايمان ـ أن نرسم الخطوط العريضة للفلسفة الرشيدة التي نادى بها جلالته في هذا المجال اذ لم تنصرم عدة اشهر على اعتلاء جلالته عرش الاسلاف الخالدين حتى انصرف الى تخطيط سياسة المستقبل بما عهد في جلالته من حنكة ودراية وبعد نظر فركز حديثا متلفزا له على وسائل القضاء على التخلف بجميع اشكاله وبصرف النظر عن مسوغاته، وحفز العمال جميعا على ان يحاسبوا انفسهم ويراجعوا مكاسبهم طيلة سنة خلت في اطار الاسهام الفعلي في الجهد المبذول الذي تخو به الامة لتخطي مرحلة التخلف والقضاء على رواسبه .

واعلن جلالته ان الحكومة ذاتها خاضت غمار هذه المعركة لانها مسؤولة عن السياسة التي انتهجتها والنتائج التي امكنها الحصول عليها .

فالمسؤولية هنا مزدوجة ولا جدال، اذ الحكومة مدفوعة الى حشد كل طاقاتها في الحقل الاقتصادي لرفع مستوى مردود الانتاج الوطني ، كما انها مطالبة على الصعيد الاجتماعي بأن تعمل على ان يستفيد المواطن المغربي من التقدم الذي تحققه بفضل النشاط الموصول الذي أبان عنه العامل والصانع والفلاح .. وشجب جلالته بشدة كل محاولة ترمي الى التفرد بالاستفادة من منجزات الدولة التي هي حصيلة كل الجهود التي تضافرت على تحقيقها وفي معرض الكلام عن الاصلاحات التي قرر جلالته انجازها لاسعاد شعبه توحيد الاجور وتنظيم الطرائق بصورة منطقية واعادة النظر في التنظيمات الادارية ورفع المداخيل الهزيلة بالتنقيص من المداخيل العالية .

وأكد جلالته بأن رسالة العمال من انبل الرسالات وقرر ان يجعل من جميع المواطنين عمالا صالحين واعين لمسؤوليتهم العظمى في الكفاح الجماعي الذي يقوده بتعبئتهم في اطار الانعاش الوطني . والانعاش الوطني لا يقصر اهدافه على مكافحة البطالة فحسب ولكنه اداة استحدثها جلالته للقضاء على التخلف واللحاق بركب الدول النامية ايضا .

— × —

في مذكرة ملكية كريمة .. وزعت على الاحزاب والمنظمات النقابية سنة 1965 حلل جلالته بصراحته المعهودة التباين القائم بين النمو الديموغرافي المطرد الذي يستلزم احداث 000 80 وظيفا جديدا في كل سنة والركود الذي كان يعرفه الدخل الوطني آنذاك . والمذكرة الكريمة التي تدرس بدقة متناهية الخطوط الجوهرية لبرنامج اقتصادي تتولى الدولة تحقيقه مستنيرة بوجهات نظر الهيئات الخاصة ، وتنص المذكرة على القيام باصلاح فلاحي يشمل الاراضي المسترجعة والاراضي الموزعة التي يقوم اصحابها لزوما باعتماد منهج تعاوني لخلق وحدات انتاج يسهل استغلالها بوسائل حديثة وتصريف انتاجها بطريقة افضل .

وعن الجانب الصناعي تتوخى المذكرة تعبئة رؤوس الاموال العمومية والخاصة لخلق صناعات تحويلية للمواد الخام بعد دراسة امكانية الاستفادة

منها في الداخل والخارج كما تدعو المذكرة الى تفادي خلق الصناعات التي تدخل في حيز الكماليات .

اما الجانب الاجتماعي من المذكرة فيدعو الى انتهاج سياسة اجتماعية رشيدة تختص بالعمال والعاطلين وتستهدف مقربة منهجية تدريجية ، الى جانب تحديد اسعار السلع والخدمات والحصول على استقرار القوة الشرائية لدى العمال وصنع مواد وسلع يسهل اقتناؤها في الاوساط غير الميسورة.

ومن زاوية المعطيات المالية توصي المذكرة الملكية بدعم سياسة التقشف التي تدعو الى سحب الاعتمادات غير الضرورية لتسيير الادارات او حذف ما فضل عن حاجياتها الضرورية وتحويل هذا الاقتصاد الى القطاعات الانتاجية مع احداث جهاز اداري للمراقبة يملك الوسائل الكافية ويقوم مقام الجهاز الحالي ويضمن التجهيز المطلوب بصورة اكثر سرعة وفعالية .

— × —

جلالته اعاد للدين صولته في مصرع التيارات الملحدة الجارفة التي ينقاد اليها شباب بلادنا دون ما ترو او اعتبار . فهناك حدثان هامان يسجلهما له التاريخ بمداد الاعتزاز والفخر : ذلك انه احدث مدرسة حسنية لتلقين علوم القرآن من تفسير وحديث وغيره . وقد تخرجت بحمد الله من هذه المدرسة الشامخة البنيان زمرة من افاضل العلماء اخذوا باسباب علوم الدين وكرعوا من فيضه فاستفادت الامة من هذا الرصيد الزاخر وجعلت منه مرجعها الوحيد في جلاء المعضلات الدينية وغيرها من شؤون الدنيا والدين .

والذي يثلج الصدر ان دعوة جلالته لتنفيذ المشروع لانه من الاقبال ما جعل الميسورين من سكان هذا البلد الامين يسارعون الى الاغداق عليه ، وستبقى دار الحديث الحسنية من المآثر الناطقة بعظمة الحسن العظيم الذي آمن بأن الدين والدنيا في شريعة الاسلام امران لا ينفصلان . ولقد كان لجلالته فضل احياء سنة الكتاتيب القرآنية على نمط يساير العصر ولا يتخلف عن ركب التطور ؛ فكان سباقا الى اعطاء المثل الرائع بتقديم فلذة كبده وولي عهده على اريكة اسلافه لمتابعة دروس منهجية في القرآن الكريم على يد الافاضل من علماء المغرب المبرزين .

وفي كل شبر من ربوع بلادنا ما فتئت الآيات البينات ترن في كل الاسماع بشيرا بصمود الدين الحنيف في وجه العقائد والايديولوجيات المستوردة التي لم توضع على محك التجربة حتى اتتابهـا التهافت والهوان ! .

— × —

من حسن حظ هذا الشعب الوفي ان الحسن العظيم خبير بالطاقات المغمورة من ثروات بلاده ، فسياسة النضج والرشد اوحت الى جلالته بتدشين حملة السدود التي كان من افضالها انها بذرت الخصب والنماء في مناطق من بلادنا عادت اليها نسمات التفاؤل والحياة ، وما زال جلالته ينتهز الفرصة تلو الفرصة ليدشن سدا تبتني عليه الآمال الكبار ، سنة اختطها جلالته فتداعت لها النفوس بالحمد والشكران .

ولعل سياسة المليون هكتار التي اختطها جلالته ستؤتي اكلها قريبا بفضل التكاثف والتضحية ونكران الذات التي يبين عنها الملك والشعب في كل مناسبة وحين .

— × —

والذي لا يختلف فيه اثنان ان جلالته وهو الساهر الامين على مصلحة شعبه لم يفته ان المجتمع ، اي مجتمع ، لا تقوم له قائمة الا اذا ابتت المراة وهي جزء لا يتجزأ منه ، وجودها كعنصر اساسي منتج فعال فأنشأ حفظه الله الاتحاد الوطني للنساء المغربيات ايمانا منه بأن للمراة المغربية دورا يتوجب عليها ان تلعبه في غمار معركة البناء التي يخوضها شعبه ، وجعل على راس الاتحاد اقرب اقاربه رمزا لما يوليه جلالته اياه من بالغ العناية ولما يحتله من مكانة مرموقة في شواغله ، واذكر بالمناسبة ان الاستاذ فؤاد الرفاعي قد نشر في احدى اعداد العربي الصادرة سنة 1959 مقالا ذكر فيه ان مجتمعنا العربي مجتمع اعرج ما تزال احدى رجليه ترسف في القيود والاغلال لان المراة العربية ما تزال في نظر المجتمع مجرد متاع ويختتم الاستاذ بحثه بقوله : ان الانتظام لا يتأتى ابدا بالنقاش النظري او الجدل البيزنطي .. انما يتأتى بتثقيف ممنهج وتوعية مجتمعية مركزة وكفاح دائب مستمر على كل صعيد. وهي خطة جلالته بلا مراء فقد القى خطابا ساميا يوم السادس من ماي 1969 نوه فيه بالدور الطلائعي الذي لعبته المراة المغربية في تاريخ هذا البلد وفي

مختلف اطوار الشواغل اليومية ، وقد اشاد جلالته في كلمته بمشاركة المراة المغربية مشاركة فعلية في النضال الذي خاضته الامة للتحرر من نير المستعمر الدخيل مشيرا الى ان البواعث التي حدت بجلالته الى انشاء اتحاد وطني للنساء المغربيات كامنة في وعي المراة بالدور الذي تضطلع به في تنشئة الاجيال والروح الوطنية التي تقف وراء كل عمالها ومنجزاتها، وقد اعلن حفظه الله ان للمراة واجبا وطنيا تقع عليها اعباؤه في الاسهام بقدرتها ومواهبها في حل المشاكل التي تطرحها تربية الشباب الى جانب توفير جو الانسجام والتفاهم داخل الاسرة .

واذا كانت النساء شقائق الرجال كما ورد في الحديث الشريف فان من المنطقي بنظر جلالته ان يكون للمراة نصيبها الموفور في حمل الاعباء التي تفرضها معركة التنمية ، فقد اسهب في وصف ان تكوين الاجيال لصاعدة رهين بالتربية الجوهرية الرسالة التي تحملها المراة في تنشئة الاجيال فذكر التي تلقنها المراة لهذه الاجيال كضرورة احترام اللغة العربية ووجوب استعمالها بوصفها اداة التخاطب والتفاهم والتعليم والادارة وتمرين هذه الاجيال على التحلي بالاخلاق الطيبة والعمل بالمبادىء الجوهرية التي جاء بها دين الاسلام الحنيف .

تلك بعض الخطوط العريضة في سياسة جلالته الداخلية وهي غيض من فيض لان افضال جلالته على هذه الامة تعلو عن الحصر سواء في هذا الميدان او في غيره من الميادين .

نظرات في حقل السياسة الخارجية :

آمن جلالة الحسن الثاني بسياسة الحياد وحسن الجوار مذ كان بجوار ابيه المنعم يقاسمه حمل الامانة فجهر بها في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد ببلغراد ، وهو حديث عهد باريكة المملكة في خطاب كريم حدد فيه موقف المغرب في هذا المضمار ومناصرته للحياد واذا كان العملاقان الكبيران قد آمنا بوجوب انتهاج مبدا التعايش السلمي في عصر توافرت لهما فيه اسباب الخراب والدمار فان من مصلحة بلادنا وهي تجتاز اشواط النمو الاقتصادي والاجتماعي ان تشايعه وتعمل به ، وقمين ببلاد تتمتع بموقع استراتيجي حيوي كبلادنا ان تلتزم هذا المبدا وتنصرف بكل طاقاتها الى بناء اقتصادها على اقوم الاسس لتحقيق التحرر الاقتصادي بعد ان انتزعت استقلالها السياسي .

ومما لا جدال فيه ان هذه السياسة كانت غنما لجلالته ولشعبه اذ اكسبتهما ثقة وتقدير كافة القادة بما فيهم المحايدون والمتحيزون .

وفي الحقل الافريقي ، وجه جلالته الى مؤتمر لاكوس المنعقد بهذه المدينة في 27 يناير 1962 خطابا ابرز فيه معالم السبل المؤدية الى وحدة افريقية حقيقية واعاد الى الاذهان ولاءه لمقررات مؤتمر الدار البيضاء التي نفرض عليه ان لا يدخر جهدا او يتراجع امام اية تضحية لتحقيق المثل التي اعلنت عنها لما فيه مصلحة القارة الافريقية من نصرة للحرية وتقدم مادي وادبي وقرار للعدالة الاجتماعية سواء داخل حدود بلاده او في مجموع الاراضي الافريقية .

وما فتىء جلالته يكرس لهذه القارة من جهده واتعابه لنصرة قضاياها في المحافل الدولية ونجدتها عند حاجتها الى القوث والمعونة ما يجعله مثار الاعجاب والتقدير كموقفه على عهد والده المنعم من قضية الكونغو والحركة الانفصالية التي اكتسحت نيجيريا وانتهت برجوع الحق الى نصابه ومشكلة بعض الدول التي تئن وطاة الازمة التي خلقها الوجود الصهيوني بالشرق الاوسط .

اما وحدة المغرب العربي فقد سار في تحقيقها على درب اللين والاعتدال وشرع في مآثرته بتسوية المشاكل التي تباعدبينها وخلق جوا من الصفاء والثقة المتبادلة بين دولها مما جعلها تستجيب لرغبة جلالته في الوحدة والتكاتف وسن مبدا الاتصالات الدورية بين قادتها لتنسيق سياستها الخارجية والاطلاع على ما تنوي انجازه من مشاريع داخلية ، وقد اعلن جلالته لوكالة النشر الفرنسية في مقابلة خاصة خلال يوليوز سنة 1962 ان المغرب الموحد سيصبح عما قريب حقيقة واقعة .

وهي حقيقة شهدت بواقعيتها فبناء المغرب العربي سار وفق خطة محكمة تنأى عن الحماس العابر وتستهدف الوقائع والحدثان وتعني بجميع مظاهر الوحدة اقتصادية كانت ام سياسية ام اجتماعية ، مع احترام الشؤون الداخلية التي تهم كل دولة على حدة ولا تهم غيرها من الدول الاعضاء في الوحدة ، وقد خطت هذه الوحدة بحمد الله خطوات محمودة واصبح المغرب العربي قوة سياسية واقتصادية واجتماعية يقام لها وزنها في المجال الدولي وعلى مستوى التجمعات .

وفى المجال الاسلامي :

اما عن سياسته الاسلامية فقد كان احراق المسجد الاقصى حدثا فظيعا ادمى القلوب وبث اليأس فى كل النفوس . لذلك اعلن جلالته فى عيد المولد الشريف الذي وافق الثلاثين من ماي 1969 عن رغبته الاكيدة فى جمع شتات المسلمين مهما نات الديار وشط المزار فى مؤتمر يعقد على مستوى عال لتخطيط العمل الذى تتولى الامة الاسلامية القيام به بصورة مشتركة تجاه البربرية الرعناء التى أبانت عنها الصهيونية المقيتة مستخفة بشعور المسلمين وغير المسلمين من اهل الكتاب ، واعلن جلالته فى خطابه الكريم ان المسلمين لم يستشعروا قط فى اية لحظة من تاريخ حياتهم الحاجة الملحة للوحدة والتعاون ، ودعا جلالته فى ذلك اليوم الاغر ، بما يحمله من معان فى غاية السمو والنبل الى عقد مؤتمر يلم شعث المسؤولين عن الاقطار الاسلامية لتخطيط العمل الجماعي الذى يتوجب القيام به وتحديد الموقف المشترك الذى يتعين اتخاذه .

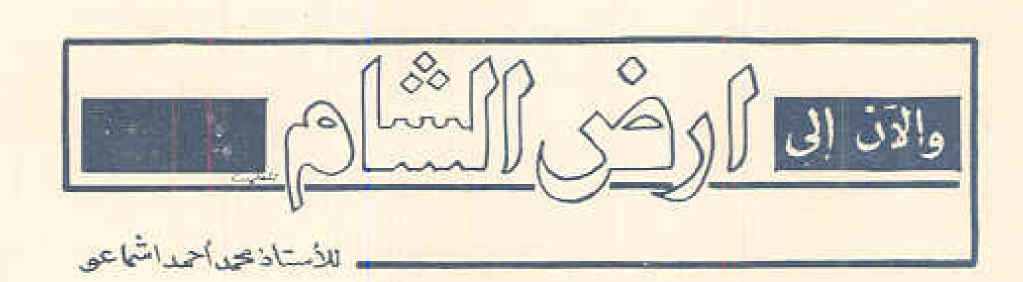
وانعقاد المؤتمر الاسلامي التاريخي بالرباط ، وكان حدثا حاسما فى تاريخ الاسلام والمسلمين اذ صادف هوى فى نفوس كافة المسلمين الذين كانوا يهفون للقاء والتشاور وتبادل الراي ، هذا الى ان نجاح هذا المؤتمر قد كانت له رنة فى انحاء العالم قاطبة ، وقد تبدت فيه وحدة الصف الاسلامي التى لم يكتب لها ان ترى النور قبله .

وقد اتخذ جلالة الحسن العظيم زمام المبادرة فى احداث الشرق العربي فوجه الى سوريا قبل اندلاع الحرب العربية الاسرائيلية باربعة اشهر تجريدة مغربية ، يقينا منه بأن الصراع فى هذه المنطقة امر لا مفر منه وان على مغرب العروبة ان يسهم بصورة فعالة فى معركة الشرق ، فصدق بذلك حدسه وابلى الجندي المغربي البلاء الحسن واستحق بذلك اجزل الثناء .

وفى غمرة الحرب الضروس التى شهدها المشرق العربي ، وجه جلالته الدعوة لعقد مؤتمر عربي لتنسيق الجهد وتوحيد الصف ، فكان مؤتمر الجزائر الذى تمخض عن قرارات فى غاية الاهمية. ويشهد الجميع ان تدخلات جلالته فى مجالس المؤتمر كانت صائبة مثمرة ، وليس ذلك بالامر الغريب فان سداد رايه وبعد نظره امر يؤمن به قادة الدول فى كافة انحاء المعمور . سدد الله خطى سيدنا المنصور بالله فى مسيرته التى يقود فيها شعبه الوفي الى مدارج الرقي والازدهار والكمال ، وحقق على يديه وفى عهده كل ما يصبو اليه هذا الشعب من رفعة وعزة وكرامة .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

قصة العدد





للأستاذ محمد أحمد اشماعو

وصل (كبور) الى باب الثكنة العسكرية ، على الساعة الثامنة صباحا الا خمس دقائق ، وذلك حسب ساعته المضبوطة ، التي جاء بها من المانيا منذ ثمانية وعشرين عاما . وبمجرد ما وقف ، فتحت البوابة الكبرى على مصراعيها ، واعلن مكبر الصوت :

— المتطوعون من قدماء المحاربين يأخذون الطريق على اليمين .

— المتطوعون الجدد يأخذون الطريق على الشمال .

وسلك (كبور) الطريق على اليمين ، وسلكها معه طائفة من الرجال ، جميعهم فى سن الكهولة ، ومع ذلك فهم يسيرون بخطى ثابتة ، لها وقع شديد على الارض ، وتميزهم أكتاف عريضة وصدور ضخمة ، واذرع عاتية ، وان كانوا مختلفين من حيث الطول والقصر .

(كبور) كان من بينهم ربعة القد ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهذا الاعتدال انعكس على طبعه ، وعلى حركاته وسكناته ، وعلى أقواله وتصرفاته أيضا ... فاختاره — من أجل ذلك — رؤساء الادارة التي كان يعمل بها ، منذ عودته من الحرب العالمية الثانية ، اختاروه آذنا خاصا ، كان الذاهب يوصي الجديد به . وهكذا استمر وحده مسؤولا عن تنظيف مكتب الرئيس وترتيبه ، وتنظيم دخول الزوار ... ومكلفا عند الاقتضاء ، بقضاء بعض الاغراض ، التي لا يكلف بها عادة الا الرجال الثقاة .

واليوم ، وقد نادى المنادي للجهاد ، ها هو يعود الى ساحة القتال ، فى ظروف غير الظروف التي دخل بها فى الحرب ، منذ نحو الثلاثين سنة . دخل الحرب يومئذ ، وهو ابن ثمانية عشر عاما ، ورغم انه اشترك فى عدة معارك ، فقد خرج سالما ، لم يصب باي أذى، حتى ولا بخدش صغير ! لقد كان ماهرا فى الهجوم والاحتماء والترصد والتربص والاختفاء ، كما كانت ضرباته كلها دقيقة ومحكمة ، واستطاع أن يفلت من عمليات التطويق التي تعرض لها ، وأنجد المتعسرين فى الساعات الصعبة ، اما الذين رمقتهم عينه من الاعداء فلم يفلت منهم أحدا ... ومع ذلك كله ، ومع ذلك كله لم يخرج من الحرب الا بوسام بسيط ، وبدرجة ملازم ثان . انه يعتقد انه لو كان فرنسي الجنسية لنال عدة اوسمة فاخرة ، ولاحتل درجة ضابط كبير . لكن الفرنسيين يبخسون كل العبقريات والامجاد حقها ، ما عدا اذا كانت فرنسية !

ومضت الجماعة تقطع الممر الطويل ، المظللة باشجار (الكينا) العالية ، الى ان وصلوا الى ساحة فسيحة ، امام عمارة جميلة الهندسة ، مجيرة الجدران، مصبوغة الابواب والنوافذ ، كما يجب ان يكون التجيير والصباغة ، وفى أعلى هذه العمارة ، وعند الوسط بالضبط ، كان العلم الاحمر القاني ذي النجمة الخضراء يرفرف خفاقا ، وسط سماء زرقاء صافية ، تسطع فيها شمس ذهبية ، دافئة الاشعة ، تفيض على المواطنين صحة وخيرا .

عند مدخل هذه العمارة الرئيسي ، وفي اسفل الدرج وضعت طاولة مغطاة بغطاء أخضر ، ومن حولها كان يقف جنديان للحراسة ، وامامها يقف اربعة جنود لتنظيم عملية التسجيل ، وما هي الا هنيهة حتى برز ضابط شاب وسيم ، حسن القوام ، وافر الصحة ، تلمع على كتفه شارات ذهبية تدل على رتبته العسكرية، كما أن قبعته كانت مزخرفة بجدائل مذهبة ، ويميز سرواله الرمادي الفاخر شريط غامق اللون على الجانبين .

جلس الضابط وحوله مساعداه ، اللذان هما اقل منه رتبة ، يعلو محياهم جميعا وقار وجلال حادثتهما قليلا ، وختم الحديث بابتسامة طيبة ، ثم بدأ العمل.. وهنا خطر لـ (كبور) موقف التجنيد الذي وقفه منذ ثلاثين سنة :

لقد اختطفوه — يومئذ — من المرعى ، اذ لم يكن سوى احد الرعاه ، في سهول (زمور) الخصبة ، وساقوه الى مكتب التجنيد بمدينة سلا ، بعد ما مر بمكتب المراقب الفرنسي بقرية (تيفلت) ، وحشر هو وقرناؤه باحدى الشاحنات ، تتبعهم حافلة مهلهلة عامرة بالرجال والنساء ، هم من اقرباء هؤلاء المجندين، تبعوهم ليشبعوا النظر منهم قبل الرحيل المفجع الى اراضي المعارك الطاحنة باوربا ... ولما نزلوا ملأوا الساحة ، وللفور طوقوا بشرذمة من رجال الدرك الفرنسي العتاة ، الذين وقفوا في شموخ وغطرسة ، حائلين بينهم وبين الوالدين والاقارب .

وسمع لهؤلاء البدويين همسات ، هي تفجعاتهم على فراق زهرات القرى الزمورية ومداشرها ، كانوا امامهم كخرفان على ابواب المجزرة الرهيبة . ولما تم التسجيل ، واستبدل الشباب لباسهم المهلهل باللباس العسكري ، وخرجوا به على ذويهم ، علا الصراخ والعويل ، وسمعت أصداؤه من مسافات بعيدة ... وتطلع الحضريون — وهم مارون — الى هذا المشهد الاليم بحسرة ، ولم يكن في وسعهم الا أن يقولوا (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) ، بينما اليهود هناك ، فوق سطوح دورهم (بالملاح) يضحكون ، يضحكون ، ويشغلون اسنانهم بقرض بذور (الدلاح) ومضغ لبها . انهم يكتفون من الحرب بأرباح السوق السوداء .

كل هذا الجو الرهيب كان يحيط بالشبان المجندين ، الذين ما ألفوا الا انطلاق السهول واتساعها، وصمت الانحاء وسكونها ، والا الفة الاصدقاء وسمرهم واغانيهم وتحررهم من جميع القيود ، واليوم ها هي حركاتهم تقيد، ووقفاتهم تضبط، ويكثر عليهم من الامر والنهي ، ويقدم لهم طعام بارد تمجه النفس ... ابن هذا من قصعات الكسكس الساخن ؟ ومن كؤوس الشاي الحامية ؟ وما بال هؤلاء لا يتحدثون الا بالفرنسية فاذا لم يستطيعوا الاجابة نهروهم ... الا لعنة الله عليهم ! ليرجعونا الى مراعينا وشياهنا ومعزنا ، والى خيامنا والى ظلال اشجارنا ... ما لنا ولهم ؟

كان (كبور) يقوم بهذه المقارنة ، ويجتر هذه الذكريات ، وهو واقف في الصف ينتظر دوره وامامه ووراءه مجموعة المتطوعين ، ولا شك ان جميع ما خالج نفسه في هذه اللحظة قد خالج أنفسهم كذلك ... واخرجه من هيمان افكاره ضابط الصف الذي وقف بجانبه ، وطلب منه برقة أن يطلعه على اوراق التجنيد السابقة ، وجاء الثاني واخذ الرقم وذهب مسرعا ليستخرج الورقة الشخصية وبعدها ، وبذلك تسهل الاجراءات .

وفعلا تم كل شيء بسهولة ويسر (1) ، وأمدوه بزكيبة عامرة ، ووجهوه نحو الحمام الساخن فاستحم كما ينبغي ، وارتدى — على بركة الله — اللباس العسكري المغربي ، ووجد أنه احتفظ له بشارته العسكرية السابقة ، ومن فور خرج الى الفضاء الواسع فالفى اخوانه قد سبقوه الى الساحة ، فانطلقوا مرحين، يحسون في انفسهم خفة وحسن استعداد ... وانبرى احدهم وكان ميالا للتنكيت :

— اتذكرون يا عساكر ؟ كيف كان لباسكم أيام الفرنسيين ؟ عمامة من الجدائل الصوفية السوداء والبيضاء المفتولة ، تحيط بالرأس الحليق ولا تغطيه، ملاعين كانوا يلزموننا بالمحافظة على الخصلة او العرف باعتبارها عادة مغربية ، وفوق اللباس العسكري ، الذي هو من ابسط نوع جلباب مخطط بالاسود والبني ، فوقه حزام من الجلد ، ويحرصون — تبالهم — على أن يكون هذا الجلباب قصيرا ، لا يتجاوز الركبة الا قليلا، اما الساق فيغطيه النسيج البدوي الذي يسمونه ، يسمونه ماذا ؟

(1) في هذه الاقصوصة ، تخيل الكاتب ما امكنه ان يتخيل من تكريم ، لابطال الجهاد والكرامة ، سواء في وطنهم المغرب او في الوطن السوري الشقيق (الكاتب) .

قال أحـــد الجنود :

ـــ نحن كما تسميه (الطرابيـــق)

وتابع المتحدث حديثـــه :

أما الارجل فعليها جوارب حقا ، ولكن الحـــذاء ممنوع ، الصنادل الخشنة فقط ، الصنادل الخشنـــة وكفى ... لعنة الله عليها من صنادل ، كأنه لا تريـــد أن تتمزق ، وتعرفون أن صاحب (مخزن الملابس) ، كان لا يناولك صندلا جديدا الا اذا جئته بالممـــزق ، ملعون ، لقد كان يدخر الصنادل البالية ، كأن يريدها متهرئة لياكلها اذا جاع ؟

وانفجر افراد الجماعة ضاحكين . وسنحـــت الفرصة ليذكروا الزملاء السابقين الذين ماتـــوا في معارك تونس وايطاليا وفرنسا والمانيا ، ذكروا البعض ونسوا الكثيرين ، وانتقلوا الى ظروف اسرهم وظروف سقوطهم جرحى ... مع ذلك طويت صفحة الحـــرب مع (الروميين) كأنها ما كانت ... انها لم تبـــق في الخاطر اي أثر طيب !

وتهيأ الغذاء فدقت الاجراس ، فاجتمع المجندون من حول موائد كبيرة ، وكان الطعام ساخنا ولذيذا ، فأكلوا هنيئا وشربوا مريئا،وانطلقوا الى نادي المعسكر ، هذا يدخن وذاك يلاعب زميله بالورق ، وجماعة احاطت بصندوق متقد المصابيح ذات الالوان ، تنظر لاحـــد اللاعبين وهو يسابق آليا احدى الكرات الصغيرة لئلا تدخل الى ثقب من الثقوب ، ولكن فجأة تسبقه وتترك له الفرصة مع كرة اخرى ، وهكذا دواليك ... وجماعة اخرى لا يهمها لا ذا ولا ذاك نزعت البذل العسكريـــة ، واقبلت على انابيب الماء للوضوء ، ثم اتجهـــت الى القبلة ...

فترة ما بعد الظهر ، خصصت لالقاء عرض نظري عن الحروب الحديثة ، ووسائل القتال فيها ، وتبـــع ذلك عرض لمختلف الاسلحة الخفيفة ، وفككت اجزاؤها بحضورهم ، واخيرا نبهوا الى ان التداريب الرياضيـــة العسكرية ستتجدد غدا صباحا ، وكذلك التدريب على اطلاق النار ، وللعور هز الكهول رؤوسهم ثقة منهـــم بأنفســـهم ، سواء عند التسابق ، او عند اصابة الاهداف!

أسعد لحظة ، لم تكن تخطر على بال المجندين ، من قدماء المحاربين على الخصوص ، تلك هي حضور المـرشـــد ...

كان مرشدا محترم الشخصية ، رقيق الجانب ، اما كلامه فكان عذبا في الاسماع ... وقام يخطـــب فيهـــم :

ايها الاخوان المجاهدون .

(المجاهدون ؟ يا له من لقب عظيم . هكذا قال كل جندي في نفســه) .

انكم من اليوم ، سواء متم او بقيتم على قيـــد الحياة ، في مقام عظيم عند الله ، في صفوف الانبيـــاء والصديقين ، لا يساويكم في مقامكم أحد ، لقد تقدمتم للدفاع عن دينكم ، وابناء دينكم ...

اولا ، الى اين انتم ذاهبون ؟

اجاب احدهم : الى معاونة اخواننا المسلمين في الشـــرق .

عقـــب المرشـــد :

دعوني اقل لكم . انكم ذاهبون الى ارض الشـــام بالضبط ، اين توجد ارض الشام وما هي ؟
رد جندي آخر :

الشام ، هو (شامة الله في الارض) حسبمـــا نسمـــع !

نشر المرشد أمام الانظار خريطة كبيرة ، البقع فيها بألوان مختلفة ، وثبتها بمسامير وشرع يشرح :

نعم ، هنا ارض الشام ، بلاد الخصب والميـــاه والحضارات والامجاد ، تحيط بها تركيـــا والعـــراق والحجاز ومصر ... ومن هنا،البحر الابيض المتوسط، وكما استعمر الفرنسيون المغرب والجزائر وتونس ، فكذلك استعمرت ارض الشام وقسمت ، فرنســـا احتلت سوريا ولبنان ، وانكلتـــرا احتلـــت الاردن وفلسطين ، وفلسطين احدى بلدان العرب ، كانـــت دائما مقدسة ، بوجود (بيت المقدس) فيها ، كمـــا أن فيها عدة قبور للانبياء عليهم السلام ... والمصيبة ان الحكام الانكليز سهلوا لليهود الهجرة الى فلسطين هذه، وحرضوهم على ان يجعلوا منها دولة لهم ، وكذلك كان، ولكن شعب فلسطين العربي لم يسكت ، فقاوم منـــذ ذلك التاريخ وحتى الآن ، وبما ان الشعوب العربيـــة المجاورة لفلسطين كانت دائما تقدم المساعدة لاهـــل فلسطين كما هو واجب ، فان اليهود بداوا يهاجمـــون هذه البلدان المجاورة ، واحتلوا اطرافا منها ... فأنتم الآن ذاهبون لمساعدة اهل الشام من السوريين ، على

استرجاع ارضهم ، انهم من خيرة النـــاس اخلاقـــا ومـــروءة .

اجاب واحد من بين الجماعة :

— باسم الله ، وعلى بركة الله . لقد كدنا نموت في سبيل الباطل بأوربا ، والآن ... الى أرض الشـــام ، لنموت في سبيل الحق !

أكد المرشد هذا الذي قيل :

— حقيقة ، وقع هذا . لقد ارغمت جماعات كبيرة منكم ، تقدر بالآلاف التي لا حصر لها على التجنيـــد ، وارسلت الى القتال في سبيل ... مـــاذا ؟ والله لا اعرف ! لقد مات الكثيرون ، واعطب الكثيرون ، وسجن في المعتقلات الكثيرون ، ولكن دفاعا عمن لا عن اناس لا تربطنا بهم أية رابطة : لا دين ، ولا لغة ، ولا تاريخ .. نزلت بهم المصاعب العظيمة من اجلهم ، ومع ذلك لـــم يكونوا يحظون عندهم لا بحب ولا باحترام ، حتى ولا اعتراف بالجميل ... اعطيكم مثلا : لقد شاهدت أفلاما حربية عن تلك الفترة ، لم ينوه فيها بالجنود المغاربة ودورهم الخطير ، لكن الامر اليـــوم يختلـــف ... وعندما تصلون الى سوريا سترون ما يسركم !

اخبركم انه سيقام استعراض عسكري لكم قبل السفر ، يودعكم فيه شعبكم المغربي العزيـــز وفـــي مقدمته جلالة الملك ، فاتح باب الجهاد ، ستودعـــون اجمل توديع ، وستتبعكم حيثما حللتم قلوب المواطنين، متلهفين على اخباركم ، سيفرحون لكم منتصريـــن ، ويترحمون عليكم باخلاص مستشهدين ... وانتـــي شخصيا ساكون معكم ، في السفر وعند الوصول ، وفي ساحة الجهاد !

اهتز الجنود المتطوعون ، وصفقوا هاتفين ... ثم سادهم صمت رهيب ، وهم يتلون الفاتحة .

— ◆ —

يامرحبا ... يامرحبا ... يامرحبا ...

دهش (كبور) وهو يسمعها من كبار الضبـــاط السوريين ومن الجنود ، ومن عامة افراد الشعب ، منذ أن وضع قدمه على ارض الشام الطيبة ... وخطرت على باله نظرات الاستعلاء التي كان ينظر بها الاوربيون اليه والى اخوانه ، مع انهم جاءوا يبذلون دماءهم مـــن اجل تحرير بلادهم ... يا عجبا . حقا ان الكرام كرام، وان اللئام لئام ...

واستفاد (كبور) من رخصة فتجول حـــرا في شوارع دمشق الفيحاء ، وأعجبه فيها عمرانها الانيـــق وشوارعها الفسيحة ونظافتها التامة ، أما الوجوه فهي نفس الوجوه التي تركها في بلده المغرب ... أوه ! ما اكثر المدارس وما أكثر المتعلمين فيها ، هؤلاء الناس محبون للعلم شغوفون به ، وهذه اللغة العربية ، أن الكتابة بها في كل مكان . وهؤلاء السيدات والفتيات السوريات انهن مثال للحشمة والوقار ، وكلما نظـــرت اليه احداهن الا وافرجت شفتيها عن ابتسامة رقيقـــة مهذبة ، لا تقل حلاوة عن كلمة (مرحبا) ، ان لم تكـــن احلـــى !

ووصلت (بكبور) قدماه الى سوق الحميديـــة العامر ، فوقف عند المتاجر الزاهرة يتأمل ، وتقـــدم احد الشبان للتحدث اليه عما يرى ، أن كـــل ما هـــو معروض من الثياب هو من الصناعة السورية ، ونوع (البروكان) عالمي ، يصدر الى جميع انحاء العالـــم ، وهذه المصنوعات الخشبية المطعمة بالصدف هي أيضا عالمية ، لا يكاد بيت أنيق في الدنيا يخلو من احـــدى تحفها ، والمصوغات الذهبية بلغت حدا من النقـــش والتخريم لا يجارى ، وهذه وحدها هي التـــي عـــول (كبور) على اقتناء شيء منها عند العودة ، ليتحف بها (طامو) العزيزة ، الزوجة الوفية ، التي غادرها والدموع الغزيرة تغمر عينيها .

انتهى الطواف بسوق الحميدية ، فاذا بالشـــاب يشير الى نهاية الشارع ويقول : هل يمكـــن أن نزور المسجد الاموي ، انه اعظم مساجد الشـــام ، وللفور اخذ كبور بيد الشاب الودود ودخل المسجد ، ولـــم تشغله فخامة البناء وجلاله عن التوجيه للقبلـــة واداء تحية المسجد ، وبعد طواف قصير اخـــذه صديقـــه الشاب الى زقاق بجوار المسجد ، حيث يوجد ضريح البطل (صلاح الدين الايوبي) ، وهناك ترحم بخشوع.

عند الخروج قال الشاب :

هذا الرجل جاء لانقاذ الشـــام من هجومـــات النصارى ، وانتم جئتم لانقاذه من هجومات اليهـــود ، كلكم مجاهدون ، بارك الله فيكم .

وختم الشاب مرافقته للجندي المغربي باستدعائه لتناول مشروب وطني باحدى المقاهي الجميلـــة على ضفاف النهر السعيد (بودى) ، وكانت جلسة ممتعة لن ينساها الرجل مدى الحياة .

وتوالت الاستدعاءات الفردية والجماعية ، فاقيمت حفلة كبرى استدعى بعض الجنود السوريين وبعض الجنود المغاربة ، وكانت وليمة سخية وتبادل المجنودن الحديث مع بعضهم ، وكان لذة الحديث فى انه يكمل بالاشارات وتكرار العبارات وتبديلها الى أن يحصل الفهم ، وكلما فهم متحدث عن صاحبه ما يقول، الا وشد على يده سرورا ، او زاد فى اغتباطه فعانقه عناقا أخويا حارا .

وكما كان منتظرا فان جوا من الاخوة الصادقة ساد بين الجميع ، ضباط يحدثون ضباطا ، وجنود يكلمون جنودا ، ودون تعال او عجرفة كان عدة ضباط مندمجين فى حديث طويل مع جنود عاديين ...

واقترح احد الضباط السوريين ان يختم اللقاء السعيد بمباريات فى الرماية . وترشح الجندي (سامي) عن سوريا ، وترشح عن المغرب الجندي (كبور) بينما وقف كافة العسكريين متمازجين فى صفين احدهما عن اليمين والآخر عن اليسار ، وكان الهدف على بعد خمسمائة متر بالتمام ، واعطي كل رام عشر رصاصات.

كان اطلاق الرصاص بالتناوب ، فاصاب (كبور) عشرة أهداف بالضبط ، ولم يخطىء فى اي واحد واستقبل ذلك بالتصفيق والهتاف ، واصاب الرامي السوري تسعة اهداف فلقي نفس الحماس فى الهتاف والتصفيق ... ولكن (كبور) فى الحقيقة شعر بشيء من الزهو على تفوقه ولذلك اعلن بلهجته المغربية :

« والله لن اضيع من رصاصي رصاصة ، كل رصاصة بمقتول من الصهيونيين او معطوب ، ومقابل كل رصاصة علي ان آتيكم بالعلامة التي يعلقها الجندي فى معصمه واذا لم أفعل اقطعوا يدي ... »

علق ضابط سوري على هذه الثقة العسكرية بالنفس وربت على كتف كبور وقال :

— تسلم ايديك ياسي كبور !!

ومرة اخرى هتف جميع الجنود المغاربة والسوريين وصفقوا .

الدار البيضاء : محمد بن احمد اشماعو





عناية الملوك العلويين بقبيلة زعير

للاستاذ محمد التاودي ابن سودة

ان عناية ملوكنا الاوفياء بأحوال رعيتهم وتفقد شؤون شعبهم الخاصة والعامة لهي عناية جديـــرة بذكرها وتسجيلها فى هاته المجالة التى سيتناولها البحث والدرس بتواضع .

اذ هي عناية من لدنهم تستلفت الانظار ويتوجه اليها الباحث الامين بصدق ونية خالصة بجمع شتاتها ويستعرض اطوارها ليبرز معالمها الى القاريء الكريم ؛ حتى يتسنى له ان يحكم تلقائيا بعظم فائدتها وكبير شأنها ، لاسيما اذا ما تبين له بوضوح من ذكرها مدى المسؤولية الملقاة على كاهل الملــوك المعتنين بأمور رعيتهم التي بدونها لا يطيب لهم عيش ولا تحلو لهم اقامة .

ان التجاوب مع العرش العلوي الامين المخلص فى محبة وطنه والشعب المغربي الممتثل لاوامر ملوكه شيء ضروري لاستتباب الامن والاطمئنان وهدوء النفس وراحة البال ؛ فبسبب ذلك يفشو العدل ويزدهر العمران وتحصل السعادة والهناء ويعم الخير وينتشر الرخاء وتنتعش الفلاحة والتجارة فى الاسواق ويطرد عامل الاقتصاد الوطني فى الاوطان وترفرف على الشعب اردية العز والكرامة فتتيه الامة بين مظاهر السلو والنشاط والافراح ، وتكثر دواعي الغبطة والانشراح .

وعند ذلك يتفرغ المسئولون للقضايا الكبرى فتشيد معالم الحضارة العظمى من رد هجوم المغيرين وكبح شهوات المفسدين وارغام المعتدين على الوقوف عند حدهم وارجاعهم الى ما هو مطلوب ومسنون ومتعارف من انواع الصلاح والسداد حتى يكون الحكام والمحكومون دائما وابدا على استعداد تام لمجابهة العدو المغير ، وابطال مكائد المبيت لهذا الوطن السعيد ما يضمر من شر وفساد وجور وظلم وعناد .

وذلك هو ماكان يحدو بملوكنا الابطال ورؤسائنا الاحرار الشاعرين بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم الحذرين الحازمين حتى تكون رعيتهم فى مأمن من الفتن والاهوال وفى حرز مكين من الطيش والخذلان وحتى لا يقع ما يكدر صفو الامن الداخلي او الخارجي فى هذه الاوطان .

فهذه العناية التى لا بد من مراعاتها والقيام بأمورها أعارنا ملوكنا الابرار ورؤسائنا الاطهار عناية عامة شاملة للدنيا والدين فى كل من اطراف المملكة المغربية فى القديم والحديث .

وقبيلة زعير التى هي احدى قبائل هذا الوطن العزيز لم تكن ذات يوم بمعزل عن هاته العناية الفائقة والرعاية اللازمة المعهودة المتوارثة ملكا عن ملك ورئيسا عن رئيس وها انا اسوق للمطلع الكريم ما وقفت عليه من وثائق تاريخية هامة ومراسيم ملوكية شهيرة ناطقة وشاهدة لما ذكرت ومفصحة عما قصدت وسوف اقتصر على ما صدر من لدن امير المؤمنين

سلطان المغرب سيدي عبد الرحمن الى عهد المولى يوسف طيب الله ثراهم وانالهم جزاء عملهم المبرور وسعيهم المشكور ولنذكر الاهم فالاهم خوفا من التطويل الممل والايجاز المخل .

فمن ذلك المرسوم الصادر من الامير المولى احمد بن امير المؤمنين المولى عبد الرحمن المؤرخ فى متم جمادى الاولى عام 1259 الموجه الى القائد عزوز العروسي على لسان والده فيقول فيه ان سيدنا الوالد اعزه الله فرض على قبيلة ازعير كافة عشرين مثقالا زكاة واعشار هذه السنة فنامرك ان تقبض ما وجب على اخوانك فيهما فورا اذا ارادوا سلامة الله لاولادهم واموالهم وانا لهم ناصح ومن ادى ما عليه فذلك علامة صلاحه وهو آمن فى نفسه وماله ومن لم يؤد ما عليه فقد عرض نفسه للهلاك ولا يلوم الا نفسه اللهم اني بلغت .

وفى هذا المعنى ايضا الظهير الشريف الصادر من المولى الحسن ابي محمد بن عبد الرحمن المؤرخ فى 25 شوال عام 1304 بطابعه الكبير الموجه الى القائد احمد بن بلال (1) يامره فيه باستيفاء الزكاة وظهير آخر مؤرخ فى 6 ذي الحجة متم عام 1304 من لدن السلطان المتقدم الذكر بطابعه الكبير موجه الى القائد الحبشي النجدي فى الحض على جمع الزكوات وظهير آخر صادر من المولى عبد العزيز مؤرخ فى 4 جمادى الاولى عام 1317 موجه الى القائد الميلودي البرشوي .

وعناية ملوكنا العلويين بهذه الناحية الدينية والاجتماعية معروفة ولو اردنا ان نتتبع كل ما لديهم فى هذا الشان لخرج بنا ذلك عما التزمناه من الايجاز وعدم التطويل لاسيما واننا مقيدون بموضوع قبيلتنا زعير والا فان لهم الشيء الكثير فى هذه الناحية الدينية .

اما ما يرجع للشؤون العامة التى تهم القبيلة فهو شيء كثير فى موضوعات مختلفة تمس الامن الداخلي للبلاد اولا وتتناول الاستعداد للطوارىء التي لا يخلو منها زمان ولا مكان او تدخل فى نطاق الضرب على ايدي المفسدين العابثين بمصالح الوطن والمواطنين .

من ذلك الظهير الشريف المؤرخ فى 22 جمادى الثانية عام 1289 الصادر من لدن سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الرحمن الى قائده المخلص سليمان بن الجزولي الزعري السلماني نصه : بعد الديباجة المعهودة وبعد فاننا لما ظهرت لنا مخايل صلاح قبيلتكم واستقامتها استوجبتم انخراطكم فى سلك قبائل الصلاح والطاعة والعفو عما فات من جرائمكم وتامينكم على اموالكم وانفسكم وجميع متاعكم اينما كنتم وحيثما حللتم من المدن والقبائل ؛ وها نحن امناكم امانا تاما شاملا عاما بحيث لا يتعرض لكم احد فى الاسواق بمكروه ولا يسومكم بسوء وابحنا لكم تسوق اسواق المدن والبوادي واسقطنا عنكم جميع ما كان عليكم من التباعات فان الماضي فات وانقضى اذ التوبة تجب ما قبلها، وانما الكلام فيما عسى ان يكون من الآن لما يستقبل من التباعات ومن صدر منه شيء من قبيلتكم واستوجب به اعطاء الحق او الزجر على جريمة صدرت منه كيفما كانت وكتبت بالقبض عليه لاحد من عمال المدن او البوادي فيقبض اينما كان ويشد عضدكم عليه وان كتبت لعامل المدينة او غيرها بتسريحه فيسرح ومن سرقت منه سرقة وظهرت عند اخوانكم واتبعها ربها فان حلف حلافتهم (2) انهم توصلوا بها من يد معين او معينين فالعمل هو اجراؤها على قانون البادية من مطالبة المعين مثلا حتى يؤديها لصاحبها وقد اصدرنا امرنا الشريف لعامل الرباط وسلا وقواد الاعراب بهذا ليعملوا بمقتضاه وليكن عملكم على ما شرحناه والسلام .

ومما يدخل فى هذا الاطار الظهير الشريف الصادر من المولى الحسن الاول طيب الله ثراه بطابعه الكبير المؤرخ فى 6 ذي الحجة متم عام 1304 الموجه لكافة المزارعة فى شان تامينهم على انفسهم بشرط قيامهم بالواجبات وهذا المرسوم الملكي موجه مباشرة من لدن الراعي الى رعيته بدون واسطة .

---

(1) لا زالت اطلال بناء ضخم معروفة بقصبة بلال بتراب النجدة من قبيلة زعير ببلاد شعبة بوعياد .

(2) الحلافة الجماعة يحلفون على الشيء ليثبت بها الحق وهي المعروفة عند الفقهاء بالقسامة ولكنها خاصة بما يرجع لاثبات الدماء وهي خمسون يمينا يحلفها اولياء المقتول ليستحقوا دمه او ديته ويظهر انهما عمت حتى فى الاموال .

ومما يشابهه ظهير آخر من لدنه ايضا بطابعه الكبير وهو مؤرخ فى 24 شوال عام 1310 موجه للقائد المهدي بن الفضيل الزعري يامره فيه بان يفرض على اخوانه الحركة على العادة بجمع المنتخبين من الرجال الاقوياء والخيل المسومة .

وهذا ولده المولى عبد العزيز يتتبع خطاه ويسير على نهجه السوي فقد وقفت له على ظهير بطابعه الصغير مؤرخ فى 22 محرم عام 1314 موجه لقواد المزارعة فى شان التضييق على دوار العوامر لخروجهم عن الجادة كما وقفت على ظهير آخر من لدنه ايضا بطابعه الكبير مؤرخ فى 30 ذي القعدة عام 1314 موجه للقائد بوعزى الراشدي الزعري يامره فيه بالاستعداد للكفاح .

ومما يندرج تحت مظاهر الافراح المقامة بمناسبات مختلفة الظهير الشريف الحفيظي بطابعه الكبير المؤرخ فى 17 ربيع الاول الموجه للقائد الحاج الزعري فى شان الوفود المهنئة له بعيد المولد النبوي والاخبار بوصول الهدية والظهير الشريف الصادر من لدن ابي الجمال المولى يوسف بطابعه الكبير المؤرخ فى 16 ربيع الاول عام 1331 الموجه للقائد الحاج الزعري البرشوي فى شان الاخبار بوصول الوفد المهنيء بعيد المولد النبوي والمشاركة فى حفلة ليلة العيد القراء والاخبار بوصول الهدية .

وظهير آخر من لدن هذا الملك بطابعه الصغير المؤرخ فى 22 صفر عام 1337 موجه للقائد عبد الرحمن الزعري من الحضرة المراكشية فى شان توجيه اعيان القبيلة بقصد الحضور فى عرس انجاله والاحتفال بعيد المولد النبوي .

ومما يدخل فى نطاق الامور العامة التى تهم الشعب المغربي معرفتها عموما وقبيلة زعير خصوصا الرسالة الموجهة من الصدر الاعظم السيد محمد الجباص المؤرخة فى 16 رمضان عام 1332 للقائد الجيلاني بن علي الموساوي التى تخبره بانتهاء الحرب الواقعة بين الدولتين الفرنسية والالمانية والانتصار الذي حازته الدولة الاولى على الثانية ليعلم بدوره اعيان قبيلته ويقرأ عليهم هاته الرسالة وظهير يوسفي مؤرخ فى 29 رمضان عام 1337 باعلامه بالصلح بين الدولة الفرنسية وحلفائها وبين الدولة الالمانية وظهير آخر من لدنه ايضا مؤرخ فى 25 محرم 1338 موجه للقائد الجيلاني المذكور باخباره للحاج عبد الرحمن الميموني الزعري البرشوي بقبول الفرنك بدل السكة المخزنية ومثله موجه للقائد وظهير آخر من لدنه ايضا موجه للقائد الحاج بن عبد الرحمن الميموني الزعري البرشوي . وظهير آخر من لدنه ايضا موجه للقائد الحاج عبد الرحمن المذكور فى شان انشاء محلات مخزنية تحت رئاسة خليفته صنوه مولاي المامون .

فهاته المراسيم السامية الصادرة من لدن ملوك المغرب ومن رؤسائه فى ميادين مختلفة وشؤون متنوعة تدلنا دلالة واضحة على ماهؤلاء السلاطين العظام من رعاية بشؤون قبيلة زعير تتناول قضايا الساعة وتشرح العلاج النافع الذى ينبغي اتخاذه وهناك غيرها مما لم اقف عليه وهو شيء كثير لا ياتي عليه العد والاستقصا وتوجد نظائر لهذه المراسيم ولا شك متفرقة عند انجال واحفاد قواد زعير واعيانها فى خزائن مبعثرة تأكلها الارضة ويعفي عليها عامل الزمن وتقلبات الاوان فما يجنون من وراء بقائها تحت يدهم والاحتفاظ بها لا لغاية وانما حبا فى ادخارها والضن بها على من ينتفع بها ..

فعسى اربابها ان يهتدوا الى تقديمها للجنة المكلفة بجائزة الحسن الثاني للمخطوطات التى تشكل قبيل عيد العرش لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني فى كل سنة لهذا الفرض النبيل لتحفظ فى الركن الموجود بالخزانة العامة بالرباط ليستخرج منها المؤرخ ما يشاء من احداث ووقائع ظهرت على المسرح الوطني لهذا القطر السعيد ليستعيد من احصائها وحفظها كل من تعلقت همته بتاريخ ناحية من نواحي مغربنا العزيز وليستخرج منها ما عسى ان يغفل عنه المؤرخ العادي وبعبارة اخرى ما اهمله التاريخ والله اعلم واحكم والسلام .

الرباط ـ محمد التاودي ابن سودة





ان التاريخ الذي يسجل حياة الامم واعمال رجالاتها لفخور بما يضمه اليه من صفحات لامعة ووقفات مشرقة لمليكنا الذي تعتز به العروبة وينتظم به الاسلام جلالة الحسن الثاني .

ففي كل الامم الحية اعياد دينية ، واخرى وطنية ترمز لاحداث تاريخية لها أهميتها وخطورتها بالنسبة لتلك الامم فى غابرها وحاضرها ... وبما ان المغرب امة ناشئة تنبعث من جديد ، لتكون نفسها من نفسها وتريد ان تعيش فى المستوى اللائق بها ، فهي اليوم تأخذ بأسباب النهوض ، وتعمل فى سبيل التقدم والحضارة مع الاحتفاظ بالطابع العربي والروح الاسلامية ... فشعرت باديء ذي بدء بأهمية عرشها وفضله عليها وما قام به فى غضون التاريخ من خدمات لمصلحتها ، فقامت قومة رجل واحد تلتف حول هذا العرش المنيف وتتشبث به تشبثا عظيما ، تقيم له الافراح وتبتهج به وتفخر بذكراه ... فكان للامة اول شعور بكيانها واعتزاز بقوميتها ...

ولا بدع ، فقد تعاقب عليه ملوك صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى الدولة الادريسية ... وفى الدولة اللمتونية ... ودولة الموحدين ثم المرينيين والسعديين ... ثم الدولة العلوية التي كان لها رجال افذاذ قدموا لامتهم خدمات جليلة يشهد لها التاريخ .

ولقد قامت كل دولة من هذه الدول بتجديد عناصر الامة وتمتين الروابط التي منها تتكون حيوية الشعب ويقظته وشعوره ... فقد توالت نهضات مختلفة فى تلك العهود ، فانتشر العلم انتشارا ذهبت بخبره الركبان ... فكان المغرب كعبة القصاد من سائر انحاء الممالك الاسلامية ... يقصده الطالب للارتواء من ينابع العلم الفياضة ، يرحل اليه العالم لربط الصلات العلمية والتعرف برجال الاطلاع والدراية ... وازدهرت نهضة الادب والثقافة الاسلامية بسائر فروعها ... من « فقه » رسخ معه قدم العدل الذي كان يشمل الجميع فى مساواة وانصاف منقطع النظير ... « وتصوف » أنجب رجالا خدموا هذا الفن وتركوا انتاجات متنوعة ... و « فلسفة » شارك بها المغرب فى الانتاج العلمي الاسلامي ... و «تقنية عسكرية» كون بها العرش المغربي امبراطورية واسعة الارجاء تتصل بتونس من ناحية وبالاندلس من ناحية اخرى ... وحرر مناطق الاندلس من المغيرين بجيوشه الجراره ، وبقوة الايمان والعمل لصالح الامة الاسلامية ، نظم الاقطار المجاورة وقادها فى فترة من الزمان لوجهة الصلاح ... فوجدت الخزانة المغربية فى كل فن مجلدات وموسوعات عديدة ندرك قيمتها حينما يكتب تاريخ المغرب السياسي والعلمي باسلوب حديث تظهر معه الفضائل والمميزات .

ولقد سجل التاريخ المغربي الشيء الكثير عن الاسرة العلوية المجيدة من المكارم والامجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية ... فكانت هجرتهم من الحجاز الى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد واهلها ...

وسجل في حقهم التاريخ المغربي التسابق الى المعالي وتسنم ذروة المجد والاسراع الى الاغاثة والنجـدة وتحرير الثغور من الاحتلال الاجنبي ...

فاذا اخذنا صفحات هذا العرش العلوي المجيد لنجلو ميزاته الانسانية ، ونتفهم الى اي مدى اتسعت اعماله الاصلاحية ، وامتدت اطر مجاهيده الكبرى الى آفاق انسانية عليا من الصالح الشامل والنفع العام .. نجد البطولة الحق في أروع صورها الانسانية تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى علي الشريف الى الحسن الثاني ... ونرى المجد الانساني البادخ والسمو الروحي الامثل الذي يتعالى في مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذي يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش ... وان عظمة هذه الدولة ... وهم بناة صفحاتها التاريخية ليقفون بين تواريخ كثير من الامم موقف التحدي في كثير من صور البطولة والشهامة ... وفي كثير من مناهج العمل والاخلاص.

وقد ورث الحسن الثاني عن اجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالاعمال الجليلة والمنجزات الاصيلة في نطاق بعث اسلامي لا ينحصر في سنة أو جيل ... بل يمتد مدى العصور ومدى القرون في تجدد وابتكار وخلق وتجديد .

ان فلسفة الحكم عند الحسن الثاني ترتكز على الثورة الاقتصادية والاجتماعية المبنية على اسس النظام الاسلامي ، والاشتراكية المغربية التي ترمي الى ايجاد الثروة فتوزعها احسن توزيع ... فهي كما قال هو نفسه : ـ لا تفقر الغني بل تغني الفقير ـ وهي بعد ذلك انطلاقة اجتماعية واقتصادية تهدف الى خلق اشتراكية مغربية محضة تطابق أصولنا واصالتنا لا اشتراكية مستوردة من الخارج ...

فالثورة لا تنحصر في انسان ولا في جيل ولا في كتاب ... ولكن هي قبل كل شيء عقيدة ... لانها عمل مستمر للتجديد ، للتلقيح ، للانتاج ... هكذا يراها الحسن الثاني لانها عمل كل يوم ... كل شهر ... كل سنة ... كل جيل ! الثورة لا تنقطع لانها فلسفة وليست معركة دامية ... هي ايمان في القلب وفي التفكير والابداع والانتاج ـ والمغاربة الذين فتحوا الامصار وطبعوا دولا اخرى بالطابع المغربي لن يقبلوا ان تطبعهم شعوب اخرى بطابعها ولن يستوردوا انظمتها ـ .

فالاشتراكية المغربية هي العمل المستمر الذي يستهدف رعاية المصالح العامة للبلاد والعناية بالمصالح التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالشعب مثل استصلاح الاراضي وتشجيرها ومد قنوات خلالها يجري فيها الماء الصالح للسقي والري ... وشق الطرق وتمهيدها ... وبناء السدود بين الشعاب ... وانشاء المعامل القروية لاصلاح الادوات الفلاحية وغيرها مما تدعو اليه حاجة القرية ... وتشييد دور للسكنى لاصحاب الدخل الضعيف ... وتاسيس الاندية الثقافية والملاعب الرياضية للاطفال والشباب بجانب المدارس .. واولى هذه المشاريع بالتقدم والاعتبار تلك التي تشع في نفس الطفل أو الشاب الارتياح الكامل لما يانس في تلك المشاريع من طائلة اقتصادية او اجتماعية ، أو يتوقع من مكسب خلقي أو فائدة تمت الى العلم والعرفان والخبرة المهنية بصفة خاصة .

ان فلسفة الحكم عند الحسن الثاني تتسم بسمة الخلق والابداع ، وتقوم على استيفاء المناهج والاساليب المتولدة عن الدراسة الحكمة والاستيعاب الرزين لتتجنب مواطن الزلل والزيغ ... وتسلم المشاريع من مقبات الاختلال والارتجال .

فهذه الثورة الفلاحية المباركة واسترجاع الاراضي لصغار الفلاحين وعملية الحرث الجماعي ... كلها وسائل ناجعة لتعزيز اقتصادنا ودعم انتاجنا وتعميم الرخاء والازدهار وتحقيق الرفاهية لاكبر عدد من المواطنين ... فارض المغرب ملك للمغاربة بحكم القانون ... ويوجه جلالته رعاياه من طبقة الفلاحين بانه يجب عليهم ان يملكوها كذلك بحكم عملهم ودأبهم ومثابرتهم فيتصرفوا فيها ويستغلوها وهم مؤدون لثمن انتاجها بعرق جبينهم وكد سواعدهم ـ وقد شق الحسن الثاني أول خط في تلك العملية المباركة وتبعتها آلاف الجرارات في عزم لا يلين وارادة فعالة وفي نطاق مفهوم الاشتراكية المغربية التي ستوفر للمواطنين في البوادي وسائل تحسين حالتهم ومعيشتهم ... وذلك باستغلالهم المحكم للاراضي التي يملكونها وبالاسهام في استثمار الاراضي التي استرجعتها الدولة .

فهذه المسيرة وهذه الحرب بالجرارات تشكل حلقة مباركة في العقد الذهبي الذي سبكته ارادة ملكنا الصالح والتي ترمي في الميدان الفلاحي الى تحقيق تلك الانطلاقة التي عرفتها قطاعات أخرى ...

والثورة الصناعية بدورها بدأت تشق طريقها على نهج الاشتراكية لترى النور ... بشائر مشاركة العمال فى ارباح وملكية مصانع البلاد متمثلة الآن فى مصنعين للسكر على ان تمتد فيما بعد الى باقي المصانع .

وقد بدأت بالفعل المرحلة الاولى من المشاركة فى راس مال وارباح السكر تأخذ طريقها الى التنفيذ .. كما ستمتد قاعدة المشاركة فى الارباح الى القطاعات الصناعية والتعاونية الاولى تطبيقا لمبادىء الاسلام .

ولقد رسم جلالة الملك العبقـري الخطـوط الرئيسية لفلسفة الحكم القائم والتي تهدف اساسا الى خدمة البلاد على اشراك العمال ، وهم العمود الفقري للانتاج ، فى الاستفادة من ارباح المصانع .

هذا واذا كان هذا العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... فان ارشد الحكومات فى نظر الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الخضم العالمي الصاخب المتلاطم بالآراء والنظريات المختلفة ... وتخط للشعب سياسة مستمدة مـن حقائقـه وشخصيته ... مرتكـزة على مقوماته ... ملبيـة لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب لـه مميزاته او فيما ينوبه كعضو مسـؤول فى الاسـرة الانسانية الكبـرى .

وامام هذه التيارات المختلفة فان جلالته يرى ان الشعب المغربي المسلم يجد نظامـا اقتصاديـا واجتماعيا فى كتاب الله العظيم الذي يقول : ((وكذلك جعلناكم امة وسطا)) فنكون تلك الامة الوسط التـي ليست بالراسمالية ذات النظام الاهوج التي لا تتـرك حرية لاي ضعيف ... ولا بالاشتراكية التي دلت الارقام والحوادث على ان نظرياتها يمكن أن تكون اخطر مـن تطبيقها ... نريد ان نكون تلك الامة التي يمكنهـا أن توفق بين النظامين ، وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها .. ففرق جلالته بين الميادين التي يجب ان تكون فى يد الدولة ، وان تؤمم ... وبيـن الميادين والقطاعات التي يجب ان تبتعد منها الدولـة وان تبقى تلك الميادين فى قبضة المبادرات الحرة .

اما ميادين التأميم فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية والضرورية للاقلاع الاقتصادي وللاستمرار فى النمو ... مثل الطاقة ، والصناعة الثقيلة ... والمواصلات بجميع انواعها ... والقروض ووسائل القروض ، ودور القـروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة ... والخيرات الباطنية، برا كانت أم بحرا ، هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة كانت مالية أو كهربائية أو نووية ان شاء الله او معدنية او مالية ... هذه الطاقات لا يمكن للدولة ان تتنازل عنها اذا ارادت أن تقلع وان تستمر فى النمو ...

وهناك ميادين أخرى وهي ميادين المبادرات الخاصة وهي كل ما يمكن المواطن من رفـع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها ان تخوض جميع الميادين : فنرى الصناعة والصناعة الصغيرة ... والسياحة ... والفلاحة بجميع انواعها ... والتجارة ... وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب أن لا « يتـزوج » دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة ... بل أن ياتي بـدم جديد وتلقيحات جديدة ، ويعرف بنفسه وانتاجه ... ويمكنه كذلك ان يصدر للخارج ادمغـة ومفكريـن ونخبة طيبة من شبابه .

ومن اجل تهييء الاطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري فان المبادىء الاساسية التي تعطي لتعليمنا ميزته الخاصة تتلخص فى التعريب والمغربة ومجانية الدروس ... وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف منذ عدة سنوات أن تتحمل الدولة أثقل عبء لتوفـر اكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون فى استكمال تكوينهم فى مدارسنا العليا وكلياتنا او فى غيرها فى الخارج ، وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التـي يمكنها أن تكون عائقا وحاجزا بينهم وبيـن مواصلـة التكوين الذي ينتظرونه والذي يمكنه وحده أن يفتـح لهم أفسح الافاق واجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الامـــة .

ومن جهة أخرى فان امير المومنين الذي يومن بان الاسلام هو سبيل النصر والتقدم والقوة ولا سبيل غيره ... كان هو البداية والنهاية لمؤتمـر القمـة الاسلامي الذي انعقد بالرباط ... من اجل اتحاد كلمة المسلمين ليسودوا من جديد ... وان الرؤية الواضحة والنظرة البعيدة لهذا الرائد المؤمن كانت فى محلهـا وهو يبعث بتجريدة من قواتنا المسلحة الى سوريـا والحرب لم تقم بعد ، بسبعة اشهر ...

فمنذ ان تجلت النوايا الصهيونية لم يفتأ جلالته يندد بالمحاولات المخزية التي يقدم عليها الاسرائليون، ويفضح ضغينتهم للشعوب العربية ... واستهتارهم بحقوق الغير ، وتوسعهم الزاحف ، وارادتهم المقيتة فى

بلوغ اهدافهم الدنيئة بكل الوسائل ، وباستغلال كل الظروف او الاوضاع .

ولم يبرح الحسن الثاني ينذر الضمير العالمي بعواقب هذا الموقف الوخيم ، والاعتداء الشنيع.. ويبذل المساعي المتكررة لدى اخواننا الذين يعنيهم مباشرة الامر حتى تتغلب روح الوئام والوفاق على نزعة التفرقة والشقاق ... وحتى يؤدي شعور اشقائنا بالشرق الاوسط ووعيهم الى التشاور المجدي ، وتكون غايتهم المنشودة تظافر الجهود وتآزر الارادات وحشد الوسائل .

ولقد قامت جيوشنا ، سواء بجانب اشقائهم المصريين او السوريين بواجبها أحسن قيام ... فمثلت بفاعلية وصمود شعبنا الابي ... وذلك في مواجهة عدو تطلبت منا مواقفه الاستفزازية ونواياه الاجرامية ردا صارما ... كما فرضت تضحيات جساما لكونه يكيد لنا ولكرامتنا ... ويرمي الى القضاء على وجود كيان جزء من كيان امتنا ، ويتمادى دون خجل في غيه وسلبه واغتصابه ...

فبفضل الايمان الصادق والعزيمة القوية والمبادرات البطولية الجبارة لصاحب الجلالة الحسن الثاني أصبح المغرب الآن يتوفر على مكانة مرموقة على الصعيد الخارجي وبصيت ذائع واحترام وتقدير .

وقد مر شهر رمضان المبارك زاخرا بالدعوات الى الله تعالى ان ينصر الاسلام والمسلمين والعرب .. وان يخذل الظالمين والطغاة ...

عاشر رمضان يحمل في تاريخ الاسلام الف ذكرى وذكرى ...

فحرب رمضان حدث عظيم سيبدا به التاريخ تسجيل احداثنا المشرقة بحول الله ذلك انه لاول مرة تخلينا عن المهاترات ... ولاول مرة اجتمعنا حول شعار موحد ... ولاول مرة تالفت القلوب على كلمة سواء ... وان ما قام به جلالة الملك من مواقف مشرفة تجاه حرب رمضان مكنت المغرب من الحصول على سمعة طيبة في الشرق والغرب ...

فاذا كان الحسن الثاني يتحلى بالاخلاق الحميدة ويتصف بالعظمة النفسية والبسالة المتناهية ، فان والده المنعم محمد الخامس الذي يعد من أعظم ابطال التاريخ المصلحين ، كان حريصا على تربية ابنه تربية اسلامية صحيحة وتثقيفه ثقافة مزدوجة وهياه بذلك لتحمل المسؤوليات الجسام والمساهمة في النضال قبل الاستقلال وبعده .

وهو يومن بأن المغرب بلد مسلم ورث حضارة الاسلام ومبادىء الاسلام كبقية الشعوب الاسلامية وفيها ما يكفي عما يمكن ان ياتينا من شرق أو غرب ... فالقرءان مسطرة للحياة الاجتماعية وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فيه ما يكفينا من الحكم لنسير سيرة رشيدة ... وهو كذلك يدعو شعبه الى التمسك بالمثل العليا التي هي موجودة في كتاب الله تعالى وفي تعاليم الاسلام .

فالشعب المغربي وهو يحتفل بعيد العرش المجيد، يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم الا نادرا وفي فترات متباعدة من التاريخ ... وهذه العبقرية لا تقاس بالسن ولا بغير السن من مقاييسنا لانها موهبة من الله تعالى ... وان شعبا كالشعب المغربي يومن بأن مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل .

الرباط : عثمان بن خضراء

ما هكذا يكون تحقيق التراث :

الجزء الأول من كتاب المقرب لابن عصفور

تحقيق الاستاذان احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري

نقد ودراسة :

الاستاذ أحمد اللهيب

- 1 -

كنت ابحث في صور مخطوطات تتعلق بموضوع رسالتي التي اعدها في القرآن الكريم وكان ذلك في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومن بين المخطوطات : كتاب المقرب في النحو لابن عصفور وشروحه ، وقد وقعت على نسخة مطبوعة في المعهد من هذا الكتاب هي الجزء الاول بتحقيق الاستاذين احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري فسررت بذلك ، لان كتاب المقرب اصل من الاصول النحوية ، ولكن سروري بالجزء المحقق لم يدم لما يأتي :

1 ـ فتحت الكتاب لاستعرض موضوعاته فلم اجد لها فهرسا اطلاقا ، فعجبت لكتاب مطبوع في اواخر القرن العشرين بدون فهرس ، والعجيب ان المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق رقم 167 ـ معهد المخطوطات في آخرها فهرس لموضوعات كتاب المقرب .

2 ـ بدأت اقلب الصفحات حتى وقعت على الموضوع الذي يتصل بموضوع رسالتي : وهممت ان انقل قول ابن عصفور من كتابه بدون واسطة من الكتب التي جاءت بعد كتابه كما هو الاصل في البحث وقرات الموضوع فاذا النص مضطرب : ما بين حذف جواب اداة ، وتمثيل على عكس مذهب صاحب الكتاب ، وزيادة متوهمة انها مرادة وليست كذلك ، وكل هذه الاخطاء العلمية في ثلاث صفحات من الحجم الصغير ، وقلبت باقي الصفحات فاذا هي مملوءة بالاخطاء ، واستقصاؤها يتطلب وقتا كبيرا وتحتاج الى كتاب اكبر حجما من حجم المطبوع ، فحصرت ملاحظاتي على ما في مبحث القسم وحده ، وسيأتي تفصيلها .

3 ـ نظرت في اسفل الصفحات المذكورة لعلي اجد تثبيت خلاف وارد بين النسخ او تعليقا يشير الى تصويب بعض ذلك او خفائه ، فلم اجد شيئا من ذلك .

4 ـ وجدت في وسط الكتاب ورقة منفصلة مفردة فيها بعض تصويبات فتفاءلت بها ونظرت في ارقام الصفحات المذكورة فلم اجد اي شيء في الصفحات التي سأعرض ما فيها من تحريفات ، ولم تكن تلك التصويبات شيئا مذكورا بالنسبة لما في الجزء وهي تصويبات لا قيمة لها ، اذ انها واضحة وقسط منها في التعليق الوارد على بعض الصفحات في الكتاب وليست من النص في شيء لانها مدركة لدى القارىء .

5 ـ رجعت الى المقدمة فاذا فيها النص الآتي ص 28 (اتبعنا في تحقيق المقرب المنهاج الآتي وصفه ـ 1 ـ تحرير النص كما ينبغي التحقيق ، 2 ـ اثبات الخلاف الوارد بين النسختين) .

وهذا يجعل القارىء يطمئن الى صحة النص وتوثيقه فيعتمد على المطبوع فى بحثه الى ان يصبح ضحية لهذا الاعتماد عندما يناقش على منصة الامتحان ، او عندما ينشر بحثا او يرد منشورا فينسب الى المؤلف معنى على عكس المراد ، وعجبت لقولهما : تحرير النص كما ينبغي التحقيق مع ان النص محرف كما ينبغي التحريف .

— 2 —

اما الاخطاء الواردة فى الصفحات الثلاث فهذا بعض منها :

التحريف الاول والثاني :

ص 205 النص المطبوع المحقق (واما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ان كانت الجملة الواقعة جوابا للو وما دخلت عليه نحو قوله :

اما والله ان لو كنت حرا
وما بالحر انت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك فان واللام فى الايجاب وما ولا فى النفي) ا. هـ.

تحديد الخطأ :

فى هذا النص المحقق المطبوع اضطراب فى موضعين :

1 ـ اختلال بنقص جواب (اما) التى فى مطلع النص .

2 ـ تحريف معنى بزيادة لام جر على (لو) حرفت المعنى السابق واغلقت فهم المعنى اللاحق .

التفصيل :

جواب (اما) موجود فى المخطوطة رقم 167 معهد المخطوطات ـ بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وهي التى اعتمد عليها المحققان والمخطوطة رقم 168 والمخطوطة رقم 169 والجواب الساقط هوقوله (فان).

ونص المخطوطات التى ذكر فيها الجواب : واما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ، فأن ، ان كانت الجملة الواقعة جوابا لو وما دخلت عليه نحو قوله :

اما والله ان لو كنت حرا
وما بالحر انت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك فان واللام فى الايجاب وما ولا فى النفي) .

فالكلام فى المخطوطات مستقيم ، اما المطبوع المحقق فليس قابلا لاستقامة الكلام وان ذكر ما سقط من النص لان لام الجر التى زيدت فى التحقيق على (لو) تمنع الكلام من الاستقامة اذ ان النص قبل زيادة اللام على (لو) يفتقر الى جواب (اما) فقط واما جواب (ان) وما دخلت عليه فى قوله : (ان كانت الجملة ..) فمذكور وهو (لو وما دخلت عليه) .

وبعد زيادة اللام على (لو) افتقر الكلام الى جوابين جواب (اما) وجواب (ان) وما دخلت عليه .

اما المخطوطة رقم 166 فهي التي لم يذكر فيها جواب (اما) ونصها (واما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ان كانت الجملة الواقعة جوابا لو وما دخلت عليه نحو قوله :

اما والله ان لو كنت حرا
وما بالحر انت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك ، فان واللام فى الايجاب ، وما ولا في النفي) .

وحرف (لو) الوارد فى نص المخطوطات مخالف لما ورد فى النص المحقق .

ونص المخطوطات رقم 166 ورقم 167 ورقم 168 ورقم 169 (ان كانت الجملة الواقعة جوابا لو وما دخلت عليه) وهذا هو الصحيح .

ومعنى النص : ان الحروف التى تربط القسم بجوابه هي : أن اذا كانت الجملة الواقعة جوابا للقسم ، لو وما دخلت عليه ، مثل البيت المذكور فى النص ، وان كانت جملة جواب القسم غير لو وما دخلت عليه ، فالرابط « ان واللام » فى الاثبات و (ما ولا) فى النفي .

وقد مثل لذلك المصنف كما سيأتي بيانه .

قال ابن عصفور فى شرحه لكتاب الجمل للزجاجي فى المخطوطة رقم 70 والمخطوطة رقم 71 معهد المخطوطات لما انتهى من الكلام على روابط الجملة الواقعة جواب قسم (لا ان يكون جواب القسم لو وجوابها فان الحرف الذى يربط المقسم به بالمقسم عليه اذ ذاك انما هو (ان) نحو والله ان لو قام زيد لقام عمرو) .

وقال ابن هشام فى « المغنى » فى موضع زيادة ان المفتوحة ج 1 ص 33 : (الثاني ان تقع بين لو وفعل القسم مذكورا كقوله :

فأقسم ان لو التقينا وانتم
لكان لكم يوم من الشر مظلم

او متروكا كقوله :

اما والله ان لو كنت حرا
وما بالحر انت ولا العتيق

هذا مذهب سيبويه وغيره ، وفى مقرب ابن عصفور انها فى ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم) ا.هـ.

وذكر ذلك البغدادي فى : خزانة الادب ج 2 ص 135 .

وقال السيوطي فى الهمع ج 2 ص 41 فى بحثه فيما يتلقى به القسم من الحروف : (وان المفتوحة قاله ابن عصفور فى المقرب واستدل بقوله :

اما والله ان لو كنت حرا
وما بالحر انت ولا العتيق) ا.هـ.

وعلى هذا فالظاهر ان المحققين لم يفهما قول المصنف : (فأن ان كانت) وتوهما ان ان مكررة من (فأن) ومصححة منها فحكما بزيادة (فان) لانهما لم يفهما معنى السياق فعولا على النسخة التى سقط منها الجواب مع انهما لم يعتمداها فى التحقيق على ما ذكراه فى مقدمتهما للكتاب .

والذى يؤيد ذلك تصرفهما فى زيادة اللام على (لو) لانهما توهما ان المراد من لفظة (جوابا) فى قوله (ان كانت الجملة الواقعة جوابا) انما هي (للو) و (لو) فى جميع نصوص المخطوطات ليس فيها لام جر فتوهما سقوطها فزاداها فاستعجم الكلام كما قيل (يريد ان يعربه فيعجمه) ولم يعلما ان قوله (... الواقعة جوابا) يعني جوابا للقسم .

وهنا نتساءل هل ان المحققين يقرآن ما يكتبان؟ الذى يتصفح تحقيقهما فى هذا الموضع وغيره يشك فى ذلك فاما انهما لا يقرآن ما يكتبان او انهما لا يفهمان ما يقرآن وفى كلا الامرين مصيبة .

التحريف الثالث :

ص 204 النص المطبوع المحقق (فأما قولك تالله هل قام زيد فليس بقسم لانه ليس بخبر الا ترى ان المعنى أسالك بالله هل قام زيد ولا يسوغ ان يكون التقدير ، أقسم بالله) .

تحديد الخطأ :

فى هذا النص تحريف فى المثال الاول (تالله هل قام زيد)

والنص الصحيح : (فأما قولك بالله هل قام زيد فليس بقسم ..)

وقد قرر المصنف بأن العرب لم تقل تالله هل قام زيد كما توهمه المحققان ولا والله هل قام زيد .

قال البغدادي فى خزانة الادب ج 4 ص 211 : (واستدل ابن عصفور على ان مثل بالله هل قام زيد ونحوها ليس بقسم بثلاثة اشياء .

1 ـ انه لم يجيء فى كلام العرب وقوع الحرف الخاص بالقسم نحو التاء والواو موقع الباء فلم يقولوا : تالله هل قام زيد ولا والله هل قام زيد) ا.هـ.

وكلام المصنف بعد المثال مباشرة يدل على ان المثال الصحيح هو (بالله هل قام زيد) وليس (تالله هل قام زيد) فقد قال : (الا ترى ان المعنى اسالك بالله هل قام زيد ولا يسوغ ان يكون التقدير اقسم بالله) فلم يقل تالله فى باقي العبارة .

وفى المخطوطة رقم 167 التى اعتمد عليها المحققان ورتقا فيها عيوب الاخرى كما ذكراه فى المقدمة ورد النص فيها صحيحا بخط واضح ليس فيه تحريف ونصها : (فأما قولك بالله هل قام زيد فليس بقسم ..) .

اما المخطوطة رقم 166 فلم يعجم الحرف المتصل بلفظة الجلالة اي لم ينقط .

واما المخطوطة رقم 168 ورقم 169 اللتان لم يعتمد المحققان عليهما فقد ورد المثال بالتاء هكذا (فأما قولك تالله هل قام زيد ..) .

فلم عدلا عن النص الصحيح كما في المخطوطة رقم 167 المعتمدة في التحقيق كما ذكرا في المقدمة ؟ ولماذا لم يثبتا الخلاف الوارد بين النسختين المعتمدتين كما التزما بذلك في المقدمة ؟ وكيف جزما بأن الحرف المتصل بلفظ الجلالة هو (التاء) وليس (الباء) مع ان النسخة التي اعتمداها خلاف ما أثبتاه والنسخة 166 لم تعجم الحرف ، واين التحقيق في هذا ؟ ولم لم يرجعا الى كتب النحو التي بسطت الكلام في ذلك وتعرضت لمذهب ابن عصفور نفسه ؟.

والسبب الظاهر الذي حملهما على مخالفة النص الحقيقي هو انهما توهما ان قول المصنف بعد المثال (الا ترى ان المعنى : اسالك بالله هل قام زيد) انه انما يريد ان معنى (تالله) هو اسالك بالله . فحصلت المغايرة بين التاء والباء وان التاء بمعنى الباء ، فلو اثبتا المثال بالباء لم تحصل المغايرة فكان تعلقهما في اللفظ فقط لان المعنى الذي يمثل له المصنف لم يفهماه .

والنص المتقدم يوضح مذهب ابن عصفور في الخلاف في مثل (بالله هل قام زيد) هل يسمى قسما ؟ أم سؤالا واستعطافا ؟ .

فمختار جمهرة العلماء ومنهم ابن عصفور ان مثل ذلك لا يسمى قسما وانما هو سؤال والتقدير (اسالك بالله هل قام زيد) ؛ لان القسم لا يجاب الا بجملة خبرية لانه انما اتى به لتاكيد الجملة الخبرية.

وبعض النحويين يسميه قسم سؤال ومنهم رضي الدين في شرح الكافية وابن مالك في التسهيل ، وقد تعرض الدماميني لذلك في شرح التسهيل المسمى تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد مخطوطة مكتبة الازهر رقم 1057 خاص و 3751 عام في باب القسم ورقة 297 .

ولذا قال ابن عصفور في النص المتقدم (الا ترى ان المعنى اسالك بالله هل قام زيد ولا يسوغ ان يكون التقدير اقسم بالله) لان بالله هل قام زيد ليس بقسم كما ذكره اول النص اما ما اثبته المحققان فتقدم ان ابن عصفور ينفي وروده عن العرب .

التحريف الرابع والخامس :

النص المحقق المطبوع ص 204 (وكذلك تاء القسم وواوه وهاء التنبيه وهمزة الاستفهام وقطع الف الوصل ؛ ولام القسم بمعنى باء القسم الا ان التاء قد يدخلها معنى التعجب وتلزم ذلك في اللام)

الخطأ

في هذا النص تحريفان :

1 ـ قولهما (ولام القسم بمعنى باء القسم) . والصحيح : (ولام القسم بمعنى تاء القسم) .

2 ـ قولهما (وتلزم) . والصحيح : (ويلزم ذلك في اللام) .

اما الاول : فالصواب (ولام القسم بمعنى تاء القسم) هكذا قال المصنف لا بمعنى باء القسم كما اثبتاه في التحقيق ؛ لان الباء ليس فيها معنى تعجب ، والتاء تاتي للتعجب ولغيره ، واللام ملازمة له ، ولذلك قال المصنف بعد ذلك مباشرة (الا ان التاء قد يدخلها معنى التعجب) ولم يقل الا ان الباء .

ونص المخطوطة رقم 166 ورد على الصحيح هكذا (ولام القسم بمعنى تاء القسم) .

والمخطوطات رقم 167 و 168 و 169 وردت ايضا بالتاء الا انه يوجد تحت التاء نقطتان ، والنقط التي تحت التاء انما هي تابعة للحرف الذي قبل التاء وهو الالف المقصورة التي اصلها ياء لانها ممتدة تحت حرف التاء وجعل النقط فوق الالف المقصورة التي اصلها ياء انما هي طريقة لبعض الكتاب المتقدمين .

وبعض الكتاب طريقته عكس ذلك في اعجام بعض الحروف الصحيحة مثل الفاء فانه يجعل النقطة دائما تحتها ويجعل القاف بنقطة واحدة وهذه الطريقة تتمثل في شرح ابي حيان لكتاب المقرب ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم 459 نحو ومنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات برقم 170 .

قال سيبويه ج 2 ص 144 (وقد تقول تالله وفيها معنى التعجب وبعض العرب يقول في هذا المعنى « لله » فيجيء باللام ولا تجيء الا ان يكون فيه معنى التعجب قال امية ابن ابي عائذ :

لله يبقى على الايام ذو حيد
بمشمخر به الضيان والآس

انتهى كلام سيبويه .

وفى المقتضب للمبرد ج 2 ص 324 (ومن حروف القسم ـ الا انها تقع على معنى التعجب ـ اللام وذلك قولك : لله ما رايت كاليوم قط كما قال : (وانشد بيت سيبويه) وقد تقع التاء فى معنى التعجب) اهـ .

وقال الزمخشري فى المفصل فى كلامه على حروف القسم : (وفى التاء واللام معنى التعجب وربما جاءت التاء فى غير التعجب واللام لا تجيء الا فيه) اهـ .

واما التحريف الثاني فى النص فهو قوله : (وتلزم ذلك فى اللام) والصواب (ويلزم ذلك فى اللام) .

وعبارة المحققين توقع النص فى تناقض واضطراب .

فاما التناقض فان قولهما (وتلزم ذلك) يصرف الذهن الى ان الضمير فى (تلزم) راجع الى التاء فى قوله (الا ان التاء قد يدخلها معنى التعجب) فكيف تكون التاء لازمة للتعجب والمصنف ذكر ان معنى التعجب لا يلزمها وهذا تناقض ظاهر .

واما الاضطراب ففي باقي العبارة (وتلزم ذلك فى اللام) اذ ان مفهوم العبارة أن التاء تلزم معنى التعجب فى اللام . وهذا معنى مضطرب والصحيح خلاف ما حققاه والصواب (ويلزم ذلك فى اللام) والمعنى أن لام القسم الداخلة على لفظ الجلالة ، يلزمها معنى التعجب .

قال ابن عصفور فى شرحه للمقرب مفسرا هذا النص فى المخطوطة رقم 106 معهد المخطوطات : (وقولي الا ان التاء قد يدخلها معنى التعجب اعني انك قد تقول تالله لا يبقى احد تقسم على عموم الفناء لجميع البشر وتعجب من ذلك ولا يلزمها التعجب بل قد تقول تالله لا يقوم زيد ، وقد تقسم على نفي القيام عن زيد من غير تعجب من ذلك وليست كذلك اللام بل يلزمها معنى التعجب نحو قولك لله لا يبقى احد) انتهى شرح ابن عصفور .

فكيف ذكر المحققان فى المقدمة انهما حررا النص كما ينبغي التحقيق ؟

التحريف السادس :

النص المحقق المطبوع ص 205 (فعلى هذا الجملة المقسم عليها ان كانت اسمية وكانت موجبة ادخلت على المبتدا ان وفي جرها اللام فقلت والله ان زيدا لقائم) .

موضع التحريف قولهما (وفى جرها اللام) والصواب (وفى خبرها اللام) .

ونص المخطوطات رقم 166 و 167 و 168 و 169 (وفى خبرها اللام) والضمير فى (خبرها) راجع لان كما يظهر من تمثيل المصنف .

والقريب ان الراء فى اللفظة المحرفة المطبوعة متوجة بشدة مما يدل على ان المحققين توهما أن المراد هكذا فضبطا الحرف بالشكل .

التحريف السابع :

النص المحقق المطبوع ص 205 (وان كانت الجملة فعلية فان كان الفعل ماضيا دخلت عليه فى الايجاب اللام وحدها نحو قوله :

حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما أن من حديث ولا مال)

فى هذا البيت تحريف فى الكلمة الاخيرة وهي قولهما (ولا مال) والصواب (ولا صال) ، فان قال المحققان بأن هذا خطأ مطبعي ، فلماذا لم ينبها عليه فى ورقة التصويبات المشار اليها اول الكلام . ولماذا تركا البيت بدون شرح مع انه يحتاج الى توضيح معناه . وبيان موضع الاستشهاد به عند النحاة .

والبيت لامريء القيس ونصه فى المخطوطات رقم 166 و 167 و 168 و 169 :

(حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما ان من حديث ولا صال)

وهو من شواهد الرضى فى حذف قد والاكتفاء باللام فى جواب القسم وهو ضرورة عنده واستشهد به الزمخشري فى المفصل على دخول لام القسم على الماضي جوازا ، وعند ابن يعيش على ان دخول اللام على الماضي بدون « قد » قليل .

وترتيب البيت فى خزانة الادب ، الشاهد الخامس عشر بعد الثمانمائة ج 4 ص 221 .

قال البغدادي فى الخزانة (ان كان الماضي قريبا من زمن الحال ادخل عليه اللام وقد ، نحو (تالله لقد آثرك الله علينا) وان كان بعيدا من زمن الحال ادخلت عليه اللام وحدها كهذا البيت وهذا مذهب ابن عصفور ومن تبعه) اهـ .

ومعنى البيت انه حلف بالله لمحبوبته ان القوم ناموا ولم يبق متحدث مع خليل ولا مستدفيء بنار ، ومعنى صالي مصطلى أي مستدفيء . قال ابن منظور فى اللسان مادة (صلا) : واصطلى بها استدفأ وفى التنزيل (لعلكم تصطلون) قال الزجاجي جاء فى التفسير انهم كانوا فى شتاء فلذلك احتاج الى الاصطلاء) اهـ .

والآية الكريمة فى سورة القصص آية 29 ، وقول الشاعر (حلفة فاجر) أي كاذب لان حلفه ليس مطابقا لحالة القوم وانما اقسم لها لاجل ان تأمن من ان يكون احد منهم يقظا فتنقاد معه .

التحريف الثامن :

النص المطبوع ص 208 (ويجوز ان تضمن أفعال القلوب كلها معنى القسم فتتلقى اذ ذاك بما يتلقى به القسم فتقول علمت ليقولن زيد كما تقول والله ليقومن زيد) .

المثال المحرف هو (علمت ليقولن زيد) والصواب: (علمت ليقومن زيد) كما فى المخطوطات رقم 166 و 167 و 168 و 169 ، ونصها (فتقول علمت ليقومن زيد) .

الخطأ الموغل فى الغرابة :

علق المحققان على تعريف ابن عصفور بان اشارا فى رقم التعليق الى الجزء الاول ص 33 من كتاب مغنى اللبيب لابن هشام ونص التعريف :

(القسم : هو جملة يؤكد بها جملة اخرى كلتاهما خبرية) .

وما ذكره ابن هشام فى ذلك الموضع ، لا علاقة له بتعريف ابن عصفور للقسم وانما كان يتكلم على (أن) المفتوحة حيث قال : (وفى مقرب ابن عصفور انها حرف جيء به لربط الجواب بالقسم) كما تقدم تفصيله فى آخر الخطأ الثاني .

ولو فهم المحققان ما قاله ابن هشام فى ذلك الموضع لما وقعا فى الخطأ الاول والثاني ، ولو فهما تعريف ابن عصفور للقسم لكان صواب التعليق ان يشيرا الى الجزء الرابع من خزانة الادب ص 211 لان البغدادي تعرض الى مناقشة تعريف ابن عصفور للقسم .

ومما تقدم يتبين للقاريء ان المحققين لم ينتفعا بما سرداه من المخطوطات وشروح الكتاب المحقق فى المقدمة ، وان ذلك ضرب من التخييل على القاريء ليثق بدراستهما النص دراسة موثقة كاملة ولكن النص المطبوع يشهد عليهما بخلاف ذلك ، واذا لم نقل بهذا الوقع فليس امامنا الا ان نقول انهما درسا وبحثا فى النسخ ولكنهما لم يفهما فجاء تحقيقهما مستكملا لانواع التحريف وهذا أسوأ .

فان زعما ان المطبعة المظلومة ، قد حرفت وبترت وزادت ونقصت . فلماذا لم يقرآ ما طبعته المتهمة ، ويتأكدا من توثيق النص قبل توزيع الكتاب ؟.

ولماذا لم يجعل المحققان فهرسا لموضوعات الجزء المطبوع مع ان النسخة المعتمدة تشتمل على ذلك ؟ ولم وعدا بان يجعلا الفهارس فى الجزء الثاني؟ أيريدان أن الذي يقتني الجزء الاول ينتظر حتى يخرج الجزء الثاني مهما طال به الامد ، ام ان الدافع على هذه الطريقة الجديدة ، هو ربط علاقة الجزء الاول بالثاني حتى يكون الاقبال على شراء الجزء الثاني أكثر ، أم ماذا ؟

– 3 –

وبالجملة فالجزء الاول من كتاب المقرب لابن عصفور الذي حققه السيدان احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، ليس صالحا لمراجعة الباحثين ، ولا يعتمد عليه لان النص مضطرب لما فيه من التحريف والزيادة والبتر ، ويحتاج الى اعادة تحقيقه عسى ان يكون له حظ كحظ كتاب المقتضب للمبرد الذي حققه الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة وتحقيق المقتضب غني عن التعريف وليس هو تحقيق فحسب بل هو تحقيق وشرح .

والواجب على الباحثين فى مجال التحقيق ان يجعلوا نيتهم وهدفهم : اداء الامانة العلمية فى تمحيص وتوثيق نصوص التراث ، والا يجعلوا الغرض من بحثهم الربح المادي فحسب .

واخيرا فاني ارجو ان تكون هذه الملاحظات مثالا منبها للسيدين فى اتخاذ طريقة افضل فى تحقيق الجزء الثاني الذى وعدا باخراجه ، وان يعملا على اصلاح الجزء الاول ان استطاعا الى ذلك سبيلا والا فكما قيل :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

وفق الله جميع الباحثين الى الطريقة المثلى والهدف الاسمى والنية الصادقة .

المملكة العربية السعودية ــ احمد بن عبد العزيز اللهيب

ملامح للمغرب الحديث من خلال خطب جلالة الملك الحسن الثاني :

استمرار البعث الاسلامي

في الميادين الاقتصادية والاجتماعية ودعم قضايا العروبة والاسلام

الخطوط العريضة للسياسة المغربية تتضح جلية من خلال مجموعة خطب جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وعلى امتداد سنة كاملة ، منذ خطاب العرش في 3 مارس 1972 الى خطاب العرش الذي ننتظره هذه الايام جدت أمور ذات أهمية وحدثت تطورات كان لها اعمق التاثير ، لا بالنسبة للمغرب فحسب ، بل بالنسبة لجميع اقطار العالم العربي والاسلامي . ولقد حرصت مجلة (دعوة الحق) وهي تعد لعددها الممتاز ـ الذي تصدره كل سنة بمناسبة عيد العرش المجيد ـ أن تقوم بجولة فاحصة ومدققة عبر الخطب والكلمات السامية التي ألقاها جلالة الملك المعظم خلال هذه الفترة ، استقطابا لاهم الاحداث ورصدا لها .

ولعله من الاهم ان نذكر بالمناسبة بالحديث الهام والبالغ التاثير الذى خص به جلالة الملك المعظم أيده الله مجلة « دعوة الحق » فصدرت به عددها الممتاز الخاص بعيد العرش للسنة الماضية وذلك فى اطار العرش المغربي فى ظلال البعث الاسلامي .

لقد قال جلالته حفظه الله :

« ان اهم ما يجب ان ينتبه اليه المسلم هو ما تعمد اليه الايديولوجيات الهدامة فى معالجة الاخلاق كشيء مجرد ، ومعالجة الانسان منفصلا عن الاخلاق ، فهذا (الانشطار) هو ما يجب أن نتصدى له بكل قوانا ، لان الديانة هي العمود الفقري لكيان الانسان ، والامر اكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع . فلا مجتمع بدون قانون خلقي وشريعة روحانية » .

وهذه الفكرة الاساسية يزيدها جلالته توضيحا فى فقرة اخرى من الحديث القيم المشار اليه مركزا على دور المغرب فى هذا المجال ، فيقول حفظه الله وايده :

« ان المغرب الذى كان طيلة تاريخ طويل ، الساهر اليقظ على تراث الاسلام ومعطياته الحضارية ، سيخوض معركة التنمية الخلقية موقنا بأن ذلك يشكل ضمانا لا بديل له للانتصار فى معركة التنمية والتقدم » .

وتعميقا لهذا الوعي الحركي ، نرى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يخصص فقرة هامة من خطاب العرش يوم ثالث مارس 1972 للحديث عن موقف شبيبتنا من الدين والاخلاق ، حيث يقول حفظه الله واعز ملكه :

« ومن دواعي الاسف الشديد، والحسرة الاليمة ان نلاحظ أن فئة من شبابنا اخذت تنحدر فى مهاوي الانزلاق متأثرة بمذاهب وتيارات تستهدف تقويض كل قائم سوي وتحطيم كل موروث نقي من عقائد وشرائع واخلاق ، وما كان احرى بهذه الفئة المنحرفة ان توجه بصرها وتصرف نظرها الى تعاليم الدين الحنيف والشريعة السمحة لاكتناه واكتشاف مقاصد الاسلام واسرار الدعوة المحمدية . وما كان أجدرها أن تقف على سير النبلاء من أعلام الملة وعباقرة الفكر وجهابذة العرفان الذين نضروا وجه التاريخ ورفعوا صرح الحضارة بما اضافوه الى تراث الانسانية من ثراء فكري مجيد . ولعل ذلك الانحراف راجع الى جهل هذه الفئة الناشئة بحقائق الاسلام والى اعراضها عن استيعاب اسرار الديانة وذخائر الافكار والآثار . وان هذه الظاهرة التى تورث الاسى وتثير الغيرة وتحمل على الحفاظ لتشير الى مكامن التبعية ومواطن المسؤولية ، فعلى أولياء الاطفال وارباب الاسر وعلى المعلمين والاساتذة وجميع القائمين بشؤون تربية الشباب وتهذيبه وتثقيفه ان يقدروا أبعاد الخطر الذى يهدد المجتمع من جراء هذه الظاهرة ويؤدوا واجبهم على الوجه الذي يضمن التوجيه الصحيح والتوعية الصالحة » .

وفى مقابل التوعية الروحية والتوجيه الاخلاقي يحرص جلالة الملك الحسن الثاني اعزه الله على تدعيم اسس العدالة الاجتماعية الحقة فى هذا البلد الامين وذلك انطلاقا من قناعة جلالته بحتمية الحل الاسلامي لمشاكل المغرب باعتباره بلدا ناميا يشق طريقه فى اصرار لبلوغ الاهداف الكبرى التى من اجلها كافح وجاهد العرش والشعب فى التحام كان وما يزال مضرب الامثال فى العلاقة بين القمة والقاعدة، وبهذا الخصوص يقول جلالة الملك فى الخطاب القيم الذى القاه يوم عيد الشباب والذى اعلن فيه حفظه الله عن الانطلاقة الاقتصادية الهائلة فى ظل اشتراكية اسلامية مغربية معبرة عن اصالتنا :

« .. سنتجنب الظلم ، ونتجنب المحسوبية ، وسنخطو خطوة جديدة فى اشتراكيتنا ، وهو اننا نغني البلد دون أن نفقر احدا ودون ان نكون قد ساعدنا على خلق قلاع تكون بمثابة دور قوية وسط بيوت من قصدير .. »

وهذا ، وايم الحق ، هو اساس ثورتنا المباركة ، ثورة الملك والشعب ، ولقد صدق جلالة الملك اذ قال :

« .. نحن الذين نستعمل ونعطي لكلمة الثورة مدلولها الحقيقي .. ومع الاسف فقد بحثت كثيرا فى القاموس ، فما وجدت الا حاجة واحدة .. توجد بعض الدول تخلط بين الثورة والفتنة .. أنا لست مع الفتنة .. الفتنة يمكن القيام بها بمسدس واحد، الثورة هي عمل يومي .. كل يوم .. كل يوم .. كل يوم كل سنة .. كل سنة .. كل جيل .. الثورة لا تنحصر فى انسان ، ولا فى جيل ولا فى كتاب ، ولكن هي قبل كل شيء عقيدة .. لانها عمل مستمر للتجديد .. للتلقيح .. للانتاج » .

ولا بدع فى ذلك فنحن نعيش فى ظل الاسلام، وتحت رايته ، وتحت حقوقه وضماناته ، كما يقول جلالة الملك المعظم فى الخطاب السامي الذى وجهه حفظه الله الى القوات المسلحة الملكية والى الضباط والجنود الذين تواجهوا الى الجبهة السورية ، فقد قال جلالته بالحرف الواحد :

« انكم ستذهبون الى بلد لتردوا التحية قال سبحانه وتعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها»» ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حيانا بأحسن تحية وأزكاها ، حيث حيا هذا البلد الامين بالرسالة الاسلامية ، ومنذ ذلك الحين ، ونحن نعيش فى ظل الاسلام ، وتحت رايته ، وتحت حقوقه وضماناته ، فعلينا اليوم أن نرد التحية النبوية الزكية وذلك بأن نسترخص كل غال فى سبيل استرجاع القدس ، وكرامة المسلمين . » .

وهذا الموقف من المغرب تجاه قضايا اشقائه العرب والمسلمين ليس وليد اللحظة التاريخية او رد فعل عشوائيا ، وانما هو موقف نابع من عقيدتنا الدينية اولا ومن تاريخنا المجيد ثانيا اذ :

« .. أن شعور المغاربة ، هو شعور موحد اتجاه القضايا العربية ، فامام قضايا العرب ، وأمام قضايا الاسلام لا يبقى لاي متردد أي تردد ولا لاي مستعمر ان يتهم المغرب بانه فيه العنصرية، وان المغرب منقسم الى من هو عربي والى من هو غير عربي ، المغرب دولة لغتها العربية ودينها الاسلام وهي عضو فى الجامعة العربية وتربطها بالجامعة العربية اوفاق وعهود ومواثيق . والمغرب قبل كل شيء لم تكن هذه وثبته الاولى ولم يكن هذا تحركه الاول لنصرة العرب طيلة تاريخهم المجيد»

ولقد اكد جلالة الملك المعظم هذا الموقف المؤيد خلال مؤتمر القمة العربي السادس الذى انعقد فى 26 نوفمبر 1973 بالجزائر الشقيقة .

ومن خلال فقرات خطاب جلالة الملك فى هذا المؤتمر تتضح حقيقة التأييد المطلق والدعم المالي والعسكري والمعنوي الذى يقوم به المغرب بقيادة جلالة الملك المعظم حفظه اللهلاشقائه العرب والمسلمين، حيث قال نصره الله :

« .. واننا ليكفينا فخرا فى المغرب العربي ان نقول : اننا كلما كنا نودع أسرا لنا تذهب الى الشرق ، كنا دائما نودع أسرا لانها كانت تذهب الى حج بيت الله الحرام . امااليوم فسيقع للبعض ان يودع فردا من افراد اسرته فيسأله أين انت ذاهب ، فيقول له : انا ذاهب لاترحم على جثة قريب لي أستشهد فى الشرق حماية ودفاعا عن الاسلام » .

ثم يقول جلالة الملك حفظه الله فى ختام خطابه القيم مركزا على اسلامية المعركة ووجوب الانطلاق من كتاب الله للجهاد ضد الصهاينة والاستعمار :

« وهكذا يمكننا ان ننطلق من كتاب الله سبحانه وتعالى حيث قال : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) ، فسوف نصلي فى القدس .. وسوف نحيي علم فلسطين ، وسوف نحضر استعراضات النصر فى كل من دمشق والقاهرة ، اما المسافة فعلينا ان نعلم انها مسافة طويلة وشاقة » .

وطبيعي جدا ان تكون المسافة طويلة وشاقة .. فطريق الجهاد لم تكن ابدا مفروشة بالورود .. وتكاليف الجهاد باهظة .. ولا يطيقها الا ذوو العزم والارادة والايمان القوي بالله ، ولذلك نجد جلالة الملك المعظم نصره الله يركز على هذه النقطة فى

الكلمة السامية التى القاها فى الوفد العسكري المغربي الذى زار المغرب ممثلا للتجريدة المغربية بسوريا ، حيث يقول فى كلمات جد مؤثرة :

« .. انني حينما أرسلتكم الى سوريا علمت أنه سيكون منكم الشهداء والجرحى ، ولكني علمت كذلك انه سيكون هؤلاء الشهداء فى مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وعلمت بأن مرضاكم والمعطوبين منكم، والجرحى يكفيهم ان يمروا أمام اخوانهم سواء فى وطنهم الصغير ، او فى وطنهم الكبير ، وهم حاملون لجرحهم ليكون لهم ذلك العطب وذلك الجرح اكبر تشريف واكبر تكريم » .

واستقبل جلالة الملك ايضا الفوج العسكري الذى يمثل التجريدة المغربية فى مصر وقال فيه كلمة ذهبية تزيدنا اقتناعا بالدور الكبير الذى لعبه المغرب فى حرب رضمان 1393 . وهكذا نجد جلالة الملك المعظم يقول :

« انكم كنتم فى بلد تعاني وتقاسي لتحرير اراضيها ، وكنتم فى آن واحد تخوضون معركة دينية اسلامية حيث ان غزواتنا هذه هي لاسترجاع مقدساتنا التي هي بالقدس الشريف . وان المغرب على فمي يشكركم جزيل الشكر وينوه بكم أحسن ما يكون التنويه، ويقول لكم شكرا على ما فعلتم ، انني فخور بكم معتز بكم أرجو الله سبحانه وتعالى ان يجعل جيشنا المغربي دائما فى مثل هذا الطريق ، وعلى مثل هذا السبيل ، السبيل المستقيم ، سبيل الله الذي لا يعرف الاعوجاج بل لا يعرف الا الشرف والفخار » ..

— ☼ —

وحتى يسير العمل السياسي فى خط متوازن فان المغرب لا يدع جانبا يطغى على جوانب اخرى . ومن خلال نظرة شمولية استقطابية تعالج الامور فى الداخل تماما كما تعالجها على الصعيد العربي والاسلامي والافريقي .

وجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله يولي عناية فائقة للجبهة الداخلية وذلك فى الوقت الذى يعبر اهتمامه البالغ لقضايا العروبة والاسلام كل ذلك وفق معيار سياسي متميز يعتمد اساسا على الاسلام كمنهج ومقياس للحكم .

وهكذا وجه جلالة الملك المعظم خطابا ساميا الى شعبه الوفي وذلك فى حفل تقبل التهاني بمناسبة عيد الاضحى المبارك ، قال فيه على الخصوص :

« .. شعبي العزيز : املي ان تعلم اكثر من ذي قبل أن الوحدة ووحدة الصف والتئام الشمل وجمع الكلمة كانت ولا تزال السر الوحيد لانجاح كل عمل عملاق مثل العمل الذى نحن نريد ان نقوم به وننجزه ، وهذا يستوجب من الجميع شيئا من المرونة فى التفكير وحسن الارادة ، حتى يمكنه ان يتعدى الخطوة فيصل ويدرك الخطوة التى يريد ان يصلها . وهذا يتطلب كذلك وعيا صادقا بالواجب الوطني كما يتطلب وطنية غيورا لا تقبل أية مهاودة ولا تقبل أي تعامل مع أي كان اللهم الا اذا كان مغربيا صميما أصيلا » .

وهذا الاهتمام البالغ بالوحدة الوطنية باعتبارها الاساس المكين لاي عمل لصالح الشعب والبلاد، يقابله من جهة ثانية اهتمام دقيق بالتنمية الاقتصادية والنهضة الصناعية والتجارية ببلادنا . وفى الرسالة التى وجهها جلالة الملك المعظم الى شعبه بمناسبة افتتاح المعرض الدولي الخامس والعشرين الذي نظم بالدار البيضاء ، يقول جلالة الملك حفظه الله وأيده :

« .. واذا كان مستحيلا على بلد من بلاد المعمور ان يتقدم منفردا

منعزلا عن غيره بخطى ثابتة في جميع الميادين فانه لا مناص لبلد يود ان يضطلع بدوره في عالم أصبحت أجزاؤه يكمل بعضها بعضا من الانتفاع بمواده وخصائص عبقريته الى جانب انتفاعه بموارد البلاد الاخرى وما تحققه عبقرياتها من مكتسبات .. ان التقدم البشري بنتائجه وثماره ذخيرة مشتركة بين البشرية جمعاء مبذولة لاعضائها للانتفاع بها على السواء . ويترتب عن هذا ان المبادلات التجارية تشكل بالنسبة لبلد كبلدنا سائر في طريق النماء ركنا من أركان الازدهار الاقتصادي، وانطلاقا من هذا الاساس فانه على بلدنا ان يعمل على الحصول على أدوات التجهيز ريثما يتيسر له انتاجها بنفسه ، وذلك لاقامة صناعة وطنية كاملة يستطيع بفضلها أن يوالي السير في « طريق الاقلاع» .. »

ومن المؤكد أن الصناعة لا تقوم على فراغ ، بل لابد من ازدهار اقتصادي قائم هو الآخر على نهضة فلاحية مثمرة . وفي هذا الاطار أمر جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله سمو الامير ولي العهد سيدي محمد برئاسة عملية توزيع الاراضي على صغار الفلاحين على سكان دائرة تاونات والميلاح بنواحي فاس . وبلغت مساحتها 4.550 هكتارا استفاد منها حوالي 400 فلاح . وبالمناسبة القى سمو الامير ولي العهد سيدي محمد خطابا جامعا حدد فيه الغاية من هذه العملية وقال بالخصوص :

« .. واذا كان وجودي بينكم اليوم دليلا جديدا على ما يوليه ملكنا المفدى للفلاحين من رعاية موصولة وحدب دائم ، فانه دليل من جهة على ما ينيطه من اهتمام بما تغله ارضنا المخصابة وبالصناعة المرتبطة بالزراعة اوثق ارتباط وبما يذره الانتاج والتحويل من ارباح وموارد . ذلك ان الاصلاح الزراعي بمفهوم ومدلول جلالته الكريمة يهدف في آن واحد الى توسيع نطاق الثروة بتكثير عدد المستفيدين من الفلاحة والى مضاعفة الانتاج واغزاره اغزارا لا يقتصر على تامين الكفاية للاستهلاك المحلي وانما يتطلع الى تصدير الفاضل عن الكفاية والاسهام بالحظ الوافر في اثراء مذخراتنا من العملة الصعبة » .

— * —

وبعد :

تلك باختصار شديد اهم ملامح المغرب الحديث خلال سنة على وجه التقريب استقطبناها من بعض خطب وتصريحات جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ونصره ، واردنا بها تقريب الصورة الحقيقية لاتجاهات السياسة والاقتصاد في مغرب الحسن الثاني .

(...)

حاجي خليفة
وكشف الظنون

للاستاذ عبد القادر العافية

- 2 -

بعد هذا العرض الموجز الذي سبق عن حياة المؤلف ، وعن مجهوداته في ميدان البحث والدرس والتاليف والتعليم نخلص الى الحديث عن كتابه « كشف الظنون » حسب النسق الآتي :

ا ـ مقدمة .

ب ـ العناية بالكشف : اختصارا ، وتذييلا ، وترجمة .

ج ـ طبقات الكشف المختلفة .

د ـ الكتب التي الفت بعد الكشف في موضوعه .

هـ ـ عرض وتحليل لنماذج من مادة طبقة « ط ـ ب ـ ق » من كتاب الكشف .

ا ـ **مقدمة** : كتاب كشف الظنون كان الى عهد المؤلف اوسع الكتب المؤلفة في موضوعه ، ولقد استغرق المؤلف في تاليفه عشرين سنة كان خلالها يجمع مواد هذا الكتاب من الفهارس وكتب الطبقات والمعاجم ، والكتب المختلفة .

وكان المؤلف قد سمى كتابه اولا : « كتاب اجمال الفصول والابواب في ترتيب العلوم واسماء الكتب» . كما هو موجود بخطه في آخر سسودته (1).

ونرى ان المؤلف اطمأن في النهاية الى التسمية الحالية للكتاب كما اطمأن الى مادة الكتاب نفسها فعرض مسودته على اصدقائه وشيوخه من العلماء فاستحسنوه غاية الاستحسان ، وطلبوا منه تبييضه فبيضه الى حرف الدال المهملة عند كلمة « دروس » ثم ادركته المنية ، وبضم المسودة الى المبيضة تتم اصول كتاب « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » حسب التسمية الاخيرة التي استقر عليها المؤلف .

ب ـ العناية بالكشف والاهتمام به :

نظرا لاهمية كشف الظنون فانه اثار اهتمام كثير من الباحثين والمؤلفين ، والناشرين .. حيث تصدت له جماعة من المهتمين به منذ دخل في قائمة الخزانة العربية .

اختصاره والتذييل عليه :

من الذين اهتموا بالكتاب وقاموا بمحاولة اختصاره : الاستاذ السيد الحسين العباسي النبهاني الحلبي ، حيث اختصر كشف الظنون من حيث اللفظ من جهة والزيادة عليه من حيث الموضوع من

(1) حسب ما يقوله صاحب التصدير للطبعة الرابعة من الكتاب الاستاذ محمد شرف الدين بالتقايا الذي كتب تصديرا لكشف الظنون بتاريخ 18 جمادى الاولى 1360 بمدينة استانبول .

جهة ثانية ، وبذلك اضاف الى الكتاب اسماء كثير من المؤلفين ، والمؤلفات .

واختصار النبهاني للكشف موجود بتمامه فيما يذكره صاحب التصدير محمد شرف الدين بالتقايا بمكتبة « يكي جامع » باستنبول تحت عدد «815» وهو يحمل عنوان : « التذكار الجامع للآثار » ويقول صاحب التصدير : وهو ينسب الى ابن النديم حسب قائمة المكتبة وهو خطا .

ولكشف الظنون عدة ذيول ، واول من قام بالتذييل عليه : « السيد محمد عزتي افندي المعروف — بوشنة زادة — المتوفى سنة 1092 هجرية . وبقي هذا الذيل في التسويد ولم يطبع .

2 — كما ذيل عليه الاستاذ : عربة جيلرشيخي ابراهيم افندي المتوفى سنة 1189 هـ

3 — والسيد احمد طاهر افندي الشهير بحنيفزادة المتوفى سنة 1217 هـ

وهذا الذيل يحتوي على زهاء (5.000) اسم كتاب جديد . واسم هذا الذيل « آثارنو » وهو مطبوع .

4 — كما قام بالتذييل على كشف الظنون شيخ الاسلام عارف حكمت بك المتوفى سنة 1275 هـ الا انه وقف فى ذيله عند حرف الجيم .

5 — « ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون » .

وهذا اهم ذيل للكتاب ، لانه جمع الذيول السالفة ، الفه الاستاذ البحاثة : « اسماعيل باشا البغدادي » المتقاعد باستانبول والمتوفى سنة 1339 هـ

واسماعيل باشا البغدادي هذا هو صاحب كتاب : « هدية العارفين لاسماء المؤلفين وآثار المصنفين » حاول فيه ان يجمع المؤلفين ابتداء من صدر الاسلام باسمائهم وكناهم مع ذكر اسماء مؤلفاتهم ..

6 — وذيل على الكشف الاستاذ العلامة « اسماعيل صائب سنجر » مدير المكتبة العمومية بالاستانة .

ومن هذا العرض السريع يبدو مقدار الاهتمام الذى أثاره كشف الظنون فى الاوساط العلمية والثقافية منذ تاليفه الى العصر الحديث .

ج — طبعات الكشف المختلفة :

نظرا للاهتمام الذى المحنا اليه ، والذى تمثل فى التتبع والاختصار والتعليق والتذييل فان كتاب الكشف قد حظي بعناية الباحثين والطابعين والناشرين فطبع عدة مرات !

1) طبعة «ليبزيك» مابين سنة 1835 و 1858م فى سبعة اجزاء بعناية البحاثة فلوغل غستاف المتوفى سنة 1287 هـ . وهذه الطبعة تضم الى الكشف الذيل : « آثارنو » السالف الذكر ، وفهرس مكتبة الجامع الازهر ، وفهرس مكتبة مدرسة ابي الذهب مع عدة فهارس لمكتبات استانبول ، وهذه الطبعة عليها ملاحظات كثيرة : منها : ان « فلوغل » فى مادة « ف — ق — هـ » فقه لم يستطع العثور على ما كتبه صاحب الكشف فى هذا الباب ، ولذلك نقل عبارة كتاب مفتاح السعادة المتقدم الذكر ، وتشتمل هذه الطبعة كذلك على عدة اخطاء وهي مطبوعة مع الترجمة الى الانجليزية وتوجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط تحت رقم : 395 A

2) طبعة بولاق فى سنة 1274 هـ وهي مجردة فى جزئين

3) طبعة الاستانة : فى سنة 1313 هـ .

4) طبعة الاستانة : فى سنة 1320 هـ مرة ثانية

5) طبعة استانبول سنة 1362 هـ وهي تحمل اسم الطبعة الرابعة ومعها (ايضاح المكنون وهدية العارفين) لاسماعيل باشا البغدادي .

6) طبعة المطبعة الاسلامية بطهران وتحمل اسم الطبعة الثالثة بطهران ، وتزيد على الطبعة الرابعة باستانبول بمقدمة مفيدة للسيد « آية الله العظمي شهاب الدين النجفي . وهذه الطبعة تقع فى خمسة اجزاء مع الذيول بينماتقع طبعة استانبول فى اربعة اجزاء مع الذيول بينما تقع استانبول فى اربعة اجزاء فقط وعن طبعة طهران اخذت عدة طبعات مصورة (بالاوفست)

ترجمة كشف الظنون :

ترجمه ثلة من المستشرقين اشهرهم فلوغل غوستاف الذى ترجم الكتاب الى الفرنسية وطبعت هذه الترجمة سنة 1299 هـ .

وترجمه مستشرقون آخرون من هولندا ، والمانيا ، وبريطانيا .

د ــ الكتب التي الفت بعد الكشف في موضوعه
هناك عدة كتب الفت بعد الكشف اشهرها :

1 ــ الذيول المشار اليها سابقا ، واهمها ايضاح المكنون وهدية العارفين لاسماعيل البغدادي .

2 ــ مجموعة من المؤلفات في موضوع الكشف اهمها :

« الاعلام » للزركلي وهو متداول بكثرة .

« معجم المؤلفين » لمحمد رضا كحالة .

« معجم المطبوعات العربية والمعربة » لـ سركيس .

« ملاحق تاريخ الادب العربي » لـ بروكلمان .

وهناك بعض الفهارس العامة و لمعاجم الخاصة ببعض الفنون قد يطول الحديث بذكرها .

— * —

ونصل الآن الى النقطة الخامسة والتي اعطيتها عنوان :

هـ ــ « عرض وتحليل لنماذج من مادة » ط ــ ب ــ ق » من كتاب الكشف تحدثنا في ايجاز عن الكشف وما ذيل عليه والف في موضوعه وتحاول الآن ان نقدم نماذج من الكتاب لنتعرف على منهجية المؤلف ولنتصل مباشرة بمادة كتابه ، ونلمس عن قرب ما اشرنا اليه سالفا من ان الكتاب كان مثار اهتمام ودراسة وعناية ..

في مادة « ط ب ق » جاء : « علم الطبقات » وتحت هذا العنوان اخذ المؤلف يستعرض المؤلفات التي تهتم بطبقات الرجال سواء كانت هذه المؤلفات تحمل اسم طبقة او تحمل اسما آخر ، مع مراعاة الترتب المعجمي ، فهو مثلا يبدأ بطبقات الادباء مراعيا البداية بالهمزة فيقول : « طبقات الادباء لكمال الدين ابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانبري المتوفى سنة 577 هـ . وهو جامع بين المتقدمين والمتاخرين مع صغر حجمه ، سماه : (نزهة الالباء) وياقوت الحموي وسماه : « ارشاد الالباء » وله « معجم الادباء » .

فالمؤلف هنا يدرج تحت اسم الطبقة ، الكتب والمعاجم التي صنفت في تراجم الادباء وانتاجاتهم ، واذا كان بعض الكتب تقدم الكلام عنه في حرف نبه على ذلك بمثل قوله : مضى في حرف كذا ، او سبق ...

وبعد ذكر طبقات الادباء يأتي بطبقات الاصبهانيين ، وطبقات الاصوليين ثم طبقة الاطباء .

وبعد استقصاء كتب الطبقات المبدوءة بحرف الهمزة فيما وصل الى علمه ، يأتي بالطبقات المبتدئة بحرف الباء فيقول مثلا : « طبقات البيانيين للسيوطي ... وهكذا ينتقل مع حروف المعجم ، ذاكرا الكتب التي الفت ومؤلفيها ..

ففي حرف التاء المثناة مثلا يقول : « طبقات التابعين ــ المسمى تحفة الناظرين ــ سبق ــ لابن النجار مات سنة 643 هـ ، وهو يعني سبق في حرف التاء لان تحفة مبدوءة بالتاء ، ونمضي مع المصنف الى حرف الصاد من مادة ــ ط ب ق ــ لتاخذ نظرة اوسع ، فهو في الطبقات المبدوءة بالصاد يقول : « طبقات الصحابة والتابعين لابي عبد الله محمد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي المتوفى سنة 230 هـ كتب اولا الى زمانه ــ خمسة عشر ــ مجلدا ، ثم انتخبه اصغر من ذلك، ولابن مندة ابن عبد الله محمد بن اسحق الاصفهاني الحافظ في اسماء الصحابة مات سنة 396 هـ ذيله ابو موسى الاصفهاني . وفيه : الاستيعاب ، والاصابة واسد الغابة مر كلها في الالف ، واختصر السيوطي طبقات ابن سعد وسماه : « انجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد » . والقاضي ابي بكر محمد الطوسي ، وفي الرياض المستطابة سئل ابو زرعة الحافظ عن جملة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ومن يحصيه ؟ قبض رسول الله « ص » عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه . فقيل له : هؤلاء اين كانوا ؟ واين سمعوا ؟ قال : اهل المدينة ومكة وما بينهما من الاعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه ، ثم ذكر المحدثون : أنهم ينقسمون الى اثنتي عشرة طبقة : الاولى قدماء السابقين الذين اسلموا بمكة كالخلفاء الاربعة ثم اصحاب دار الندوة ، ثم مهاجرة الحبشة ، ثم اصحاب العقبة الاولى ، ثم الثانية ، ثم المهاجرون الاولون بين بدر والحديبية ثم اهل بيعة الرضوان ، ثم من هاجر بين الحديبية

وفتح مكة ، ثم مسلمة الفتح ، ثم الصبيان والاطفال الذين رأوا الرسول عليه السلام في الفتح وفي حجة الوداع ، ثم ان ذكرهم على الاجمال والتفصيل باب واسع واوسعها كتاب « اسد الغابة لابن الاثير ثم كتاب « الاستيعاب» وقد عاب عليه «ابن الصلاح» حكايته فيه لما شجر بين الصحابة، وروايته عن الاخباريين لا عن المحدثين . واختلف في عدد طبقات الصحابة وجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة .. »

نقلت هذا النموذج على طوله ، لانه يعطينا فكرة عن كيفية تناول المؤلف للموضوع ، وعن طريقة عرضه للمؤلفات والمؤلفين .

فنراه قد قام بعملية استقصاء للمؤلفات التي تترجم للصحابة ثم يتبعها بمعلومات ايضاحية ، لا تجعل من الكتاب مجرد فهرست بل تجعل منه موردا خصبا ينهل منه المطلع ما يطفيء غلته .

واذا كان هذا ليس صنيعه دائما فانه يتوخاه كلما سنحت له الفرصة .. وهذا النمط هو الاغلب والشائع عنده .

ومن هذه النماذج التي نقلت من الكشف نرى انه زيادة على كون المؤلف اعطانا اسماء المؤلفات والمؤلفين والاشارة الى الذي تقدم من ذلك في بابه ، فهو زيادة على ذلك ينقل لنا ما حكاه « ابو زرعة » عن الصحابة ثم يعطينا اهم مرجع في هذا الباب ويشير الى تقسيم الصحابة الى طبقات ..

ثم ينقل عن « ابن الصلاح » قوله في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وما عاب من نقله لما شجر بين الصحابة وروايته عن الاخباريين لا المحدثين .

وبما ان المؤلف تحدث هنا عن « الاستيعاب » وكان قد تكلم عليه من قبل في باب الالف رجعت الى باب الالف فوجدته بسهولة في حرف الالف التي تليها سين فقال : « الاستيعاب في معرفة الاصحاب مجلد للحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة 463 هـ وهو كتاب جليل القدر اوله : « الحمد لله رب العالمين جامع الاولين والآخرين » ثم ذكر اولا خلاصة سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام ثم رتب الاصحاب على ترتيب حروف اهل المغرب . قال ابن حجر في الاصابة : « سماه بالاستيعاب لظنه انه استوعب الاصحاب مع انه فاته شيء كثير ، وجميع من فيه باسمه وكنيته ثلاثة آلاف ترجمة ثم ذيله ابو بكر بن فتحون المالكي استدرك فيه قريبا مما ذكر قال الذهبي : « لعل الجميع يبلغ ثمانية آلاف ، ولخصه شهاب الدين احمد بن يوسف بن ابراهيم الاذرعي المالكي وسماه : « روضة الاخبار في مختصر الاستيعاب » اوله : الحمد لله الذي اصطفى من الملائكة رسلا » وهذبه ابن ابي طي يحيى بن حميدة الحلبي المتوفى سنة 630 هـ وكان السلطان احمد خان العثماني قد اشار الى ترجمته بالتركي فباشر امامه المولى مصطفى ولم يوفق لاتمامه فمات وقد وصل الى حرف الحاء، ثم باشر المولى كمال الدين محمد بن احمد المعروف بطاشكبرى زادة ، ولما وصل الى حرف الراء مات السلطان فبقي ناقصا » .

اردت بنقل هذا النموذج الالتفات الى كونه يعزز النماذج السالفة والى ان مؤلف الكشف يتكلم عن الكتاب الواحد في ابواب مختلفة وبكلام مختلف كذلك ..

ففي باب الطبقات تكلم عن (الاستيعاب) ككتاب في طبقات الصحابة وفي حرف الالف تكلم عنه لان المنهاج الترتيبي الهجائي اقتضى منه ذلك .. الا اننا بالجمع بين البابين نحصل على معرفة لا بأس بها بكتاب الاستيعاب وعلى ما قيل فيه ، وكيف انتقد ومن هذبه او اختصره او ترجمه او ذيله او زاد عليه ..

وبهذا الصنيع يخرج كشف الظنون عن كونه مجرد فهرست الى كونه كتابا لا يستغنى عنه في التعريف بالمؤلفات في المكتبة العربية ، الى زمن حاجي خليفة .

وبهذا العرض المتواضع اكون قد اعطيت نظرة عن كتاب « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » وعن مؤلفه وطريقته .

شفشاون ــ عبد القادر العافية





فطرية الدين

للأستاذ محمد حمزة

يصادف صدور هذا العدد من « دعوة الحق » ذكرى جلوس مولانا امير المؤمنين على عرش اسلافه المنعمين. وبهذه المناسبة اهدي هذا المقال المتواضع الى مجلتنا القراء اسهاما في البعث الاسلامي الذى نادى به حامي حمى الملة والدين .

يرى فقهاء اللغة ـ وخاصة منهم دارسي السنسكريتية ، وكتب الهند القديمة ـ أن الدين نشأ بداة ذي بدء عن تعظيم الانسان للظواهر الطبيعية ، وتكريسه طقوسا لها لخدمتها ، لما كان يراه فيها من خصائص الهية ، ذلك انه كان يجد نفسه تحت رحمة هذه الظواهر ، وكان يراها مصدرا للخير والشر ، لما كان يعتقده فيها من عظمة وهول ، وما قد تقوم به من تخريب وتدمير اذا ما غلت ثورتها وفار فائرها. وما تدر عليه من نعم وتغدق عليه من خيرات حين هدوئها ورضاها . ومن امثلة ذلك « قزح » الذى عبده العرب فى جاهليتهم واعتبروه الها للرعد والخصب ، بل لعل فى قصة ابراهيم عليه السلام ، والكوكب ، والقمر ، والشمس ، ما يدل على تعظيم الانسان الاول لبعض ظواهر الطبيعة . يقول الله تعالى : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي ، فلما افل قال لا احب الآفلين ، فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ، فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ، انه وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين » (1) .

وانما قال ابراهيم ذلك ـ وهو خليل الله ونبيه ـ عن طريق السخر الفني ، مسايرة لفكرة قومه المشركين ، كأنه على شرعتهم ، ليقيم عليهم الحجة بأن ضوء النيرات التى رآها ما كان له أن يعبد ، او يتخذ الها ، فهو مربوب وليس برب .

ويذهب علماء الاناسة (2) الى ان عبادة الارواح هي التي كانت منشأ الدين لدى الجنس البشري ، وقد هداه الى عبادتها حالات النوم واليقظة . والبدائيون كانوا يحسبون رقود الانسان موتا له .

(1) سورة الانعام ، الآيات 75 حتى 79 .

(2) الاناسة : تعريب لفظة Anthropologie وهو علم يبحث فى أصل الجنس البشري ، وتطوره واعرافه ، وعاداته ، ومعتقداته .

ويظنون ان قوة محجوبة لا تدركها الحــواس ، هي التي تميته ، وتقبض نفسه المميزة له ، وتوقفه عن التصرف والحركة ، على أن تعيد اليه الحياة وتبعثه متى شاءت لها ارادتها !

وانتقلت الفكرة الدينية عند الانسان من عبادة الارواح الى اتخاذ الاصنام آلهة ، وكانت منحوتــات و صورا لاشياء مما فى السماء ، او مما فى الارض ، أو مما تحت المياه ، مصنوعة من خشب او فضة او غيرهما من المعادن .

ومن عبادة الاصنام تدرج التدين الى الشرك وتعدد الآلهة (3) حتى انتهى الى مرحلته الاخيرة ، مرحلة التوحيد وعبادة الله الواحد الاحد .

ومهما يكن من شيء ، ومهما تضاربت المذاهب، واختلفت المشارب فى نشوء الدين عند بني البشر فان حقيقة وحدة تظل صامــدة قائمة : تلـك هي « فطرية » الدين فى النفس الانسانيــة ، واذا كان الانسان قد سلك سبيلا مرحلية فى سلـم العقائد ، من تعظيم القوى الطبيعيــة ، فالوثنيــة ، فالشرك ، فالتوحيد ، فما ذلك الا لانه كان يحس فى قــرارة نفسه ان هناك قوة فاعلة مدبرة لهذا الكون الذي هو جزء منه . فظل يبحث عنها معيثا (4) فى بحــثه ، حتى هدته فطرته الى وجود خالق عادل يلجأ اليه من كل وسواس ، ويقصـده فى الرغائب ويستعينــه فى المصائب ، ويصمد اليه فى الحاجات ، ويدعوه كلمــا مسه ضر او حزبه مكروه ، فاتخــذه قاعــدة عظمى تقوم على العقيدة ، مسلما بخالق هذا الكون ومنظمه والقيوم عليه وواضع اسســه . ودفعه كل ذلك الى ان تسمو نفسه فوق مصائــب الدنيــا ، ومعاكســة القدر ، والم الدهر ، وقســوة الطبيعــة التي كان يعيده . وعيــوب المجتمــع ، ونقائــص النــاس ، كل ذلك مما انبث فى نفســه من شعور باله قديــر هو مصدر كل عاطفة سامية ، تملأ القلب ، وتسكــن بها النفس ، ويصفو بها العيش ، ويرتاح بها الضمير، وتجعل المرء يطفح تفاؤلا واستبشارا .

وانما تنزع النفس الانســانية الى الديــن ، لان قوى غيبية تدفعها الى شعور محجوب ، يطفو كالماء، يحدوها نحوه حاد لا يعرف اللين ولا الهوادة ، فاذا هي امام فطرة كامنة فيــها ، تعــود الى استشعــار الانسان للضعف والعجز امام هذه القوى الغيبيــة التى لا تقع تحت حواسه ، ولا يدركها عقلــه ، ولا ينتهي الى اكتناهها مبلغ علمه .

فالدين فطرة فى الانسان ، ومبدأ جبلي موجود فى النفس وجودا حقيقيا سابقا على التجربة يصحبها فى حلها وترحالها فى عالم المحســوس ، فيحيلهــا عواطف واحاسيس تنتشر فى جنباتها روعة وجمالا هما من نور الله وجلاله .

والفطرة السليمة تنشد الله وتطــلب طريقهــا اليه من أقرب السبل . والطفل عند خروجه الى هذا العالم يولد مزودا بطاقة روحية تلهمه طريق الصواب ، وتريه سبل الرشاد ، ذلك لان الانسان بطبعه خير ، والخير اصيل اثيل ، اما الشر فحادث فيه عارض ، فهو يخلق سليم الفطرة ، مستقيم السلوك ، صافي الروح ، نقي النفس ، شفافي الاحساس ، مستعدا للخير استعدادا كاملا غير منقوص ، ولو ترك فطرته وجبلته الاولى لنشا على الايمان ، وعاش حســن السيرة والسريرة ، متبعا دين الله الــذى خلــق الناس له .

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رســول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه، او ينصرانه ، او يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (5) ، هل تحسون فيها من جدعاء (6) » ؟. ثم يقول ابو هريرة واقراوا ان شئتم : « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (7) .

والله تعالى يخلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الايمان كما يخلق اعينهم واسماعهــم قابلــة للمرئيات

(3) أي الايمان بتعدد الآلهة : Polythéisme .
(4) عيث : مشى مشية الاعمى ، او طلب شيئــا باليد من غير ان يبصره .
(5) جمعاء : كاملة الخلق ، ليس فيها نقــص او تشويه .
(6) جدعاء : مقطوعة الانف .
(7) سورة الروم ، الآية 30 .

والمسموعات ، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الاهلية ، ادركت الايمان ووجدت حلاوته كالشاة تلد ولدها كامل الخلقة ، سليما من الآفات، بريئا من العيوب ، ما ذا عميت العيون ، وصمت الاسماع ، وطبع على القلوب ، فلا فطرة حينئذ !

ويرى بعض المفسرين ان الاطفال ان ماتوا صغارا قبل ان يبلغوا العقل ، صاروا الى الجنة ، سواء اكانوا لآباء مؤمنين ام كانوا لآباء مشركين ، لانهم يموتون على الفطرة . ولانه تعالى فطر الخلق على الايمان به ، ولانه سبحانه لما اخرج ذرية آدم من صلبه في صورة الذر ، أقروا له بالربوبية . يقول سبحانه :

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ، شهدنا » (8) .

فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله ربها وبارئها ، ولا يفني هذا الميثاق الذى اخذه الله على ذرية آدم مولودا بلغ مبلغ الادراك ، لما قد يعتوره من فساد الفطرة وتغير الجبلة .

فبالفطرة الدينية يستقبل الانسان نور الله الذى منه يستقي حشد طاقاته ، ليحمل الامانة وليحقق الغرض من وجوده ، والغاية التى من اجلها خلق : تلك هي حمد الله وتمجيده وطاعته :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون » (9) .

الرباط ــ محمد حمزة

---

(8) سورة الاعراف ، الآية 172 .
(9) سورة الداريات ، الآيتان 56 و 57 .





هذه الارض ، ما لها تتلالا ؟ وترينها اشراقة ودلالا ؟
اشرقت حولها العوالم نورا وحنا الدهر هامه اجلالا !!
اشرق العيد طالعا ، واضاءت اسعد النصر ، تصحب الآمالا !!
غمر البشر والمسرة فيها ، ودنا اليمن مقبلا اقبالا !!
وازدهى المغرب العظيم سعيدا في المسرات رافلا مختالا !!
والتقى في الوفاء عرش وشعب ، فاكتسى الكون عزة وجلالا
تاهت الارض وازدهرت وتسامت كبرياء ، في زهوها تتعالى
خلع اليمن حلتيه عليها فكساها نضارة ، وجمالا
انها الفرحة العظيمة حقا سادت الشعب نسوة ورجالا
فرحة عمت المناطق غربا وجنوبا ومشرقا وشمالا
واتوا عاهل البلاد وفودا وتسامى هتافهم وتعالى :
ملك حرر البلاد واعلى صرحها شامخا ، فاضحت مثالا
حرر الارض من عدو دخيل واذاق العدى بها اذلالا
فخلت منهم القواعد قهرا وغدت من جيوشهم اطلالا !!!
وراى الجهل والتخلف فتا كين بالشعب يورثان النكالا !!
فانبرى في البلاد يعلن حربا وجهادا وثورة ونضالا
فتسامت ثقافة وثراء ورقيا تستقبل الاجيالا
ملك قد اضفى على الشعب يمنا وامانا يظله اظلالا

ورأى المسلمين يلقون ضيما ... ويعيشون نكبة ووبالا

فدعانا لوحدة وانتظام ... وتعالت صيحاته تتوالى

صيحة دوت الجود ارتجافا ... ونداء عال يهز الجبالا

قال : ((خوضوا معارك العز زحفا ... انها الحرب لا تزال سجالا))

فاندفعنا الى الجهاد صفوفا ... واكتسحنا الضلال والاضلالا !!!

— × —

ايها المغرب العظيم تقلد ... ذلك المجد والثنا والخلالا

وامدح العاهل المناضل واكتب ... بمداد الاجلال تلك الخصالا

ايها الشاعر المجيد تحدث ... عنه شعرا فقد وجدت مجالا

لست احصى امجاده وثناه ... وعلاه وان اطلت المقالا

ليس لى أن أحيط بالبحر غرفا ... أو أعد الحصى واحصى الرمالا

حسن الشعب انت اعظم شانا ... وسموا ومحتدا وفعالا

ولكم قد حققت من معجزات ... طالما كانت فكرة وخيالا

ولكم غاية بلغت مداها ... بعدت مدركا وعزت منالا

قد محضت البلاد حبا وعهدا ... ووفاء ترجمته اعمالا

فجرى فى القلوب حبك روحا ... وسرى فى دمائنا سلسالا

سر بهذي البلاد فى كل درب ... تقتفي نهجه القويم امتثالا

سر بنا نمتطي السماء ارتقاء ... نطلب العز والعلى والكمالا

دمت للشعب والبلاد اماما ... واحدا فى عليائه مفضالا

دامت الاسرة العظيمة شانا ... وهي فينا تحقق الامالا

وولي العهد المبجل يعلو ... ساميا فى حفظ الاله تعالى

والامير الرشيد يكبر فينا ... سامي القدر يصحب الانجالا

محمد الكبير العلوي

فهرس العدد الخاص بعيد العرش السعيد

